

خِلَافَةُ الصَّوْفِيَّةِ

فِي

الْفَاظِ الْقَرَّازِ الْكَرِيمِ

بَيْنَ الْبَصَرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ

اسم الكتاب:	الخلاص الصرقي في ألفاظ القرآن الكريم
تأليف:	بين البصريين والكوفيين
التصحيح اللغوي:	د. كاطع جار الله سظام
الإخراج الفني:	الأستاذ زغير عبد الحسين مزعل
الغلاف:	ميثم بحر
الطبعة:	م. نجاح الدجيلي
الكمية:	الأولى
الناشر:	١٠٠٠ نسخة
سنة الطبع:	ديوان الوقف الشيعي، أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به
	١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لأمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به
www.masjed-alkufa.net

الْخِلَافَةُ الصَّرَفِيَّةُ

فِي

الْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بَيْنَ الْبَصَرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ

د. كاظم جبار الله مطام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الأمانة

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه وفي علومه وحكمه ما جعله شاغلا للعلماء والدارسين قديما وحديثا، واقفين عند كل سورة من سورته، وكل آية من آياته ناظرين فيها كل وفق صناعته واهتماماته، حتى ذهب بعض الباحثين إلى أن من إعجاز القرآن الكريم أن يظل مشغلة العلماء والدارسين جيلا بعد جيل.

لقد ظل القرآن الكريم (أبدا رحب المدى سخن المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح عالياً يفوت طاقة الدارسين)، إن للقرآن الكريم عطاءً جديداً، ومعنىً متجدداً، يتجلى لكل جيل، يختلف باختلاف العقول، ويتضح بتقدم العلوم، فكان هو الدافع الأساس الذي قامت من أجله جل الدراسات في اللغة العربية.

وقد ارتبطت جهود العلماء والدارسين، في لغة القرآن الكريم، بثقافتهم، وتنوعت وأختلفت بحسب مشاربهم، وتعددت الاتجاهات التي نظرت إليه من لغوية ونحوية وبلاغية وتفسيرية، وهم في دراستهم باتجاهاتها المختلفة، يختلفون في مسائله وقضاياها المتعددة سواء أكان هذا الخلاف في تفسير بعض آياته، معتمدين، في ذلك، على علوم اللغة، وخاصة النحو، لاستخراج حكم فقهي أو غيره، أم كان الخلاف في لغته صرفاً أو نحواً، إذ اتسعت دائرة الخلاف بعد ظهور المذاهب النحوية البصرية والكوفية والبغدادية، إذ أصبح كل مذهب يدلل على ما ذهب إليه من نظرة إلى المسائل المختلفة فيها، ويأتي بالأدلة، التي توافق العقل من الكتاب والسنة أحياناً، وبالشعر وكلام العرب أحياناً أخرى.

وقد صنف العلماء العرب، في قضية الخلاف النحوي، كتباً، كان من أشهرها كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين

والكوفيين - لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، مضافاً إلى ما ألفه الباحثون العرب المحدثون، وما قدمته الدراسات الأكاديمية: الماجستير والدكتوراه في هذا الميدان، وهذه المصنفات والمؤلفات، كما يرى أحد الباحثين، توثيق لما حصل من خلاف في مسائل اللغة المختلفة النحوية والصرفية ونحوهما، وهو خلاف، كما أشار أحد الباحثين (لا يكون أبداً على أصل من الأصول، وإنما على ما تفرع من الأصول من فروع وجزئيات).

ومن هذه المسائل التي نشأ الخلاف فيها، بين العلماء المسائل الصرفية في اللغة العربية، التي تميزت، كما شخص كثير من الدارسين، بقدرتها على التجدد، وصلاحياتها للتطور، وملاءمتها لأشكال الحياة المختلفة، بأنها تهيء القوالب الصرفية، لاحتواء المعاني التي تلقي بها الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إذ إن «الصرف ذو أثر دلالي بين لما ينطوي عليه من نظر في ضروب التغير التي تعترى بنية اللفظ في الحركة أو زيادة حرف أو أكثر أو في إبداله بغيره، وغير ذلك مما له مساس بإكساب اللفظ دلالات غير ما كانت له في الأصل.

وبين أيدينا عزيزي القارئ كتاب سعى فيه الباحث كما يقول إلى بيان (الألفاظ القرآنية التي اختلفت أقوال المفسرين واللغويين في تأصيلها، وتبيان الجذر اللغوي الذي تشعبت منه، وتحليل تلك الأقوال، ومعارضتها بعضها ببعض بغية المفاضلة بينها)، وهو من البحوث والمؤلفات المشاركة في مسابقة مسلم بن عقيل عليه السلام للإبداع الفكري والأدبي التي حرصت أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به على إقامتها كل عام ضمن مهرجانها السنوي مهرجان السفير الذي يستذكر دخول مسلم بن عقيل عليه السلام في الخامس من شوال سنة ٦٠ للهجرة مرسلاً من قبل الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة وأهل العراق، وقد اتبع الباحث، في إنجاز القصد الذي حدده لدراسته منهجاً تمثل ببحثه المسائل الصرفية المتعلقة بمائة لفظ من ألفاظ القرآن

الكريم، ممهداً لدراسته بالحديث على تاريخ الخلاف في اللغة العربية، وظهوره بوضوح بعد أن ترسخت أسس المدرستين: البصرية والكوفية، منهاً إلى أن هذا الخلاف لم يكن بين مدرسة البصرة والكوفة، أو بين إحداهما ومدرسة أخرى من المدارس التي تفرعت في الأمصار الإسلامية الأخرى، بل كان موجوداً بين أصحاب المدرسة الواحدة.

فالباحث لا يكتفي بهذا العرض، بل يكاد لا يترك رأياً أو قولاً في مسألة من مسائل الخلاف الصرفي في الألفاظ التي اختارها إلا وله رأي أو ترجيح أو تعليق على كل مسألة من مسائل هذا الخلاف، والقارئ الكريم يستطيع بكل سهولة ويسر؛ أن يشخص هذه الظاهرة في الكتاب، الذي يمكن وصفه بأنه إضافة إلى المكتبة العربية في هذا الحقل من حقول دراسة اللغة العربية، وفق الله الباحث وسدد خطاه في حياته العلمية كما نشد على أيادي القائمين على إدارة مسجد الكوفة لتوفيرهم هذه الفرصة الطيبة للباحثين والمثقفين في استقبال مؤلفاتهم وطبعها ونشرها سائلين الله للجميع التوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير.

الأستاذ الدكتور خليل عبد السادة إبراهيم الهلال

(١١ / ربيع الأول) ١٤٤٢ هـ

(٢٩ / تشرين الأول) ٢٠٢٠ م

الجامعة الإسلامية - كلية العلوم الإسلامية

النجف الأشرف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على
المبعوث بالقرآن، محمد نبي الهدى والفرقان وعلى آله ومن صحبه بإحسان،
وبعد.

فالقرآن الكريم جبل الله المتين ونوره المبين ومعجزته الخالدة إلى يوم
الدين، لا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه، أساس سمو العربية وسرّ خلودها
ومنهل علومها المقدسة، وألفاظ القرآن الكريم هي لبّ كلام العرب وأفصح ما
ينطق بلغة الضاد، عليها اعتمد الفقهاء في شرعهم، ومنها استنبط الحكماء
أحكامهم، وإليها مفزع الشعراء في نظمهم، وهي ملاذ البلغاء في نثرهم. وقد
شاء الباري - وحمداً على مشيئته - أن أشغف منذ دراستي الجامعية الأولية
بواحد من علوم العربية التي نشأت بين أحضان القرآن الكريم ذلك هو علم
التصريف. وفي دراستي الجامعية العليا زدت شغفاً به. ثم إنني تلمست فيه
بعضاً من عجائب التنزيل العزيز، ألفاظه المعجزة التي اختلف الصرفيون في
اشتقاقها وتبيان الأصل الذي أخرجت منه، فتبين لي أنها ألفاظ كثيرة عدداً
ومختلفة نوعاً. ولما لم تُفرد تلك الألفاظ ببحث جامع يلمّ شتاتها الذي تفرّق في
أثناء الكتب على اختلاف أنواعها، عقدت العزم على أن أألف معجماً في
الخلاف الصرفي في ألفاظ القرآن الكريم يشتمل على الألفاظ القرآنية التي
اختلف علماء المدرستين من اللغويين والمفسرين في اشتقاقها.

لقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على الألفاظ القرآنية التي
اختلفت أقوال المفسرين واللغويين في تأصيلها وتبيان الجذر اللغوي الذي
انشعبت منه، ومن ثمّ تحليل تلك الأقوال ومعارضة بعضها ببعض بغية
المفاضلة بينها. وقد حرص البحث على تتبّع كلّ ما قيل في تأصيل اللفظة قديماً

وحديثاً، ونسبة كل قول إلى صاحبه نسبة يُطمأن إليها، ثم محاكمة تلك الأقوال وانتقاء الراجح منها ورد المرجوح إن وُجد إلى ذلك سبيل بين.

وحرصت على أن ينتظم البحث من جميع الألفاظ القرآنية التي تبين لي أن المفسرين واللغويين مختلفون في اشتقاقها، ورتبت تلك الألفاظ ترتيباً معجمياً بحسب الحرفين الأول والثاني كما وردت في التنزيل العزيز دون النظر إلى جذورها اللغوية المختلف فيها، ودون التفريق بينها من حيث الأسماء والأفعال والأدوات. ولم يخرج عن هذا الترتيب إلا لفظ الجلالة (الله) - الذي هو أجل لفظ في الموجودات جميعها - إذ جاء صدر الألفاظ المعجم، وإلا لفظ (إبليس) الذي جاء تلو الألفاظ جميعها. وقد صدر البحث بتمهيد فيه إبانة موجزة عن الخلاف في العربية من حيث تاريخه وأسبابه وموقف المحدثين منه.

وبعد، فهذا عملي بذلت فيه ما وسع الجهد وما استطاعت القدرة ولست بزاعم كمالات فيه وأنى لي ذلك وأنا ممن يؤخذ منه ويرد عليه، ثم إن البضاعة في هذا الفن ما زالت قليلة والفكرة عن درك دقائقه ما برحت قليلة. أُملي المزيد، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، رضيت بقضائه واعترفت بآلائه فالحمد له على توالي نواله والصلاة والسلام على محمد وآله.

الباحث

بغداد ٢٠١٨/٢/١٥

التمهيد

الخلافا في اللغة العربية: تاريخ وتطور

أولاً: في تاريخ العربية:

يعدّ الدرس اللغويّ العربيّ لوناً من ألوان النشاط الذهنيّ الذي فرضته طبيعة الحياة وتطور المجتمعات " وكان لأهل البصرة في العربية قدمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية" ^(١)، فالبصريون كانوا رواد النحو العربي وحاملي لوائه. وقد تواترت الأخبار التي تشهد بفضلهم في هذا الجانب، فقبل عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) منهم: إنه " أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل" ^(٢). واقرن اسم عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) بكتابين له لم يصل إلينا هما الإكمال والجامع وصفاً بأنها شمس وقمر في بيتين من الشعر ^(٣). وعُرف أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) بدقته وحذره الشديدين وهو يستقي مادته اللغوية من الأعراب الفصحاء ^(٤). ويعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) وتلميذه سيويه (ت ١٨٠هـ) رائدي هذا الدرس، فكان الخليل " سيد قومه وكاشف قناع القياس في علمه" ^(٥)، وقد " أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه وهو في خُصّ لا يُشعر به، وما يُحكى عنه من العلم والزهد أشهر من أن يُنشر وأظهر من أن يُذكر" ^(٦). وعُرف سيويه بكتابه المشهور الذي كانت عامة الحكاية فيه لشيخه الخليل ^(٧)، إذ قال فيه المازني

(١) طبقات فحول الشعراء ١٢.

(٢) نفسه ١٤.

(٣) ينظر: طبقات النحويين ٢٣ ونزهة الألباء ٢٩ - ٣٠.

(٤) ينظر: طبقات النحويين ٢٨ ونزهة الألباء ٣٠ - ٣٤.

(٥) الخصائص ٣٦١/١.

(٦) نزهة الألباء ٤٧.

(٧) ينظر: نزهة الألباء ٤٥ وبغية الوعاة ٣٦٦.

(ت ٢٤٩هـ): "من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"^(١). وقال فيه الجاحظ: (ت ٢٥٥هـ): "لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال"^(٢). ومن هنا سمّاه القدماء (قرآن النحو)^(٣). وسمّاه المبرد (ت ٢٨٥هـ) بـ(البحر)^(٤). وهو "قوام المدرسة البصرية ومحور نشاطها وهو مادة علم البصريين وأكثر ما جاؤوا به أنهم كانوا يزيدون عليه شرحاً وتفسيراً وزيادات أخرى يستدركون بها ما فات سيبويه أو يؤيدون بها رأياً من آرائه"^(٥). وكان ليونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) حضور بين في الكتاب ينبي بفضل الكبير على مؤلفه وعلو شأنه بين البصريين.

بهؤلاء الأعلام وبغيرهم عرفت البصرة مركزاً لعلوم العربية؛ فأضحت بهم مدرسة نحوية رائدة قامت بعبء هذا العمل منذ نشأته حتى أصبح خلقاً سوياً، ومرّ زمن طويل قبل أن تشارك الكوفة فيه وهي إنما أخذته عن البصرة، وقد أخذته تماماً ناضجاً وأحدثت فيه تغييراً يتصل بالمنهج والتطبيق. وقد أنبأنا أصحاب الطبقات أن أبا جعفر الرّؤاسي (ت ١٨٧هـ) وعمه معاذ الهراء (ت ١٨٧هـ) هما اللذان أرسيا قواعد المدرسة الكوفية معتمدين في ذلك على البصريين، فالرّؤاسي الكوفي أخذ النحو من عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء وعاد إلى بلده ليضع كتاباً في النحو الكوفي سماه (الفيصل). وهو أستاذ الكسائي (ت ١٨٩هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ)^(٦). لكن الدكتور مهدي المخزومي (ت ١٤١٦هـ) لم يرَ "أثراً لنحو كوفي متطور قبل الكسائي ينتقل من

(١) الفهرست ٥٧ وينظر: نزهة الألباء ٥٦.

(٢) وفيات الاعيان ١٣٣/٣.

(٣) ينظر: مراتب النحويين ٦٥.

(٤) ينظر: الفهرست ٥٧ ونزهة الألباء ٥٥ وبغية الوعاة ١٦/١١٧ ٦٦.

(٥) مدرسة الكوفة ٨٩.

(٦) ينظر: مجالس العلماء ١٢٧ وطبقات النحويين ١٣٥ والفهرست ٦٤ ونزهة الألباء ٥٠.

البساطة إلى التعقيد" ^(١)، ولم يعرف " في الكوفة نحوياً – بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة – قبل الكسائي. ولكن القدماء – ولعلهم من الكوفيين – أبوا إلا أن يكون لهم نحوٌ متميز قديم، أو أن يكون لهم نحاة مثل الكسائي الذي أخذ عن البصريين ^(٢). ورأى المخزومي " أن النحويين على اختلاف طبقاتهم ومدارسهم إنما استمدوا النحو من البصرة ومن علم الخليل المتمثل في كتاب سيبويه خاصة، لا فرق في ذلك بين كوفي وبصري وبغداد ^(٣).

ولا يعني هذا أن المخزومي لا يقرّ بوجود مدرسة نحوية كوفية اختلف علماءها وعلماء مدرسة البصرة في مسائل لغوية كثيرة، إذ تواترت عن القدماء الأخبار التي تؤكد ذلك تواتراً متصلاً جعلت المخزومي وغيره من علماء العربية المحدثين يقرّون بوجود المدرسة الكوفية النحوية ^(٤). مقدمين الأدلة القاطعة للرد على منكري المدرسة الكوفية الذين عدّوها مدرسة " بنيت على أشياء مفتعلة لكيان خيالي. أقيم على أمور صغيرة أريد لها أن تكون شيئاً" ^(٥) قاصرين سبب الخلاف بين الكوفيين والبصريين على " وجود منافسة بين العصرين، وأن الكوفيين أرادوا أن يفيدوا من الحاكمين وأن يكون لهم صلة بهم فبادروا في هذا السبيل وقطعوا الطريق على البصريين" ^(٦).

(١) مدرسة الكوفة ٥٨.

(٢) مدرسة الكوفة ٥٨ وينظر ٨٨.

(٣) نفسه ٨٩.

(٤) ينظر: مدرسة الكوفة ٩٠-٩١ ومدرسة البصرة ١٥٠ وأبو زكريا الفراء ٣٧٧ والمدارس النحوية (خديجة) ١٨ ومقدمة الإنصاف (ترجمة النجار).

(٥) المدارس النحوية، أسطورة وواقع ٥٤.

(٦) المدارس النحوية أسطورة وواقع ٥٤. وينظر: دائرة المعارف الإسلامية ٢٠/٦ - ٢١ والعربية وعلم اللغة النبوي ٢٦، ٤٥ والدرس النحوي في بغداد ٩٧ وتاريخ الشعوب الإسلامية ١٩٣ ونظريات في اللغة ١٤٥ وتقويم الفكر النحوي ٢٤٣ وتاريخ النحو العربي ١٢١ والمدارس النحوية (خديجة) ١٩ وتاريخ علوم اللغة العربية ١٣.

وخير دليل على أن المدارس النحوية ولاسيما مدرستا البصرة والكوفة في النحو العربي واقع لا أسطورة كثرة الخلاف في مسائل النحو والصرف بين علماء المدرستين، ولا شك في أن البحث في تاريخ هذا الخلاف وأسبابه قمين ببيان حقيقة تعدد المدارس في النحو العربي.

ثانياً: تاريخ الخلاف في العربية.

من الحقائق التي أقرها البحث في اللغة أن الخلاف في العربية لم يكن مقصوراً على الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة أو بين إحداها ومدرسة أخرى من المدارس التي تفرقت في الأمصار الإسلامية الأخرى ووجدت من ينصرها ويدعو إليها، بل كان موجوداً بين أصحاب المدرسة الواحدة. وعند البحث في تاريخ الخلاف يتبين أنه نشأ بين البصريين الأوائل قبل قيام المدرسة الكوفية وغيرها من المدارس بحقبة زمنية قاربت القرن. فقد نقل لنا المؤلفون القدماء عدة مسائل خلافية وقعت بين البصريين وحدهم، فنجد عيسى بن عمر وأبا عمرو بن العلاء والخليل مختلفين في إعراب ما جاء على وزن (أفعل) معتل اللام بعد تصغيره وذلك نحو تصغير (أحوى) إذ يقال فيه (أحيوى) بوزن (أفعل) تقلب ألفه المتطرفة ياء لأجل الكسرة قبلها فيصير (أحيوي) ثم تقلب الواو فيه ياء لاجتماعها مع الياء وسبق أحدهما بالسكون الأصلي فيصير (أحيي) بثلاث ياءات. وقد أجمع البصريون الأوائل على حذف الياء الأخيرة من المصغر تخفيفاً فثبت على (أحي) بوزن (أفيع)^(١). لكنهم مختلفون في إعرابه ولهم فيه مذاهب ثلاثة أولها: التعويض من الياء المحذوفة بالتثوين في حالتي الرفع والجر ورد الياء المحذوفة في حالة النصب. وإليه ذهب أبو عمرو بن العلاء الذي كان يقول: (أحي) رفعاً وجرّاً و(أحييا) نصباً. وثانيها: عدم التعويض من الياء ومنع الكلمة من الصرف في جميع الأحوال وإليه ذهب

(١) ينظر: الكتاب ١٣٢/٢، ٣٩٣.

الخليل ويونس وسيبويه وكانوا يقولون: (أحيّ) رفعاً و(أحيّ) نصباً وجراً. والمذهب الثالث: عدم التعويض من الياء المحذوفة وتنوين الكلمة في الرفع والنصب والجر وإليه ذهب عيسى بن عمر الذي كان يقول: (أحيّ) رفعاً و(أحيّ) جراً و(أحيّ) نصباً^(١). ورجّح رأي الخليل وأصحابه في هذه المسألة لأن الكلمة ممنوعة من الصرف بما فيها من علامة الفعل في أولها وهي الهمزة، وصرف أبي عمرو بن العلاء لها مقبول لأنه صرف عوضي لا صرف تنكير، لكن صرف عيسى لها على النحو الذي ذكره سيبويه وغيره مردود لأن الكلمة مما لا ينصرف^(٢).

ونجد في الكتاب أيضاً اختلاف البصريين الأوائل في نحو (زيد) و (عمرو) مسمّى بهما مؤنثاً، أيصرف أم يمنع من الصرف؟ إذ ذهب الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء إلى منع الصرف مراعاة للتأنيث وعده سيبويه وغيره مقيساً، وكان عيسى بن عمر يصرف ذلك فيقول: جاءت زيد وتزوجت عمراً مراعاة للخفة^(٣)، وعورض رأيه بأن "منع الصرف أنما حصل هنا بسبب التأنيث لا بسبب خفة البناء أو ثقله وصرف مثل هذا يوهّم بأنه ما يزال مختصاً بالذكر"^(٤).

والنظر في بداية الخلاف في العربية يكشف لنا عن تنوعه ومزجه بين علومها كافة فالخلاف بين العلماء كان في النحو والصرف وغيرهما من علوم العربية دونما تفريق أو تبويب ولا غرو في ذلك، لأن درس العربية آنذاك لم

(١) ينظر: الكتاب ١٣٢/٢ والأصول في النحو ٣١٢/٣ ومجالس العلماء ٩١ والمنصف ٢٨٠/٢ والخصائص ٧٢/٣ والمفصل ٩٧/٢ وشرح المفصل ١٢٥/٥ وشرح الكافية الشافية ١٩٠٤/٤ وشرح الشافية للرضي ٢٤٣/١ وشرح الكافية للرضي ٥٢/١ وارتشاف الضرب ١٧/١.

(٢) ينظر: عيسى بن عمر ٢٦٩ وأبو عمرو بن العلاء ٢٠٠ ومدرسة البصرة ٤٣٥.

(٣) ينظر: الكتاب ٢٢/٢ والمقتضب ٣٥٠/٣ والأصول ٧٠/٢ واخبار أبي القاسم ٢١٤.

(٤) عيسى بن عمر ٢٦٦.

يعهد التبويب ولم يرح المزج. ولما كثرت المسائل التي اختلف فيها خص كثير من علماء العربية القدماء موضوع الخلاف بالتأليف فأفردوا له كتباً كثيرة أتى الزمن على أكثرها ولم يصل إلينا منها إلا أربعة^(١)، إذ أحصى الأستاذ سعيد الأفغاني اثني عشر كتاباً ألفت جميعها في الخلاف بدءاً بكتاب (اختلاف النحويين) لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت ٢٩١هـ) وانتهاء بكتاب (الإسعاف في مسائل الخلاف) لابن إياز (ت ٦٨١هـ)^(٢). واستدرك عليه الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم كتاب (مسائل الخلاف في النحو) لعبد المنعم بن محمد الغرناطي الملقب بابن العرس (ت ٥٩٧هـ)، وخطأه في نسبته كتاب (الواسط) إلى أبي البركات الانباري مصححاً نسبته إلى أبي بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ)^(٣). وتبين للدكتور عبد الله الجبوري أن أبا جعفر الدينوري (ت ٢٨٩هـ) هو أول من وضع كتاباً في الخلاف سماه (المهذب) مظهراً بذلك وهم الأفغاني الذي عد ثعلباً أول من طرق باب التأليف في هذا الجانب^(٤).

وليس ما نشر بعنوان الخلاف النحوي هو المصدر الوحيد لدراسة الخلاف في العربية والتأريخ له، فقد أثبتت الدراسات التي نهض بها الباحثون المحدثون أن كتب النحو والصرف وكتب إعراب القرآن وتفسيره والمعجمات اللغوية وكتب الأمالي والنوادر والمجالس وشروح المتون الثرية والشعرية تعج بالمسائل الخلافية بين العلماء. فالبحث اللغوي الحديث أظهر مصادر مهمة وجديدة لدراسة مسائل الخلاف النحوي أغفلها السابقون لأن أصحابها لم

(١) هي الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري (ت ٥٧٧هـ) والتبيين عن مذاهب النحويين ومسائل خلافة في النحو للعكبري (ت ٦١٦هـ) وائتلاف النصرة في اختلاف نحا الكوفة والبصرة لعبد اللطيف الزبيدي (ت ٨٠٢هـ).

(٢) ينظر: في أصول النحو ٢٢٧-٢٢٩.

(٣) ينظر: ابن الأنباري في كتابه الإنصاف ١٢٤-١٢٦.

(٤) ينظر: ابن درستويه ١١٤.

يسمونها بالخلاف، وليس من الإنصاف الاعتماد على (إنصاف) الانباري وحده لأنه مسبوق بعرض مسائل الخلاف في العربية زمناً وكماً.

ثالثاً: أسباب الخلاف في العربية.

تناول الباحثون ولاسيما المحدثون ^(١) هذا الموضوع العميق بالدراسة الشاملة، فكثرت لديهم الأسباب التي تلمسوها من التراث اللغوي العربي القديم، حتى وصل أحدهم بها إلى ما زاد على العشرين سبباً ^(٢). وفيما يأتي أهم تلك الأسباب.

١. الحياة العامة: إذ كان لطبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في المصريين: البصرة والكوفة، أثر كبير في نشوء الخلاف والتعصب والفرقة والتنافس بين أبنائهما على اختلاف طبقاتهم، فالبصرة مصرية عثمانية ذات تأثر بالأجنبي، وكيانها الثقافي قائم على الفلسفة والمنطق، والكوفة يمانية علوية ذات طابع عربي تام، تقوم ثقافتها على القراءة والحديث والفقه، فلا عجب - بعد هذا - من الخلاف الواقع بين علماء المصريين في حلقات الدرس اللغوي ^(٣).

٢. اللهجات: وتعدّ سبباً واضحاً من أسباب الخلاف بين العلماء، فالتميمي يقول: مصوون ومطيوب فيتم اسم المفعول من الأجوف والآخرين

(١) ينظر: النحو التطبيقي ٣٠ ومن تاريخ النحو ٨٠ والمدخل إلى دراسة النحو العربي ٧١ والخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف ٧٣ والمبرد حياته وآثاره ٢٥ ومسائل الخلاف النحوية بين علماء البصرة ٢١ والخلاف النحوي في كتاب إعراب القرآن ٢٢ والمسائل الخلافية النحوية في شرح المفصل ١٣ والدراسات الصرفية عند العرب ٢١٢ والخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة ١٠ والبحث النحوي في الكتب والرسائل الجامعية ١٢٧ والخلاف الصرفي في العربية ط - ن.

(٢) ينظر: مسائل الخلاف النحوية بين علماء البصرة ٢١ - ٨٧.

(٣) نفسه ٣١ - ٣٤.

يلتزمون الحذف في هذا البناء. والحجازي يقول: استحيى بياء بعدها ألف والتميمي يقول: استحي بألف وحدها^(١).

٣. المنهج: إذ اتخذ الكوفيون منهجاً في طلبهم العربية يختلف كثيراً عن منهج البصريين، فإذا كان منهج أهل البصرة أساسه القياس على الكثير ونبذ القليل والنادر والتعليل والتأويل فأن الكوفيين اعتمدوا على السماع العام قليلاً كان أم كثيراً، ومن هنا زاد البعد بين الفريقين تبعاً إلى اختلافهما في السبيل الذي أدى بهما إلى النتائج المتضادة والقواعد المختلفة^(٢).

٤. الكتابة: فلمّا ثبت عند الدارسين أن الكتابة العربية رسم لا يعبر عن الكلام العربي المنطوق تعبيراً تاماً وإن في كلام العرب عدة أصوات خرجت عن الرسم الكتابي العربي، زاد الشق اتساعاً بين علماء العربية الذين اختلفوا في عدة ألفاظ وزناً وتأصيلاً نحو الخلاف في لام (ضحى وعصا) منونة أو غير منونة^(٣).

٥. الاجتهاد: إذ كان لصعوبة كتاب سيبويه وغزارة مادته العلمية سبب بين في فتح السبيل أمام العلماء ليجتهدوا في آرائهم ومن ثمّ تتعدد أحكامهم في المسألة الواحدة، لاسيما أنهم متفاوتون في مستوياتهم العلمية، ومع هذا الأمر تعددت الآراء في مسائل لغوية كثيرة تبين أن كثيراً منها قام على اختلاف العلماء في فهم عبارة سيبويه، فذهب كل منهم فيها مذهباً أملت عليه ثقافته

(١) ينظر: مسائل الخلاف النحوية بين علماء البصرة ٢٤-٢٧ والخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين ٧٣-٧٥.

(٢) ينظر: مدرسة الكوفة ٣٥-٣٩ والمدارس النحوية (خديجة) ٩٩-١٠٠ والبحث النحوي في الكتب والرسائل ١٤٣-١٤٤.

(٣) ينظر: مسائل الخلاف النحوية بين علماء البصرة ٦٦-٦٨.

اللغوية واجتهاده الشخصي^(١). وربما يكون قول المبرد في إحدى مسائل النحو: "هذا شيء خطر لي فخالفت النحويين جميعهم"^(٢) خير دليل على رسوخ الاجتهاد في الرأي سبباً من أسباب الخلاف في العربية.

٦. التنافس: إذ دأب علماء المصرين البصرة والكوفة في إظهار مقدرتهم العلمية كلٍّ أمام خصمه بغية كسب جاهٍ علمي أو مالي، وكان لمناظراتهم في بلاط الأمراء ومجالس العلماء وحلقات الدرس أثرٌ بين في شدة هذا التنافس الذي أدى إلى ظهور آراء متباينة، كلٌّ رأيٍ منها يعبر عن شخصية صاحبه، تلك الشخصية التي حرص علماء المصرين على أن تكون مستقلة أصلية رائدة لا تابعة للخصم مسلمة له بما يقول^(٣).

٧. التحريض على الخلاف: فقد أثر عن بعض العلماء القدماء أقوال دعوا فيها طالبي العربية إلى ضرورة الخلاف فيما بينهم لكونه مظهراً من مظاهر التعلم الصحيح، يعبر عن حرية التفكير وحيوية الذهن وبه يحيا النحو ولا يجمد، إذ قال المازني "وإذا قال العالم قولاً متقدماً فللمتعلم الاقتداء به والاحتجاج لقوله والاختبار لخلافه إذا وجد لذلك قياساً"^(٤). وواضح من هذا أن الدعوة إلى الخلاف لا تكون إلا مع اكتمال الحجة وتوافر الأدلة والبراهين التي عبر عنها المازني بـ (القياس). ثم إن إجماع السابقين لا ينبغي أن يكون حجة على اللاحقين بل لهم الحق في طلب غيره إن وجدوا إليه سبيلاً صالحاً. فقد زُهي ابن جني لما طوّل في الرد على السابقين في إحدى مسائل الصرف فقال واصفاً التصريف: "ذلك موضع إنما يتحاكم فيه إلى

(١) ينظر: أثر المعنى في الدراسة النحوية ١١٩ والاحتجاج العقلي في النحو العربي ٣٣ والخلاف النحوي في إعراب القرآن ٦٧ والبحث النحوي في الكتب والرسائل الجامعية

(٢) مجالس العلماء ٢٤٥.

(٣) ينظر: مسائل الخلاف النحوية بين علماء البصرة ٣٥ - ٣٨.

(٤) المنصف ٣١٨/٢.

النفس والحس ولا يرجع فيه إلى إجماع ولا إلى سابق سنة ولا إلى قديم ملة^(١).

تلك كانت الأسباب المبرزة للخلاف في العربية التي تلمسها ذوو الصنعة من المحدثين الذين كثرت جهودهم في درس الخلاف، وتنوعت سبلهم في البحث عنه، فمنهم من درسه بين العلماء جماعات أو أفراداً، ومنهم من بحث عنه في كتاب انتخبه، ومنهم من تلمسه في باب من أبواب العربية. وكل ما كتبه المحدثون في هذا الجانب كان في الخلاف النحوي، إذ أشبعوه بحثاً وتحليلاً، غير ملتفتين إلى الخلاف الصرفي ليفعلوا به مثل الذي فعلوه بنظيره. ويبدو أن للأنباري تأثيراً بيناً في تابعيه من المتأخرين والمحدثين، فإنصافه ضم إحدى وعشرين ومئة مسألة خلافية لم يزد عدد المسائل الصرفية منها على العشرين، فسار تابعوه على سبيله في درسهم الخلاف في العربية غافلين عن الخلاف الصرفي أما لصعوبة الخوض فيه أو لظنهم أنه فرع من الخلاف النحوي متمم له على الرغم من غزارة مادته وتشعبها أيما تشعب. وربما يدرك القارئ في أثناء عرض المسائل الخلافية الصرفية وتحليلها أسباباً أخرى للخلاف بين العلماء في تأصيل ألفاظ القرآن الكريم.

(١) الخصائص ٣٢٨/٢.

١ - الله، اللهم

الله (تعالى) أجل لفظ في الممكنات كلها، لأعظم معنى في الموجودات جميعها، فما أعظم شأنه (تعالى) فقد عجزت العقول - وإن قويت فطنتها- عن درك أفعاله فضلاً عن صفاته فكيف بذاته؟ ثم إن علماء العربية مختلفون في لفظ الجلالة (الله) أعربي هو أم أعجمي؟ والذاهبون إلى أنه عربي مختلفون أمشتق هو أم ليس بمشتق؟، والذاهبون إلى أنه مشتق مختلفون في وزنه وأصل اشتقاقه.

أما الخلاف فيه أعربي هو أم أعجمي؟، فجمهور القدماء على أنه عربي، وأشار بعضهم إلى أن ثمة مذهباً يرى أن لفظ الجلالة (الله) "أصله (لاها) بالسريانية فأخذت العرب هذه اللفظة وغيّرتها فصارت عندهم الله" (١).

وأما الخلاف فيه أمشتق هو أم جامد؟ فقد نقل الزجاجي رواية متواترة عن المازني تنبئ بأنه صاحب المذهب القائل: لفظ الجلالة (الله) جامد لا اشتقاق فيه وأن الألف واللام فيه جزء اللفظ، وأن الواضع له هو الله تعالى، بل جميع أسمائه عرفت بتعليمه (عز وجل) فهو المعرف فيها والمعرف بها، إذ قال الزجاجي: "قال أبو إسحاق الزجاج، حدثني المبرد عن أبي عثمان المازني قال: سألتني الرياشي فقال لي: ما أنكرت أن يكون أصل (الله) الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية كما أجزت في الناس أن يكون تخفيف الأناس ثم أدغم؟ قال: فقلت له: من قبل أن الناس على معنى الأناس وكذلك كل شيء خفف من الهمزة فهو على معناه مخففاً، وأنت إذا قلت الإله فلم تعلم الله جلّ جلاله على معنى إله، فلو كان الله مخففاً من إله ل بقي على معناه" (٢).

(١) البحر المحيط ١٥/١ وينظر: الدرّ المصون ٢٨/١ والمجيد في إعراب القرآن المجيد ١٣.

(٢) اشتقاق أسماء الله ٣٦ - ٣٧ ومجالس العلماء ٦٩.

وقد تعاقب فريق من العلماء على نقل هذه الرواية التي تفصح عن مذهب المازني الذي يفهم منه أنه يرى أن (الله) اسم علم مرتجل للباري عز وجل، وليس أصله (إله) ولا (ولاه) ولا (لاه)، ناقلين احتجاجه على مذهبه هذا بأمرين:

الأول: إنه يرى للفظ الجلالة (الله) فضل مزية على هذه المشتقات، وإنه كان يعقل به ولا يعقل بها، وإنه يرى أن (الله) لو كان مخففاً من (الإله) لكان بمعناه كما إن الناس بمعنى (الأناس) ولما لم يستعمل (الله) إلا للباري تعالى واستعمل (الإله) لغيره تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ طه: ٩٧، علم أن (الله) ليس بمأخوذ من (الإله) وغيره من المشتقات.

الآخر: إنه يستدل على مذهبه هذا بقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مريم: ٦٥. فهذا دليل على أن لا شيء غيره تعالى يسمى (الله)، والقول بأنه مشتق يؤدي إلى أن (الله) ليس اسماً له وحده (جل عن فعل الخلائق وعلا)^(١).

ونسب الطبرسي هذا المذهب إلى الخليل^(٢)، ونسبه ابن يعيش إلى سيبويه^(٣)، ونسبه ابن سيده إلى الزجاج^(٤)، ونسبه العيني إلى الخليل والشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني^(٥). وأشار إليه آخرون من دون نسبة إلى أحد^(٦)،

(١) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٢/٢ - ١٣ واشتقاق أسماء الله ٢٣ - ٣١ ومجالس العلماء ٦٩ والمسائل والأجوبة ٢١ - ٢٧ والمحرر والوجيز ٩٥/١ ونتائج الفكر ٥١ والأشباه والنظائر ٥/٤ وخزانة الأدب ٣٥٣/١.

(٢) ينظر: مجمع البيان ٣٣/١.

(٣) ينظر: شرح الملوكي ٣٥٦ وشرح المفصل ٣/١.

(٤) ينظر: المخصص ١٣٦/١٧.

(٥) ينظر: شرح المراح: ١٣ - ١٤.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز ٩٥/١ وارتشاف الضرب ١٢٤/١ ومعنى لا إله إلا الله ٧ وشرح التصريح ٧/١.

واعتد به ابن دريد قائلاً: أقدم قوم على تفسير لفظ الجلالة (الله) بأنه مشتق ولا أقول فيه شيئاً^(١).

أما نسبته إلى الخليل وسيبويه فمرجوحة، إذ نقل عنهما من هم أقرب زمناً إليهما غير هذا، وسيأتي عما قريب بيان مذهبهما في لفظ الجلالة (الله). وقد اتضح من رواية الزجاجي لهذا المذهب أن الزجاج لم يَأْثُرْ به لنفسه، وإنما هو أحد رواته عن المازني وليس له فضل الريادة فيه فينسب إليه كما فعل ابن سيده. وأما نسبته إلى الشافعي والشياني، فلم أثبتنها إلا عند العيني الذي هو من علماء القرن التاسع الهجري وهو من شراح البخاري، ويبدو أنه نقل هذا الوجه التصريفي عن علماء الحديث الذين أنسوا بجلاء فكرته ونفروا من تكلف القول باشتقاق لفظ الجلالة على وفق ما جاء لدى اللغويين.

ومما يعضد نسبة هذا المذهب إلى المازني أن القدماء من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين لم يؤثر عنهم خلاف في أمر اشتقاق لفظ الجلالة وجموده وإنما خلافتهم في سبيل اشتقاقه فحسب^(٢). ولذا لم أجد أحداً منهم يتصدى للرد على دعوى الجمود في لفظ الجلالة لأنها لم تكن معروفة في زمانهم وإنما ردها المتأخرون من علماء القرن الرابع الهجري وما بعده. فهي عند الزجاجي وابن سيده والبطليوسي مردودة من جهة العربية ومن جهة المعنى، أما في العربية فالقول: إن لفظ الجلالة علم وقع هكذا (مرتجل) مردود إذ ليس في كلام العرب اسم فيه الألف واللام إلا وهما في حكم الزيادة وإن كانتا لازمتين لبعض الأسماء كالعباس والفضل والحارث، فعلى هذا لا مناص من القول بزيادتهما في لفظ الجلالة (الله). والتسليم بهذا يدفع دعوى ارتجال لفظ الجلالة لأنه يؤدي إلى تقدير نكرة ثم إدخال الألف واللام عليها، وهذا

(١) ينظر: الاشتقاق لابن دريد ١١.

(٢) ينظر: العين ٩٠/٤ والكتاب ٣٠٩/١ و١٤٤/٢-١٤٥ ومعاني القرآن للفرّاء ٢٠٤/١ ومعاني القرآن للأخفش ١٢٧/١ والهمز ٧٠١-٧٠٢ وإصلاح المنطق ٣٧٣ وأدب الكاتب ٤٠٤ والمقتضب ٢٤٠/٤.

ليس ارتجالاً. وأما في المعنى فإن أسماء الأعلام كجعفر وزيد إنما احتيج إليها للفصل بين الأشخاص فيها، أما (الله) عز وجل فلا يدعى أنه اسم علم كـ (جعفر) و (زيد) لأنه تعالى لا شبيه له ولا نظير يلتبس به^(١). وأما استدلال المازني بقوله تعالى (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) على جمود لفظ الجلالة، مردود لدى البطليوسي من ثلاثة أوجه:

الأول: إن الاسم الذي سَمِيَ المشركون به أصنامهم يستعمل منكراً تارة ومعرفاً أخرى كقوله تعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) ﴿الأعراف: ١٣٨﴾ وقوله تعالى (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) ﴿طه: ٨٨﴾، فأما لفظ الجلالة (الله) فلا يستعمل إلا معرفة ولم يسم به أحد غيره جلّ وعلا.

والثاني: إن السمي المذكور في الآية يراد به النظر في المعنى كما يراد به النظر في التسمية فيكون معنى قوله تعالى (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا): هل تعلم له نظيراً في الخلق والإبداع واستحقاق الربوبية؟.

والثالث: إن العرب قد تصوغ للمعنيين المختلفين اسمين مشتقين من لفظ واحد وتختلف بين الصيغتين ليكون اختلافهما دليلاً على اختلاف المعنيين كقولهم: شيء رزين وامرأة رزان، وكلاهما من الرزانة، وبناء حصين وامرأة حصان وكلاهما من معنى الحصن، فعلى هذا لا يمتنع أن يكون (الله) و (إله) مشتقين من الألوهية، والألف واللام للتفخيم وألزموه إياهما ليكون له اسم لا نظير له من الأسماء كما إنه عز وجل لا نظير من خلقه له تعالى عما يقول الجاهلون علواً كبيراً^(٢).

لذا كان أكثر علماء العربية القدماء مسلمين بأن لفظ الجلالة مشتق ولهم في اشتقاقه مذاهب كثيرة تجمعها زئات ثلاث هي:

(١) ينظر: مجالس العلماء ٦٩-٧٠ والمخصص ١٣٥/١٧-١٣٦ والمسائل والأجوبة ٢١-٢٢.

(٢) ينظر: المسائل والأجوبة ٧-١١.

الزنة الأولى: العال: هذه الزنة يتجاذبها أصلان: الأول (أله) مهموز الفاء، والثاني (ولَه) معتلها بالواو. ويمكن القول: إن سيويه أول الذاهبين إلى أن لفظ الجلالة (الله) بوزن (العال) من (أله)؛ إذ ورد النقل الصحيح عنه في كتابه، وربما أخذه من الخليل إذا ما علمنا أن عامة الحكاية في الكتاب له، ثم إن هذا المذهب ورد في كتاب العين المطبوع، مما يعضد هذه النسبة. ففي الكتاب نجد قول سيويه "وكان الاسم - والله اعلم - إله ﴿على مثال فعال﴾، فلما أدخل فيه الألف واللام حذفوا الألف وصارت الألف واللام خلفاً منها"^(١). ويفهم من هذا المذهب أن صاحبيه يذهبان إلى أن لفظ الجلالة أصله (إله) على فعال من (أله ياله إلهة) ك (عبد يعبد عبادة) وزناً ومعنى، ولما اقترن اللفظ (إله) بالألف واللام على سبيل التفتيح والتخصيص اقتراناً لازماً ثقلت همزته فحذفت تخفيفاً فصار (الله) بوزن (العال). وإنما هو (فعال) بمعنى (مفعول) أي (مألوه) بمعنى معبود كما إن (الكتاب) و (الإمام) بمعنى (المكتوب والمأموم).

ولا شك في حسن جري هذا المذهب في سنن العربية، ولذا رجحه معظم الخالفين ناسبين إياه إلى الخليل وسيويه وجمهرة من البصريين والكوفيين كيونس والكسائي والفراء وقطرب والأخفش بعد أن وجدوهم معتدين به، إذ استدلووا عليه بكثرة تخفيف الهمز في كلام العرب أما بالحذف كقولهم: الناس والأصل (الأناس) أو بالإبدال كقولهم: (نبي) والأصل (نبيء). وعندهم (الإله) من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق كما إن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا، وكذا غلب البيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيويه. ثم إنهم استدلووا بقراءة ابن عباس (وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ)^(٢) على جريان مشتقات (الإلهة) بمعنى العبادة

(١) الكتاب ١٩٥/٢ وينظر العين ٩٠/٤.

(٢) ينظر: جامع البيان ٣٨/١٣ والكشاف ١٤٣/٢ والجامع لأحكام القرآن ٢٦٢/٧ والبحر المحيط ٣٦٧/٤، وقراءة الجمهور ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا﴾

ووزنها^(١). أي إن (الله) اسم جنس عام لكنه منحصر في الفرد كالشمس والقمر ونحوهما.

وقد أشار إلى هذا المذهب كثير من المتقدمين والمتأخرين إشارة المعتد به من دون نسبته إلى صاحبه^(٢). لكنه عورض بأنه مذهب "غير صحيح عقلا، لأن المتفرد بذاته في جميع شؤونه وجهاته والبسيط فوق ما تتعقله من معنى البساطة كيف يقال في اللفظ المختص به: إنه اسم جنس عام؟ وقد ثبت في الفلسفة الإلهية المتعالية أن الكلية والجزئية والجنسية ونحوها من شؤون المفاهيم الممكنة وذاته الأقدس فوق ذلك مطلقا فلا يصح إطلاق اسم الجنس على اللفظ المختص به تعالى... كما إن القول بأن (الله) اسم جنس باطل من جهة العلوم الأدبية أيضا لعدم وقوعه صفة ووقوعه موصوفا دائما فلا يصح أن يكون اسم جنس بل هو علم مختص لواجب الوجود بالذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية لظهور آثار العلمية فيه على ما هو المعروف بين الأدباء"^(٣).

فِي الْأَرْضِ وَيَدْرَكَ وَالْهَيْكَلُ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿الأعراف: ١٢٧﴾.

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله ٢٦-٢٧ ومجالس العلماء ٦٩ والكتاب لابن درستويه ٧٢ والصحاح ٢٢٢٣/٦ والأمالى الشجرية ١٥/٢ وأسرار العربية ٢٣١ ومجمع البيان ٣٩/١ وشرح المفصل ٩/٢ وشرح الكافية ١٤٥/١ والجامع لأحكام القرآن ١٠٢/١ ولسان العرب ٣٦١/١ وخزانة الأدب ٣٥٥/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن للقرآء ٢٠٤/١ ومعاني القرآن للأخفش ١٩١/١ والهمز ٧٠١ وإصلاح المنطق ٣٧٣ وأدب الكاتب ٤٠٤ والمقتضب ٢٤٠/٤ وجامع البيان ٤٢/١ وإعراب ثلاثين سورة ١٥، ٢٢ ومشكل إعراب القرآن ٦٦/١-٦٧ والفتاح ١٠٠ والمفردات ٢١ ونزهة الطرف ٤٠ والكشاف ٣٥/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٢/١ والبيان للعكبري ٥/١ والمقرب ٥٥٩ والممتع في التصريف ١٤٣/١ وشرح المراح ١٨٤-١٨٥ والأشباه والنظائر ٥/٤.

(٣) مواهب الرحمن ١٢/١-١٣.

وثمة إشارات في كتب القدماء إلى دلالات أخرى تُتلمس من الأصل (أله) في هذا المذهب. فقيل: إن لفظ الجلالة بوزن (العال) مشتق من ألّهت إلى فلان إذا فرّعت إليه لان الخلق يألّهون إليه أي يفزعون إليه في حوائجهم، وقيل: إنه من أله الرجل يألّه ألهًا إذا تحير لأن القلوب تأله إليه أي تتحير عند التفكير بعظمته، ومنه قول الاخطل^(١):

ونحنُ قسمنا الأرضَ نصفين: نصفُها لنا ونرامي أن تكونَ لنا معاً
بتسعين ألفاً تأله العينُ وسطه متى تره عينا الطرامة تدمعا
وعزّي إلى المبرد أن لفظ الجلالة مشتق من ألّهت إليه أي سكنت إليه لان الخلق يسكنون إلى ذكره عز وجل^(٢).

وأصحاب هذا الرأي - على اختلاف تأويلاتهم في الوصول إليه - يرون أن لفظ الجلالة (الله) أصله (إله)، ولما عُرِف بالألف واللام صار (الإله) والهمزة في وسطه من نسج الكلمة، وبعد التعريف استثقلت الهمزة التي هي (فاء) الأصل في وسطه فسقطت طلباً للخفة، وأدغمت لام التعريف باللام التي هي (عين) الأصل، وفخّمت اللام المشددة وأشبعحت حتى أطبق لسان العرب بالحنك فصار الصوت ضخماً مفخماً إشعاراً بفخامة ذكره جلّ و علا^(٣).

ورجح البطليوسي اشتقاق لفظ الجلالة من معنى التحير والفرع منكراً على السابقين اشتقاقه من (الإلهة) أي العبادة قائلاً: إن أله يألّه وتأله تألهًا ألفاظ مبنية على لفظ الجلالة مشتقة منه وليس العكس كما قال الخليل وسيبويه

(١) ديوانه ١٣٧. و "الطرامة" الخصرة في الأسنان. ينظر: أدب الكاتب لابن قتيبة ٢٩.

(٢) ينظر: جامع البيان ٤٢/١ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٨/٢ والمفردات ٢١ والمسائل والأجوبة ١٢-١٥ ومجمع البيان ٤٠/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٢/١ وشرح المفصل ٩/٢ وشرح المراح ١٣-١٤ وبصائر ذوي التمييز ١٢/٢.

(٣) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٣/٢-١٥.

وكثيرون، فكأنها كقولهم: حوّل الرجل إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وبسمل إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم^(١).

ونسب الزجاجي إلى الخليل أنه يرى أن وزن لفظ الجلالة (العال) من (الوله) مفسراً (الوله) بالتحير، فكأنه عز وجل إنما سمي بذلك لأن العبد إذا تفكر في صفاته تحير فيها، فعلى هذا يكون أصل اللفظ (ولاه) و " ابدلت الواو همزة لانكسارها فقليل (إله) كما قيل في وعاء: إعاء، وفي وشاح: إشاح، ثم أدخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة فقليل: (الله) "^(٢).

وتبع الزجاجي في نسبته هذا المذهب إلى الخليل فريق من العلماء منهم مكّي القيسي وابن سيده وابن الشجري والبغدادي^(٣)، ونسبه الأزهري إلى أبي الهيثم الرازي^(٤) ونسبه ابن يعيش إلى الزجاجي^(٥) وأشار إليه آخرون من دون نسبة إلى أحد^(٦).

ولما أورد البطليوسي هذا المذهب نسبه إلى قوم لم يسمهم، وذكر أنهم فسروا (الوله) بشدة الشوق وكأنهم يرون أنه عز وجل إنما سمي بذلك لأن القلوب توله إليه أي تشتاق إلى معرفته وتلهج بذكره، وذكر أنهم استدّلوا بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ ﴿البقرة: ١٦٥﴾ على اختيارهم هذه المادة أصلاً

(١) ينظر: المسائل والأجوبة ١٧-١٩.

(٢) اشتقاق أسماء الله ٣٢-٣٣ وينظر: العين ٨٨/٤-٩٠ والمعرّب ٣٤.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٦٧ والمخصص ١٣٦/١٧ والأمالى الشجرية ١٦/٢ وخزانة الأدب ٣٤١/٤

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ٤٢٢/٦.

(٥) ينظر: شرح الملوكي ٣٦٠.

(٦) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٣/٢ والمفردات ٢١ ومجمع البيان ٤٠/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٣/١ والبيان للعكبري ٥/١ والممتع في التصريف ٤٣/١ وشرح المراح ١٤.

للفظ الجلالة^(١). لكن البطليوسي لم يرتض (الوله) أصلاً للفظ الجلالة (الله) إذ نقل عن الفارسي إنكاره هذا المذهب بأدلة هي "لو كان أصلُ إله ولاها لوجب إذا صُرف منه الفعل أن يقال: تولّه كما إن من يقول في وشاح: إشاح فيهمز إذا صرف منه الفعل قال: توشح فيردّ الواو إلى أصلها لذهاب العلة التي أوجبت همزها وهي الكسرة، وكذلك كان يلزمه إذا جمع إلهاً أن يقول: أولهة، كما إن من يقول: إشاح إذا جمع قال: أوشحة، فلمّا وجدناهم يقولون: تأله الرجل، وآلهة، فيقرون الهمزة على حالها علمنا أنها أصل لا بدل عن واو"^(٢). وكفى برد الفارسي دليلاً على بعد هذا المذهب. أما نسبته إلى الخليل في قول الزجاجي فمدفوعة بفضل الخليل على العربية وعلمائها، وخير ما يلتزم فيه أنّه لأبي الهيثم الرازي الذي نقل الأزهري معظم آرائه في العربية رواية متواترة. والقول: إن لفظ الجلالة مشتق من (وله) بمعنى تحير أو من (أله) بمعنى تعبد أو فرع أو سكن أو احتجب مردود لأنّ كلّ من التحير والتعبد والسكون والفرع والاحتجاب عنوان وصفي فلا يصح أن يؤخذ في ما هو اسم للذات المتّصف بجميع صفات الجمال والكمال والجلال وهو اسم استوى على ما دقّ وجلّ ولم يقصّر على واحد بعينه^(٣).

الزنة الثانية: الفعل: عقد سيبويه باباً في كتابه خصصه بإيراد المواضع التي تحذف فيها حروف القسم فينتصب المقسوم به بعد حذفها إذ قالوا: الله لأفعلن، والأصل والله فـ "حذفوا الواو كما حذفوا اللامين من قولهم: لاه أبوك، حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى ليخففوا الحرف على لسان العرب، وذلك ينوون. وقال بعضهم: لهي أبوك، فقلب العين وجعل اللام ساكنة إذا صارت مكان العين كما كانت العين ساكنة"^(٤).

(١) ينظر: المسائل والأجوبة ١٥-١٦.

(٢) المسائل والأجوبة ١٧-١٨.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن ١٣.

(٤) الكتاب ٤٩٨/٣.

وفهم المبرد من قول سيبويه هذا أنه ذهب فيه مذهباً آخر ينقض مذهبه الأول في لفظ الجلالة (الله)، إذ كان قد ذهب إلى أن لفظ الجلالة وزنه (العال). ووجه التناقض بين المذهبين أن (الله) لما حذفت اللامان منه وهما لام الجر ولام التعريف بقي (لاه) بزنة (عال) في المذهب الأول لأن الفاء كانت همزة في الأصل (إله) بزنة (فعال) فحذفت تخفيفاً بعد دخول الألف واللام، فعلى هذا تكون ألف (عال) زائدة، لكنه حكم بأصلتها في هذا القول وعدّها عينا في قول بعض العرب: لاه أبوك، ومن هنا وقع التناقض، لذا أنكر المبرد على سيبويه اضطرابه هذا فقال: وهذا نقض ذاك لأنه قال أولا: إن الألف زائدة لأنها ألف فعال ثم ذكر ثانياً إنها عين الفعل^(١).

ومعظم الخالفين لا يرون تناقضاً بين مذهبي سيبويه لأن التناقض إنما يكون لو قال في حرف واحد وفي كلمة واحدة قولين متضادين، أما إذا وجد أصلاً مختلفان فلا غرو من أن يحكم على حرف واحد من أحرف الكلمة بالأصالة في أحدهما وبالزيادة في الآخر لأن التقدير فيهما مختلف^(٢). ثم إن ذهاب العالم إلى القولين ليس بعيداً بل يقع في كلامهم كثيراً^(٣).

ومن هنا راح الخالفون يتلمسون أصلاً في العربية يفسرون به مذهب سيبويه هذا فقالوا: ذهب إلى أن أصل لفظ الجلالة (لاه) من لاه يليه ليها كباع يبيع يبعاً إذا احتجب وتستر وال (لاه) اسم من هذا المعنى أصله (ليه) فقلبت الياء ألفاً لتحريكها وسبقها بفتح فصار (لاه) بوزن (فعل)، فهو اسم كالدار من (الدور) والناب من (النيب)، ثم دخلت عليه الألف واللام للتعريف فقل (الله) بوزن (الفعل). ومنهم من ذهب إلى أنه واوي العين من لاه يلوه لوهاً إذا عبد. وردّ بظهور الياء في المقلوب (لهي أبوك) بعد انتفاء علة قلبها ألفاً،

(١) ينظر: المقتضب ٢٤٠/٤.

(٢) ينظر: المخصص ٤٣/١٧ ولسان العرب (أله).

(٣) ينظر: أبو العباس المبرد ١٨٣-١٨٦.

ولو كانت واوا لقليل بعد القلب: (لهو أبوك)، واستدلوا على استعمال (لاه) اسما بقول الأعشى^(١):

كحلفه من أبي رباح يسـمعها لاهـه الكبار
واستدلوا على صحة اشتقاق لفظ الجلالة من معنى الاحتجاب والتستر
بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
﴿الأنعام: ١٠٣﴾. وأكثر من حقق القول في هذا المذهب نسبه إلى سيبويه^(٢).
وأشار إليه آخرون ولم ينسبوه إلى أحد^(٣).

وعزي إلى الفارسي تشنيعه على أبي إسحاق الزجاج الذي ذكر أن
لسيبويه في كتابه قولين في وزن لفظ الجلالة، إذ نقل عن الفارسي أن سيبويه لم
يقل إلا قولاً واحداً واصفاً شيخه الزجاج الذي قصرت همته عن فهم كلام
سيبويه بما لا يليق^(٤).

لكن البطليوسي نقل عن الفارسي من بعض أماليه غير ما عزي إليه من
تشنيع لشيخه الزجاج، إذ نقل رده على من ذهب إلى أن لفظ الجلالة هو بزنة
(العال) من الوله كما نقل عنه رده على أنه بزنة (الفعل) من (لاه يلوه)، ثم
نقل مذهبه في لفظ الجلالة، وفيه اختار مذهب سيبويه الثاني واصفاً إياه بأنه

(١) ديوانه ٨٤.

(٢) ينظر: المقتضب ٢٤٠/٤ وجمهرة اللغة ١١٨/٢ واشتقاق أسماء الله ٣٣ ومجالس العلماء
٧١ وتهذيب اللغة ٤٣٦/١٥ والخصائص ٢٩٠/٢ والصحاح (لاه) والمخصص ١٣٦/١٧
والأمالي الشجرية ١٥/٢ وشرح المفصل ٣/١ وشرح الكافية ٤٥/١ ولسان العرب (لاه)
وخزانة الأدب ٣٣٥/٤.

(٣) ينظر: إصلاح المنطق ٣٧٣ وأدب الكاتب ٤٠٤ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية
١٤/٢ وأمالي القالي ٢٥٥/١ والبارع ١٨٩ وإعراب ثلاثين سورة ٣١ والصاحبي ٢٣٠
ومشكل إعراب القرآن ٦٧/١ والمفردات ٢١ والمسائل والأجوبة ١٩-٢٠ ومجمع البيان
٣٩/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٣/١ والبيان للعكبري ٥/١ وارتشاف الضرب
١٢٤/١ وشرح المراح ١٤-١٥.

(٤) ينظر: المخصص ١٣٦/١٧ ولسان العرب (لاه) وخزانة الأدب ٣٣٥/٤.

مذهب (أصحابنا)، قال البطليوسي "إن الألف في لاه قد صحّ عندنا أنها منقلبة عن ياء لا عن واو بدليل قولهم: لهي أبوك، يريدون لاه أبوك، فقلبوا العين إلى مكان اللام فظهرت العين ياء ولو كانت واوا لوجب أن يقولوا إذا قلبوا: لهو أبوك. ودل على أن لاها لا يصح أن يكون مقلوبا عن (وله) لأنه لو كان مقلوبا منه لم يقلب مرة ثانية وهذا قول أبي علي الفارسي واستدلّاه... والذي قاله أبو علي أثبت وأصح"^(١).

الزنة الثالثة: العفل: أشار البطليوسي وابن يعيش إلى أن بعض العلماء يذهب إلى أن لفظ الجلالة مشتق من (الوله)، ولكن لم تهمز واوه المكسورة في (ولاه) على ما سبق ذكره وإنما قلبت الفاء (الواو) إلى موضع العين (اللام) وأعلت الواو بقلبها إلغا لتحركها وسبقها بفتح فكان أصل لفظ الجلالة على هذا المذهب (الوله) ثم صار (اللوه) ثم (الله)^(٢). وقد سبقت الإشارة عما قريب إلى نقل البطليوسي لردّ الفارسي على إخراج لفظ الجلالة من (الوله) فكيف إذا زيد في هذا الأصل المرجوح دعوى القلب المكاني الذي لا احتكام له؟

هذه مجمل أقوال القدماء أما المحدثون فتكاد تجتمع أقوالهم على أن لفظ الجلالة "اسم علم، اسم جامد، اسم عربيّ قديم ولا يحتاج إلى اشتقاقه من أله يأله أو وله يوله"^(٣) بعد أن وجدوا الاسم الكريم استعمل بلفظ (إلوه) في العبرية و (إلاه) في الآرامية و (ألوها) في السريانية و (إلاه) في العريية

(١) المسائل والأجوبة ٢.

(٢) ينظر: المسائل والأجوبة ١٩-٢٠ وشرح المفصل ٣/١.

(٣) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢٠/٢ هامش (١).

الجنوبية^(١). وأيد الأستاذ عودة خليل أن يكون لفظ الجلالة اسما علما عربيا قديما جامدا لا اشتقاق فيه مستدلا بجملة من الأدلة هي^(٢):
إن القرآن الكريم فرق في الاستعمال بين لفظتي (الله) و (إله) من نواح عديدة هي:

أ. إن القرآن استعمل لفظة (إله) وصفا للفظ الجلالة (الله) كما في قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (النساء: ١٧١).

ب. وردت لفظة (إله) مثناة ومجموعة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (المائدة: ١١٦) وقوله تعالى ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨) ولم يفعل مثل هذا بلفظ الجلالة (الله). ويفهم من هذا أن كلمة (إله) ليست أصلا اشتقاقيا لكلمة (الله) كما قال الصرفيون لبيان الفرق اللغوي بين دالتهما.

ان الشعر العربي القديم استعمل لفظة (الله) كما استعمل لفظة (الإله) إذ قال امرؤ القيس^(٣):

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحِقِّبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِغِلٍ
ويفهم من هذا أن لفظ الجلالة مألوف منذ القدم فقد جرى على ألسنة العرب قبل الإسلام جريانا لا يقل اتساعا من جريان لفظة (إله). وهذا يدل على أن كلتا اللفظتين قديمة في استعمالهم اللغوي فلا يدعى انشعاب إحداهما من الأخرى.

(١) ينظر نفسه ٢٠/٢ هامش (١).

(٢) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ٩٢-٩٥ والمصطلحات الأربعة في القرآن ١٥-١٩.

(٣) ديوانه ١٢٢.

إن لفظة (الله) تشبه في لفظها وبنائها مثيلاتها في اللغات السامية الأخرى وربما كانت لفظة (إيل) هي الكلمة الأصلية لهذه اللفظة ثم تطوّرت منها كل صور اللفظة في اللغات السامية الأخرى، وقد ورد في التنزيل العزيز ما يعضد هذا التصور كما في أسماء الملائكة كـ (ميكائيل وإسرافيل وجبرائيل) التي هي أسماء غير عربية اتفاقاً، قيل في تفسيرها إنها أسماء مركبة من كلمتين ثانيتهما (إيل) وتعني (الله). فالثابت لدى علماء العربية أن أسماء الملائكة الواردة في التنزيل العزيز هي أسماء غير عربية ولا سيما الأسماء المنتهية بكلمة (إيل) كـ (جبريل وإسرافيل وميكائيل) أخذتها العربية من اللغات السامية الأخرى كالعبرية والآرامية، ونهاية هذه الأعلام (إيل) هي بقايا اللفظة العربية الجنوبية والعبرية (إل) بمعنى لفظ الجلالة، وركّب معها في العربية كلمات صدور ليصبح المركب علماً على مسميات مختلفة فـ (جبرائيل) ركب من (جبر) بمعنى رجل وكلمة (إل) بمعنى (الله) فكان المعنى: (رجل الله) و (ميكائيل) (سيد الملائكة لدى بني إسرائيل) مركب من (مي) بمعنى (من) و (كا) بمعنى (مثل) و (إل) بمعنى الله، فكان معناه (الذي مثل الله). ولما كانت هذه الأعلام أجنبية بعناصرها ومركباتها كان ما تدل عليه من المعاني في العربية غريباً عن الذوق الإسلامي فالعرب في جاهليتهم وإسلامهم لا يعرفون تسمية (رجل الله) أو (شبيه الله) أو (يسمع الله) وهو معنى (إسماعيل)، وإنما نقلوا هذه الإعلام بصيغها من دون النظر في معانيها وإلا فهم ينفرون من تسمية (شبيه الله) مثلاً^(١).

ومما يدخل في الخلاف في تأصيل لفظ الجلالة (الله) الخلاف في (اللهم) في نحو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] إذ اختلف علماء المدرستين في تأصيل هذه اللفظة، فذهب

(١) ينظر: القراءات القرآنية (شاهين) ٣٩١ - ٣٩٢ والتطور الدلالي ٤٨٣ - ٤٨٤.

البصريون إلى أن الميم المشددة المفتوحة في آخر اللفظ عوض من (يا) النداء في (يا الله) لأنهم لم يجدوا اجتماع (يا) النداء مع (ميم) اللهم في التنزيل، ووجدوا لفظ الجلالة (الله) مسبقا بـ (يا) إذا لم تلحقه تلك الميم في آخره، ووجدوا أن ما يستفاد من (يا الله) يستفاد من (اللهم) فدلوا بهذا على أن الميم في آخر لفظ الجلالة بمنزلة الـ (يا) في أوله، وأن ضمة الهاء في (اللهم) بمنزلة ضمة الهاء في (يا الله).

وقد تواترت عن البصريين القدماء أقوالهم التي تبين مذهبهم هذا، إذ قال سيبويه في موضع من كتابه "وقولهم: اللهم حذفوا (يا) وألحقوا الميم عوضا"^(١). وقال في موضع آخر "قال الخليل رحمه الله: اللهم نداء والميم ها هنا بدل من (يا)"^(٢). وذهب الكوفيون إلى أن ميم (اللهم) المشددة في آخره عوض عن جملة (أما بخير)، وأصل اللفظ عندهم، (يا الله أما بخير)، فلما طال وكثر في كلامهم ثقل على ألسنتهم فحذفوا بعضا منه طلبا للخفة. والتخفيف بالحذف كثير في كلام العرب، اذ قالوا: (هَلَمْ) وأصله (هل أم) و(ويلمه) وأصله (ويل لأمه)، والضمة التي في هاء (اللهم) منقولة إليها من همزة (أم) أصله (اوأم)، فلما أدغمت الميمان، حُرِّكت الفاء بضمة العين واستغني عن همزة الوصل. واستدلوا على صحة مذهبهم بما ورد في أشعار العرب من اجتماع الياء والميم المشددة كقول الراجز^(٣):

إني إذا ما حدث أَلْمَا أقول يا اللهم يا اللهم
وقول الآخر^(٤):

(١) الكتاب ٢٥/١.

(٢) الكتاب ١٩٦/٢ وينظر: نوادر أبي زيد ١٦٥ والمقتضب ٢٣٩/٤ واشتقاق اسماء الله ٤١ والخصائص ٢٦٥/١ واللمع ١١٣ والإنصاف ٣٤١/١ - ٣٤٢ والممتع في التصريف ٤٩٣/٢.

(٣) في الخزانة ٣٥٨ من دون عزو.

(٤) في الخزانة ٣٥٩/١ من دون عزو.

وما عليك أن تقولِي كَلِّمًا
صَلَّيتِ أو سَبَّحتِ يا أَللهُمَّ
أردد علينا شيخنا مسلماً

وربما كان الفراء أول الكوفيين الذين قالوا بهذا المذهب، يتضح هذا من قوله: " نرى أنها كانت كلمة ضُم إليها (أُم) نريد (يا الله أُمنا بخير) فكثرت في الكلام، فاختلطت، فالرفعة التي في الهاء من همزة (أُم) لما تركت انتقلت إلى ما قبلها ^(١)، ونسب أكثر خالفي الفراء إليه سبقه أصحابه الكوفيين إلى هذا ^(٢). وأشار بعضهم إلى أن الكسائي هو السابق إليه ^(٣)، واكتفى آخرون بنسبته إلى الكوفيين مدرسة ^(٤).

وتأكيداً لمذهبهم أنكر الكوفيون مذهب البصريين بأن قالوا: لم نجد العرب زادت مثل هذه الميم المشددة في نواقص الأسماء وإنما المأثور عنهم ميم مخففة كقولهم: (انتم وفم وهم) ^(٥).

ووصف البصريون مذهب الكوفيين بأنه إلحاد في اسم الله (جلّ وعلا) بأدلة تعاقب على ذكرها العلماء المتأخرون عضداً لمذهب البصريين، رادين شاهدي الكوفيين المذكورين أنفاً بالقول: هما شاذان جداً ولم يعرف قائلهما، تلك الأدلة هي ^(٦):

(١) معاني القرآن للفراء ٢٠٣/١.

(٢) ينظر: أدب الكاتب ٤٩٤ وتأويل مشكل القرآن ٥٥٧ والفاخر ٢٦٢ وجامع البيان ١٩٦/٣ وإعراب القرآن للنحاس ٣٦٤/١ والصاحبي ١٤٦ واللامات ٨٥ والمسائل والاجوبة ٤٨ والانصاف ٣٤١/١ والتبيان للعكبري ١٣٠/١ واللباب في علل البناء والإعراب ٢٧٤ والمتبع ٤٩٣/٢.

(٣) ينظر: اشتقاق اسماء الله ٤٠-٤١.

(٤) ينظر: ائتلاف النصرة ٤٧ والاشباه والنظائر ١٥٦/٣.

(٥) ينظر: جامع البيان ١٤٧/٣ والزاهر في معاني كلمات الناس ١٤٦/١.

(٦) نظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٩٣-٣٩٤ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٨٣/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٣٦٤/١ والمخصص ١٣٧/١ والمسائل والاجوبة ٤٨-٤٩

١- لما صحّ وقوع جملة (أَمَّا بخير) بعد (اللهم) دلّ ذلك على أن الميم ليست عوضاً منها.

٢- لو كانت الميم عوضاً من (أَمَّا بخير) لجاز أن يقال (يا الله أَمَّا بخير، ارحمنا) من دون عطف كما قيل (اللهم ارحمنا).

٣- لو كان (اللهم) أصله (يا الله أَمَّا بخير) لما جاز استعماله إلا فيما يناسب هذا المعنى ولما ساغ قولنا: (اللهم اخزه) و (اللهم اهلكه). قال بعض البصريين: مذهب الكوفيين في (اللهم) إلحاد في اسم الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢) لامتناع تقدير (أَمَّا بخير) في هذه الآية الكريمة ونحوها.

٤- إن هذه الميم زيدت في هذا الاسم للتفخيم والتعظيم كزيادتها في (ابنم)، وهذا يعضد مذهب سيوييه لأنها لا تمنع من أن تكون للتفخيم والتعظيم وإن كانت عوضاً من حرف النداء فهي كالتاء في قولنا (تالله) جاءت بدلاً من الباء وفيها زيادة معنى التعجب.

٥- ما يدل على إن هذه الميم للتفخيم والتعظيم - دالة على معان كثيرة لا معنى (الأم) وحده - إجماعهم على أن (اللهم) مجمع الدعاء وإن فيه تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله الحسنى ومن قال: اللهم، فقد دعاه بأسمائه كلها. أي إن الميم في (اللهم) مشعرة بأن هذا الاسم قد اجتمعت في أسماء الله

والامالي الشجرية ١٠٣/٢ وجمع البيان ٤٢٧/٢ واسرار العربية ٢٣٣-٢٣٤ والانصاف ٣٤٤/١-٣٤٥ والبيان للعسكري ١٣٠/١ واللباب في علل البناء ٢٧٤ والمتبع ٤٩٣/٢ وشرح المفصل ١٦-١٧ والايضاح في شرح المفصل ٢٩٠/١ وشرح جمل الزجاجي (ابن عصفور) ١٠٧/١ وشرح الكافية ١٤٥/١ ولسان العرب (أله) وارتشاف الضرب ١٢٦/٣ وأوضح المسالك ٣١/٤ وشرح ابن عقيل ٢٦٥/٢ وائتلاف النصرة ٤٧ والمقاصد النحوية ٢٣٣/٤ وشرح التصريح ٦٧٢/٢ والاشباه والنظائر ١٦٢/٢ وهمع الهوامع ١٧٨/١ وخزانة الأدب ٣٩٥/١.

تعالى كلّها، لان الميم في كلام العرب تكون من علامات الجمع كقولهم للواحد (عليه) وللجمع (عليهم) فكأنها بمنزلة الواو في (ضربوا)، والنون في (مسلمون)، وانما فتحت لتكون بمنزلة نون جمع المذكر السالم وشددت لتؤذن بانها عوض من حرفين الياء والألف.

٦- إن مذهب الكوفيين إقدام عظيم، لأنّ كلّ ما كان من هذا الهمز الذي طرح يؤتى به ويقال: (ويلّمّه) و (ويلّ لأّمّه) والأكثر إثبات الهمز، والقرآن الكريم لا يترك الكثير ويستعمل النادر الغريب في لغة العرب.

٧- إن مذهب الكوفيين يلزم منه أن تكون الضمة التي في الهاء ضمة الهمزة التي كانت في (أمّ)، وهذا محال، لأنّ فيه ترك الضم الذي هو دليل على نداء المفرد وعده ضمّاً ثبت في اللفظ لغير معنى النداء، وهذا الحاد في اسم الله (عز وجل).

٨- لو كانت الميم عوضاً من جملة (أَمّا بخير) لكثرت الجمع بينهما وبين (يا) النداء في المسموع ولما وقف فيه على الضرورة الشعرية.

٩- إن القول بأن الميم عوض من جملة (أَمّا بخير) دعوى بلا برهان، وما لم يكن عليه دليل لا يُسلّم به.

وفتحت الدراسات المقارنة بين الساميات السبيل أمام المحدثين ليقولوا في (اللهم) غير ما قال السابقون، إذ قال المخزومي " ليس بعيداً أن يظن المحدثون أن هذا البناء ساميّ وأن هذه الميم التي كسع بها البناء بقية من علامة الجمع في العبرية وهي (يم) وان كلمة (اللهم) العربية هي في الأصل (إلوهيم) العبرية أو هي من قبيل المخلفات السامية في لغتنا"^(١).

وما قاله القدماء من علماء المدرستين في (اللهم) ليس له نظير في كلام العرب إذ لم يرد فيه لفظ واحد حذف حرفان من أوله وعوضاً بآخرين غيرهما في آخره كما لم يرد فيه حذف جملة وإبقاء حرفين دالين عليها. وما

(١) مدرسة الكوفة ١٤٧ وينظر: المستشرقون ومناهجهم ٧٠ والدراسات اللغوية عند العرب ٤٠٤ وظاهرة التأنيث ٦٥.

يعضد كون الميم في آخر (اللهم) للجمع هو شيوخ الميم علامة للجمع في العربية أيضا لا سيما في الضمائر والأفعال نحو: هم وكتبتم، فلا غرو في كونها كانت أصلا للجمع في الأسماء السامية القديمة فاحتفظت بها العبرية الحاضرة في جمع الأسماء المذكرة على حين قصرتها العربية على جمع الأفعال والحروف لأن باب الجمع في العربية أوسع منه لدى أخواتها الساميات وأكثر تطورا. ولذا يكون إخراج اللفظين (الله، اللهم) على أنهما من بقية ألفاظ الجزرية الأم لوجودهما تامين أو مع شيء من التغيير في جميع الجزريات الحاضرة هو الملتزم الذي ينبغي ألا يروج لغيره.

٢- آدم

اختلف في آدم أعربي أم أعجمي؟ فالجمهور على إنه عربي^(١)، ودليل عرويته لديهم واشتقاقه من أديم الأرض قول الرسول (صلى الله عليه وآله): "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ"^(٢).

لكنهم مختلفون في سبيل اشتقاق (آدم) فعزي إلى قطرب قوله: "لا يصح في العربية أن يكون آدم مأخوذ من أديم الأرض لأنه لو كان كذلك لكان منصرفا لأنه يكون فاعلا بمنزلة خاتم وطابق... (وإنما) آدم (أفعل) من الأدمة

(١) ينظر: العين ٨٨/٨ والكتاب ٥٤٩/٣ ومجالس ثعلب ٣٧٥/٢ ومعاني القرآن وإعرابه ١١٢/١ وجمهرة اللغة ٣٧٧/٣ والاشتقاق لابن دريد ٧١ والزاهر في معاني كلمات الناس ٤٨٩/١ وإعراب القرآن للنحاس ٣٦٨/١ والمنصف ١٥٨/١ والصحاح (آدم) ومشكل إعراب القرآن ٨٧/١ والمفردات ١٤ ومجمع البيان ٦٦/١ والروض الأنف ٨٢/١ والتبيان للكعبري ٢٥/١ وزاد المسير ١٦٢/١.

(٢) مسند أحمد حديث رقم (١٨٧٦١).

ويجوز أن يكون من أدمت بين الشيئين إذا خالطت بينهما^(١). وخطأ ابن الانباري قطربا في ادعائه صيرورة آدم (فاعل) إن أخذ من أديم الأرض فقال مصححا اشتقاقه من الأديم: ما قاله قطرب " خطأ لأن آدم على قول النبي (صلى الله عليه وآله) وابن عباس (رضي الله عنهما) مأخوذ من أديم الأرض، والذي قالوا صحيح في العربية وهو أن يكون آدم أفعل من الأديم، ويكون الأصل فيه (أأدم) فتصير الهمزة الساكنة ألفا لافتح ما قبلها ويمنع من الانصراف للزيادة والتعريف^(٢).

وما أحسب قطربا غافلا عن اشتراك (الأديم) و (والأدمة) في مادة (أدم) فكيف يذهب إلى أن (آدم) من أحدها (أفعل) ومن الآخر (فاعل)؟ وإن ثبت عنه هذا فيجوز أن يكون آدم (فاعل) من الأدمة والأديم معا، ولكن لما ثبت منعه من الصرف في التنزيل العزيز بطل حمله على البناء (فاعل) وصح حمله على (أفعل) لأن فاعلا جار و (أفعل) لا يجري. إذ فسر الطبري (آدم) بأنه فعل رباعي من باب الأفعال سمي به ومنع الصرف للعملية ووزن الفعل^(٣).

وانفرد العيني بعده (آدم) اسما عربيا لكنه " من الأوزان التي تجيء لاسم الفاعل مخالفة لزنة الفاعل "^(٤). ووروده ممنوعا من الصرف يدفع دعوى العيني هذه لأن (فاعل) ك (طابق) و (خاتم) مصروف.

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٨٩/١ وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٦٨/١ وتهذيب اللغة ٢١٥/٤ ومشكل إعراب القرآن ٨٧/١ والروض الأنف ٨٢/١.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٨٩/١ وينظر: مشکل إعراب القرآن ٨٧/١ والروض الأنف ٨٢/١.

(٣) ينظر: جامع البيان ٤٨٢/١ والاشتقاق لابن دريد ٧١ وإعراب القرآن للنحاس ٣٦٨/١ والمحرم الوجيز ٢٢٢/١ والتبيان للعكبري ٢٥/١.

(٤) شرح المراح ١١٧ وينظر الكليات ٧٢/١.

وزهد الزمخشري إلى أن آدم " اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على وزن فاعل كآدر" (١). وردّ مذهب عجمة آدم كل من الانباري وأبي حيان (٢). وعلى الرغم من انه مذهب يعضده منع صرف (آدم) في التنزيل العزيز لا يمكن الركون إليه في تفسير هذا اللفظ لورود علائم عربيته عن النبي الأكرم في الحديث الصحيح، وعن الصحابة ومنهم ابن عباس (رضي الله عنهما) الذي أثر عنه إيمانه بوجود الأعجمي في القرآن الكريم (٣) ولم يؤثر عنه أن آدم أعجمي. ثم إن الجواليقي الذي خرج كثيرا من ألفاظ التنزيل العزيز على العجمة والتعريب لم يقل: آدم أعجمي وإنما هو عربي عنده (٤). وأبين مصاديق عروبة (آدم) واشتقاقه من أديم الأرض المشتمل على أنماط متعددة من التراب قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في نهج البلاغة من الخطبة الأولى في صفة خلق آدم عليه السلام: " ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلِهَا وَ عَذْبِهَا وَ سَبْخِهَا تَرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَ لَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزِبَتْ فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْنَاءٍ وَ وُضُولٍ وَ أَعْضَاءٍ وَ فُضُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَتْ لَوْقَتٍ مَعْدُودٍ وَ أَمَدٍ أَجَلٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وَ فِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَ جَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا وَ أَدَوَاتٍ يَقْلِبُهَا وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِ وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ مَعْجُونًا بَطِينَةَ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلَفَةِ وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلَفَةِ وَ الْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ وَ الْبَلَّةِ وَ الْجُمُودِ وَ الْمَسَاءَةِ وَ السُّرُورِ" (٥).

(١) الكشف ٢٧٢/١.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٧٤/١ والبحر المحيط ٣٢٢/١.

(٣) ينظر: المعرب: (مقدمة المحقق).

(٤) نظر: المعرب ٦١.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٦/١ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني

٢٣٤/١.

٣- آل

اختلف العلماء في ألف (آل) أمقلبة عن همزة أم عن هاء أم عن واو؟ فعزى إلى سيبويه ذهابه إلى أن (آل) أصله (أهل)، لأنه بمعناه ولأنه يصغر كتصغير أهل فيقال فيهما: (أهـل)، ثم إن منهم من ذهب إلى أن هاء (أهل) قلبت ألفاً لخفائها وشبهها بحروف اللين ومنهم من ذهب إلى أن (أهل) قلبت هاؤه - أولاً - همزة، لقربها منها في المخرج، فصار (أأل) ثم قلبت الهمزة ألفاً لاجتماع همزتين في الطرف أولاهما مفتوحة والثانية ساكنة، وإنما لجؤوا إلى هذا التطويل مراعاة للصنعة، لأنهم لم يسمعوا عن العرب قلبهم الهاء ألفاً وسمعوا منهم قلبها همزة كقولهم: ماء أصله (موه)، وأل فعلت؟ أصله؛ هل فعلت؟^(١).

وعزى إلى يونس والكسائي وابن الباذش أنهم ذهبوا إلى أن (آل) أصله (أول) وقلبوا الواو ألفاً، لتحركها وفتح ما قبلها، وأنهم قالوا: إنما هم (آل) لأن الإنسان يؤول إلى أصله وحسبه أي: يرجع، يقال: آل يؤول أولاً: إذا رجع، وروي عن يونس والكسائي أنهما سمعا من العرب قولهم: (أويل) في التصغير^(٢).

وتلمس فريق من العلماء فرقاً دلالياً بين (الأهل) و (الآل) فقال الراغب: "الآل، خُصّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون

(١) ينظر: جامع البيان ٢٧٠/١٠ ومشكل إعراب القرآن ٩٣/١ والمفردات ٣٠ والكشاف ٢٧٩/١ ومجمع البيان ٢٣٤/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٨١/١ والبيان للعكبري ٣٥/١ وشرح الملوكي ٣٩ والمتع في التصريف ٣٤٨/١ وشرح الشافية للرضي ٢٠٨/٣ وارتشاف الضرب ١٢٩/١ والبحر المحيط ٨٨/١ وعمدة القارئ ٢٣/١٦ وهمع الهوامع ٥٠/٢ وإرشاد الساري ٦٠٤/٥.

(٢) ينظر: رسالة الغفران ٤١٧ والمفتاح ٩٦ ومجمع البيان ٢٣٢/١ وشرح الملوكي ٣٩ والمتع في التصريف ٣٤٨/١ وشرح الشافية للرضي ٢٠٨/٣ والبحر المحيط ١٨٨/١ وعمدة القارئ ٢٣/١٦.

الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان ولا يقال آل رجل ولا آل زمان كذا أو موضع كذا ولا يقال آل الخياط، بل يضاف إلى الأشرف الأفضل، يقال: آل الله وآل السلطان، والأهل يضاف إلى الكل يقال: أهل الله وأهل الخياط، كما يقال: أهل زمن كذا وبلد كذا^(١).

ووجود هذا الفرق بين دلالتى اللفظتين ينبئ بأصالة كل منهما، ومن ثم تردّ دعوى انشعاب (آل) من (أهل)، ويرجح مذهب القائلين: إن (آل) من (الأول) بمعنى الرجوع؛ أي "أن يكون آل الرجل مأخوذاً من آل يؤول إذا رجع كأنهم يرجعون إليه، أو يرجع إليهم"^(٢)، يعضد ذلك أن (آل) جمع على (أولو) أصله (أولون) كما جمع أهل على (أهلون)، ولما لم يستعمل (أولون) إلا مضافاً، حذفت نون الجمع لأجل الإضافة ولأجل عدم قلب الواو ألفاً حذفت فتحتها وضمت الهمزة قبلها فصار (أولو).

وأعجب ممن قال: (أولو) جمع لا واحد له من لفظه ومفرده (ذو)^(٣). وإنما هو جمع (آل)، يعضد هذا أن (آل) و (أولو) وردا في التنزيل العزيز دالّين على الأعلام من الأحياء الناطقين والأشراف في قومهم، كـ (آل موسى) و (آل إبراهيم) و (آل يعقوب) و (آل فرعون) و (أولوا الأبواب) و (أولوا العزم) و (أولوا القربى) و (أولوا العلم)، أمّا (ذو) فقد ورد في التنزيل بمعنى صاحب الشيء سواء كان ذلك الشيء رفيعاً أم وضعياً كـ (ذو الجلال والإكرام) و (الحب ذو العصف و كل ذي ظفر).

ويبدو أن (آل) ما كان ليصغر على (أهيل) في قول الجمهور لولا انتفاء دلالته على العقلاء والأشراف في التصغير، وكان حقه أن يصغر على (أويل) لكنهم استقلوا فيه الهمزة والواو والياء فاستغنوا عنه بـ (أهيل) لاتفاق معنهما

(١) المفردات ٣٠، وينظر: مجمع البيان ٢٣٢/١ والبحر المحيط ١٨٨/١.

(٢) رسالة الغفران ٤١٧.

(٣) ينظر: مختار الصحاح ٣٣ والإيضاح في شرح المفصل ١٢٢/١ والمجيد في إعراب القرآن

في التصغير، وما رواية يونس والكسائي عن العرب قولهم في التصغير: (أويل) إلا دليل آخر يعضد أصالة (آل) وعدم انشعابه من (أهل).

٤ - الآن

اختلف في تأصيل (الآن) الوارد في نحو قوله تعالى ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿يوسف: ٥١﴾ على ثلاثة مذاهب:

الأول: عزي إلى سيبويه أن (الآن) اسم من (آن يئين إيناً) كـ (حان يحين حيناً) وزناً ومعنى، وأصله (أَيْنَ) فأعلت العين بقلبها ألفاً فصار (آن) ومثله (دار) من الدوران و (نار) من النور، و (ناب) من النيب، وإنما بُني على الفتح لتركبه مع أل التعريف للدلالة على هذا الوقت، ولتضمنه معنى الإشارة، فوجب إسكان آخره كما سكن آخر (هذا) المركبة من (الهاء) و (ذا) للدلالة على الإشارة. وفتحت النون فيه لالتقاء الساكنين (الألف والنون) ^(١). ووجه مكى القيسي بناء (الآن) على الفتح في هذا المذهب بمخالفة اللفظ سائر ما فيه الألف واللام، إذ دخلتا فيه لغير عهد ولا جنس ^(٢). وهو توجيه مرجوح، لأن (آن) في هذا المذهب اسم كـ (الدار) و (النار) و (الناب) فلا محذور من تعريفه بالألف واللام لإفادة الدلالة على الجنس.

وعزي إلى المبرد والزمخشري ذهابهما إلى أن (الآن) إنما بُني وهو اسم لشبهه الحرف بسبب لزومه التعريف فكأنه خرج عن عهدة الأسماء ^(٣).

ونُسب إلى الفراء ذهابه إلى أن (الآن) أصله فعل ماضٍ من (الآين) بمعنى الحين أو من (الأوان) بالمعنى نفسه، وفي كلتا الحالين (آين) أو (أون) أعلت

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٤/٣، واللامات ٣٦ - ٣٨ والمفردات ٣٢ واللباب في علل

البناء والإعراب ١٢٤ وجمع الهوامع ٢٠٧/١.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٩٩/١.

(٣) ينظر: شرح المفصل ١٠٣/٤.

عينه بقلبها ألفاً، ولذا يكون بناؤه على الفتح أصلياً، ثم بُني على الألف واللام، ولم يخلعاً منه دلالة على الظرفية الزمانية^(١).

وورد هذا المذهب لدى الانباري والزيدي منسوباً إلى الكوفيين مدرسة^(٢). ويدفع هذا المذهب ندرة اقتران الأفعال بال التعريف وإنما هي من علائم الاسماء وما ورد عن العرب من نحو قول الشاعر^(٣):

ما أنتَ بالحكمِ الترضى حُكومتَهُ ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل
فُسِّرَتْ (أل) بأنها موصولية ولم تفد تعريفاً. ولا يدرك هذا التفسير في (الآن).

وذهب ابن قتيبة إلى أن (آن) أصله (أوان) بوزن (فعال) وأعلت عينه بقلبها ألفاً ثم يحدفها لالتقاء الساكنين فصار (آن) بوزن (فال) ثم لزمته الألف واللام للدلالة على الحين الحاضر^(٤).

ويمكن القول: إن الآن أصله اسم على (فعل) وفاقاً لسيوبه وخلافاً له في أنه واوي العين وأصله (أون) فقلبت الواو ألفاً، يدلّ على ذلك سماع (أوان) بمعناه فهما كـ (زمن وزمان) زنة ومعنى. والثلاثي كثيراً ما يشترك مع الرباعي المنشعب منه بزيادة ألف في الدلالة على معنى زائد نحو (كلم وكلام) و (ريح ورياح) و (صبح وصباح) و (قتل وقتال) و (صوم وصيام) وغير هذا كثير، ويبدو أن الفرق بين المجرد والمزيد بالألف هو إن المجرد يدل على الحدث المفرد المقيّد بزمن معين أو حدث محدد على حين يكون المزيد عاماً بمنزلة الجمع والترديد. وإنما لزمته الألف واللام لتخصّصه بالزمن الحاضر فحسب، ومن دلالاته المخصوصة هذه يفهم بناؤه فكأنه كـ (هذا) و (هذه) و (هؤلاء) و (ذلك) و (تلك) و (أولئك)، كل لفظ منها خُصّ بالإشارة إلى شيء محدود،

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٥٢٣ وشرح المفصل ١٠٣/٤ والبحر المحييط ٢٤٩/١.

(٢) ينظر: الإنصاف ٦١/١ وائتلاف النصرة ٦٤.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل ١٦٤/١ وشرح الأشموني ٥٦/١ وخزانة الأدب ١٤/١.

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٥٢٣ ومشكل إعراب القرآن ٩٩/١.

فكأنّ تقييد الدلالة هو الموجب للبناء وإنّما اختيار الفتح لحفته ومناسبته للهمزة والألف قبله.

٥- الآية

اختلف في الأصل الذي أخذت منه (آية) فذكر الراغب الاصبهاني أنها يجوز أن تكون مشتقة "من (أي) فأنها هي التي تبين أيّاً من أي" ^(١)، ويجوز أن تكون "من قولهم أوى إليه يأوي أويّاً وإواء" ^(٢)، لكنّه رجّح اشتقاقها "من التأني الذي هو الثبّت والإقامة على الشيء يقال: تأي أي ارفق" ^(٣). وعدّها العكبري "من تأي القوم إذا اجتمعوا" ^(٤).

وأوردت كتب اللغة معاني كثيرة لهذه اللفظة، منها العلامة والمثل والقصة والدليل وغير هذا كثير ^(٥). وأما الخلاف في وزنها فليس من اليسير على الباحث وصفه وصفاً دقيقاً لاتّساعه وتشعبه من جهة واضطراب العلماء في نسبة الآراء إلى أصحابها من جهة أخرى. ومن علائم اتّساع الخلاف في هذه اللفظة ورود سبع زنات فيها عن السابقين هي: فعلة، فَعْلَة، فآلة، فآعة، فعلة، فعلة، فلعة، وقد خلط أكثر من باحث في شرح مذاهب العلماء في هذه اللفظة، ولم يفصلوا القول في ذكر كل زناتها ^(٦).

(١) المفردات ٣٣.

(٢) المفردات ٣٣.

(٣) المفردات ٣٣.

(٤) التبيان للعكبري ٣٢/١.

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن ٣٤ والفاخر ٢٤٢ وجمهرة اللغة ١٩٢/١ والزاهر في معاني

كلمات الناس ١٧٢/١ وشرح المرزوقي ١٤١٠/٣.

(٦) ينظر: الاعلال في كتاب سيبويه ٢٥٩ - ٢٦١ والخلاف الصرفي في العربية ٤٩ - ٥٣.

وبسبب تشعب الخلاف في هذه اللفظة جاء فردياً لا مدرسياً إذ لم يجتمع علماء إحدى المدرستين على رأي محدد خلا ما ذكره مكّي القيسي من إجماع كوفي على الزنة (فَعَلَّة)^(١)، وسيأتي عما قريب بعد دعوى مكّي القيسي هذه. ولأجل البيان سيكون عرض الخلاف في (آية) مبسوطاً تحت زناتها السبع التي ذكرها العلماء مرتبة بحسب زمن ظهورها.

١. فَعَلَّة: يمكن الاطمئنان إلى أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي هو صاحب هذه الزنة، إذ نسبها إليه جمع كثير من العلماء منهم سيويوه والمبرد وابن السراج والمؤدّب وابن سيده وابن يعيش وابن عصفور والرضي والجاربردي ونقره كار وغيرهم^(٢).

ووردت هذه الزنة في كتاب العين: قال صاحبه: "الآية... تقديرها: فَعَلَّة... الألف في وسط الآية... في الأصل ياء"^(٣)، ويفهم من هذا وغيره أنّ أصل (آية) عند الخليل (أَيَّة) بوزن (شَجَرَة) فأعلت العين بقلبها ألفاً لتحركها وفتح ما قبلها. وقد أقرّ سيويوه الشذوذ في مذهب الخليل لأنه أعلّ العين وصحح اللام والقياس فيما اجتمع فيه حرفاً علّة أن يصحّ أولهما ويُعلّ ثانيهما^(٤)، لكن المبرد نزه رأي الخليل من الشذوذ لأنّ (آية) لما كانت اسماً لا فعل له يجري عليه في الإعلال المقيس - كما جرى (حياة) أصله (حيّة) على فعله (حياً) أصله (حيي) فأعلت لأمهما وصحت عينهما قياساً - كان وسم الإعلال في (آية) بالشذوذ غير موجه^(٥).

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١/٧٩.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/٣٩٨ والمقتضب ١/١٥١ والأصول ٣/٢٤٩ ودقائق التصريف ٢٢٩ والمحكم ٦/٥٩٣ وشرح المفصل ١٠/١٠٠ والمتع في التصريف ٢/٥٨٢ وشرح الشافية للرضي ٣/١١٨ وشرح الجاربردي ٢٠١ وشرح نقره كار ٢٠٧.

(٣) العين ٨/٤٤١.

(٤) ينظر: الكتاب ٤/٣٩٨ وجامع البيان ٣/٢٥٩.

(٥) ينظر: المقتضب ١/١٥١.

ولم تجتمع كلمة العلماء على نسبة هذا الرأي إلى الخليل فنسبه القرطبي إلى سيويه^(١) ونسبه أبو حيان إلى الخليل وسيويه^(٢). واثبت الجوهري زنة (فَعَلَّة) منسوبة إلى سيويه من أصل آخر هو (أَوِيَّة) مستدلاً لسيويه بأنه يرى أن ما كانت عينه واواً ولامه ياء أكثر مما كانت عينه ولامه ياءين^(٣)، ولما لم يؤثر هذا الرأي عن سيويه ولم يوجد في كتابه، أنكر ابن بري قول الجوهري هذا فقال: "لم يذكر سيويه أن عين (آية) واو كما ذكر الجوهري، وإنما قال: أصلها (آية) فأبدلت الياء الساكنة ألفاً"^(٤). ويفهم من رد ابن بري على الجوهري أن سيويه يرى أن (آية) بوزن (فَعَلَّة) وأصلها (آية) فقلبت الياء الأولى ألفاً، وسيأتي عما قريب من صاحب الزنة (فَعَلَّة)؟.

وانفرد مكّي القيسي بنسبة زنة (فَعَلَّة) إلى الكوفيين فقال: "قال الكوفيون: آية فَعَلَّة بفتح العين وأصلها آيَّة فقلبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها"^(٥)، ويرد قول مكّي القيسي هذا ما أثر في كتب القدماء من شبه إجماع على أن (فَعَلَّة) زنة خليلية^(٦).

٢. فَعَلَّة: ظهرت هذه الزنة منسوبة إلى سيويه في رد ابن بري على الجوهري المذكور آنفاً ونسبها قبله إليه مكّي القيسي قائلاً: "قال سيويه هي فَعَلَّة، وأصلها آية ثم أبدلوا من الياء الساكنة ألفاً"^(٧). وانفرد ابن جني بنسبتها إلى الخليل ذاكراً أن له في وزن (آية) رأيين، أولهما سبق ذكره، والآخر أنه "

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨٧/٢.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٧/١ والبحر المحيط ١٦٠/١.

(٣) ينظر: الصحاح ٢٢٧٥/٦.

(٤) لسان العرب (أيا).

(٥) مشكل إعراب القرآن ٣٧٩/١.

(٦) ينظر: العين ٤٤١/٨ والكتاب ٣٩٨/٤ والمقتضب ١٥١/١ والأصول ٢٤٩/٣ والمنصف

٢٠٢/١ - ٢٠٣ والمتع في التصريف ٥٨٣/٢.

(٧) مشكل إعراب القرآن ٣٧٩/١ وينظر: الكشف عن وجوه القراءات ٣٥٧/١.

أجاز... في آية أن تكون الألف منقلبة عن ياء ساكنة كأنها كانت (آية) وهو أحد قولي الخليل فيها ^(١). ويرد دعوى ابن جني هذه أن سيبويه ذكر هذه الزنة في كتابه ونسبها إلى غير الخليل فقال: "... وقال غيره - يريد الخليل - إنما هي آية وأي فعل، ولكنهم قلبوا الياء وأبدلوا مكانها الألف لاجتماعهما لأنهما تكرهان ^(٢). زيادة على هذا أن ابن جني نفسه لم يستقر على قوله السابق في هذا المذهب: " هو أحد قولي الخليل فيها " إذ قال في كتاب آخر له: " وأجاز غير الخليل في آية أن يكون أصلها آية فقلبت الياء الأولى ألفاً لانفتاح ما قبلها ^(٣). وفي هذا خير دليل على اضطراب ابن جني في عزو مذاهب العلماء في (آية) إليهم نسبة دقيقة.

وربما فهم مكي القيسي وابن بري في قوليهما المذكورين سابقاً من قول سيبويه: " غير الخليل " أنه سيبويه نفسه، فنسبوا الزنة (فعل) إليه. ولكنها ليست له، يدل على ذلك أمور: أولها؛ إن المتأمل في قول سيبويه، في هذا الباب الذي عقده لذكر الألفاظ التي استعملت شاذة في الإعرال وليس لها أفعال مستعملة، يؤمن بأن هذا الرأي - أعني آية بوزن فعل - الذي وصفه سيبويه بأنه لغير الخليل ليس لسيبويه أيضاً لأنه أتبع الأسلوب نفسه في شرح ما جرى له (استحي) من إعرال شاذ فذكر مذهب الخليل فيها، ثم ذكر مذهباً آخر وصفه بأنه لغير الخليل، ثم رجح مذهب الخليل فيها ^(٤)، ولو كان الرأي الآخر رأيه لما رجح عليه مذهباً غيره، هذا من طبائع الناس، وما أحسب سيبويه يرضى بمذهب مرجوح. وثانيها؛ إن المبرد - وهو من اعلم الناس بكتاب سيبويه - لم يفهم من قول سيبويه " قال غيره " أن هذا هو مذهب سيبويه في (آية) فقال: " زعم سيبويه أن غير الخليل ولم يسمهم كان يقول هي (فعل) في

(١) المنصف ٢٠٣/١ وينظر: لسان العرب ٦٥/١٨.

(٢) الكتاب ٣٩٨/٤.

(٣) سر صناعة الإعراب ٢٦/١.

(٤) ينظر: الكتاب ٣٩٨/٤.

الأصل وكان حقها أن تكون آية ولكن لما التقت يآن قلبوا إحداهما ألفاً كراهية التضعيف^(١). والثالث - وهو الأهم - إن الزنة (فَعْلَة) وردت منسوبة إلى الفراء في كتب كثير من العلماء نسبة يطمأن إليها، فقد أثبت لها ابن عطية وابن يعيش وابن عصفور والرضي والقرطبي وأبو حيان والسفاسقي والخلبي والأزهري^(٢). بل أشار ابن منظور وغيره إلى وجودها في كتاب للفراء اسمه (المصادر)^(٣).

بعد هذا يمكن القول: إن (فَعْلَة) زنة (فرائية)، سمعها سيويه منه فأوردها في كتابه ومن هنا يفهم وسمه إياها بأنها لغير الخليل.

أما الأدلة التي تعضد مذهب الفراء هذا فقد تعاقب فريق من العلماء على ذكرها، فقالوا: إنما ذهب إلى أن (آية) بوزن (فَعْلَة) وأصلها (آية) فقلب أول المثلين المدغمين ألفاً فراراً من توالي الأمثال في (أَيََّة) أو من التضعف في (آية)^(٤) وحملوا - (آية) على نحو (دينار) أصله (دَنَار) فقلب أول المثلين المدغمين ياءً وعلى نحو (حيوان) أصله (حيَّان) فقلب ثاني المثلين واواً^(٥) وعلى نحو (عيب و ذيم) إذ قيل فيهما (عاب وذام) فقلبت الياء الساكنة ألفاً^(٦).

(١) المقتضب ١٥١/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٨١/١ وشرح المفصل ١٠٠/١ والممتع في التصريف ٥٨٣/٢ وشرح الشافية للرضي ١١٨/٣ والجامع لأحكام القرآن ٦٦/١ وارتشاف الضرب ١٤٧/١ والبحر المحييط ١٦٠/١ والمجيد في إعراب القرآن ٢٠٣ والدر المصون ٢٠٨/١ وشرح التصريح ٣٨٨/٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (أيا) وعمدة القارئ ٢١٩/١.

(٤) ينظر: المقتضب ١٥١/١ وجامع البيان ٢٥٩/٣ والتعليقة ١٠٧/٥ - ١٠٨ والجامع لأحكام القرآن ٦٦/١.

(٥) ينظر: البحر المحييط ١٦٠/١.

(٦) ينظر: الممتع في التصريف ٥٨٣/٢.

وردّ مكّي القيسي هذا المذهب الذي نسبته إلى سبيويه واصفاً إيّاه بأنه " شاذّ لأنّهم أعلّوا العين وصحّحوا اللام والقياس اعتلال اللام وتصحيح العين"^(١). وعده ابن عصفور مذهباً فاسداً لمخالفته القياس الظاهر وعدم اطّراد قلب الياء الساكنة ألفاً^(٢).

٣ - ٤ فاعلة (فألة، فاعة): أثبت جمعٌ من العلماء نسبة هذه الزنة إلى الكسائي، فقالوا: إنّهُ يرى أن آية أصلها (آيية) بوزن فاعلة فخفّفت بحذف إحدى الياءين منها فراراً من توالي المثليين وكرهية التضعيف في (آية) ك (دابة) فصارت (آية) بعد الحذف^(٣). وذكر آخرون هذه الزنة من دون نسبة إلى أحد^(٤). وذكرها مكّي القيسي ناسباً إيّاها إلى أبي بكر ابن الأنباري^٥، وقد سبقت الإشارة إلى خلط مكّي القيسي آراء العلماء في هذه اللفظة بعضها ببعض وتخبّطه في نسبتها إليهم نسبةً دقيقةً. وربما يكون المؤدّب خير من رسخ نسبة هذه الزنة إلى الكسائي في قوله: " قال الفراء رحمه الله: سألت الكسائي عن (آية) ما هي من الفعل؟ فقال: (فاعلة) وكانت في الأصل (آيية) فخففوها"^(٦). وحجة الكسائي على مذهبه هذا أن الأصل (آيية) لما توالى فيه يآان ثقل النطق بهما فأسقطوا كسرة الياء الأولى وادغموها في الثانية فصارت (آية) ك (دابة) ثمّ خففوا الياء المشددة فقالوا (آية) كما قالوا: (كينونة)

(١) مشكل إعراب القرآن ٣٧٩/١.

(٢) ينظر: الممتع في التصريف ٥٨٣/٢.

(٣) ينظر: المحتسب ١٩١/١ ودقائق التصريف ٢٢٩ ورسالة الملائكة ١٠٧ والمحزر الوجيز ٣١/١ والممتع في التصريف ٥٨٣/٢ والجامع لأحكام القرآن ٦٦/١ وشرح الشافية للرضي ١١٨/٣ والمبدع في التصريف ٢٢٢ والبحر المحيط ١٦٠/١ وشرح التصريح ٣٨٨/٢.

(٤) ينظر: المفردات ٣٣ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٦٦/١ والبيان للعكبري ٣٢/١.

(٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٣٧٩/١.

(٦) دقائق التصريف ٢٢٩.

والأصل (كَيْنُونَة) و (سِيد) والأصل (سَيِّد)^(١). لكن خالفني الكسائي مختلفون في المحذوف من الأصل (آيَة) في مذهبه هذا ومن ثم اختلفوا في تقدير (آيَة) المخففة من (آيَة) كـ (دَابَّة) أ (فَالَة) هي أم (فَاعَة)؟ فصرح ابن جني - في قوله: " ذهب الكسائي في (آيَة) إلى أن أصلها (آيَة) فاعلة فحذفت اللام "^(٢) - بأن (آيَة) على وفق مذهب الكسائي وزنها (فَاعَة) لأن المحذوف منها هو اللام، وكذا قال الجوهري الذي وهم في نسبة هذه الزنة إلى الفراء، فذكر أن الفراء قال " هي من الفعل فاعلة وإنما ذهبت منه اللام ولو جاءت تامة لجاءت آيَة "^(٣) وقريب منهما قول الانباري - الذي لم ينسب الزنة إلى أحد - : آيَة " أصلها آيَة على وزن فاعلة، فحذفوا الياء الأخيرة التي هي اللام فصار آيَة ووزنها (فَاعَة) لحذف اللام منها "^(٤). على حين لم يصرح ابن عصفور بأن المحذوف من آيَة في هذا المذهب هو الياء الأخيرة لكنه نظر (آيَة) أصلها (آيَة) بـ (بَالَة) أصلها (بَالِيَة) فعلم من هذا التنظير أنه يحذف اللام^(٥). وكذا لم يصرح القرطبي بأن المحذوف من (آيَة) في هذا المذهب هو اللام لكن ذلك يدرك من قوله: " وقال الكسائي: أصلها آيَة على وزن فاعلة مثل آمنة فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لالتباسها بالجمع "^(٦). ولا شك في أن الياء التي تقلب ألفاً في (آيَة) فيلتبس لفظها بعد القلب بلفظ الجمع (آيات) هي الياء الثانية، وما ذكره القرطبي يعدّ توجيهاً آخر لمذهب الكسائي، لكنه توجيه مرجوح لأن قلب ياء (آيَة) الثانية ألفاً ممتنع لوجود الكسرة قبلها.

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٣٧٩/١ والمحرم الوجيز ٨١/١ والبيان للعكبري ٣٢/١ والممتع في التصريف ٥٨٣/٢.

(٢) المحتسب ١٩١/١.

(٣) الصحاح ٢٢٧٥/٦.

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ١٦٦/١.

(٥) ينظر: المتع في التصريف ٥٨٣/٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٦٦/١.

وقد استحسن آخرون حذف الياء الثانية في مذهب الكسائي هذا ^(١)، ولكن آخرين ذهبوا إلى أن المحذوف منه هو الياء الأولى، وأول الذاهبين إلى هذا التوجيه مكّي القيسي ^(٢)، وتبعه ابن عطية الذي جزم بأن مذهب الكسائي "حذفت (منه) الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها الإدغام كما لزم في دابة" ^(٣). ووافقهما أبو حيان الذي صرح بأن آية "عند الكسائي فاعلة حذفت العين لثلا يلزم فيه من الإدغام ما يلزم في دابة فتثقل" ^(٤). وعلى وفق هذه الآراء الثلاثة يكون وزن (آية) عند الكسائي (فالة). واكتفى آخرون بالإشارة إلى حذف إحدى الياءين من (آية) في مذهب الكسائي دون تعيين أيهما حذفت؟ ^(٥).

ولم يخل هذا المذهب من الردّ والدخول عليه، فالفراء قال للكسائي: إن (آية) لو كانت (فاعلة) لصغروها على (أويّة) كما صغروا (صالحة) على صويلحة) ولكنهم صغروها على (أويّة) كـ (شجيرة)، فدفع الكسائي هذا المغمز عن مذهبه بأن (آية) أنما صغرت على (أويّة) تصغير ترخيم كما صغروا (فاطمة) على (فطيمة). فردّه الفراء بأن تصغير الترخيم لا يجري إلا في الأعلام، وآية ليست علماً ^(٦).

وأنكر مكّي القيسي حمل (آية) كـ (دابة) على باب (كينونة) في التخفيف بأن "هذا قول بعيد عن القياس إذ ليس في (آية) طول يجب الحذف معه كما في كينونة" ^(٧). ويمكن دفع هذا المدخل عن الكسائي بان (سيد) ونحوه خفف

(١) ينظر: عمدة القارئ ٢١٩/١.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٣٧٩/١.

(٣) المحرر الوجيز ٣١/١.

(٤) البحر المحيط ١٦٠/١.

(٥) ينظر: دقائق التصريف ٢٢٩ والمفردات ٣٣ والتبيان للعكبري ٣٢/١.

(٦) ينظر: دقائق التصريف ٢٢٩.

(٧) مشكل إعراب القرآن ٢٧٩/١.

إلى (سيد) وليس بطويل. ثم يمكن عضد هذا المدخل على الكسائي بأن التخفيف في (سيد) ليس بلازم كما لزم في (آية) - في هذا المذهب - و(كينونة) إذ سمع (سيد) ولما لم يسمع (آية) في (آية) بطل حملها على (سيد) ونحوه في التخفيف وصح حملها على (كينونة) الطويل لا غير لعدم سماع (كينونة).

ووصف ابن عصفور هذا المذهب بأنه " فاسد لأن فيه أيضاً ما في مذهب الخليل من إعلال العين لأن الحذف لإعلال مع أن حذف الياء التي هي عين ليس بمطرد مع أنه ادعى أصلاً لم يلفظ به ^(١) .

ومذهب الكسائي هذا مشكل في كلتا الحالين، فإن قيل: إن المحذوف من (آية) هو العين لزم منه الخروج على القياس الذي يستدعي تصحيح العين وإعلال اللام، وإن قيل إن المحذوف منها هو اللام لزم منه قلب كسرة العين فتحةً لأجل تاء التأنيث في (آية) وهذا عمل آخر بعد الحذف، وكفى بهذا التكلف بعداً عن الصواب.

فعلّة: ذكر مكّي القيسي هذه الزنة ونسبها إلى بعض الكوفيين مستحسنًا إياها فقال: " وقال بعض الكوفيين (آية: فعلّة) وأصلها (أبيّة) فقلبت الياء الأولى ألفاً لانكسارها وتحرك ما قبلها وكانت الأولى أولى بالعلّة من الثانية لثقل الكسرة عليها وهذا قول صالح جارٍ على الأصول ^(٢) ، وتابعه أبو حيان فذكر هذه الزنة منظراً إياها بـ (نبقة) ولم ينسبها إلى أحد ^(٣) . وأنكرها خالد الأزهرى بقوله: " إن ما كان كذلك يجوز فيه الفك والإدغام كـ (حيي وحي) ^(٤) " ولما لم يسمع (أبيّة، وأيّة) بالفك تارة والإدغام تارة أخرى وسمع فيه الإعلال وحده عرف بعد هذا المذهب.

(١) الممتع في التصريف ٥٨٣/٢ - ٥٨٤.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٣٧٩/١.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٧/١.

(٤) شرح التصريح ٣٨٨/٢.

فَعَلَّة: أول من أشار إلى هذه الزنة أبو حيان الذي نظر (آية) على وفقها بـ (سَمُرَة)، ولم ينسبها إلى أحد، لكنّه فسّرَها بأنّ الياء في (أُيَّة) لما تحرّكت وسبقت بفتح قلبت ألفاً^(١). ولم يرتضِ الأزهري هذه الزنة لأنّه يرى أنّ ضَمَّة العين كان يجب أن تقلب كسرة لأجل الياءين^(٢)، لكنّ ياسين الحمصي لم ير بأساً في قلب الياء المضمومة ألفاً إذا حرّكت وفتح ما قبلها لأنّ هذا هو القياس في قلبها ألفاً^(٣). وقلة بناء (فَعَلَّة) تشهد بضعف إخراج (آية) عليه.

فَلَعَة: سبق أبو حيان إلى ذكر هذه الزنة ولم ينسبها إلى أحد وإنّما قال: "وقيل: أصلها (أياة) وهو من المقلوب... قلبت لامه إلى موضع عينه"^(٤) ويفهم من هذا أنّ (آية) أصلها (أُيَّة) بوزن (فَعَلَة) فأعلّت لامها بقلبها ألفاً إعلالاً مقيساً فصارت (أياة) ثمّ قلبت اللام إلى موضع العين والعين إلى موضع اللام فصارت (آية) بوزن (فَعَلَة)، ولا شك في مجازاة هذا القول لقواعد الإعلال المطردة لولا ما فيه من دعوى القلب المكاني غير القياس.

وقول الخليل: آية وزنها (فَعَلَة) هو الراجح لقولهم في الجمع (آي وآيات وآياي) وقولهم في تصغيرها (أُيَّة)، فكلّ هذا مثل: شجرة شجر شجرات أشجار شجيرة، ورقة ورقات أوراق وريقة، بقرة بقر بقرات أبقر بقريرة، ثمرة ثمّرات أثمار ثميرة وغير هذا كثير. أي أنّ (آي) اسم جنس جمعي لـ (آية) وأصله (أُيِّي) كـ (شجر) و (بقر) و (ثمر) و (ورق) فأعلّت عينه شذوذاً بقلبها ألفاً لتحركها وفتح ما قبلها، وإنّما لم تُعلّ لامه لئلا يلتبس بحرف النداء (أيا). و(آيات) جمع (آية) المؤنث كـ (شجرات وثمرات وبقرات) وأصله (أُيَّيات) فالتزم الشذوذ في إعلال عينه وتصحيح لامه اطراداً للباب وحفاظاً على هيئة الجمع من الحذف، إذ لو أعلت اللام فيه للزم حذفها فراراً من التقاء الساكنين

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ١٤٧/١.

(٢) ينظر: شرح التصريح ٣٨٨/٢.

(٣) ينظر: نفسه ٣٨٨/٢ (الحاشية).

(٤) ارتشاف الضرب ١٤٧/١ وينظر: شرح التصريح ٣٨٨/٢.

في (أيات)، و (آياي) جمع (آية) القليل بوزن (أفعال) ك (أشجار) و (أبقار) و (أوراق) وأصله (أأياي) فقلبت الهمزة الساكنة حرف مدّ من جنس حركة الأولى، ثمّ كان حقّه أن يقال فيه: (آياء) فتهمز ياءؤه لتطرفها بعد ألف زائدة لكنّها استعملت على الأصل^(١). ولو كانت آية (فعلة) ساكنة العين لما جمعت في القلّة على (أفعال) وإنما على (أفعل) ك (عين أعين)، ولو كانت فاعلة لجمعت على (فواعل) إذ لا سبيل لها في (فعل) و (أفعال) حينئذ، ولصغرت على (أويّة) لا (أويّة)، أما بناءي (فعلة) و (فعلة) فقليلان لا يصلحان لحمل (آية) عليهما وأما دعوى القلب فلا يقوم عليها دليل ودعوى عدم القلب أولى.

٦- اللات

اختلف في تأصيل (اللات) الوارد في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿النجم: ١٩-٢٢﴾ فسيبويه خفي عليه أصل اللفظ لأنه ليس معروفا في وجوه الاشتقاق كالجمع والتثنية والتصغير والأفعال، ولذا نسب إليه بلفظ (لائي) كما نسب إلى (لا) كأنه أخرجه من أصل ثنائي وهذا واضح في قوله: "أما الإضافة إلى لاتٍ من اللات والعزى فإنك تمدّها كما (لا) إذا كانت اسما، كما تثقل لو وكى إذا كان كل واحد منهما اسما فهذه الحروف وأشباهاها التي ليس لها دليل بتحقيق ولا جمع ولا فعل ولا تثنية إنما تجعل ما ذهب منه مثل ما هو فيه ويضاعف"^(٢). وقال السيرافي شارحا كلام سيبويه هذا: إنه "يعني أنك تقول (لائي) وذلك لأنك تحذف التاء لأن من الناس من يقف عليه فيقول: (لاه) ويصلها بالتاء، فصار كهاء التانيث تحذف في النسبة فيبقى (لا) ولا يدرى ما

(١) ينظر: لسان العرب (أيا).

(٢) الكتاب ٣/٣٦٨.

الذاهب منه على قوله فزيد حرف آخر من جنس الحرف الثاني وهو الألف" (١).

وفي شرحه لعيون كتاب سيبويه ذكر القرطبي أن سيبويه عني بقوله هذا أن ألف (اللات) لما لم يكن فيها دليل على أن أصلها واو أو ياء وجب أن تكون أصلية لا منقلبة ولذا حكم على تاء اللات بأنها زائدة للتأنيث بمنزلة تاء (بنت) أي أن (اللات) أصله (لا) التي للنفي سمي بها (٢).

ولم يسلم تابعو سيبويه بمذهبه هذا بل راحوا يتلمسون أصلا في العربية يخرجون (اللات) إليه، فألف (اللات) لدى الزجاج زائدة وأصل اللفظ عنده (اللات) "بتشديد التاء فزعموا أن رجلا كان يلت السوق ويبيعه عند ذلك الصنم فسمي الصنم اللات بشديد التاء والأكثر اللات بتخفيف التاء" (٣). أي أن الأصل (لات) بزنة (فاعل) من اللت وخففت تاؤه المشددة ولما لزمته الألف واللام صار (اللات) بزنة (الفاع) أو (الفال) بحسب نوع التاء المحذوفة.

ولم يرتض الفارسي لسبويه حيرته في أمر اشتقاق (اللات) فعده مشتقا من ألويت على الشيء إذا أقمت عليه وأصله (لوية) بزنة (فعلة) فقلبت الواو ألفا وسقطت اللام ولما لزمته الألف واللام صار (اللات) بزنة (الفعلة) فكانهم سموها بذلك لأنهم كانوا يلوون عليها أي يعكفون على عبادتها أو يلتوون عليها أي يقومون. واستحسن ابن جني ما ذهب إليه شيخه عاضدا إياه بما روي عن بعض العرب من وقوفهم على (اللات) بالهاء فهذا يدل على أن تاءه للتأنيث كما قال الفارسي (٤).

(١) نفسه ٣/٣٦٨ (الهامش).

(٢) شرح عيون كتاب سيبويه ٢١٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٧٣.

(٤) ينظر: المنصف ٣/١٣٢.

وأشار السيرافي إلى أن " من الناس من يقول: الذاهب منه هاء وأن أصله لاهة لأن القوم الذين سموه بذلك هم الذين اتخذوها آلهة وعبدوها "(١) فكأن اللات في هذا المذهب مشتق من لاه يلوه لوها إذا عبد وأصله (لوهة) فقلبت الواو ألفا وسقطت الهاء (لام الكلمة) ولما لزمته الألف واللام صار (اللات) بزنة (الفعة). وفسر ابن سيده الأصل (لاهة) بأنه يعني الحية واستدل على أن ألفه منقلبة عن واو بأن العين واوا أكثر منها ياء^(٢). ورد ابن منظور بأن ألفه زائدة لا منقلبة فقال: " اللات أصله لاهة وهي الحية كأن الصنم سمي بها ثم حذفت منه الهاء كما قالوا: شاة أصلها شاهة "(٣). وأخرج الراغب (اللات) من لفظ الجلالة (الله) فقال: " أصل اللات الله فحذفوا منه الهاء وأدخلوا التاء فيه وأثوّه تنبيها على قصوره على الله تعالى وجعلوه مختصا بما يتقرب به إلى الله تعالى في زعمهم "(٤). وعزا ابن منظور هذا المذهب إلى سيويوه^(٥)، ولم أتبينه في كتابه. ونقل أبو حيان مذهباً يحكم بأصالة ألف اللات وتائه فكأنه من أصل يائي أو واوي قائلاً: " التاء في اللات قيل أصلية لام الكلمة كالباء من باب وألفه منقلبة فيما يظهر من ياء لأن مادة (ليت) موجودة فإن وجدت مادة من (لوت) جاز أن تكون منقلبة من واو "(٦).

ولم يرتض المحدثون أقوال القدماء في هذه اللفظة وغيرها من الألفاظ التي حاول القدماء اقحامها في العربية فأخذ عليهم فاضل السامرائي عدم اطلاعهم على اللغات السامية وغيرها ومعارضتها بالعربية فدخلوا في تعليقات

(١) الكتاب ٣/٣٦٨ (الهامش).

(٢) ينظر: المخصص ١٧/١٤٤.

(٣) لسان العرب (لاه).

(٤) المفردات ٤٥٥.

(٥) ينظر: لسان العرب (لاه).

(٦) البحر المحيط ٨/١٦٠.

بعيدة^(١) وخلص الدكتور اسماعيل عمايرة إلى أن (اللات) من أصل آشوري آشوري وتعني الآلهة والألف والتاء فيها علامة لجمع المؤنث أما أصلها فثنائي وهو (el) أي ألف مكسورة ولام بمعنى القوة والقدرة ومن هذا الأصل اشتق لفظ الجلالة ولفظة (اللهم) و(اللات) وقد تنبه عمايرة على أن " رأي سيبويه أقرب الآراء إلى ما يمكن أن يقرر في أصل هذه الكلمة في ضوء علم الساميات "^(٢)، يريد أن سيبويه أصاب لما أخرج اللات من أصل ثنائي.

٧- أَلْتَنَاهُمْ

اختلفوا في تأصيل الفعل الماضي المسند إلى ضميري الفاعل والمفعول (أَلْتَنَاهُمْ) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١) ، وهذا الاختلاف في تأصيل الفعل مرده إلى وجود عدة أصول سُمعت في كلام العرب تصلح كلها لاشتقاق (أَلْتَنَاهُمْ) منها، لتشابهها معها في المعنى فهو بمعنى (نقصناهم)، واللغات المسموعة الدالة على معنى النقصان ثلاثة عند أبي عبيدة في قوله " وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ " أي ما نقصناهم ولا حبسنا منه شيئاً وفيه ثلاث لغات " أَلْت يَأْلِت " تقديرها: أفل يَأْفِل وألات يَلِيْتُ، تقديرها: أقال يُقِيل ولات يَلِيْتُ قال رؤبة:

وليلة ذات ندى سَريتُ ولم يَلتني عن سَراها لَيْتُ "^(٣)

فهو هنا ذكر الأصول اللغوية الثلاثة (أَلْت يَأْلِت أَلْتَا، وألاته يَلِتُه إلآتة، ولآته يَلِيْتُه لَيْتَا)، ونقل الخالفون عن ابن خالوية خمس لغات تصلح لاشتقاق

(١) ينظر: ابن جني النحوي ١١٩.

(٢) ظاهرة التأنيث ٦٥ وينظر: غرائب اللغة العربية ٢٨٥.

(٣) مجاز القرآن ٢٣٢/٢ وينظر: إعراب القرآن للنحاس ١٧٢/٤ ومعاني القرآن وإعرابه ٦٦/٥.

هذا الحرف منها هي (لَاتَ يَلِيتُ، وولَّتَ يَلِيتُ، وألَّتَ يَأَلَّتُ، وألَّتَ يَأَلَّتُ، وألَّتَ يَأَلَّتُ، وألَّتَ يَأَلَّتُ، وكلها بِمَعْنَى نَقَصَ)^(١).

ومعنى الآية " أن الله ألحق بهم ذرياتهم في الدرجة في الجنة فضلاً منه على الذين آمنوا دون عوض احتراساً من أن يحسبوا أن إلحاق ذرياتهم بهم بعد إعطاء نصيب من حسناتهم لذرياتهم ليدخلوا به الجنة على ما هو متعارف عندهم في فك الأسير، وحمالة الديات، وخلاص الغارمين، وعلى ما هو معروف في الانتصاف من المظلوم للظالم بالأخذ من حسناته وإعطائها للمظلوم، وهو كناية عن عدم انتقاص حظوظهم من الجزاء على الأعمال الصالحة"^(٢).

ومجمل ما قيل في تأصيل (ألتناهم) تجمعهم زنتان:

الأولى: (فعلناهم)، ويتجاذبها أصلان:

١- أن يكون (ألتناهم) مشتقاً من الفعل المجرد المهموز الفاء (ألت يَأَلَّتْ أَلْتَا) ك(ضرب يضرب ضرباً)، فتكون همزة ألتناهم أصلية لأنها فاء الفعل وهو على وزن (فعلناهم) ك(ضربناهم)^(٣). وما يعضد اشتقاق الفعل ألتناهم من الأصل المهموز الفاء (ألت) هو قراءة "ابن هُرْمُزَ أَلْتَنَاهُمْ - بألف بعد الهمزة - على وزن أَفْعَلْنَاهُمْ، يقال: أَلَتْ يُؤَلَّتْ كَأَمِنْ يُؤْمِنُ"^(٤). فأصل القراءة

(١) ينظر: التبيان للطوسي ٣٩٥/٩ الكشاف ٤١٣/٤ والمحزر الوجيز ١٧٠/٥ ومجمع البيان ٢٤٨/٩ والبحر المحيط ٥٧١/٩ والدر المصون ٧٣/١٠ وتفسير اللباب ١٢٩/١٨ - ١٣٠.

(٢) التحرير والتنوير ٤٩/٢٧ وينظر: جامع البيان ٤٦٨/٢٢ والكشاف ٤١٣/٤ ومجمع البيان ٢٤٩/٩ والبحر المديد ٤٩٠/٥ والدر المنثور ٦٣٣/٧ والكشف والبيان ٩٠/٩ والمحزر الوجيز ١٧٠/٥ والنكت والعيون ٣٨٢/٥ وتفسير الرازي ٢٠٧/٢٨ - ٢٠٩ والجامع لأحكام القرآن ٦٦/١٧ - ٦٧ وتفسير اللباب ١٣٠/١٨ - ١٣١.

(٣) ينظر: المحزر الوجيز ١٧١/٥ والبحر المحيط ٥٧٢/٩ وتفسير اللباب ١٣١/١٨ ومدارك التنزيل ١٥١/٤ والدر المصون ٧٣/١٠ ومعالم التنزيل ٢٦٩/٤ والجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٧.

(٤) مجمع البيان ٢٤٩/٩ وينظر: التبيان للطوسي ٣٩٦/٩ - ٣٩٧.

(أَلْتَنَاهُمْ) هو (أَلْتَنَاهُمْ) بمهزتين الأولى همزة الإفعال والثانية همزة الأصل ولما اجتمعت همزتان في الطرف وكانت الأولى مفتوحة والثانية ساكنة قلبت الثانية حرف مد من جنس حركة الأولى فصار الفعل (أَلْتَنَاهُمْ) وأنكر بعضهم قراءة أَلْتَنَاهُمْ بالمد " وقال: لا يدل عليها لغة ولا تفسير. وليس كما زعم، بل نقل أهل اللغة أَلْتِ يُولِتُ"^(١).

ويعضد هذا القول أيضا قراءة " ابن كثير أَلْتَنَاهُمْ بِكَسْرِ اللام"^(٢) فهذه القراءة أصلها مهموز الفاء من الباب الرابع وهو " أَلْتِ يَأَلْتِ بِكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كَعَلِمَ يَعْلَمُ"^(٣).

ويعضدها أيضا قراءة أبي عمرو الفعل المجرد في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿الحجرات: ١٤﴾: ﴿قَرَأَهُ (لَا يَأَلِتْكُمْ) بِالْفِ اعْتَبَارًا مِنْهُ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) فَمِنْ قَالَ: أَلْتِ، قَالَ: يَأَلْتِ^(٤). " وإنما اجتراً على قراءتها يَأَلِتْكُمْ أَنَّهُ وَجَدَ (وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) فِي مَوْضِعٍ، فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَالْقُرْآنُ يَأْتِي بِاللَّغَتَيْنِ الْمُخْتَلِفَتَيْنِ؛ أَلَا تَرَى قَوْلَهُ: (تُمَلَّى عَلَيْهِ). وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ

(١) مجمع البيان ٢٥٠/٩ وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٧ والمحزر الوجيز ١٧١/٥ وزاد المسير ١٧٨/٤ وروح المعاني ٣٣/٢٧ والبحر المحيط ٥٧١/٩ وتفسير اللباب ١٣٠/١٨ والدر المصون ٧٣/١٠.

(٢) ينظر: معاني القراءات للأزهري ٣٤/٣ والحجة في القراءات ٣٣٣/١ وحجة القراءات ٦٨٣/١.

(٣) مجمع البيان ٢٥٠/٩ وينظر: زاد المسير ١٧٨/٤ والبحر المديد ٤٩١/٥ والدر المصون ٧٣/١٠ والمحزر الوجيز ١٧١/٥ وروح المعاني ٣٣/٢٧ والبحر المحيط ٥٧١/٩ وتفسير اللباب ١٣١/١٨.

(٤) جامع البيان ٣١٧/٢٢ وتفسير اللباب ١٣/١٠ وفتح القدير ٦٨/٥ والجامع لأحكام القرآن ٣٤٨/١٦.

آخر: ﴿فَلْيُكْتُبْ وَلْيُمْلِلْ﴾. ولم تحمل إحداهما على الأخرى فتفتقا ولات يليت، وألت يألُت لغتان^(١).

لكن الفراء ضعف القراءة (يألتكم) بالهمز قائلاً: "قرأ بعضهم لا يألُتكم، ولست أشتبهها؛ لأنها بغير ألف كتبت في المصاحف، وليس هذا بموضع يجوز فيه سقوط الهمز؛ ألا ترى قوله: (يأتون)، و (يأمرون)، و (يأكلون) لم تلق الألف في شيء منه لأنها ساكنة، وإنما تلقى الهمزة إذا سكن ما قبلها، فإذا سكنت هي تعنى الهمزة ثبتت فلم تسقط"^(٢).

٢- أن يكون الفعل (ألتناهم) مشتقاً من المثال الواوي (ولت يلت) وأصله (ولتناهم) فقلبت الواو همزة كما قلبت في أحد أصله (وحد). والذي يدل على هذا القول القراءة (ولتناهم) وهي على الأصل. فضلاً عن مجيء الأصل (ولت يلت) في التعبير القرآني وبه أصل الفعل (يلت) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٤)، وذلك في واحد من قولين فقيلاً: (يلتكم) من "لات يليت ليتاً، وقيل: هي من ولته يلته كوعده يعهده، فالمحذوف على القول الأول عين الكلمة ووزنها: يفلنكم وعلى الثاني فاؤها، ووزنها يعلنكم"^(٣).

الثانية: (أفلناهم). وفيها أن يكون الفعل مشتقاً من الفعل المزيد بالهمزة (ألات يليت) ومجرده أجوف يائي هو (لات يليت ليتاً) كـ (مال يميل ميلاً)، فتكون همزة ألتناهم زائدة لأنه من باب الإفعال ومصدره (إلاتة) كـ (إمالة)، وهو على وزن أفلناهم كـ (أملناهم)، وفتحت الفاء لتدل على إن المحذوف ألف (ألات). وذكر الجوهري أن "لاته عن وجهه يلوته ويليته أي حبسه عن

(١) معاني القرآن للفراء ٧٤/٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ٧٤/٣ وينظر: تفسير غريب القرآن ٤١٦/١ ومشكل إعراب القرآن ٦٨١/٢.

(٣) تفسير اللباب ١٣/١٠ وينظر: الكشاف ٣٨٠/٤ وزاد المسير ١٥٤/٤ وروح المعاني والبحر المحيط ٥٢٤/٩.

وجهه وصرفه وكذلك آلاته عن وجهه فعل وأفعل بمعنى^(١). وما يعضد اشتقاق (ألتناهم) من أصل أجوف يائي هو قراءة عبد الله بن مسعود وأبي والأعمش وطلحة بن مصرف وابن كثير (لِتْنَاهُمْ) بكسر اللام^(٢). فأصل (لَأْتْنَاهُمْ) كـ (بَأْعْنَاهُمْ) ولكن لما أسند الفعل إلى ضمير رفع متحرك سكن له آخر الأصل التقى ساكنان لام الأصل وعينه فحذف أولهما قياسا على حذف أول الساكنين تخلصا من التقائهما في حشو الكلمة فصارت القراءة (لِتْنَاهُمْ) كـ (بِعْنَاهُمْ). ولو فتحت اللام في هذه القراءة لم يجوز ولذا أنكرت قراءة الأعمش (وما لَتْنَاهُمْ)^(٣) بغير ألف وفتح اللام. ف قيل " لا تجوز هذه القراءة على وجه من الوجوه"^(٤).

ويشهد لهذه الزنة استعمال الأصل (لات يليت ليتا) في التعبير القرآني بمعنى النقصان في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ فـ (لا يليتكم) من أجوف يائي وأصله (لا يليتكم) وحذفت ياؤه لالتقاء الساكنين بسبب الجزم، وليس من مثال واوي وأصله (يولتكم) فسقطت واوه لوقوعها بين فتح وكسر كما سقطت في (يعد ويزن) ونظائرها. ولذا صحح الطبري قراءة الحرف (يلتكم) بلا همز واستظهر تأصيله من أصل أجوف يائي فقال: " والصواب من القراءة عندنا في ذلك، ما عليه قرأ المدينة والكوفة (لا يَلِتْكُمْ) بغير ألف ولا همز، على لغة من قال: لات يليت، لعلتين: إحداهما:

(١) الصحاح (ليت).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات ٦١٢/١ والحجة في القراءات ٣٣٣/١ ومعاني القراءات ٣٤/٣ وحجة القراءات ٦٨٣/١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ١٧١/٥ والبحر المحيط ٥٧٢/٩ والدر المصون ٧٣/١٠ وتفسير اللباب ١٣١/١٨ وروح المعاني ٣٣/٢٧.

(٤) المحرر الوجيز ١٧١/٥ والدر المصون ٧٣/١٠ وتفسير اللباب ١٣١/١٨.

إجماع الحجة من القراء عليها. والثانية أنها في المصحف بغير ألف، ولا تسقط الهمزة في مثل هذا الموضع، لأنها ساكنة، والهمزة إذا سكنت ثبتت^(١).

٨- أبابيل

قيل في تفسير (أبابيل) الوارد في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (الفيل: ٣) "معناه جماعات كقطعان إبل تجيء شيئاً بعد شيء"^(٢). أي إن (أبابيل) مشتق من لفظ الإبل لشبهه بقطعانها المتفرقة فكأنه (فعايل) من (أبل). وقد اختلف في تقدير مفرد (أبابيل) كثيراً. فنقل الفراء عن الكسائي قوله: "كنت أسمع النحويين يقولون: إِبُول مثل العَجُول والعجاجيل"^(٣)، وأبابيل في قول الكسائي هذا أصله (أبابول) لأنه مبني على (إِبُول) فقلبت الواو لأجل الكسرة قبلها. وقال ابن خالويه: "ليس في كلام العرب كلمة على إفعول إلا أحرفاً... والإِبُول واحد أبابيل"^(٤). ونقل الفراء أيضاً عن "الرؤاسي وكان ثقة مأموناً أنه سمع واحداً إبالة لا ياء فيها... (وقالوا): ضغث على إبالة، يريدون: خصب على خصب"^(٥). فكان (إبانة أبابيل) كـ (دِنَار دنانير) ثم قلب أول المثليين ياء في (دينار). ولم يلتزم الفراء بما سمعه من شيوخه فقال في تأصيل اللفظة: "أبابيل لا واحد لها"^(٦). أي إنه اختار في (أبابيل) أن يكون

(١) جامع البيان ٢٢/ ٣١٧.

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ٥٣٩ وإعراب القرآن للنحاس ٧٧٠/٣ والمفردات ٨ وكتاب الغريبين ٩/١ ولسان العرب (أبل) وتحفة الأريب ٣٤ والبحر المحيط ٥١١/٨ وعمدة القارئ ٣٠٤/٣ وتاج العروس (أبل).

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٩٢/٣ وينظر: معاني القرآن للأخفش ٢٧٢/٢ وجامع البيان ٢٦٩/٣٠ وليس في كلام العرب ٢٣٥ والبيان ٥٣٦/٢ والبيان للعكبري ٢٩٣/٢.

(٤) ليس في كلام العرب: ٢٣٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٩٢/٣ وينظر: معاني القرآن للأخفش ٢٧٢/٢ وجامع البيان ٥٣٨/١٠ والبحر المحيط ٥١١/٨ وتحفة الأريب ٣٤ والمزهر ١٩٨/٢.

(٦) معاني القرآن (الفراء): ٢٩٢/٣.

جمعاً لا واحد له من لفظه مثل الشماميط والعباديد^(١). وهذا هو اختيار أبي عبيدة في قوله: "الأبائيل: جماعات في تفرقة يقال: جاءت الخيل أبائيل من هنا وهاهنا، ولم نر أحداً يجعل لها واحداً"^(٢). وهو أيضاً اختيار الأخفش (ت ٢١٥هـ) في قوله: "قال بعضهم: واحد الأبائيل إبييل، وقال بعضهم: إبول مثل (عجول) ولم أجد العرب تعرف له واحداً وسمعت العرب الفصحاء يقولون: (أرسل إبله أبائيل)، يريد جماعات، فلم يتكلم لها بواحد"^(٣).

وقال النحاس: "أصح ما قيل في واحد الأبائيل ما قاله محمد بن يزيد المبرد، قال: واحداً (إبييل) كـ (سكين سكاكين)"^(٤).

واختار فريق من المتأخرين (إبييل) مفرداً لأبائيل ولم يشيروا إلى أنه مذهب المبرد^(٥). ويبدو أنه ليس له، إذ ذكر الأخفش قبله أن بعضهم قال: "واحد الأبائيل إبييل"^(٦) وعزا الزمخشري والانباري والعكبري وأبو حيان إلى بعضهم أنه يرى أن المفرد (إبال) بلا تاء^(٧).

والنظر في هذه الالفاظ التي ذكرها السابقون مفرداً لأبائيل لا يقطع بصحة أحدها دون الآخر. ولذا اكتفى السيد محمد محمد صادق الصدر (ت ١٩٩٨هـ)

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٩٢/٣ وإعراب ثلاثين سورة ٢٠٧ وتهذيب اللغة ٣٨٩/١٥ والكشاف ٤/٢٨٦ والبيان ٥٣٦/٢ والتبيان للعكبري ٢٩٤/٢ والجامع لأحكام القرآن ١٩٨/٢٠ والبحر المحيط ٥١١/٨.

(٢) مجاز القرآن: ٣١٢/٢.

(٣) معاني القرآن (الأخفش): ٢٩٦/١، وينظر: إعراب ثلاثين سورة ٢٠٧.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٧٧٠/٣.

(٥) ينظر: المفردات ٨ والبيان في غريب إعراب القرآن ٥٣٦/٢ والبحر المحيط ٥١١/٨ وتحفة الأريب ٣٤.

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢٧٢/٢.

(٧) ينظر: الكشاف ٢٨٦/٤ والإنصاف ٢٤١/١ والتبيان للعكبري ٢٩٤/٢ والبحر المحيط ٥١١/٨.

في بحثه المسألة بتأصيل (أبائيل) دون النظر الى ما قيل فيها سابقا من مفردات لا يعضدها السماع، فجوز في أصلها أحد ثلاثة أوجه^(١):

- ان تكون اللفظة عربية مشتقة من لفظ الإبل.

- ان تكون منقولة الى العربية من الفارسية ومعنى (بيل) في الفارسية المسحاة.

- ان تكون نحتا فوريا أو شخصيا غير مستند الى اللغة، وهذا وإن كان في نفسه محتملا الا أن الكلمة عندئذ غير موضوعة في اللغة وغير فهمومة عرفا قبل التنزيل، لكنها ألقت بعده فاستعملها العرب في أشعارهم كقول أحدهم^(٢):

أبائيل هطلى من مراح ومهمل

واستظهر أن تكون (أبائيل) اسم جنس لنوع من الطير مسمى به كنية كأبي بريس ولا واحد له من لفظه لأنه ليس بجمع حقيقي وإنما هو جنس ك (غنم وإبل وخيل)، أما كلمة (بيل) المسمى بها هذا الجنس من الطير كناية فيجوز - عنده - أحد وجهين: أولهما: إن اسم هذا النوع من الطير مأخوذ من صوته الممدود (بيل) فيكون (أبائيل) من مقطعين (ابا) و (بيل) وهو الصوت الصادر منها فيكون المعنى: الطائر ذو الصوت المشابه (بيل) هذا إذا كانت اللفظة عربية منحوتة نحتا فوريا. والآخر: إن المراد بكلمة (بيل) المسحاة، وقد كان منقار هذا الطير عريضا كالمسحاة فسميت (أبائيل) أي: ذات المسحاة أو أن يكون تشبيها بالمسحاة من ناحية عرض ذيلها لا منقارها، هذا إذا كانت اللفظة معربة في العربية لان معنى (بيل) في الفارسية المسحاة.

ولا شك في اختلاف هذا البحث عما أثر عن السابقين أصالة ونفعاً، وعلى وفقه يمكن القول: إن (أبائيل) اسم جنس لنوع من الطير مكون من مقطعين (أبا) بمعنى (ذو) و (بيل) وهو لفظ يحاكي الصوت الصادر عنه هذا الجنس من الطير كما سمي صوت القط مواء وصوت الشاة ثغاء وصوت

(١) ينظر: منه المنان ١/١٤٣ - ١٤٤.

(٢) البيت في المخصص ٣٦/٤ والمحكم ١٧٣/٢ ولسان العرب (ابل) من دون عزو.

صهيلاً وصوت الشجر حفيفاً وصوت الباب صريراً وغير هذا، وكثيراً ما تسمى الطيور بصوتها كاللقلق البط والغاق والكركي والقطا والزرزور وغيرها. وإنما التزم الالف في المقطع الاول (أبا) في (أباييل) وإن لم تكن في موضع نصب كما في قول الشاعر المذكور آنفاً لأن اللفظة لم تكن معروفة قبل هذا فالتزم لفظها من دون تغيير في أصواتها وهيأتها في الدلالة على هذا الجنس من الطير أو لأن الالف هواء مجهور في الحلق بسهولة ولا يكلف نطقه أياً من أعضاء النطق القيام بعمل يذكر غير النفس والجهر، ثم إن مد الصوت به أبين منه في الواو والياء^(١) "فإن قلت: انه على هذا يكون الأباييل اسم جنس يعبر عن نوع من الطير فينبغي دخول الالف واللام عليه. فيقال: الطير الاباييل مع إنه ورد في الآية منكرًا، قلت: لانه أن عرّف لكان مفاده إرسال كل افراد هذا النوع الى الجيش المعادي مع إن الذي حصل هو أنه سبحانه أرسل بعض أفراد النوع أو قل: أفراداً قليلة منه، ومع ذلك حصل به هلاك الجيش كله وهذا بحذ ذاته معجزة"^(٢) ومما يرجح كون (اباييل) اسم جنس انه سمع منسوباً اليه فقالوا: (أباييلي) كما قالوا (إبلي) ولو كان جمعاً حقيقياً كما ذهب الجمهور لما نسب إليه إلا إذا جرى مجرى الأعلام نحو: أنصاري وكلاي^(٣).

والمحصل من أقوال البيانين أن (أبل) أصل يدل على صفة الاجتزاء مع الثقل وان (الإبل) أحد مصاديق هذا المعنى فغلب استعماله فيها، "أما الأباييل فلعلها أيضاً كانت موصوفة بالاجتزاء والغلبة بمعنى اتصافها بالقوة والقناعة والاجتزاء مع كونها قطيع قطيع فهذه الكلمة ليست اسماً لنوع مخصوص من الطير بل هي اسم لطير تكون بهذه الخصوصية"^(٤). ومن ثم فإن (أباييل) ليست مختصة بالطير فقط بل تشير إلى القطعة العظيمة من الخيل

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ٨/١ والأصوات اللغوية ٥٧.

(٢) مئة المنان ١٤٤/١.

(٣) ينظر: أوضح المسالك ٣/٣٩٢ وعمدة الصرف ٢٢٤ والاشتقاق (أمين) ٣١٩.

(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٨/١.

والإبل أيضاً. وقد ذكرت الدكتوراة بنت الشاطي أن الباء واللام تتكرر في كل ما فيه ملحظ اختلاط واضطراب وتري أن هذا "مأخوذ من بلبلة الأسنّة أي: اختلاطها، وبلبل القوم: هيجهم، ومنه البلبلة في عجمة اللسان واضطراب مسلكه في النطق من اختلاط الألسنة. والبلبل هو الطائر المعروف ينطق مردداً ما يسمعه دون وعي أو إبانة"^(١). ومن ثمّ "فارقت بين الحسي في البلبلة والمعنوي في البلبال للهم الشديد يضطرب له البال من اختلاط الوسواس وكثرة الهواجس وتري أن كل ذلك يعطي كلمة "أبايل حس التأيل واللبلة والبلبال"^(٢). ومن ثمّ فإنّ لفظة (أبايل) تصوّر لنا كثرة عدد الطيور واختلاط بعضها ببعض وتداخلها واجتماعها عليهم من كل جانب مع ما تبديه من أصوات عالية وغريبة نتيجة شدة اختلاطها وكثرتها لتكون عاملاً من عوامل الخوف والرعب لدى كل من تهجم عليه.

والذين قالوا إنّ (أبايل) لها مفرد من لفظها اعتمدوا على القياس وليس على السماع وهو ما أكده الانباري إذ قال: "زعم بعضهم أن واحده إبول وزعم بعضهم أن واحده إيل وكلاهما مخالف لقول الأكثرين والظاهر أنهم جعلوا واحده إبولاً وإيلاً قياساً وحماً لا استعمالاً ونقلًا والخلاف إنما وقع في استعمالهم لا في قياس كلامهم"^(٣). وهذا يرجح أن (أبايل) ليس لها مفرد من لفظها؛ وما يؤيد هذا قوله: "طيراً أباييل أي جماعات متفرقة وهو جمع لا واحد له في قول الأكثرين"^(٤). وهذا ما أكّده الثعالبي بقوله: "أبايل: جمع لا واحد لها من بناء جمعها"^(٥). وما ذكره النحاة في تعريف الجمع يظهر أن (أبايل) تعدّ جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها؛ إذ قال ابن مالك: "كل

(١) الإعجاز البياني للقران ومساائل ابن الأزرق دراسة لغوية وبيانية: ٤٤٩.

(٢) المصدر نفسه: ٤٤٩.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ١: ٢٨/٢٤١.

(٤) المصدر نفسه: ١/٢٤١.

(٥) فقه اللغة وسر العربية ٢٥٠.

اسم دلّ على أكثر من اثنين ولا واحد له من لفظه فهو جمع واحد مقدر إن كان على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه وإلا فهو اسم جمع ^(١). ولما كانت لفظة (أباييل) تدلّ على أكثر من اثنين؛ وهي على وزن (فعايل) وهو من الأوزان الخاصة بجمع التكسير حكم بأنّ (أباييل) تُعدّ جمعاً، وهذا ما أكدّه الأشموني بقوله: "أنّ الاسم الدال على أكثر من اثنين إن لم يكن له واحد من لفظه فأما أن يكون على وزن خاص بالجمع أو غالب فيه فإن كان على وزن خاص بالجمع نحو: أباييل.... فهو جمع واحد مقدر" ^(٢). وعلى هذا أكثر المحدثين ومنهم: الحملاوي وعباس حسن وهاشم طه شلاش وزميلاه، وعباس أبو السعود ^(٣). إذ قال الاستاذ عباس حسن: "هناك جمع تكسير ليس بالأصيل ولكنه يلحق بجموع التكسير الأصلية ويجري عليه أحكامها وهذا النوع هو ما كان على صيغة من الصيغ الخاصة بالتكسير أو الغالبة فيه ولكن ليس له مفرد" ^(٤). وقرينة الصيغة (فعايل) من القرائن اللفظية المرجحة لدلالة اللفظة على الجمع عند المفسرين فد (أباييل) تدلّ على القطعة أو المجموعة العظيمة من الشيء وما يؤكد هذا قول النحاس: "طيراً أباييل جمعاً بعد جمع... وفي كلام العرب: جاؤوا أباييل أي جماعة بعد جماعة عظيمة كثيرة بعد جماعة" ^(٥). وقال الواحدي (ت ٤٦٨ هـ): "أباييل أقاطيع يتبع بعضها بعضاً كالإبل المؤبلة" ^(٦). و(أباييل) وردت نعتاً لـ (طيرا) ^(٧) وهو استعمال يصور كثرة مجاميع

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٢٦٧.

(٢) حاشية الصبان على الأشموني ٢١٧/٤.

(٣) ينظر: شذا العرف: ١٤٧، والنحو الوافي ٦٢٦/٤، والمهذب في علم التصريف ٢٥٠،

والفيصل في ألوان الجموع ٢٥٤.

(٤) النحو الوافي ٤ / ٢٢٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٧٧١.

(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤ / ٥٥٢.

(٧) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ٢٠٧.

الطيور وعظمتها فهي كما ذكر القرطبي: "مختلفة متفرقة تجيء من كل ناحية من هاهنا وهاهنا"^(١). ولذا وجدت الدكتورة بنت الشاطي أن في جواب ابن عباس عباس عن سؤال نافع بن الأزرق أن (الأبائيل): "ذاهبة وجائية تنقل الحجارة بمناقيرها، فتبلبل عليهم رؤوسهم" فيه تقصير عن التعبير القرآني: إذ قالت: "وإن قصرت جملة (تنقل الحجارة) عن التعبير القرآني ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (الفيل: ٤)، وقصر الشرح (تبلبل عليهم رؤوسهم) عن التعبير الساحق الماحق في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (الفيل: ٥)"^(٢). وترى أن قول ابن عباس: "تنقل الحجارة بمناقيرها" لا وجه له إذ قالت: "فضلاً عما لا وجه له من تقييد نقل الحجارة بمناقيرها، والآية أطلقت الرمي من قيد بالمناقير أو بالأرجل أو بالمخالب"^(٣). ومن استعمال لفظة (أبائيل) في كلام العرب ما استشهد به ابن عباس لنافع بن الأزرق عندما سأله قائلاً: هل تعرف العرب ذلك؟ فأجاب: نعم، أما سمعت قول الشاعر^(٤):

وبالفوارس، من ورقاء، قد علموا فرسان صدق على جرد أبائيل
وكذا قول الأعشى^(٥):

طريق وجبار رواء أصوله عليه أبائيل من الطير تنعّب
لكن الصوت المكرر في التبلبل والبلبل ليس الباء وحدها كما جاء في قول بنت الشاطي بل الباء واللام معا ولذا لا وجه لحمل الأبائيل على مشتقات الرباعي المضاعف (بلبل) والأولى حملة على الجذر المضعف (أبل) إذ أفردت الباء ان في الجمع أبائيل محاكاة لصوتين تتابعا في لحظة رمي الطير

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٣٤.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن: ٤٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ٤٠٥.

(٤) ديوان ليبد بن ربيعة ١٢٢.

(٥) ديوان الأعشى: القصيدة ٤٣.

بججارة السجيل فالباء الأولى صوت الرمي والثانية صوت الانفجار على رؤوس الهلكى.

٩- ابن، بنت

لا خلاف بين علماء العربية في إنَّ (ابن) بزنة (افع) وأنَّ همزته همزة وصل جيء بها عوضاً من لام الكلمة المحذوفة، ولا خلاف بينهم في إن فاء الكلمة محركة بالفتح بدليل الجمع المذكر (بنون) والمؤنث (بنات) والنسبة (بنوي) ولا حجة عليهم بكسرها في (بنت) لأنه كسر طارئ بعد تغيير هيئة الكلمة بالحذف والتعويض^(١)، ولا خلاف بينهم في إن عينها (النون) متحركة لا ساكنة بدليل الجمع المكسر (أبناء) ولو كانت ساكنة لكسرت على (أفعل) ك (حرف) و (أحرف)، وأنها محركة بالفتح أيضاً لكثرة (فعل) وقلة (فعل) و (فعل) في الأسماء وسماع (فعل) اسماً معتلاً الآخر كالأسماء الستة التي يُستدلّ بثبوتها على فتح عينها، ونُدرة (فعل) و (فعل) اسمين فيما اعتلت لامة^(٢).

لكنهم يختلفون في لامة المحذوفة، واو أصلها أم ياء؟ فـ" أكثر النحويين حكموا بأن المحذوف منه واو واستدلوا بظهور الواو في البُنة^(٣)، أي أن همزة (ابن) عوضٌ من واو، وأصله (بنو) مشتقٌّ من أصلٍ لم يُعرف منه إلا

(١) أصل (بنت) (بنوة) أو (بنية) على حدّ الاختلاف في أصل (ابن)، ينظر: الكتاب ٣/٣٦٢ - ٣٦٣ والمقتضب ٢/٢٢٨ - ٢٢٩ وسر صناعة الإعراب ١/١٦٥ - ١٦٦، ولم ترد (بنت) بصيغة المفرد في القرآن الكريم.

(٢) ينظر: الكتاب ٣/٣٦٢ - ٣٦٣ والمقتضب ١/٨٢ و ٢٨ و ٢٢٩/٦٢ و ٢٧٠ والأصول ٣/٢٤٣ و ٣٢٠ و ٣٢٢ ومعاني القرآن وإعرابه ١/١٣٠ والمحتسب ١/١٦٥ - ١٦٥ والصحاح (بنو) والأمالى الشجرية ٢/٦٨ - ٧٠ وشرح المفصل ٥/١٢١ وشرح الملوكي ٤٠١ وارتشاف الضرب ١/٤٣ وتوضيح المقاصد ٥/١٨.

(٣) الامالى الشجرية ٢/٦٩.

(البُنُوَّة) بزنة (الفُعُولَة) ولو كانت اللام ياء لقليل فيه: (البُنْيَة) لأن الواو والياء إن اجتمعتا وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وليس العكس.

وأول إشارة إلى هذا المذهب وردت عند سيويوه الذي نقل عن الخليل قوله في النسبة إلى (ابن) ونحوه مما حذفت لأمه: وجوب رد المحذوف إلى أصله فيقال: (بنوي) كما يقال: (أخوي) و (أبوي)^(١)، وتلمس المبرد دليلاً آخر عضد به مذهب الكثيرين - لام (ابن) واو لا ياء - فقال: "فإن قيل فما الدليل عليه وليس براجع في تشيته ولا جمع مما يدل على أحدهما دون الآخر، قلنا: نستدل بالنظائر، أما ابن فإنك تقول في مؤنثه (ابنة) وتقول (بنت) من حيث قلت (أخت) ومن حيث قلت: (هنت) ولم نر هذه التاء تلحق مؤنثاً إلا ومذكره محذوف الواو، ويدلك على ذلك (إخوان) ومن رد في (هن) قال "هنوان"^(٢).

ووجه المعري (أبينون) الوارد في قول الشاعر^(٣):

زَعَمْتُ تَمَاضِرُ أُنْثَى إِمَّا أُمْتُ يَسُدُّ أُبَيْنُوهَا الْأَصَاغِرُ خَلَّتِي

بأن الأصل (بُنْيُون) فنقلت لام الكلمة (الواو) قبل فائها (الباء) فصار (وَبَيْنُون) فاستقل اجتماع الواو والضمة ابتداءً فقلبت الواو همزة، ومثل هذا في القلب (أشياء) أصله (شيئاء)^(٤). أي أن المعري لم يوافق الكثيرين في ذهابهم إلى حذف لام (ابن) وزيادة همزة عوضاً منها قبل الفاء بل رأى أن همزة (ابن) أصلها لام الكلمة ولذا وزن (ابن) على (لفع) لا على (افع) كما ذهب الكثيرون، وعلى الرغم من ذلك لم يدع المعري أن لام (ابن) ياء وإنما هي لديه (واو) وفاقاً للكثيرين.

-
- (١) ينظر: الكتاب ٣٦١/٣-٣٦٢ والمقتضب ٢٢٩/١ ومعاني القرآن وإعرابه ١٣٠/١-١٣١ والنصف ٩/١ والصحاح (بنو) والممتع في التصريف ٣٨٥/١ وتوضيح المقاصد ٢٧١/٥.
- (٢) المقتضب ٢٢٩/١ وينظر: الأصول ٣٢٢/٣ والصحاح (بنو) وتوضيح المقاصد ٢٧١/٥.
- (٣) لسليم بن ربيعة الضبي كما في أمالي القالي ٣٨ وأمالي ابن دريد ١٤.
- (٤) ينظر: رسالة الملائكة ١٤٧.

وعزا أبو جعفر النحاس إلى أبي إسحاق الزجاج أنه ذهب إلى أن لام (ابن) المحذوفة ياء لا واو لأنه مشتق من بنى يبني بناء لأن الابن مبني على الأب. واختار النحاس مذهب شيخه قائلاً "وقد غلط بعض النحويين فقال: الساقط منه واو لأنه قد سُمع البنوة"^(١)، لكن المأثور عن الزجاج تجويزه كلا المذهبين وعدم رفضه أحدهما إذ قال: "ابن يجوز أن يكون المحذوف منه الواو أو الياء وهما عندي متساويان"^(٢). وأيد مكّي القيسي هذا المذهب وإن لم ينسبه إلى صاحبيه فلم ير لخصومه حجة في (البنوة) "لأن البنوة وزنها الفُعولة وأصلها البُنُوْية فأدغمت الياء في الواو وقلبت واواً للضمتين قبلها ولو كانت ضمة واحدة لغيرت إلى الكسرة وغُلِبَت الياء، ولكن لو أُتِيَ بالياء في هذا لوجب تغيير ضمتين فتستحيل الكلمة"^(٣). وعزا شراح الفصيح هذا المذهب إلى ثعلب عاضدين إياه بقولهم: (الْفُتُوْة) إذ اثبتوا فيه الواو لاما على الرغم من أن أصلها ياء بدليل الثنية (فتيان) والجمعين (فتيان) و (فتيات)، وبكسر الفاء في (بنت) قائلين: إن ثعلباً كان يستدل بكسر فاء ما حذف لامه على أن المحذوف ياء وبضمها على أن المحذوف واو نحو: بنت من البنيان وأخت من الأخوة^(٤). وأسقط ابن السراج الاستدلال بكسر فاء (بنت) على أن لام (ابن) و (بنت) ياء لأن فاء (عِضَة) مكسورة وأصلها واوي اللام اتفاقاً، وفاء (سنة) مفتوحة وأصلها (واوي اللام) في أرجح الآراء^(٥). ولما وجد ابن جني ضعف الاستدلال بالمصدر (البنوة) على أن لام (ابن) واو لا ياء لمجيء الفتوة واوي اللام وأصله بالياء قال: "فأما البنوة... فلا دلالة فيها عندنا لقولهم الفتوة وهي

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/١٣١.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/٧٢٣.

(٤) ينظر: تصحيح الفصيح ٥٨٠ وشرح الفصيح (ابن الجبان) ١٨٧ وشرح الفصيح (ابن

ناقيا) ١٦٢.

(٥) ينظر: الأصول ٣/٣٢٠ - ٣٢١.

من قولهم: فتیان، ولكن قولهم: بنت وإبدال التاء من حرف العلة يدل على أنها من الواو لأن إبدال التاء من الواو أضعاف إبدالها من الياء، وعلى الأكثر ينبغي أن يكون القياس^(١).

وعلى خطأ سيبويه وشيخه الخليل سار أكثر علماء العربية الخالفين مستدلين بما سبق من علائم على رجحان مذهبيهما في أن المحذوف من (ابن) واو لا ياء^(٢).

وعلى حد الاختلاف في تأصيل (ابن) اختلف في تأصيل (ابنة) في قوله تعالى {وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} ﴿التحریم: ١٢﴾ أ (بنوة) أصلها أم (بنية)^(٣)؟ وقد سبق عما قريب ذكر المذهبين والاستدلال عليهما والراجح منهما أن المحذوف من (ابن) واو لا ياء لقوة الأدلة التي تعضده وضعف الأدلة على أن المحذوف ياء، زيادة على تكلف اشتقاق الابن من البنيان بعد المناسبة بينهما.

وأما (بنت) لدى القدماء فتأوها ليست للتأنيث وإنما هي بدل من اللام التي هي الواو في أرجح الرأيين وهذا واضح من قول سيبويه في تاء بنت وأخت "لو كانت كالبهاء لما أسكنوا الحرف الذي قبلها، وإنما هذه التاء فيها كتاء عفريت"^(٤). وكذا قال ابن منظور في (بنت)، "وليست التاء فيها بعلامة تأنيث كما ظن من لا خبرة له بهذا الشأن وذلك لسكون ما قبلها"^(٥). وربما المح ابن منظور في قوله (كما ظن من لا خبرة له بهذا الشأن) إلى بعض أهل

(١) سر صناعة الإعراب ١٦٦/١ وينظر: المنصف ٥٨/١.

(٢) ينظر: إعراب القرآن المنسوب ٨٨/٣ والصحاح ٢٢٨٦/٦ والامالي الشجرية ٦٨/٢ - ٦٩ والتبيان للعكبري ١٣١/١ وشرح الملوكي ٤٠٣ والممتع في التصريف ٣٨٥/١ ولسان العرب (بني) وارتشاف الضرب ١٤٦/٣ وتوضيح المقاصد ٢٧١/٥.

(٣) ينظر: الكتاب ٣٦٢/٣ والمقتضب ٩٢/٢ و٩٢/٢ و٢٧٠ والاصول ٣٢١/٣ - ٣٢٢.

(٤) الكتاب ٢٢١/٣.

(٥) ينظر: لسان العرب (بنو).

الكوفة كابن الانباري الذي عدّ التاء من (بنت و (أخت) علامة حقيقية للتأنيث^(١).

وتبين للدكتور إسماعيل أحمد عمايرة أن (ابن) و (ابنة) و (بنت) مشتقة من لفظ ثنائي الأصل فلا يسأل عما حذف منه و (ابن) مبني من الباء والنون وكذا هو في الأكادية والسبئية والعبرية، أما في الآرامية فمبني من الباء والراء، وإنما زيدت الهمزة في أول اللفظ العربي لأن العربية لا تبدأ بساكن. وأما (ابنة) فالتاء فيها للتأنيث وفاقا للقدماء، وكذا تاء (بنت) للتأنيث وليست منقلبة عن لام الكلمة خلافاً لهم "ولو كانت التاء تعويضاً من الواو فلماذا لم تعوض الواو المحذوفة في نحو، ابن وأخ وهن: فالوجه إذن أن هذه التاء للتأنيث بيد أن عدم توالي السواكن لم يستدع الإتيان بالفتحة التي مربنا أنها استقدمت للتخلص من توالي الأمثال"^(٢). وإنما لجأ القدماء إلى تقدير محذوف يثلث الباء والنون في هذه التصاريح لأنهم ثبت لديهم أن أقل أصول الألفاظ الممكنة في العربية ثلاثة أمام وجود الشائيات فيها وإنما لم يسلموا به لعدم الدليل عليه إذ سرعان ما يرد المحذوف إلى موضعه لا سيما في التفسير والتصغير. وقد جمع التعبير القرآني الابن على أبناء وصغره على بني وفي هذا دليل على أن الثالث المحذوف قد ردّ إلى موضعه فيهما. وعلى الرغم من ذلك تبقى كفة نتائج الدرس المقارن بين الساميات هي الراجحة في تأصيل جملة من ألفاظ القرآن الكريم لم تتمكن العربية من التوسع في تصريفها واشتقاقها توسعاً ينبئ باستحواذها دون غيرها من أخواتها على أصول تلك الألفاظ ومنها الألفاظ (ابن، ابنة، بنت) التي لا يخلو حملها على لفظ البناء من التعسف أما حملها على البنوة فيمكن القول إنه حمل للأصل على الفرع إذ البنوة هو المشتق من الابن والأبناء لا العكس ومثله التبني بمعنى اتخاذ الابن.

(١) ينظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٦٨.

(٢) ظاهرة التأنيث ٧٤.

أي أن لفظة ابن لفظة قديمة جدا ولا يفهم معناها الدقيق إلا في ضوء الدرس
المقارن بين الساميات.

١٠- أحد

اختلف في (أحد) الوارد في قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ﴿الإخلاص: ١﴾، زنة وتأصيلاً على ثلاثة مذاهب ذكرها النحاس في قوله: "القول الاول: أن يكون أحد بمعنى (وحد) و (وحد) بمعنى واحد كما قال^(١):
كَأَنَّ رَحْلِي، وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بَنَّا يَوْمَ الْجَلِيلِ، عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَحِدٍ
فأُبدل من الواو همزة، والقول الثاني: أن يكون الأصل (واحداً) وأُبدل
من الواو همزة وحذفت الهمزة لثلاثي همزتان، والقول الثالث: أحد
بمعنى أول كما تقول اليوم الأحد واليوم الأول مسموع عن العرب"^(٢).
أما المذهب الاول فعليه الكثيرون وهو أن (أحد) أصله (وحد) المنشعب
من (واحد) بحذف الالف تخفيفاً، ثم همزت الواو المفتوحة في (وحد) فقالوا:
(أحد) كما قالوا: (أجم) في (وجم) و (امرأة أناة) والاصل (وناة) لأنه من
ونى يني إذا فتر، ولم يسمع إبدال الهمزة من الواو المفتوحة في غير هذا^(٣).
ولم يرد (أحد) في التنزيل صفة للباري (عز وجل) في غير هذا الموضع، ولكن
كثير مجيء اللفظ في التنزيل مستعملاً في النفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنث
والواحد وما وراءه، كقوله تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ
اتَّقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا)

(١) البيت للنابغة في ديوانه ٢٥، هومن معلقته المشهورة التي مطلعها: يا دار مية .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/٧٨٨ - ٧٩٠ .

(٣) ينظر: الكاتب ٤/٣٣١ والمقتضب ١/١٦٢ وإعراب القرآن المنسوب ٣/٨٨١ وجمهرة
اللغة ٢/١٢٧ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢/٣٤ والمصنف ١/٢٣١-٢٣٢ والممتع
في التصريف ١/٣٣٥ ولسان العرب (وحد) والكليات ١/٥٩ وتاج العروس (وحد)
وفتح القدير ٥/٥٠٢.

﴿الأحزاب: ٣٢﴾ والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء، أي إذا نقصيت أمة النساء جماعة لم يوجد منهن واحدة تساويكن في الفضل^(١). ومنه قوله (عز وجل): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ﴾ ﴿النساء: ١٥٢﴾ يريد بين جماعة واحدة في أنهم على الحق المبين^(٢). فعلى هذا يكون (أحد) صفة للباري و (أحد) المستعمل في الخلائق مشتقين من الوحدة والأصل فيهما (واحد) فسقطت الالف وهمزت الواو.

ولما استعمل (أحد) صفة للباري دلّ على معنيين: الأول إنه بمعنى أصله الذي منه انشعب (واحد) والآخر إنه بمعنى الأول. أي إن معنى (أحد) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿الإخلاص: ١﴾ هو أنه (تعالى) الأول الذي لا شيء قبله وهو أحد لا ثاني له ولا شريك معه^(٣).

وأما المذهب الثاني الذي ذكره النحاس فيمكن تخريجه على ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون أصل أحد واحدا - كما ورد في المطبوع - ولما همزت الواو صار (أحد) فسقطت الألف تخفيفا فرارا من اجتماع المثلين (الهمزة والالف) وسميا همزتين من باب التغليب. والثاني: أن يكون الأصل (وأحد) بزنة (فأعل) وصحّف الى (واحد) وبعد همز الواو اجتمعت همزتان في (أأحد) فسقطت إحداهما لكن هذا الوجه ضعيف لندرة (فأعل). والثالث أن يكون الاصل (أوحد) بزنة (أفعل) وصحّف الى (وأحد) وبعد همز الواو اجتمعت همزتان في (أأحد) فسقطت إحداهما فصار (أحد) بزنة (أعل أو فعل) تبعا لنوع الهمزة المحذوفة، وهذا هو الوجه الأقرب في توجيه هذا المذهب الذي

(١) الكشف ٢٦٠/٣.

(٢) الكشف ٣١٩/١ وينظر: فتح القدير ٥٠٢/٥.

(٣) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٣٤/٢ وشرح الكافية ١٦٣/٢.

جاء غير موجه لدى النحاس وغيره^(١). وما يعضد إخراج (أحد) على بناء (أفعل) من الوحدة في هذا المذهب أن فريقاً من أنصار هذا المذهب قالوا: إن (أحد) من الفائدة ما ليس في واحد لأنك اذا قلت: فلان لا يقوم له واحد جاز أن يقوم له اثنان وأكثر فإذا قلت: فلان لا يقوم له أحد نفيت الكل. ومن هنا علم أن (أحد) ليس أصله (واحد) بل (أوحد) لاختلاف مدلول اللفظين والحذف لا يؤدي الى هذا الاختلاف^(٢).

وأما المذهب الثالث فظاهره أن (أحد) لا إبدال فيه ولا تغيير فكأنه (فعل) من أصل مهجور فاؤه همزة وعينه حاء ولامه دال بمعنى (أول)، ومنه قيل: اليوم الأحد أي اليوم الأول، وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) أي: الأول. ولم أتبين رأي أصحاب هذا المذهب في (أحد) المستعمل في النفي العام الدال الآدميين أخرج من الأصل المهجور (أحد) أيضاً أم هو من الوحدة وفاقاً للآخرين.

ونقل ابن جنّي عن بعض أصحابه مذهبا آخر في (أحد) فرق فيه بين اشتقاق (أحد) المستعمل في النفي العام وبين (أحد) الدال على العدد في نحو (أحد عشر) وهو "أنّ الهمزة في قولك ما جاءني من أحد غير مبدلة من واو وهي أصل وليست كالتي في قولك أحد عشر ونحوه، لأنّ معناه واحد وعشرة فالهمزة فيه بدل من واو، وقولهم ما جاءني من أحد ليس معناه ما جاءني من واحد في شيء"^(٣). ولم يكن ابن جنّي "من هذه الحكاية عن ثقة فقد يجوز ان

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٧٩٠/٣ ومشكل إعراب القرآن ٨٥٣/٢ ومجمع البيان ٥٦٢/١٠.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٧٩٠/٣ ومشكل إعراب القرآن ٥٣/٢ والبحر المحيط ٢٢٨/٧ والكليات ٥٩/١.

(٣) المنصف ٢٣١/١ وينظر: شرح المفصل ٣١/٦ وشرح الكافية ١٦٤/٢.

تكون الهمزة في قولهم ما قام من أحد بدلا من الواو لان معناه ما قام من واحد من ذوي العلم فما فوقه ^(١).

وفرق أبو حيان بين اشتقاق (أحد) المستعمل في وصف الباري واشتقاق المستعمل في النفي العام فذهب إلى أن (أحد) صفة للباري أصله من الوحدة وفاقا للسابقين أما (أحد) المستعمل في النفي العام فمن أصل مهجور فاؤه همزة وعينه حاء ولامه دال ^(٢). ولا مسوغ لحمل اللفظ الواحد على أصلين مختلفين مادة زيادة على ان الاشتقاق من المهجور لا يسلم به الا ثبت بين.

وفصل الدكتور خليل أبو عودة القول في لفظة (أحد) وتطورها الدلالي قبل الإسلام وبعده فتبين له أن الكلمة استعملت في شعر ما قبل الإسلام دالة على المعنى المألوف بين الناس الآن وهو فرد من الناس كقول النابغة ^(٣):
ولا أرى فاعلاً في الناس يُشبهه ولا أحاشي من الأقسام من أحد
أما الصيغة المزيدة (أوحد) التي قيل: إن أحد منشعبة منها فتبين له أنها تحمل في شعرهم معنيين جديدين: الأول، انفراد المرء بصفة أو صفات كثيرة ينماز بها من غيره يقال: هو أوحد قومه. والآخر، بمعنى الأول. وهذان المعنيان مدركان في قول طرفة ^(٤):

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وأما كلمة (وحد) المنشعبة من واحد التي قيل إنها أصل لـ (أحد)

فمستعملة في أشعارهم بمعنى الوحيد، كما في قول النابغة ^(٥):
مُجَرَّسٌ، وَحَدٌ، جَابٌ، أَطَاعَ لَهُ نَبَاتٌ غَيْثٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ مَبْكَارِ

(١) المنصف ٢٣١/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢٢٨/٧ وتحفة الأريب ٣٠.

(٣) ديوانه ٢٠.

(٤) ديوانه ٢٨.

(٥) ديوانه ٢٣.

فكأنه رجّح (أوحد) أصلاً لـ (أحد) لظهور المناسبة بينهما معنى واشتقاقاً. أما (وحد) فليس أصلاً لـ (أحد) لبيان الاختلاف بين مدلوليهما. والشيء الجديد في الاستعمال القرآني هو وصف الله عز وجل ذاته بأنه أحد وهو وصف لم يعهد في الشعر الجاهلي فلم يرد أن أحدهم قد وصف نفسه أو غيره بهذا الوصف وإنما استعملوه بمعنى واحد من الناس كما سبق القول^(١).

وأنكر الدكتور اسماعيل أحمد عمارة على القدماء ذهابهم الى أن (أحد) مشتق من أصل ثلاثي اختلفوا في تقديره كثيراً فذهب الى أنه من الاصل الثنائي (حد) مفيداً من الدرس المقارن بين الساميات، وهذا حاصل قوله: "لعل ما يؤكد ثنائية كثير من الفاظ العربية التي عولجت على إنها ثلاثية أن ترد نظائر هذه الالفاظ على صورتها الثنائية في لغات سامية أخرى تضمنتها نصوص موهلة في القدم ومن ذلك كلمة (واحد) التي نجدها في المعجم تحت المادة الثلاثية (وحد) قد جاءت في الآرامية القديمة بأصلها الثنائي (٦٦ حد) ومعناها واحد ومؤنثها بالألف كما في العربية (٦٦ لا حدى) (٢)".

ولم تزل دعوى وجود الثنائيات في أصول العربية بعيدة عن اليقين لأنها مدفوعة بظاهرة الاشتقاق في العربية التي تُفصح عما سقط من كثير من الالفاظ الثنائية في العربية، اذ سرعان ما تنبئ هذه الظاهرة بما يثلث كل ثنائيين عربيين. والقول بوجود هذا الأصل في العربية يلزم منه البحث عن علة ظهور ما يثلثه وهي علة لا يمكن ادراكها بسهولة ويسر.

ورجح كثير من الباحثين المحدثين المذهب القائل: (أحد) مشتق من أصل ثلاثي فاؤه همزة وعينه حاء ولامه دال وهو أصل سامي قديم كان موجوداً في العربية الجنوبية واللحيانية والنبطية، أما في العربية الحديثة فهجر الاشتقاق من لفظة (أحد) تماماً ولكن اشتقت منه مفردات فاؤها واو ومنها (واحد). وقد

(١) ينظر: التطور الدلالي ٩٦ - ١٠٢.

(٢) ظاهرة التأنيث ٧١ - ٧٢.

كان (أحد) في الساميات يعني (واحد) اما العريية فخصّصت لكل من اللفظين معنى واستعمالاً غير ما لصاحبه فصارت (أحد) تطلق على ضربين الاول: الجنس والثاني الواحد. فمثال الأول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٦) وقوله تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (الأحزاب: ٣٢) وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥) ومثال الثاني قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. و (أحد) المستعملة في الجنس تلزم الأفراد والتذكير وتقع بعد النفي والنهي والاستفهام والشرط^(١).

ورجح الدكتور فاضل السامرائي المذهب القائل: (أحد) أصلها (وحد) ثم أبدلت الواو همزة فقال: "يرى كثير من النحاة ان همزة (أحد) هذه أصلية وليست بدلا من الواو ويرى آخرون أنها كصاحبيتها الأخرى مبدلة همزتها عن الواو وهذا يترجح عندي"^(٢). لكنه أدرك ان دلالة (أحد) ليست كدلالة (وحد) لأن (وحد) التي هي أصل لـ (أحد) يوصف بها الانسان وغيره تقول: رجل وحد ودرهم وحد، بخلاف كلمة أحد، فلا يقال: رجل أحد ولا درهم أحد. فالإبدال كان لغرض أداء معنى جديد واستعمال جديد"^(٣).

ولو أخرج الدكتور السامرائي لفظة (أحد) من الأصل المهجور (أحد) لكان أبين من إخراجه إياه من الأصل المستعمل (وحد) لأن الإبدال إن عرض

(١) ينظر التطور النحوي ١٢١ وتاريخ العرب قبل الاسلام ١١٥/٧، ١٦٩ ومعاني النحو ٢٦٦/٣.

(٢) معاني النحو ٢٦٧/٣.

(٣) معاني النحو ٢٦٩/٣.

على حروف اللفظة لا يؤدي الى التغيير الدلالي كما في (وشاح: إشاح ووسادة: إساءة).

١١- أدنى

(أدنى) في مثل قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْئُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾" هو "اسم تفصيل بوزن (أفعل)، واختلفوا في أصل اشتقاقه على ثلاثة مذاهب هي:

الأول: إنه مشتق من (الدنو) أي: القرب، وإلى هذا ذهب الفراء فقال في تفسير (أدنى) في الآية الكريمة: "الذي هو أقرب من الدنو"^(١). واختار هذا المذهب كل من الزجاج وابن جني والعكبري وأبي حيان ولم ينسبوه إلى الفراء^(٢). ولما وجده ابن عطية والقرطبي الشوكاني في كتاب الزجاج نسبوه إليه، ولم يتيبنوا أنه للفراء^(٣).

وأشار إليه آخرون من دون اختيار ولا نسبة إلى أحد^(٤). ولما وجد مؤيدو هذا المذهب عدم المناسبة بين معنى (أدنى) ومعنى (الدنو) تأولوا ذلك فقالوا:

(١) معاني القرآن للفراء ٤٢/١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٩٥/١ والمحتسب ٨٨/١ والبحر المحيط ٢١٩/١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٢٩٢/١ والجامع لأحكام القرآن ٤٢٨/١ وفتح القدير ٧٦/١.

(٤) ينظر: جامع البيان ٣٩٢/١ ومشكل إعراب القرآن ٩٦/١ والبيان في غريب إعراب ٨٦/١.

(أدنى) معناه أقرب في القيمة من قولهم: ثوب قريب، إذا كان قليل الثمن^(١) ويفهم من هذا الوجه أن أصل (أدنى): أدنو على (أفعل) وقلبت الواو ألفا لتحركها وفتح ما قبلها.

الثاني: إنه مشتق من الدناءة، اذ ذكر ابن جنبي في تفسيره هذا المذهب رواية عن الفارسي عن الأخفش الصغير عن المبرد عن الرياشي عن أبي زيد الأنصاري قول العرب: دنو الرجل يدنو دناءة وقد دنأ يدناً اذا كان لا خير فيه^(٢). ولم يشر صراحة الى أن أبا زيد الأنصاري هو صاحب هذا المذهب. ويبدو أنه له، يدل على هذا أن الفراء أشار الى هذا الرأي من دون اعتداد به أو عزوه إلى أحد، فقال: "ويقال من الدناءة والعرب تقول: إنه لدني ولا يهمزون ويدني في الامور، أي: يتبع خسيسها وأصاغرها، وقد كان زهير الفرقي يهمز (هو أدناً)"^(٣). لكن النحاس لما سمع شيخه الأخفش الصغير "علي بن سليمان يقول: لا يصح عندي في (هو أدنى) إلا أن يكون من ذوات الهمز من قولهم: دنيء، بين الدناءة ثم أبدلت الهمزة"^(٤)، نسب فريق من المتأخرين هذا المذهب إلى الأخفش الصغير، معتمدين على سماع النحاس إياه من شيخه^(٥)، وما هو له لأنه معروف قبله بأكثر من مئة عام على ما تقدم في قول الفراء، زيادة على ذلك أن الطبري كان قد سبق النحاس الى اختيار

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٩٥/١ وإعراب القرآن للنحاس ١٨١/١ والمحتسب ٨٨/١ والمحرر الوجيز ٢٩٢/١ والبيان للعكبري ٢٣١/١.

(٢) المحتسب ٨٨/١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٤٢/١.

(٤) إعراب النحاس ١٨١/١.

(٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٩٦/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٨٦/١ والبيان للعكبري ٢٣١/١.

هذا المذهب فقال: وأصله من قولهم: هذا رجل دنيء، بين الدناءة وإنه ليَدني في الأمور بغير همز، إذا كان يتبع خسيسها" (١).

وأشار فريق آخر من المتأخرين الى هذا المذهب دون نسبة إلى أحد (٢). وأصل (أدنى) في هذا المذهب (أدناً) فسهلت الهمزة بقلبها ألفاً، وأنكر النحاس هذا المذهب فقال رادا على شيخه الاخفش الصغير: هذا الذي ذكره انما يجوز في الشعر ولا يجوز في الكلام، فكيف في كتاب الله جل وعز (٣)، وأنكره الانباري أيضا فقال: " لا يجوز أن يكون (أدنى) أفعل من الدناءة، لأن ذلك يوجب أن يكون مهموزاً ولم يهمزه أحد من القراء، وقلب الهمزة ألفاً انما يجوز إذا سكنت وانفتح ما قبلها ولم يوجد هاءنا، وإذا لم يوجد ما يقتضي جواز القلب فكيف يدعى وجود ما يقتضي وجوبه" (٤). وفي قوله: " لم يهمزه أحد من القراء " تسامح اذ نقل في الشواذ قراءة الفرقبي لهذا الحرف (أدناً) (٥).

الثالث: إنه مشتق من الدون، وأول إشارة الى قرب معنى (أدنى) ولفظه من (الدون) وردت عند ابن جني في قوله: " ومن هذه المادة قولهم: شيء دون، أي: ليس بذلك، وقولهم: هذا دونك، وينبغي أن يكون أدنى من قولك: (هذا رجل دون) وصفاً على فعل ك (حلو) و (مر). ويؤنس هذا المذهب انا لا نعرف فعلاً تصرف من هذا اللفظ ك (دان يدون) ولا نحوه قال الكميت:

(١) جامع البيان ٣١٢/١.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٩٦/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٨٦/١ والبيان للعكبري ٢٣١/١.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٨١/١.

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ٨٦/١.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٨٥/١ والكشاف ٢٨٥/١ والبحر المحيط ٢٣٣/٢.

وجدت الناس إلا ابني نزار ولم أذمهم شرطاً ودوناً^(١)
ولم يصرح ابن جني بأن هذا الرأي له، ويبدو انه له، ومن علائم ذلك:
أنسه به في ظاهر كلامه، وخلو مصنفات سابقه من الإشارة اليه^(٢).

وأشار فريق من تابعي ابن جني الى هذا المذهب من دون نسبته الى
أحد، مفسرين إياه بأن (أدنى) أصله (أدون) على (أفعل) وقلبت النون إلى
موضع الواو ثم أُعِلَّت الواو لتحركها وسبقها بفتح فصار (أدنى) بوزن (أفعل)
قائلين: معنى (أدنى) في هذا المذهب (أحط) أو (أخس)^(٣).

واستحسن أبو حيان اشتقاق (أدنى) من (الدناءة) أو (الدون) لأنهما
راجعان الى معنى واحد هو الخسة، وهذا معنى مقابلته بالخير الوارد في تنمة
الآية الكريمة (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) أحسن من مقابلة
معنى (القرب) له، لأن الأقرب يقابله الأبعد^(٤).

ومناسبة الاشتقاق تستدعي أخذ (أدنى) من (الدون) اذ ليس فيه إلا
إعلال الواو بقلبها ألفاً وهو قلب مطرد للواو في مثل هذا الموضع، ومناسبة
المعنى تستدعي أخذه من (الدناءة) أو (الدون) وفي (الدناءة) إمالة الهمزة بقلبها
الفاء، وفي (الدون) القلب المكاني، وكلتا الدعوتين لاحظ لهما في القياس.
وتلمس معنى مجازي من (أدنى) بمعنى (أقرب) يقابل معنى (الخير) أفضل ما
يقال في تأصيل اللفظة. فأدنى ظرف يوحي ظاهره إلى اقتراب مدلوله من
مدلول تحت لحيته دالا على منزلة تحت أخرى في السياق نفسه. ويبدو أنه عند

(١) المحتسب ٨٨/١ وينظر: لسان العرب (دون).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ٤٢/١ وجامع البيان ٣٩٢/١ ومعاني القرآن وإعرابه ١١٢/١
وإعراب القرآن للنحاس ١٨١/١.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٩٦/١ والمحزر الوجيز ٢٩٢/١ والبيان في غريب إعراب
القرآن ٨٦/١ والبيان للعكبري ٢٣١/١ والجامع لأحكام القرآن ٤٢٨/١ والبحر المحيط
٢٣٣/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢٣٣/١.

المفسرين من ألفاظ المشترك اللفظي وإن لم يصرح أحد منهم بذلك، ولكنه مدرك من أقوالهم التي تشعبت في تفسيره فقد فسر بـ (أقرب، أخس، أقل، أصغر). فهو لديهم بمعنى أقل ^(١) في قوله تعالى (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) ﴿المزمل ٢٠﴾. وبمعنى أخس وأحط ^(٢) في قوله تعالى: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) ﴿البقرة ٦١﴾ وقوله تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَصَ هَذَا الْأَدْنَى) ﴿الأعراف ١٦٩﴾. وبمعنى أقرب ^(٣) في قوله تعالى: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) ﴿النجم ٨-٩﴾ وبمعنى أصغر ^(٤) في قوله تعالى: (وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) ﴿السجدة ٢١﴾.

ومن هنا يفهم تشتت أقوال المفسرين إذ تعددت وجوه التفسير تبعاً لتعدد وجوه الاشتقاق المذكورة آنفاً والقرآن الكريم يرجح أن أدنى أفعال التفضيل من الدنو وهو القرب وهذا يكون حقيقياً في المحسوسات ومجازياً في المعنويات ومن استعماله في المجاز قوله تعالى: (وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) ﴿السجدة ٢١﴾. وقد كثر الحذف في تركيب أدنى إذ يحذف بعدها المفعول به غير الصريح وهو المجرور بـ (إلى) ويحذف المفضل منه بعدها أيضاً كثيراً، ويمكن أن يوضح تفسير أدنى بأقرب في قولنا: (يوسف أدنى إلى أبيه من إخوته) ولكن لما حذف المتعلقين بعد أدنى قرب معناها من الإبهام ومالت دلالتها نحو الاشتراك اللفظي والمجاز وربما الهبوط، وما هي بهابطة في القرآن الكريم وليست من المشترك اللفظي ومعناه الرئيس هو (أكثر دنواً) والدنو قد يكون مكانياً أو زمانياً كما في: (أَدْنَى الْأَرْضِ) و (أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ) وهنا يعلم أن (أدنى) ليست خالصة للمكان كما كان (تحت) و (أسفل) ولما كان (أدنى) أفعال التفضيل فإن

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٨٩/٥ وإعراب القرآن للنحاس ١٣٠/٥

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٣٠/١ و ٣١٤/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٥٨/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥٧/٥ وإعراب القرآن للنحاس ٢٤٢/٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٤.

تفسيره بمعنى الخسة والدناءة والحقارة بعيد بل منكر ذلك أن أفعل التفضيل تستدعي اشتراك اسمين في فعل أو صفة ما، وغلبة أحد ذينك الشيئين صاحبه في ذلك. أي أن تفسير أدنى بأحقر أو أخسّ يقود إلى تحقير المفضل والمفضل منه معاً لأنهما مشتركان في الفعل أو الصفة وهذا لا يرمي إليه عاقل، والتسليم به يقود إلى تحقير كل الأسماء الواردة في سياق أدنى. أما تفسيرها بأقل فمن باب المجاز ذلك أن العذاب عندما ينعت بالأدنى فإن دنوه لا يقاس بمقدار دقيق محسوس فيفسر (أدنى) ذو الدلالة المجازية بأقل لأن القلة لا تستدعي التحديد والدقة. ولذا يمكن القول: إن (أدنى) الوارد في اثني عشر مورداً من التنزيل العزيز كلها دلت على معنى القرب بنوعيه (الحقيقي والمجازي) أو (المكاني والزماني) وقد جاء (أدنى) بمعنى القرب المكاني في قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿النجم ٨-٩﴾ وهنا يفهم اشتقاق أدنى من الدنو لمحيء دنا قبله لأن المعنى هو دنو جبرائيل (عليه السلام) من الرسول (صلى الله عليه وآله) مسافة مقدارها أقرب من مقدار المسافة المقدرة بطول قوسين^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَشْتَبِدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ ﴿البقرة ٦١﴾ يظهر تأويل (أدنى) بمعنى الطعام الأقرب إلى مداركهم إذ هو زرعهم الذي يستدعي الجهد والعمل وهو مفضل بما كان منزلاً من عند الله (المن والسلوى) فهذا فضلاً عن كونه معجزة وتشريفاً لهم لا يكلفهم جهداً ولا نصباً خلا أن مداركهم بعيدة عن إدراك مكنونه لأنه ليس (أدنى). والمستحصل من قوله تعالى في الإشارة إلى آية الدين: ﴿ذَالِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ ﴿البقرة ٢٨٢﴾: ذلك أقرب إلى انتفاء الريبة (الاطمئنان) من الريبة^(٢)، فالكتاب بين المتدائنين يكون قريباً من

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥٧/٥ والكشاف ٢٨/٤.

(٢) البحر المحيط ٥٦٨/٢.

الاطمئنان ومن الريية ولكنه إلى الاطمئنان أقرب وهذا هو معنى أفعل التفضيل في العربية.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ المجادلة ٧ ﴿ يكون المقصود بأدنى عددا قريبا من الأعداد المذكور وقريبا مما فوقها ولكنه إلى هذه المذكورة أقرب وربما يكون (اربعة) تحديدا لأنه يشترك في الدنو نفسه من الثلاثة والخمسة لأن (أدنى من ذلك) يعني الثلاثة والخمسة ولا ينبغي التمسك بالمقابل له (أكثر) على أن المقصود بأدنى هو (أقل) لأن المناجاة لا تحصل من واحد بل هي مشاركة وأما الاثنان فليس قريبا من الخمسة فلا يصدق عليه (أدنى من ذلك) والمراد الثلاثة والخمسة وكذا لو جاوز العدد خمسة لا يكون دانيا من ثلاثة فلم يبق إلا الأربعة ولذا عقب بعد ذلك بـ (ولا أكثر) أي أكثر من الخمسة.

وعلى هذه الشاكلة يمكن جلاء المعنى الدقيق لـ (أدنى) في التعبير القرآني إذ هو بمعنى (أكثر دنوا) وهو قرب لا تشوبه الحسة والرداءة كما فهم كثير من المفسرين من ظاهر قوله تعالى في أمة من بني اسرائيل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ الأعراف ١٦٩ ﴿ إذ فسر الزمخشري بدنو الحال وسقوطها وقتلتها^(١). وفسره أبو حيان بخسة ما يأخذونه وتحقيره^(٢). وليس في الأمر خسة ولا رداءة إذا ما طلب المعنى الدقيق للفظ (أدنى) وما فعله هؤلاء أنهم اكتفوا بظاهر الكتاب فأخذوا منه ما كان قريبا من فهمهم جميعا ولم يلتفتوا إلى ما يفهمه رهبانهم وعلمائهم الذين يحق لهم استنباط الأحكام ولذلك وقعوا في ترهات البسابس كلما عرض لهم حكم يلائم رغباتهم

(١) الكشف: ١٦٤/٢.

(٢) البحر المحيط: ٥٢٥/٤.

أخذوا به من دون تدبر ولا دراسة فعبر عن فعلهم هذا بالعرض الأدنى أي الحكم القريب من المدارك المحدودة والمطلوب الحكم العميق المستحصل بالتدبر والاجتهاد الذي لا يصدر إلا من عالم فقيه.

١٢ - أساطير

اختلف في تقدير الجمع (أساطير) الوارد في قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ الأنعام: ٢٥)، فذهب الأخفش إلى انه جمع ليس له واحد من لفظه كعبيد ومذاكير وأبائيل ثم إنه عزا الى أحدهم زعمه ان واحده (أسطورة) وإلى آخر أن الواحد (أسطورة)^(١). وأثبت فريق من تابعي الأخفش أن أبا عبيدة هو الذي عدّ واحد الأساطير (أسطورة)^(٢) وأن اللحياني هو الذي عدّ الواحدة (أسطورة) منظرا ذلك بـ (أحدوثة أحاديث وأكذوبة أكاذيب)، ثم إنه جوز أن يكون مفردة (أسطور) و (أسطيرة) و (أسطير) وكل هذا بضم الهمزة^(٣). لكن فريقاً آخر عزا هذا الى الزجاج^(٤).

وعزي إلى أبي عبيدة - أيضاً - ذهابه إلى أن (أساطير) جمع الجمع (أسطر) الذي هو جمع (سَطَر) بسكون العين، وعزي الى ابن السكيت أن اللفظ جمع الجمع (أسطار) الذي هو جمع (سَطَر) بتحريك العين^(٥). وذهب ابن قتيبة إلى إن الاساطير "واحدها سَطَر ثم أسطار ثم أساطير جمع الجمع

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٢٧٢/٢.

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ٣٧ وجامع البيان ١٠١/٧ و٢١٣/٩ ومجمع البيان ٣٨٥/٣.

(٣) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٣١٧/١ و٢٠٢/٢ والبيان للعكبري ١٣٩/١ وتاج العروس ٢٦/١٢.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥٨/٢ وتهذيب اللغة ٤٥٨/٢ ولسان العرب ٢٨/٦.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٣٩/١ والبيان للعكبري ٢٣٩/١ والبحر المحيط ٨٤/٤.

مثل قول وأقوال وأقاويل^(١). وعُزي إلى الزجاج - أيضا - أن أساطير جمع (أسطار) و (أسطار) جمع (أسطر) و (أسطر) جمع (سطر)، ورد بأن (أفعال) و (أفعل) كلاهما من جموع القلة ولم يقل أحد أن أحدهما جمع للآخر وإنما (افعل) جمع (فعل) ساكن العين صحيح الفاء والعين (أفعال) جمع للثلاثي الذي لم يطرّد في (أفعل)^(٢).

ولم يقف الأمر في مفرد (أساطير) عند هذا الحد فقل هو إسطار أو إسطير أو إسطيرة بكسر الهمزة، وقيل: أساطير جمع شاذ للمفرد (سطر) أو (سطر) بسكون العين وفتحها^(٣).

وخير ما يلتزم من هذه الأقوال أن (أساطير) جمع لـ (أسطورة) لوجود النظائر كـ (أكذوبة أكاذيب وأثفية أثافي وأرجوزة أراجيز وغير هذا)، أما الأقوال الأخرى فغير مسلم بها لعدم الاطمئنان إلى المفردات الأخرى التي أريد لها أن تكون آحادا لـ (أساطير).

وكان روفائيل نخلة قد زعم أن الأساطير معربة من اليونانية، وأصل المفرد فيها (istorya) بمعنى حكاية^(٤) وهذه الدعوى لا يلتفت إليها لان اللفظ معروف الاشتقاق في العربية إذ فسرت (أساطير الأولين) بأنها "أخبارهم، وما سطر منها: كتب، ومنه قوله تعالى "وما يسطرون" أي يكتبون^(٥). وكثيرا ما تدل أمثلة البناء (أفعولة) في العربية على عجائب الأمور وغرائبها كالأضحوكة والأطروحة والأعجوبة والأصبوحة^(٦) وتجمع على أفاعيل كـ

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن ٣٧.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٨٤/٤.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ٤٥٨/٢ والصحاح (سطر) ولسان العرب (سطر) والبحر المحيط ٨٤/٤ والمصباح المنير ٢٧٦ وتاج العروس (سطر).

(٤) ينظر: غرائب اللغة العربية ٢٥٢.

(٥) تفسير غريب القرآن ٣٧.

(٦) ينظر: الكليات للكفوي ٤٢٦ ومعاني الأبنية ٧١.

(أحدوثة أحاديث وأسطورة أساطير وأمنية أمانى)، ويبدو أن إطلاق الأحاديث على كلام النبي الأكرم من قبيل الرقي الدلالي في استعمال اللفظ إذ روعي فيه الجمع المتناهي دون الالتفات إلى مدلول المفرد على الأمر العجب وهذا ما ألمح إليه الفراء لما رأى أن واحد الأحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعاً للحديث^(١)، ولا مدخل عليه في قول ابن بري "ليس الأمر كما زعم الفراء لأن الأحدثوثة بمعنى الأعجوبة يقال قد صار فلان أحدثوثة فأمّا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يكون واحداً إلا حديثاً ولا يكون أحدثوثة"^(٢).

١٣ - استكان

اختلف في الفعل استكان الوارد في قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿آل عمران ١٤٦﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿المؤمنون ٧٦﴾ تأصيلاً وزنه، فجوز ابن الأنباري فيه وجهين: الأول: إنه (استفعل) من الكون وأصله (استكون) فاعل بالنقل إلى (استكون) ثم أعلت عينه بقلبها ألفاً لتحركها في الأصل وسبقها بفتح الآن، والآخر: إنه (افتعل) من (السكون)، وأصله (استكن) ثم أشبعت فتحة العين فصارت ألفاً^(٣). ورجح ابن الأنباري الوجه الثاني مستدلاً بمناسبة الاشتقاق بين الاستكانة والسكون إذ يلحظ فيهما معنى الخضوع والذل والانقياد والطاعة، مستشهداً بشواهد شعرية كثيرة سمع فيها إشباع الحركات^(٤). وعزى الوجه الذي اختاره ابن الأنباري إلى الفراء وثعلب

(١) الصحاح (حدث).

(٢) لسان العرب (حدث).

(٣) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٠٩/٢ - ٣١٠.

(٤) ينظر: نفسه ١١٣/٢ - ٣١١.

وذلك بعد ان وجد ابن الانباري نفسه يستدلّ على مذهبه بإشباع الحركة في قول الراجز:

لو إن عُمراً همَّ أن يرقوداً فانهضْ فشُدَّ المئزر المعقوداً
ممهّداً لاستدلاله بهذا البيت قائلاً: "أنشدنا أبو العباس عن سلمه عن
الفراء" ^(١). ثمّ قوله في ختام اختياره هذا الوجه: "هذا قول أكثر أهل اللغة" ^(٢).
ولمّا لم يتبيّن للخالفين من هم علماء اللغة الكثيرون الذين أخرجوا (استكان)
على باب الافتعال من السكون ثمّ أشبعت حركة عينه فصارت الفاء؟، اكتفوا
بإشارة ابن الانباري تلك إلى إنّ المقصود بهم: الفراء وثعلب وكوفيون آخرون
شايعهم ابن الأنباري ^(٣). واكتفى فريق من العلماء بالإشارة إلى هذين
الوجهين من دون مفاضلة ولا ترجيح بينهما ^(٤).

ورجّح روفائيل فخله أن يكون استكان مأخوذاً من السكون لأنّ الآرامية
استعملت الفعل (سَكَنَ = saken) بمعنى خضع وذلّ ^(٥). وثمة مذهب ثالث في
تأصيل اللفظة إذ عُزي إلى الأزهري والفارسي ذهابهما مذهباً ثالثاً هو إنّ
(استكان استفعل) من (الكين) الذي فُسِّر تارة بأنه عجز الإنسان ومؤخره
فكان المستكين إنّما سُمّي بذلك لحنيه ذلك الموضع من جسده ^(٦)، وفُسِّر تارة
أخرى بلحم في باطن الفرج، فكان المستكين صار كالكين في الذلة واللين ^(٧)
واستحسن أبو حيان اشتقاق (استكان) من (الكين) مستدلاً بتصرف هذا

(١) نفسه ١٣٠/٢.

(٢) نفسه ٣١١/٢.

(٣) ينظر: رسالة الملائكة ٢١٥ والمحكم ٤٥٠/٦ ولسان العرب (سكن) والبحر المحيط ٧٥/٣.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٥٠٥/١ والكشاف ٣٨/٣-٣٩ والروض الأنف ٢٣٤-٢٣٥.

(٥) غرائب اللغة العربية ١٨٨.

(٦) ينظر: المحكم ٤٥٠/٦ والروض الأنف ٢٣٥/١ ولسان العرب (كين).

(٧) ينظر: شرح الشافية للرضي ٧٠/١ وشرح الجاربردي ٤٠/١.

الأصل في الكلام العربي اذ قالوا: " مات فلان بكيه سوء أي بحالة سوء وكأنه بكيه إذا أخضعه قال هذا الازهري وأبو علي ^(١) .

وقد أشارت كتب اللغة الى تصرف مشتقات (الكين) في العربية على سبيل المجاز فقل: (الكينة) وهي الحالة السيئة ^(٢) . ومن ثم يكون (استكان) على انه (استفعل) من الكين تعبيراً مجازياً، وهذا وحده يكفي لرد هذا الوجه الغريب على الرغم من بيان مناسبة الاشتقاق وسيله فيه. أما اشتقاق استكان من السكون فبعيد أيضاً لأن إشباع الحركات شاذ لا يركن إليه في تصريف الألفاظ، ثم إن المدّ ثابت في تصاريف اللفظة الأخرى، فسُمع (الاستكانة) والمستكين والمستكان له) وغير هذا فلا يكون الإشباع مطّرداً إلى هذا الحدّ، وإنما هو مقصور على لفظة ما في الشعر لأجل الوزن، وسريعاً ما تعود اللفظة الى هيأتها الأولى في الاستعمال إذا ما وردت في مشور الكلام أو جاءت في نظم لا تستدعي ضرورة فيه تغيير هيأتها، وليس عدم ثبات اشباع الحركات في التنزيل العزيز ان قيل: استكان، افتعل من السكون الدليل الوحيد على ضعف هذا الوجه، بل إن مناسبة الاشتقاق نفسه لا تعضده لأن التعبير القرآني استعمل مشتقات الأصل (سكن) بمعنى ثبوت الشيء بعد تحرك ^(٣) ، فيستعمل في الاستيطان كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿البقرة ٣٥﴾ واسم المكان مسكن، والجمع مساكن. والسكن: السكون وما يسكن إليه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ ﴿النحل ٨٠﴾، وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ ﴿التوبة ١٠٣﴾، وجعل الليل سَكَنًا ﴿الأنعام ٩٦﴾، والسكّين سُمّي لإزالته حركة المذبوح، والسكينة زوال الرعب، ومن المجاز مجيء اللفظة دالة على العوز كما في المسكين وعلى الذلة كما في المسكنة. وليس بين هذه المعاني ما يشبه دلالة الاستكانة الواردة في

(١) البحر المحيط ٧٥/٣ .

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٦٨/١ والصحاح (كين) ولسان العرب (كين) والمصباح المنير ٢٨٤ .

(٣) ينظر: المفردات ٤١٧ .

الآيتين المذكورتين آنفا. أي إن مناسبة الاشتقاق بين الاستكانة والسكون ليس بأحسن منها بين الاستكانة والكون فقد أوردت المعجمات عدة معان لمشتقات الجذر (كون) فجاء في العين أن الكَوْنُ: "الحدث، يكون من الناس، وقد يكون مصدراً من كان يكون، كقولهم: تعوذ بالله من الحور بعد الكَوْنِ أي نعوذ بالله من رجوع بعد أن كان؛ ومن نقص بعد كَوْنٍ. والكائنة أيضاً: الأمر الحادث. والكيونة في مصدر (كان يكون) أحسن"^(١).

ونقل صاحب التهذيب عن "ثعلب عن ابن الأعرابي: التَّكُونُ: التحرُّكُ، تقول العرب لمن تشنؤه: لا كان ولا تَكُونُ، ولا كان: لا خلق، ولا تَكُونُ: لا تحرك أي مات"^(٢). وإخراج (استكان) من باب الاستفعال من الكون أبين من إخراجهِ من باب الافتعال من السكون لأنَّ الاستفعال يفيد الدلالة على التصيير والانتقال من حال إلى أخرى، اذ قالوا: استحجر واستنوق وغيرهما، أي انتقل من حال إلى أخرى^(٣). فيكون معنى (وما استكانوا) في آية آل عمران أن الرِّبِّيْنِ لم ينتقلوا من كون هم فيه أقوياء أشداء على عدوهم إلى كون هم فيه ضعفاء خاضعون^(٤). ومجمل معنى آية آل عمران يصور حال المسلمين في معركة أحد إذ هو "تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم. حين أرادوا أن يعترضوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان"^(٥). وفي آية المؤمنون معنى الآية أن

(١) العين ٤١٠/٥ وينظر: تهذيب اللغة ٣٦٧ / ١٠.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٦٨ / ١.

(٣) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ١٨٧/٢ وشرح الشافية للرضي ٦٩/١ والبيان للعكبري ١٥٣/١ والبحر المحيط ٧٥/٣ وشرح الجاربردي ٤٠/١ وصفوة البيان ٧٠/٢.

(٤) النكت والعيون ٤٢٨/١.

(٥) الكشف ٤٥١/١ وينظر: المحرر الوجيز ٥٥٠/١.

الكافرين لم ينتقلوا من كون هم فيه متجبرون معاندون إلى كون هم فيه خاضعون منقادون لربهم.

١٤ - اسطاع

ورد الفعل (اسطاع) مسموعاً بعدة لغات في العربية منها (اسطاع واستاع) بوصل الهمزة و(أسطاع وأستاع) بقطعها^(١) وأشهرها لغتا التنزيل العزيز (اسطاع واستطاع) كما في قوله تعالى ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: ٩٧).

ولما ثبت عن العرب قطعهم الهمزة في (أسطاع وأستاع) اختلف في تأصيل اللغات الأربع (أسطاع وأستاع واسطاع واستاع) أمشعبة من السداسي (استطاع) وسينها سين الاستفعال، أم من الرباعي (أطاع) وسينها زائدة عوضاً من ذهاب حركة العين في الأصل (أطوع). فيسيويه ذهب إلى أن (أسطاع) بقطع الهمزة أصله (أطاع) من باب الإفعال ولما نقلت حركة عينه (الواو) في أطوع إلى فائه واعتلت عينه بقلبها الفاجيء بالسین عوضاً من ذهاب الحركة من العين فصار (أسطاع)، ومثله (أهراق) أصله (أروق) ثم (أراق) ثم (أهراق) فزادوا الهاء عوضاً من حركة العين وبقيت الهمزة مقطوعة في (أسطاع وأهراق) وحرف المضارع مضموماً في (يُسطيع ويُهريق) إشعاراً بأن أصلهما من باب الإفعال الذي تقطع همزة ماضية ويضم حرف مضارعه^(٢).

ولم أتبين مذهب سيبويه في (أستاع) ذي الهمزة المقطوعة و (اسطاع واستاع) بوصل الهمزة. ويبدو ان سيبويه ما كان ليرجع في تأصيل الخماسي

(١) ينظر: جامع البيان ٢٧/١٦ والبيان في غريب إعراب القرآن ١١٧/٢ وارتشاف الضرب ١٠٦/١.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٨/١٦ والبيان في غريب إعراب القرآن ١١٧/٢ وارتشاف الضرب ١٠٦/١.

(أسطاع) إلى الرباعي (أطاع) لولا انشغاله بتوجيه قطع الهمزة فيه، ولذا لا مناص من القول: إنه يؤصل (أستاع) من (أتاع) لغة في (أطاع) ثم يزيد السين فيه عوضاً من حركة العين. اما (اسطاع واستاع) بوصل الهمزة فليس ثمة داع يدعوه إلى إرجاعهما إلى بناء الرباعي (أفعل) بعد وصل الهمزة فيهما، وإنما هما لديه منشعبان من السداسي (استطاع) بحذف الطاء مرة والتاء مرة أخرى. وإلى هذا ذهب أكثر خالفي سيبويه^(١). لكن المبرد عارضه فعَدَّ السين في (أسطاع) زائدة ليست على سبيل العوض من حذف حركة العين لأن تلك الحركة منقولة إلى الفاء، ولا يعوض من شيء موجود لعدم جواز الجمع بين العوض والمعوض منه في لغة العرب^(٢).

وصحح ابن عصفور مذهب سيبويه لأنَّ "العين لما سكنت توهنت لسكونها وتهيأت للحذف عند سكون اللام، وذلك في نحو (لم يُطع) و (أطع) و (أطعت)، ففي هذا كله قد حذفت العين لالتقاء الساكنين، ولو كانت العين متحركة لم تحذف بل كنت تقول (لم يُطوع) و (أطوع) فزيدت السين لتكون عوضاً من العين متى حذفت"^(٣).

وخالف الفراء سيبويه فعَدَّ جميع هذه اللغات منشعبة من السداسي (استطاع) بحذف تاء الاستفعال مرة وفاء الأصل مرة أخرى طلباً للخفة لثقل اجتماع التاء والطاء لأنهما من مخرج واحد، وإنما قُطعت الهمزة في لغتين منها لأن العرب شبهت (اسطعت) بـ (أفعلت) عند حذف التاء أو الطاء اذ يقال: (أستعت وأسطعت) بوزن (أكرمت وأقبلت)، ولذا قُطعت الهمزة في (أسطاع وأستاع) كما قُطعت في (أكرم وأقبل) مراعاة لهذا الشبه. أما وصلها في

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٣٩٩/٢ ومعاني القرآن وإعرابه ٣١٢/٣ وإعراب القرآن للنحاس ١٨٧/٢ وسر صناعة الإعراب ٢١١/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ١١٧/٢ والممتع في التصريف ٢٢٢٤/١ - ٢٢٦ وارتشاف الضرب ١٠٦/١.

(٢) ينظر: المتع في التصريف ٢٢٤/١ وشرح الملوكي ٢٠٧ وشرح الجاربردي ٢٢٨. المتع في التصريف ٢٢٤/١.

اللغتين الأخيرين فمحمول على مراعاة الاختلاف بين (اسطاع واستاع) مجردين من ضمائر الرفع التي توجب إسقاط العين بين (أكرم وأقبل) فهذه رباعية وتلك خماسية، ولذا حملت الهمزة في (اسطاع واستاع) على أفعال بابي الافتعال و الانفعال فوصلت فيهما كما وصلت في أفعال هذين البابين ك (انتصر وانسلخ)^(١).

وعارض ابن عصفور مذهب الفراء بأن " هذا الذي ذهب إليه غير مرضي لأنه لو كان بقاؤه على وزن (أفعلت) بعد حذف التاء يوجب قطع همزته لما قالوا (اسطاع) بكسر الهمزة وجعلها للوصول"^(٢).

وسبقت الإشارة إلى إن الفراء لم يحمل اللغات الأربع على (أفعلت) المسند إلى ضمائر الرفع المتحركة وإنما حمل ما قطعت الهمزة فيه على (أفعلت) مسندا إلى تلك الضمائر، وما وصلت الهمزة فيه على (افتعل وانفعل) مجردين منها، فعلى هذا لا دليل لابن عصفور على فساد مذهب الفراء في هذه المسألة. ثم إن نظرة فاحصة في قوله تعالى (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) تنبئ برجحان مذهب الفراء إذ إن (اسطاع) منشعب من (استطاع) لا محالة، ولكن خُفِّفَ (اسطاع) بحذف تاء الاستفعال ليناسب خفة الجهد المبذول في ارتقاء الجدار إذا ما قُورن بالجهد المبذول في نقبه، ولا شك في عسر نقب الجدار ويسر ارتقائه، فعبر عن العسير بالثقل (استطاع)، وعن اليسير بالخفيف (اسطاع) فناسب كل لفظ معناه أيما مناسبة، وهذا من بديع النظم القرآني.

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ٢١٠/١ - ٢١٢ والممتع في التصريف ٢٢٦/١ وارتشاف الضرب ١٠٦/١.

(٢) المتع في التصريف ٢٢٦/١.

١٥ - الاسم

للعرب في نطق (اسم) لغات عدة، منها (اسم) كـ (جذع)، و (اسم) كـ (قفل) و (سم)، و (سم)، و (سم)، و (سمي)، و (سمي)، و (سمي)، واشهرها لغة التنزيل (اسم) كـ (جذع)^(١).

ويكتنف الغموض أمر لفظة (اسم) عند القدماء من علماء المدرستين، اختلفون في اشتقاقها إلى بصريين وكوفيين، كما ورد في الكتب المؤلفة في الخلاف بين علماء المدرستين وغيرها من كتب النحويين المتأخرين، أم لا خلاف بينهم فيها يستدعي ذهاب أهل البصرة في سبيل وذهب الكوفيين في أخرى؟، فكل المؤلفين في الخلاف بين البصريين والكوفيين أشاروا إلى اصطراعهما في اشتقاق (اسم) قائلين: "ذهب الكوفيون إلى ان الاسم مشتق من الوسم - وهي العلامة - وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو - وهو العلو -"^(٢). ولم تقف الإشارة إلى هذا الخلاف بين المدرستين عند هؤلاء بل تلحظ عند كثير من علماء العربية الذين خلفوا الانباري - صاحب أول مؤلف في الخلاف وصل إلينا^(٣). ولا يعني هذا أنه أول المصرحين بالخلاف بين البصريين والكوفيين في اشتقاق (اسم)، إذ تبين أن مكى القيسي أول من ذكر ذلك^(٤)، ثم ابن سيدة فابن الشجري^(٥)، فتلميذه الانباري، الذي نقل كثيراً من

(١) ينظر: أدب الكاتب ٤٦٤ والزاهر في معاني كلمات الناس ١٤٨/١ والمنصف ٦٠/١ والامالي الشجرية ٦٦/٢.

(٢) الانصاف ٦/١ وينظر: اسرار العربية ٤ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٢/١ والتبيين ١٣٢/١ والمتبع ١١٨/١ ومسائل خلافة ٥٨ وائتلاف النصرة ٢٧.

(٣) ينظر: شرح المفصل ٢٣/١ وشرح الملوكي ٤٠٤ وشرح الكافية ٢٥٨/٢ - ٢٥٩ ولسان العرب (سمو) والمجيد في إعراب القرآن ٩ وشرح التصريح ٧٤/١ والاشباه والنظائر ٣١٣/٣ وهمع الهوامع ٢٥٤/٦ وشرح الاشموني ٣٢/١ وحاشية الصبان ٥٧/١ وحاشية الخضري ١٨٩/٢.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٦٦/١.

(٥) ينظر: المخصص ٣١٤/١٧ والامالي الشجرية ٦٦/٢ - ٦٧.

تفصيلات هذه المسألة من أمالي شيخه دون نسبتها إليه. ونجد المسألة خلافية فردية قبل مكّي القيسي، إذ أشار الزجاج والرازي والزجاجي إلى أن أحدهم، ولم يسموه، كان يقول: اسم الشيء سمته، والدليل عليه^(١).

والبحث في هذه اللفظة يستدعي تحقيق نسبة كل رأي إلى صاحبه، نسبة يطمأن إليها، لأن الباحث فيها إن طلب رأي الكوفيين المنسوب إليهم في كتب المتأخرين لا يظفر به في كتب الأقدمين، بل لا يجد رأياً مثل هذا منسوباً إلى أحد من أئمتهم القدماء كالكسائي والفراء وثعلب وغيرهم. أما ما ذكره الانباري من قول نسبته إلى أبي العباس ثعلب: "الاسم سمة توضع على الشيء يعرف بها والأصل في اسم: وسم، إلا أنه حذفت منه الفاء التي هي الواو في "وسم" وزيدت الهمزة في أوله عوضاً عن المحذوف، ووزنه (اعل)"^(٢)، فالمأثور عنه عند من هم أقرب زمنياً إليه غير هذا، فقد أورد ابن جني اللغات المسموعة عن العرب في (اسم) فقال: "... وحدثنا أبو علي عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي أنه يقال: (سُمي) بوزن (هَدَى)"^(٣).

وفهم من هذه الرواية أن ثعلباً إنما حفظ عن السابقين (سُمي) ك (هَدَى) لغة في (اسم) لأنه مسلم بأن الاسم من (السمو) لا من (السمة) كما في قول الانباري، يعضد هذا أن المؤدب لما أورد تلك اللغات موجهاً اشتقاقها قال: "... وقال أحمد بن يحيى ثعلب - رحمه الله - : اسم بكسر الالف - مأخذه من: سميت أسمى. ومن قال: اسم - بضم الألف - فمأخذه من: سموت أسمى"^(٤). فهذا دليل بين على براءة ثعلب مما عزاه إليه الانباري، إذ لو كان ثعلب يرى أن الاسم مشتق من السمة لما وجه اشتقاق لغة من لغاته

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٩/١ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٧/٢ واشتقاق اسماء الله ٤٤٤.

(٢) الإنصاف ٦/١.

(٣) المنصف ٦٠/١.

(٤) دقائق التصريف ٥٢٠.

المسموعة من أصلٍ معتل اللام، فكيف وقد أجرى هذا الأصل في لغتين منها دون الإشارة إلى اشتقاقهما من أصلٍ معتل الفاء؟

لقد اعتمد بعض المتأخرين على هذا المأثور عن ثعلب فعدّوه موافقاً للبصريين في أخذهم الاسم من السمو^(١)، فمن أين تصدق دعوى الانباري هذه؟ أما الكسائي والفراء فلم يؤثر عنهما شيء مما قيل إنه خلاف بينهما وبين البصريين لا في كتبهما ولا في كتب أصحابهم الخالفين، فابن الانباري، وهو من متأخري أهل الكوفة لم يألف أصحابه مختلفين مع خصومهم في اشتقاق (اسم)، إذ اكتفى بذكر اللغات الواردة فيه عن العرب من دون الإشارة إلى أصل اشتقاقه والخلاف فيه^(٢). وأكثر المتقدمين من الذين عرضوا لهذه اللفظة بالبحث لم يشيروا إلى أنّ ثمة خلافاً بين العلماء في أصل اشتقاقها، فحديثهم كلّه فيها مقصور على إيراد لغاتها المسموعة من العرب، وهم مسلمون بأنّها من (السمو)، بل أن فريقاً من المتأخرين لم يلتفت إلى دعوى الانباري وصحبه في عد هذه المسألة خلافية مدرسية^(٣).

أما قول المبرد: "أما الاسم فقد اختلف فيه، فقال بعضهم: هو (فعل)، وقال بعضهم: هو (فعل) وأسماء تكون جمعاً لهذا وهذا، تقول في جذع: أجذاع كما تقول في قُفل: أقفال"^(٤). فليس فيه أية إشارة إلى الخلاف في أصل اشتقاق الاسم، من السمو هو أم من الوسم والسمة؟ وإنما قصد المبرد الخلاف

(١) ينظر: تفسير الرازي ١٤٤/١ - ١٤٥ وتذكرة النحاة ٢٤.

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١٤٨/١.

(٣) ينظر: العين ٧١٨/٧ والكتاب ٤٥٤/٣ - ٤٥٥ وأدب الكاتب ٢٢٧ والمقتضب ٢٢٩/١ وجمهرة اللغة ٥٣/٣ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٧/٢ وإعراب ثلاثين سورة ١٠ وتهذيب اللغة ١١٥/٨٣ والتصريف الملوكي ٦٤ - ٦٥ والمنصف ٥٨/١ - ٦٠ والصاحبي ٥٧ والمقاييس ٩٨/٣ والصحاح ٢٣٨٣/٦ ورسالة الملائكة ١٢٨ - ١٣٠ والكشاف ٣٤/١ والمرتل ٦ والإيضاح في شرح الفصل ٦٣/١ وعمدة القاري ١٥٤/٢.

(٤) المقتضب ٢٢٩/١ وينظر: الأصول ٣٢٢/٣ والصحاح (سمو).

في تقدير المفرد، (سُمُو) ك (قُفُل) هو ام (سِمُو) ك (جذع)؟ ولا شك في أن حديثه هذا معقود لبيان اللغات الواردة في (اسم) واختلاف العرب في نطقه مفرداً، فذكر اثنين منها وتنصل عن ذكر الأخريات، ولو أراد المبرد الخلاف في اشتقاق الاسم كما جاء عند الانباري وصحبه لما عد (أسماء) جمعاً لما يشتق من السمو والسمة معا.

وأكثر المحدثين مسلمون بان علماء المدرستين اختلفوا في اشتقاق (اسم) متابعين الانباري وصحبه في دعواهم هذه^(١). لكن الأستاذ محمد خير الحلواني لم يلتفت إلى تلك الدعوى بل راح يبحث عن الحقيقة في مظان القدماء، فتبين له أن المسألة ليست خلافية البتة، وإنما البصريون والكوفيون متفقون على أن الاسم من (السمو)^(٢).

ويمكن القول: إن المسألة ليست بهذا الحجم من الخلاف كما ذكرها الانباري وصحبه ومن سار في ركبهم، فأبو حاتم الرازي المعروف بقرب زمنه من المبرد وثعلب، لم يألّفهما مختلفين في اشتقاق اسم من (السمو)، إذ قال: "الاسم مأخوذ من (السمو) وهو العلو والرفعة. والأصل فيه (سمو) بالواو على وزن حمل وجمعه أسماء، مثل: قنو وأقناء وإنما جعل الاسم تنويهاً بالدلالة على معنى الاسم، لان المعنى تحت الاسم هذا قول النحويين"^(٣).

(١) ينظر: الاشتقاق (ترزى) ١٢٤ ومن تاريخ النحو ١٦٢ - ١٦٤ ومدرسة الكوفة ٣٨٣ والمدارس النحوية (خديجة) ٨١ والمدخل إلى دراسة النحو العربي ٦٩ وفي الصرف العربي ٢٥٧ ومدرسة البصرة ١٢٩ وابن الانباري ١٤٢ والمبرد حياته واثاره ٣٧ وابن الخشاب ١٤٧ والدراسات الصرفية عند العرب ٢٦٦ والخلاف الصرفي في العربية ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) ينظر: الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين ١١٤ - ١١٥ والإنصاف والخلاف بين المذهبين ١٢٤.

(٣) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٧/٢.

والزجاجي الذي عرف عنه خلطه المذهبين، والاطلاع على كل دقائقهما لم يعلم " خلافاً محصلاً مستنداً إلى من يوثق به " ^(١) بين البصريين والكوفيين في اشتقاق اسم من (السمو).

وعلى الرغم من ذلك ثمة إشارات واضحة عن الزجاج والرازي والزجاجي إلى أن أحدهم ذهب إلى أن الاسم من (السمة) ^(٢). وإنما وردت تلك الإشارات عندهم في عرضهم أقوال العلماء، التي اختلفت أيما اختلاف، في علة حذف الهمزة من (اسم)، إذا خُفِضَ بالياء وأضيف إلى لفظ الجلالة (الله) نحو: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فالكسائي وجه حذفها من هذا الكلام بأنه " استعمل في التوجع والتعجب وعرف مكانه فحذف " ^(٣). والفراء وجهه بـ " أنها في صدر كل سورة فكثرت مع هذا على ألسنتهم فاستخفوا حذفها، لأنها وقعت في موضع معروف لا يجهل القارئ معناه ولا يحتاج إلى قراءته " ^(٤). ونُقل عن الاخفش بأن الباء لا يوقف عليها فكأنها والاسم شيء واحد. وقال آخر: إن حذفت الألف فهو رد إلى الأصل، إذ ادخلوا الألف عماداً، لأن الاسم من أصل ناقص، وأصله حرفان فضم إليهما الألف ليكون تاماً ^(٥). " وقال آخر: اسم الشيء سمته والدليل عليه، فالألف زائدة فيه، وأصله حرفان (سم) و (سم) وهما لغتان... فزيدت الألف في الابتداء إعماداً له وتتميماً ^(٦).

(١) اشتقاق اسماء الله ٤٤٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٩/١ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٦/٢ - ٧ واشتقاق اسماء الله ٤٤٤.

(٣) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٦/٢.

(٤) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٦/٢.

(٥) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٦/٢.

(٦) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٦/٢ - ٧.

ويفهم مما سبق أنّ من ذهب إلى أن اسم الشيء هو سمته والدليل عليه، إنّما قاده إلى هذا تسابق العلماء في توجيه حذف الهمزة، وليس ثمة خلاف حقيقي بينهم في أصل اشتقاق الاسم من أصل معتل اللام لا الفاء، فهذا لما رأى قول بعضهم الاسم: أصله سِم منقوص من (السموّ)، ادعى أن (سِم) من (السمة) وأصله حرفان لا ثالث لهما، ظنا منه أن (السمة) من أصل ثنائي لا ثلاثي، ولو علم هذا أن (السمة) من (الوسم) لما عمد إلى هذا القول المنبئ بضعف ظاهر في أحكام التصريف، وما أحسب أحداً من الكوفيين الثقات قاله، وإنّما هو من مغموريهم، يعضد ذلك أن الزجاجي لم يعلم ثقة خرج على إجماع العلماء على أن الاسم من (السمو)^(١)، فكأنّ هذا ليس بثقة عنده، بل لم يعرف اسمه واسم من نقل مذهبه، وإنّما قال: "وقد حكى أنّ بعضهم يذهب إلى أن أصله من وسمت كأنه جعل سمة للمسمى"^(٢).

أي أن الخلاف في هذه المسألة هو خلاف في الفروع بل في فروع الفروع وليس في أصل اشتقاق الاسم؛ أمن السمو هو أم من الوسم؟ كما ذكر الانباري وصحبه أن المسألة غاية في الخلاف. فمضوا يعرضون أدلة الفريقين على مذهبيهما^(٣). تلك الأدلة التي اتسعت أيما اتساع وتشتت سبلها بين الصرف والدلالة والسمع والمنطق، حتى صار أمر إدراكها عسيراً على الباحثين والدارسين، ولو اكتفى بالتصغير (سَمِيّ) والجمع (أسماء) على دفع مذهب من قال: الاسم من (السمة) لكان انفع وأكثر مناسبة. على أن الدرس المقارن بين الساميات نحاً يبحثه لفظة (اسم) منحى جديداً فأخرجها من الثنائي السامي القديم "لأنّ" مقارنة اللغات السامية تدل على إن هذه الكلمة مع كلمات أخرى كثيرة مثل (يد) و(دم) ذات أصل ثنائي فهذه الكلمة في العبرية

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله ٤٤٤.

(٢) اشتقاق أسماء الله ٤٤٤.

(٣) ينظر: الإنصاف ١/١-١٠ والتبيين ١٣٢-١٣٧ وائتلاف النصرة ٢٧-٢٨ وجمع الهوامع

٢٤٨/٦-٢٥٤.

(شَم sem) وفي الآرامية (شما sma) والألف الأخيرة فيها أداة التعريف، وفي الحبشية (سَم sem) وفي الأكادية (شَم sumu)^(١). وهذا التأصيل لألفاظ العربية يشمل كل ما اشتق من أصل ناقص أي معتل اللام سواء كان ناقصا واويا أم يائيا فحرف العلة في آخر (سما يسمو) - الأصل الذي اشتق منه الاسم - هو في الدرس الصوتي الحديث حركة طويلة وليس لاما للفعل، ذلك أن الأصل هو (سَمَو يَسْمُو) وسقطت الواو تخلصا من المزدوج الصوتي في المقطع الأخير، ثم اتحدت فتحتا العين واللام في الماضي لتشكلا صائتا طويلا هو الألف كما في التشكيل:

س - م - و - = س - م - -- = سما.

أما في المضارع فإن الواو لما سقطت من المقطع الأخير اتحدت حركتا اللام والعين وهما ضمتان ثانيتها مقدرة للثقل فشكلتا واوا مديّة هي حركة طويلة حُرّكت بها عين الكلمة كما في التشكيل:

ي - س / م - و - = ي - س / م - -- = يَسْمُو.

والمحصل بعد حذف اللام من هذه الأصول أصل ثنائي يوزن بحسب نطقه (سما) وزنه (فعا) و(يسمو) وزنه (يفعو) واسم وزنه (افع) لكن العربية لما كانت لغة تصريفية واشتقاقية كشفت لنا عما يثلث مثل هذه الأصول الثنائية إذ سرعان ما يرد المحذوف إلى أصله عند التخلص من المزدوج الصوتي الذي سبب ثقلا نطقيا سقطت لأجل التخلص منه قاعدة المقطع الثقيل، وذلك عند الإسناد إلى الضمائر إذ ترد اللام إلى موضعها فيقال: سموت سمونا سمون ويسمون وتسمون، ونحو هذا مما ليس له نظير في اللغات السامية التي تفتقر إلى خصيصة الاشتقاق وظاهرة التصريف فحكم فيها على ظاهر الألفاظ بأنها ثنائية لعدم قيام الدليل فيها على غير ذلك بخلاف العربية التي تظهر نظائر الاشتقاق فيها أنها ألفاظ ثلاثية في الأصل. فينبغي إذن أن يستدل بما في العربية

(١) فصول في فقه اللغة ٤٩.

على تأصيل تلك الألفاظ الثنائية في الساميات لا أن يعكس الأمر فيحكم النطق السامي الجامد لهذه الألفاظ في تأصيل اللفظ العربي المتصرف المتمكن في الاشتقاق.

١٦- أَشَدُّه

اختلف في تقدير مفرد الجمع (أشدّ) في نحو قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥)، فأثر عنهم عدة مذاهب هي:

١- ذهب سيويوه^(١) إلى إنه جمع بوزن (أفعل) ومفرده (شدّة) بزنة (فعلّة) وهو جمع قليل عزيز لأنّ (أفعل) لا يطرد في (فعلّة) وإنما في (فعل) صحيح الفاء والعين كـ (فلس أفلس) و (حرف أحرف). وروى الأزهري^(٢) هذا القول عن أبي الهيثم الرازي وهو من فصحاء العرب. ومما سمع نحو هذا الجمع العزيز قولهم: (قصة أقصص) و (نعمة أنعم). ووجه ابن جني مذهب سيويوه هذا قائلا: "كأنه كسر (شدّة) على (أشدّ) بحذف الزائد وهو تاء التأنيث ولما حذف التاء وبقي الاسم على (شدّ) بزنة (فعل) ساغ تكسيره على (أفعل) كما قالوا: (ذئب وأذؤب، وقطع وأقطع).

(١) ينظر: الكتاب ٥٨١/٣ - ٥٨٢ والخصائص ١٢٠/٣ - ١٢١ والنكت في تفسير كتاب سيويوه ١٠٠٠/٢.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٨٣/١١ ولسان العرب (شدد).

٢- ذهب الكسائي^(١) الى أن (أشدّ) جمع بزنة (أفعل) ومفرده (شدّ) بزنة (فعل)، أي إنه جمع مقيس لا شاذّ، ومثله (قدّ وأقّد) و (ضَبّ وأضَبّ)، وقد سمع المفرد (شدّ) في قول عنتره^(٢):

عهدي به شدّ النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالعظم
وعزي هذا المذهب إلى الفراء أيضا كما في قول الرازي: "قال الليث:
الأشدّ مبلغ الرجل الحكمة والمعرفة. قال الفراء: الأشدّ وأحدّه اشدّ في
القياس، ولم أسمع لها بواحد"^(٣). وعورض هذا المذهب بأن (شدّ) في قول
عنتره روي بكسر فائه وهذا يعني أنه مخفّف من (شدة) لأجل الوزن^(٤).

٣- ذهب أبو عبيدة التيمي إلى إنّ (أشدّ) جمع لا واحد له من لفظه^(٥)
وعورض هذا بعدم النظر، إذ لم يرد جمع على أفعل لا واحد له من لفظه
وإنما وردت جموع قليلة من أبنية الكثرة قيل فيها: إنها لا واحد لها كعباديد
وشمايط، ولا يصح حمل (أشدّ) عليها لبعدها المناسبة بين الجانبين ولعدم ثبات
كونها جموعاً لا واحد لها، إذ قيل فيها أقوال أخرى غير هذا^(٦).

وذكر المعجميون أن الأشدّ جمع يدلّ على بلوغ الرجل الحنكة
والمعرفة^(٧)، وهذا البلوغ لا يكون إلا متتابعاً خطوة فآخرى أي إن الانتقال من
مرحلة عمرية إلى أخرى أكثر قوة تسمى شدة بفتح الفاء، والفتى يمر بهذه

(١) ينظر: مجاز القرآن ١٣٢/٢ ومشكل إعراب القرآن ٥٤٢/٢.

(٢) ديوانه ٢١٣.

(٣) تفسير الرازي ١٧٩/١٣.

(٤) شرح اللمع ٥٦٥/٢.

(٥) ينظر: مجاز القرآن ٣٠٥/١ و ٣٧٨ و ٩٩/٢ وتفسير غريب القرآن ٢١٥ والمجموع بالمغيث ٩٨/١.

(٦) ينظر: إعراب النحاس ١٣٥/٢ وشرح اللمع ٥٦٥/٢ والجامع لأحكام القرآن ١٣٩/٧
وتحفة الأريب ١٤٩ وإرشاد الساري ١٧٤/٧.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة ١٨٣/١١ والصحاح (شدد) ولسان العرب (شدد).

المراحل متعاقبة حتى يبلغ منتهاها وحين ذاك يقال: بلغ أشده أي ليس أمامه ما يشتد به أكثر لأنه قد بلغ الذروة في الشدة سواء كانت تلك الشدة جسمانية أم عقلية، وبهذا المعنى استعمل التعبير القرآني (بلغ أشده)، فقوله تعالى في قصة يوسف (عليه السلام): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ معناه الإدراك والبلوغ، وحينئذ راودته امرأة العزيز عن نفسه. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، معناه احفظوا عليه ماله حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده فادفعوا إليه ماله وبلوغه أشده أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغاً^(١). وقوله في قصة موسى (عليه السلام): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾، فإنه قرن بلوغ الأشد بالاستواء، وهو أن يجتمع أمره وقوته ويكتهل وينتهي شبابه^(٢). ولذا يكون (أشد) جمعا للمفرد (شدة) وهو أقرب إلى القياس من سائر المفردات، وسيأتي تقدير مفرد الجمع (أنعم) على هذه الشاكلة.

١٧ - أشياء

لما وردت لفظة (أشياء) ممنوعة من الصرف في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿المائدة ١٠١﴾ كثر القول في علة منعها من الصرف وفي وزنها. وكان للعلماء فيها أقوال جمّة على مدى اثني عشر قرناً من عمر الزمن بدءاً بالخليل بن أحمد الفراهيدي وانتهاءً بأيامنا هذه. ويمكن تقسيم العلماء الذين عرفت لهم آراء في وزن لفظة (أشياء) وفي علة منعها من الصرف على ثلاث فئات بحسب طبيعة آرائهم:

(١) مجاز القرآن ٣٠٥/١ ومعاني القرآن للنحاس ١٦٤/٥ ومعاني القرآن وإعرابه ٣٠٥/٣.

(٢) تفسير الرازي ٥٣١/٢٧.

الفئة الأولى

رأت أن في (أشياء) قلباً مكانياً، وأوّل من قال بهذا الخليل الذي رأى أن (أشياء) وزنها (لَفْعاء) وأصلها (شَيْئاء) بوزن (فَعْلَاء) فقَدِمَت اللام على عين الكلمة وفائها، وكان منعها من الصرف لزيادة الألف والهمزة في آخرها و (أشياء) عنده اسم جمع واحده (شيء)، ولو لم يكن فيها قلب مكاني لكان منعها من الصرف من دون علة^(١) وإلى هذا ذهب البصريون جميعهم إلا الاخفش الأوسط الذي ذهب مذهباً آخر في (أشياء)، والزيادي الذي سار مع الأخفش في مذهبه هذا. ولم يلتفت المؤلفون إلى خروج الاخفش والزيادي عن إجماع البصريين فعدّوا هذا مذهب البصريين جميعهم، إذ قال الأنباري: " وذهب البصريون إلى إنَّ وزنه (لَفْعاء)، والأصل (فَعْلَاء)^(٢)، ونقل الزبيدي الشرجي كلمات الأنباري نفسها من دون الإشارة إلى مذهب الأخفش وصاحبه^(٣). وأثبت البصريون زنة (لَفْعاء) هذه إلى الخليل، وشايعوه فيها، فقال سيبويه في موضع من كتابه: " وزعم الخليل أن (أشياء) مقلوبة كَقَسِي^(٤). وقال في موضع آخر: " وكان أصل (أشياء): (شَيْئاء)^(٥). وذكر المازني أن الخليل قال: " (أشياء: فعلاء) مقلوبة وكان أصلها شَيْئاء مثل حمراء، فقلب، فجعل الهمزة التي لام أولاً، فقال (أشياء) كأنها لَفْعاء^(٦). وقال المبرد: " (أشياء) في قول الخليل إنما هي عنده فعلاء وكان أصلها شَيْئاء... فكروها همزتين بينهما ألف فقلبوا... فصارت اللام التي هي همزة

(١) ينظر: العين ٢٩٥/٧ - ٢٩٧ والكتاب ٥٦٤/٣، ٣٨٠/٤ والمقتضب ٣٠/١ والتكملة ٣٢٨

- ٣٣٠ والمنصف ٩٤/٢، ١٠١.

(٢) الإنصاف ٨١٠/٢.

(٣) ينظر: ائتلاف النصرة ٨٥.

(٤) الكتاب ٥٦٤/٣.

(٥) الكتاب ٣٨٠/٤.

(٦) المنصف ٩٤/٢، وينظر: أبو عثمان المازني ٣١.

في أوله فصار تقديره من الفعل (لفعاء)، ولذلك لم ينصرف^(١). وعلى هذا سار أكثر العلماء المتأخرين ناسبين هذا الرأي إلى الخليل، معتدين به أيما اعتداد^(٢).

وفي كتاب العين المطبوع أقوال متضاربة في كلمة (أشياء)، والمؤلف يدافع عن أقوال لا علاقة للخليل بها، ولم ينسبها أحد إليه، وأشار المحققان إلى ذلك، وبينّا أن قول الخليل المشهور سقط من الأصول فاضطراً إلى نقله من كتاب التهذيب للأزهري لأنه أشهر من أن يشك فيه^(٣). وتبين للدكتور هاشم طه شلاش (رحمه الله) أن أبا منصور الأزهري لم ينقل رأي الخليل من كتاب العين، لأن صاحبه "حكى عن الخليل غير ما حكى عنه الثقات وخلط فيما حكى وطول تطويلاً يدل على حيرته"^(٤).

وممن ادعى القلب المكاني في (أشياء) الباحث العراقي سالم جاري، الذي رأى "أن أشياء جمع وأصلها (أشايئ) على وزن (أفاعل) وهي جمع مفردة (شيء) كما جمع (رھط) على (أراھط) و (حظّ) على (أحاظّ)، فهذه وغيرها من شواذ الجمع على ما ذكره سيبويه والمؤدّب وابن الحاجب وغيرهم. ولما التقت الياء والهمزة في الطرف وقبلهما ألف زائدة قدّمت على ألف الجمع فقليل: (أشياء) على (أفعال) قلباً، ومُنعت من الصرف نظراً إلى الأصل، لأنّ (أفاعل) غير منصرف، وإنما قدّمت الياء على الألف لثلاث يحصل لها ما حصل لـ (خطايا) و (برايا) إذ كانتا (خطايئ) و (برايئ) ثم أبدلت الياء همزة فحصل لها من التخفيف ما هو معروف في باب الإعلال، أمّا قول

(١) المقتضب ٣٠/١.

(٢) ينظر: التكملة ٣٢٨ - ٣٣٠ والمنصف ٩٤/٢ والإنصاف ٨١٠/٢ والممتع في التصريف ٥١٣/٢ والروض الأنف ٣٧٠/٢ والتسهيل ٢٨٠ وشرح الشافية للرضي ٢٩/١ - ٣٠ وشرح نقرة كار ١٣.

(٣) ما قيل في كلمة (أشياء) ص ٦٠ - ٦١ (بحث).

(٤) تهذيب اللغة ٤٤/١١، وينظر: ما قيل في كلمة أشياء ص ٦١.

العرب: (أشايا) بمعنى (أشياء) فهو عندي (أشائي) فحصل لها ما حصل لـ (خطائي) و (برائي) " (١). وهذا الرأي مردود بأمرين: (الأول): إن (أفاعل) ليس بجمع (فعل) بل هو مسموع جمعا لجموع القلة (أفعال وأفعل وأفعلة). وما قيل في شذوذ نحو (أراهط) لا يُسلم به، إذ هو شبه مقيس في (أرهاط) و (أرهط) جمعي (رهط). فعلى هذا لا شذوذ في هذه الجموع، ثم لا شذوذ في (أشياء)، إذ هو جمع (شيء)، والآخر: إن دعوى القلب في قوله هذا يلزم منها أن يكون كل ما سُمع فيه (أفعال) و (أفاعل) يكون (أفعال) فيه مقلوباً من (أفاعل) وهذا لا يقول به أحد.

الفئة الثانية:

رأت أن في (أشياء) حذفاً، لكنهم اختلفوا في تقدير ذلك المحذوف، فمن القدماء ذهب الفراء إلى " أن أشياء جمعت على أفعلاء، كما جمع لبن ألباء، فحذف من وسط (أشياء) همزة كان ينبغي لها أن تكون (أشياء) فحذفت الهمزة لكثرتها " (٢).

ويفهم من هذا أن الفراء يرى التخفيف بالحذف واقعا في المفرد والجمع ف (شيء) عنده أصله (شيئ) و (أشياء) أصلها (أشياء) فخفف المفرد من (فيعل) إلى (فعل)، وخفف الجمع من (أفعلاء) إلى (أفعاء) بعد حذف ياء (فيعل) ولام (أفعلاء)، ولما ذهب الفراء إلى هذه الزنة في كتابه (معاني القرآن) أثبت لها أكثر خالفه (٣)، وورد هذا الرأي في كتاب العين من دون عزو إلى أحد، إذ قال صاحب العين: " أصل بناء شيء: شيئ بوزن فيعل، ولكنهم

(١) ابن مالك صرفيا ١٨٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٢/١.

(٣) ينظر أدب الكاتب ٢٨٤ وتهذيب اللغة ٤٤٠/١١ والمنصف ٩٦/٢ - ٩٩ ومشكل إعراب القرآن ٣٩/١ وشرح الشافية للرضي ٢٩/١ ولسان العرب ٩٩/١ والمبدع في التصريف ١٩٥ والأشباه والنظائر ١٠٤/٤.

اجتمعوا قاطبة على التخفيف، كما اجتمعوا على تخفيف (ميت) فلما كان الشيء مخففاً.... جمع على (أفعاء)^(١) فخفف جماعته كما خفف وحدانه، ولم يقولوا: أشياء ولكن أشياء^(٢). ولا شك في أن هذا مما زيد على كتاب العين بعد وفاة الخليل. وإنما لزم التخفيف في المفرد والجمع، على هذا الرأي، لأمرين: أحدهما: تقارب الهمزتين، لأن الالف بينهما... حاجز غير حصين والآخر: إن الكلمة جمع يستقل فيه ما لا يستقل في المفرد فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف^(٣). وعزا الانباري والزيدي مذهب الفراء إلى الكوفيين مدرسة^(٤).

ومن القدماء الذين رأوا الحذف في (أشياء) الأخفش الذي رأى أن (أشياء) جمع مفردة بوزن (فعل)، وليس بمخفف من (شيئ) كما ذهب الفراء^(٥). وأول من ذكر هذه الوجه سيويه ولم ينسبه إلى الأخفش^(٦)، وأول من صرح بنسبتها إليه المازني الذي قال "وكان أبو الحسن يقول: أشياء (أفعلاء) وجمع (شيء) عليه، كما جمع شاعر على شعراء، ولكنهم حذفوا الهمزة التي هي لام الفعل استخفافاً، وكان الاصل: (أشياء) فثقل هذا فحذفوا"^(٧).

ولم يجد رأي الأخفش هذا قبولا واسعاً لدى البصريين الذين انشغلوا عنه بقول الخليل خلا ما قاله الزجاج: "وقول الخليل هو مذهب سيويه وأبي

(١) في الاصل (فعلاء) وهو غير موجه لقوله بعده "ولم يقولوا (أشياء) ولكن أشياء".

(٢) العين ٢٩٦/٦.

(٣) ينظر: شرح الشافية للرضي ٢٩/١.

(٤) ينظر: الإنصاف ٨١٢/٢ وائتلاف النصرة ٨٥.

(٥) ينظر: المقتضب ٣٠/١ والتكملة ٣٢٨ - ٣٣٠ والمنصف ٩٤/٢، ١٠١.

(٦) ينظر: الكتاب ٥٦٤/٣.

(٧) المنصف ٦٤/٢.

عثمان المازني وجميع البصريين الا الزيادي منهم فإنه كان يميل إلى قول الأخفش^(١).

ولما لم يتأمل الباحث ناصر العيشي قول أبي علي الفارسي: "وقد قيل في أشياء قول آخر، وهو أن يكون أفعلاء، ونظيره سمح وسمحاء، قال أحمد بن يحيى: رجال سمحاء، والواحد سمح، قال: ونسوة سماح لا غير. فأصل الكلمة على هذا القول: أفعلاء وحذفت الهمزة"^(٢)، فهم منه أن الفارسي عدّ ثعلبا موافقاً للأخفش^(٣). وانما أورد الفارسي قول ثعلب (سمح سمحاء) عرضاً، لإيضاح رأي الأخفش، الذي جمع (شيء) بوزن (فعل) على (أشياء) بوزن (أفعلاء) شذوذاً كما شذّ (فُعلاء) في (فعل) فقالوا: سمح سمحاء. وكان المازني قد نظر (شيء أشياء) في قوله المذكور سابقاً بـ (شاعر شعراء)، ولا شك في ان تنظير الفارسي أبين من تنظير المازني، لمجيء المفردين على (فعل). ولما جهد الفارسي نفسه في توجيه مذهب الأخفش ظنّ العيشي ايضاً انه تابعه، ولا تظهر متابعة الفارسي للأخفش من قوله الوارد في كتاب التكملة. ولئن جهد الفارسي نفسه في توجيه مذهب الأخفش فقد جهدها أكثر وهو يوجه مذهب الخليل^(٤).

وثمة رأي آخر ورد في كتب القدماء من دون نسبة إلى أحد، ذهب فيه إلى إقرار الحذف في (أشياء) ووصف بأنه يختلف عما أثير عن الأخفش في زنة (أشياء)، ويعد مكّي القيسي أول من أشار اليه، اذ قال بعد فراغه من ذكر المذاهب كلّها: "وقال بعض أهل النظر: أشياء أصلها أشياء على وزن أفعلاء، كقول الأخفش الا ان واحداً فعيل، كصديق وأصدقاء، فأعلّ على ما تقدّم

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٣٣.

(٢) التكملة ٣٢٩.

(٣) ينظر: الخلاف الصرفي في العربية ٨٣.

(٤) ينظر: التكملة ٣٢٨ - ٣٣٠ والخلاف الصرفي في العربية ٨٣.

من تخفيف الهمزة ^(١) ثم استحسنه قائلًا: "وهذا قول حسن جار في الجمع وترك الصرف على القياس" ^(٢). يريد أن (فعيل) يطرد جمعه على (أفعلاء) إن كان معتل الآخر أو مهموزه كـ (وليّ أولياء) و (قويّ أقوياء) و (بريء أبرياء)، و (شيء) في الأصل (شيئ على فعيل) مهموز اللام. وذكر أبو حيان هذا الرأي بعده ذكره الآراء الثلاثة، ناسبا إياه إلى قوم لم يسمهم فقال: "ثم حذفت الهمزة الأولى وفتحت ياء المد لتكون ما بعدها الفاء، ووزنها في هذا القول (أفياء)" ^(٣).

وليس وزن (أشياء) - في هذا المذهب - (أفياء) لان الجمع (أشيئاء) كـ (أصدقاء) حذفت منه ياء المفرد (فعيل) ابتداء، ولما حذفت الهمزة الأولى (اللام) تخفيفا وفتحت الياء (العين) لأجل الألف فصار (أشياء) بوزن (أفعاء) لا (أفياء). وأغلب الظن أن (أفياء) تصحيف وقع في تفسير البحر المحيط، ولم يقل به أبو حيان، يعضد هذا أن ابن أبي الطيب الفاسي نقل كثيرا من كلام أبي حيان في هذا المذهب عادة إياه مذهباً خامساً ذاكراً أن زنة (أشياء) على وفقه (أفعاء)، من دون الإشارة إلى أي خلط أو اضطراب في الزنة وقع فيهما أبو حيان ^(٤).

ويمكن القول: إن ما أشار إليه العلماء الثلاثة: القيسي وأبو حيان والفاسي، من وجود مذهب خامس في (أشياء) لا أساس له من الصحة، وإنما هو قول الفراء، ولكنهم لم يتيبنوا مذهب الفراء وصحبه الكوفيين في زنة نحو (سيد وميت)، ومن ثم حكموا على أن (شيء وأشياء) كـ (صديق، أصدقاء) مذهب خامس، وليس كذلك، لأن وزن نحو (سيد وميت وشيء) في مذهب الكوفيين (فعيل) كـ (صديق)، ثم قُدمت الياء وأُخرت العين فصار

(١) مشكل إعراب القرآن ٢٤٠/١.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢٤٠/١.

(٣) البحر المحيط ٢٨/٤.

(٤) ينظر: إضاءة الراموس ٦٢٤/١.

(فيعل)، وأدغمت الياء الزائدة بالعين^(١). ولذا أشار ابن جني لما فسر مذهب الفراء إلى أن (شيء) في مذهبه مخفف من (شيء) بوزن (فيعل) وأصله (شيئ) بوزن (فعل) كـ (صديق)^(٢).

ولم يلتفت باحثون كثير إلى عدم أصالة المذهب الخامس، هذا بل لم يلتفتوا إلى حكاية القيسي وأبي حيان والفاسي له عن القدماء، ولذا ذكر الدكتور مصطفى جواد قولاً في (أشياء) لا يختلف في أي شيء عنه مدعياً سبقه إليه وريادته فيه، ثم أثبتته إليه فريق من تابعيه من دون نظر في المأثور القديم الذي لا يثبت لجواد فضل مزية فيما ادّعاه^(٣).

وللدكتور رشيد العبيدي رأى يندرج في هذه الفئة قال فيه "إن أشياء مفردتها (شيئ) كما هو مذهب جواد ولكنها لم تجمع (أشياء) بهمزتين وإنما جمعت (أشياء) بيائين متحركين أولاهما مكسورة والثانية مفتوحة فخذوا الزائدة منهما وهي ياء فعيل تخلصاً من الثقل الحاصل من اجتماع ياءين متحركين فصار أشياء ومثالها من الصحيح (نبي) وجمعه على (أنبياء) ومنعت من الصرف عندئذ لأن أفعلاء غير منصرف"^(٤).

وهذا القول لا يخلو من التسمح إذ إن الجمع (أفعلاء) يطرد في (فعل) إن كان مضعفاً أو معتل اللام أو مهموزها ولا وجود لياء فعيل في الجمع (أفعلاء) لأن فعلاً إن كُسّر على أفعلاء تسقط ياؤه الزائدة ابتداء نحو (شديد أشداء وقوي أقوياء وبريء أبرياء) ولذا لا وجه لقول الدكتور العبيدي: "حذفت الزائدة منهما وهي ياء (فعل) لأن ياء (أشياء) كلاهما أصل وأولاهما عين (شيء) وثانيهما مخففة من همزة (شيء) التي هي لام (أفعلاء).

(١) ينظر: الكتاب ٣٧١/٢ والإنصاف ٧٩٦/٢ والممتع في التصريف ٤٩٨/٢ - ٤٩٩.

(٢) ينظر: المنصف ٩٧/٢.

(٣) ينظر تاج العروس ٢٢٦/١ (الهامش) وقل ولا تقل ١٢٩ وأبو عثمان المازني ١٣٢ وما

قل في كلمة أشياء ١٦٧ وابن مالك صرفياً ٨٠ والخلاف الصرفي في العربية ٩١.

(٤) أبو عثمان المازني ١٣٢.

ولو قال العبيدي حذفت الياء الأولى التي هي عين (شيئ) من (أشياء) فصار (أشياء) بزنة (أفلاء) لكان في هذا فرق عن قول الفراء وجواد، ولو أقرّ الحذف في ياء (أشياء) الثانية لكان قد سار في ركبهما، لكنه اختلف عنهما في تخفيف همزة (أشياء) الأولى ياء قبل حذفها.

أما حجج الداهيين إلى وجود الحذف في أصل (أشياء) فهي منع أشياء من الصرف دلّ على زيادة الالف والهمزة في آخرها فهي في الأصل (أفعلاء). و (أشياء) حذفت لأمه تخفيفا لتقارب الهمزتين في جمع يستثقل فيه ما لا يستثقل في غيره^(١). وأضيف إليها العدد مؤنثا فقالوا: ثلاثة أشياء، فهذا كقوله تعالى: (ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ) ﴿البقرة: ٢٢٨﴾، أي ان أشياء جمع حقيقي لا اسم جمع^(٢).

وأنكر هذا المذهب بأدلة منها تصغير (أشياء) على (أشيَاء) دلّ على إنها صُغِرَتْ على لفظها، فهذا مثل (صحراء صُحِرَاء) وما جُمع على (أفعلاء) لا يصغر على لفظه، وإنما يصغر مفردة ثم يجمع جمع سلامة^(٣). وقد حاول الصميري دفع هذا المغمز عن هذا المذهب فقال: "وللأخفش أن يقول: إنه لما جاء على غير لفظ واحد المطرد فيه صار بمنزلة مالا واحد له وجاز ان يصغر على هذه العلة"^(٤). وجمع أشياء على (أشايأ وأشاوى وأشياوات) كما جمعت صحراء على صحارى وصحار وصحراوات يضعف هذا المذهب، لأن الجمع أفعلاء لا يجمع مرة أخرى على هذه الأوزان^(٥). وندرة تكسير فيعل وفعل على أفعلاء تدل على بعد هذا المذهب لأن أفعلاء يطرد في فيعل

(١) ينظر: مجمع البيان ٢٠٧/٦ والإنصاف ٨١٣/٢.

(٢) ينظر: الامالي الشجرية ٢٢/٢ والإنصاف ٨١٩/٢.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢٤٠/١ والمنصف ٩٨/٢ والمخصص ٦٣/١٦.

(٤) ينظر: التبصرة والتذكرة ٩٠٣/٢ ومشكل إعراب القرآن ٢٣٩/١.

(٥) ينظر: الممتع في التصريف ١٤/٢ وشرح الشافية للرضي ٢٩/١ - ٣٠ والمبدع في التصريف

مضعفاً أو معتل اللام أو مهموزها، وأما أهوناء في جمع هين فشاذ لا يحمل عليه^(١). وحذف الهمزة في هذا المذهب شاذ لا قياس يعضده ولا سماع يؤيده^(٢). وسماع (سيد وهين) بالتشديد أصلين لـ (سيد وهين) بالتخفيف يضعف مذهب الفراء لعدم سماع (شيء) أصلاً لـ (شيء).

الفئة الثالثة:

رأت أن (أشياء) خالية من القلب المكاني والحذف، إذ ذهب الكسائي إلى أن (أشياء) وزنها (أفعال) ومفردها (شيء) بوزن (فعل) وإنما منعت من الصرف لأنها أشبهت مالا ينصرف في كلامهم، نحو: (صحراء) و (حمراء) فتوهموا زيادة الالف والهمزة في آخرها بسبب هذا الشبه^(٣). وأنها كثيرة الاستعمال فعمدوا إلى منعها من الصرف، طلباً للخفة^(٤).

واستدل على هذا المذهب^(٥) باطراد جمع (فعل) معتل العين على (أفعال) كـ (بيت أبيات) و (شيخ أشياخ) و (فيء أفياء) و (ثوب أثواب) و (ضوء أضواء) وغير هذا كثير مقيس. وتصغير (أشياء) على لفظها في (أشياء) يدل على إنها من أبنية جموع القلة. وإضافة العدد إليها مؤثراً في (ثلاثة أشياء) يدل على إن هذا مثل (ثلاثة أيام).

ورد قول الكسائي بمنع صرف (أشياء) من دون علة، ومن هنا "أجمع البصريون والكوفيون على إن قول الكسائي خطأ في هذا وألزموه ألا يصرف أبناء"^(٦). وأنها "لو كانت (أشياء ممنوعة من الصرف) على التوهم لكان

(١) ينظر: التبصرة والتذكرة ٩٠٣/٢ ومشكل إعراب القرآن ٢٣٩/١.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢٣٩/١ - ٢٤٠ والإيناف ١٨١/٢ - ١٨٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٢١/١ والامالي الشجرية ٢٢/٢ والإيناف ١٨٩/٢.

(٤) ينظر: ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٢١/١ والمنصف ٩٩/٢ والممتع في التصريف ٥١٥/٢.

(٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢٣٩/١ والامالي الشجرية ٢٢/٢ والإيناف ١٨٩/٢.

(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٢٣٣/٢.

أملك الوجهين أن تجري لأن الحرف إذا كثر به الكلام خفّ كما كثرت التسمية بـ (يزيد) فأجروه، وفيه ياء زائدة تمنع الإجراء^(١).

وتابع الكسائي من القدماء أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستاني^(٢). وتابعه من المحدثين الدكتور رمضان عبد التواب^٣ الذي وجه منع صرف أشياء توجيهها قصره على ورودها في هذه الآية القرآنية فذكر أن (أشياء) إنما منعت من الصرف في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١) لوقوعها في سياق تتوالى فيه الأمثال، اذ لو صرفت (أشياء) لتكرر المقطع (إن) مرتين في السياق (عن أشياء إن تبد) وهذا واضح من ائتلاف المقاطع في هذا السياق، كما في الكتابة الصوتية:

ع - ن / أ - ش / ي - / إ - ن / إ - ن / ت - ب .

ويلزم من هذا التوجيه أمران، أولهما أن (أشياء) مصروفة إن لم يليها المقطع (إن) بسبب توالي الأمثال في سياقها، وهذا لا يثبت، لأن أشياء ممنوعة من الصرف في كلام العرب وإن لم يليها المقطع (إن) قول المقنع الكندي^(٤):
يعيرني بالدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

وثانيهما: إنه جعل توالي الأمثال علة تمنع الصرف في الأسماء، وهذا لا يثبت أيضاً، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (يس: ١٥)، ولو كان الأمر كما قال لمنع (شيء) في هذه الآية من الصرف أيضاً.

وعد الباحث سالم جاري رأي عبد التواب "غير صحيح لقوله تعالى: " وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

(١) معاني القرآن للفراء ٣٢١/١.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥٢١/١ - ٥٢٢ ومشكل إعراب القرآن ٣٣٩/١ - ٣٤٠.

(٣) ينظر: التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس ص ٧١ (بحث).

(٤) الشعر والشعراء ٦٢٥/٢.

الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿يوسف: ٦٧﴾ " فلم يمنع (شيء) من الصرف على الرغم من توالي المقطعين المتماثلين "^(١). ونظرة فاحصة في الآية الكريمة التي استدل بها سالم جاري على رد رأي عبد التواب تبين لنا خلواً لفظها من المقاطع المتماثلة، اذ ان (إن) النافية الواردة بعد (شيء) لما حركت نونها بالكسر فرارا من التقاء الساكنين في (إن الحكم) شطرت على مقطعين الأول: قصير (إ)، والثاني: طويل مغلق (نل)، وهذا واضح من توزيع المقاطع في الكتابة الصوتية للسياق (شيء إن الحكم) = / ش - ي / ء - ن / ل - ح - ك / ، فعلى هذا لا دليل في هذه الآية على رد مذهب عبد التواب.

وصفوة القول في حقيقة أشياء أنها لا تخرج عن قولي الخليل والكسائي، أما ما قاله غيرهما فهو برمته لا يخلو من التكلف والتعقيد، ويمكن رده بقليل من التأمل .

لقد تناول البصريون رأي الخليل بالقبول والرضا، ولا غرو في ذلك فهو إمام مدرستهم الكبير، الذي أكلت الدنيا بعلمه وهو في خُص لا يشعر به، وكان من مظاهر اعتدادهم به ان أغفلوا ذكر آراء الكوفيين - الكسائي والفراء - في كتبهم، فلم أجد لرأييهما ذكراً في كتاب سيبويه وتصريف المازني ومقتضب المبرد وتكلمة الفارسي، وقد وجدتهم يذكرون رأي الأخفش رديفاً لرأي الخليل مع ما فيه من البطالان الظاهر^(٢). وربما يكون ابن جني أول البصريين الذين ذكروا رأيي الكسائي والفراء، ويبدو أنه لم يفعل ذلك الا ليشنع بهما^(٣).

(١) ابن مالك صرفياً ١٨١.

(٢) ينظر: الكاتب ٥٦٤/٣، ٣٨٠/٤ والمقتضب ٣٠/١.

(٣) ينظر: المنصف ٩٥/٢ - ٩٩.

ولما كان كبار علماء العربية القدماء كسيبويه والمازني والمبرد والفارسي وابن جني مؤيدين الخليل^(١) رجع علماء العربية المتأخرون رأي الخليل أيضاً، مستدلّين عليه بما يأتي:

- إن منع (أشياء) من الصرف يرجح زيادة الألف والهمزة فيها، فيقوي قول الخليل ويضعف قول الكسائي، ولو كانت أشياء على وزن أفعال لمنع نحو: (أسماء) و (أبناء) من الصرف من دون علة.

- جمع أشياء على أشايا وأشياوات كما جمعت صحراء على صحارى وصحراوات يرجح قول الخليل ويضعف قول الكسائي، لأن أفعالا لا يجمع على فعالى ولا يجمع بالالف والتاء.

وفهم من هذا الاستدلال أن الخليل يرى ان أشياء مقلوبة من (شيئاء) كصحراء، وأنها جمعت على أشياء وأشواى، كما جمعت صحراء على صحارى أصله صحاراء، لأنه على صيغة منتهى الجموع مفاعيل، فقلبت الالف الثانية ياء لأنها مدة زائدة في المفرد فصار (صحاريّ) ثم خففت الهمزة المتطرفة وأدغمت الياء في الياء فصار اللفظ (صحاريّ) فاستثقل اجتماع يائين قبلهما كسرة فحذفت الياء الأولى وقلبت الكسرة فتحة ثم قلبت الياء الباقية ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فثبتت على صحارى بوزن فعالى. ومثلها أشايا جمع أشياء أصله أشيااء فقلبت الالف الثانية ياء لأنها مدة زائدة في المفرد فصار أشيايى ثم قلبت الهمزة المتطرفة ياء تخفيفاً، فصار اللفظ أشياي فاستثقل اجتماع ثلاث يآآت الاولى: عين الكلمة والثانية: منقلبة عن الف أشياء والثالثة: منقلبة عن همزة التانيث، فحذفت إحدى الياءين الزائدتين فصار أشياي، فبقي الثقل قائماً، لوجود ياءين أولاهما: مكسورة فقلبت الكسرة فتحة ثم قلبت الياء المتطرفة ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فثبتت على أشايا

(١) ينظر: الكتاب ٥٦٤/٣ والمقتضب ٣٠/١ - ٣٢٨ - ٣٣٠.

بوزن لفاعي وقد تستقل الياء في أشايا فتقلب واواً فيصير أشاوى على رأي الكثيرين.

وقد وهم الجوهري في قوله: أشايا أصلها أشائي فقلبت الهمزة ياء^(١) وليس بصحيح إذ إن الياء الأولى أصلية وهي عين الكلمة في مذهب الخليل وليست بزائدة حتى تقلب همزة بعد ألف صيغة منتهى الجموع والصواب أن يقال: أشايا أصلها أشياء وجرى لها ما سبق. وتابع الجوهري محققو شرح الشافية للرضي الاستربادي فوقعوا في الوهم نفسه. وكان الدكتور هاشم طه شلاش قد تنبه على ما في قول الجوهري ومن تبعه من خلط واضطراب^(٢). أما اشياوات فجمع أشياء كما جمعت صحراء على صحروات، والواو في أشياوات وصحروات منقلبة عن همزة التأنيث في أشياء وصحراء.

ويمكن القول: إن رأي الخليل ضعيف لما يأتي:

١- اضطراب العلماء في فهم حقيقة أشياء في رأي الخليل، فلمازني جعلها اسماً مفرداً فقال، "كان أصلها شيء مثل حمراء"^(٣)، ثم تناول البصريون قول المازني هذا في صياغتهم رأي الخليل فقالوا: إن أشياء كصحراء في المنع من الصرف والجمع بالألف والتاء والتكسير على فعال والتصغير على لفظها، فأجمعوا على بيان رأي الخليل منظرين أشياء بصحراء حتى كأن أشياء لم تكن جمعاً^(٤)، ومنهم من قال: إن أشياء اسم جمع مثل طرفاء وحلفاء وقصباء^(٥)، لكنهم ساروا في ركب من نظر أشياء بصحراء في الجمع، ولم يحملوا أشياء على طرفاء وحلفاء وقصباء في عدم الجمع فلم ينفعهم قولهم:

(١) الصحاح (شيأ).

(٢) ينظر: ما قيل في أشياء ٦٧ (بحث).

(٣) المنصف ٩٤/١.

(٤) ينظر: أدب الكاتب ٦٣٥ والتكملة ٣٣٠ والمنصف ٩٦/١ والإنصاف ٨١٣/٢-٨١٤.

(٥) ينظر: التكملة ٣٢٨ والمنصف ٩٨/١ والممتع في التصريف ٥١٣/٢ وشرح الشافية للرضي ٢٩/١.

(أشياء اسم جمع) إلا في مسألة واحدة، هي تصغير أشياء على لفظها فيقال فيها: (أشياء) كما يصغر اسم الجمع على لفظه فيقال: طُريفاء ورُهيّط، لذا كان قولهم: (أشياء اسم جمع) مردود لما يأتي:

أ- أشياء لها واحد، من لفظها ومعناها، مستعمل في اللغة وهذا يرجح كونها من أبنية الجمع لا من أسماء الجمع التي لا يكون لها واحد من لفظها في أكثر الأحيان نحو: قوم ورهط وإبل وفريق وحزب ونفر وغنم وغيرها، أما قولهم في نحو: ركب وصحب: إنها أسماء جمع واحدها راكب وصاحب ففيه خلاف كبير^(١). وإن صحّ فهو قليل في باب (فاعل فعل) ولا يصلح لحمل أشياء عليه لأنها بعيدة عنه، أما قولهم: طرفاء وحلفاء وقصباء فأسماء جمع واحدها طرفة وحلفة وقصب^(٢) فلا تحمل أشياء عليه لأمر ثلاثة: أولها: أن أشياء واحدها شيء على وزن فَعْل، وهذه واحدها على وزن فعلة ولما لم يعرف اسم جمع واحده على وزن فعل بطل حمل أشياء على أسماء الجمع. وثانيهما: إن اللغويين قالوا: إن الطرفاء والحلفاء والقصباء واحد وجمع ولم يقولوا في أشياء الا جمع شيء. ولما لم تدل أشياء على الواحد كما دلت عليه (طرفاء وحلفاء وقصباء) علم البعد بينهما. والأخير: ان (طرفاء وحلفاء وقصباء) لا تكسر كما كسرت (أشياء) على أشايا.

ب- (شيء) اسم مفرد تغيرت صورته بالزيادة في جمعه على أشياء وكذا أبنية التكسير تتغير فيها صورة المفرد "اما بالزيادة ك (صنو وصنوان) أو بنقص ك (تُخمة وتُخم) أو بتبديل شكل ك (أَسَد وأُسَد) أو بزيادة وتبديل شكل ك (رجل ورجال) أو بنقص وتبديل شكل ك (رسول رُسُل) أو بهن ك (غُلام غلمان)"^(٣) أما اسم الجمع ففي الغالب لا تتغير فيه صورة المفرد لأنه قد يشترك مع مفردة في الوزن والصيغة نحو (فلك وهجان ودلاص) وقد لا يكون

(١) ينظر: المنصف ١/١٠١.

(٢) ينظر: الصحاح ١/٢٠٢.

(٣) اوضح المسالك ٣/٢٥٤.

له مفرد من لفظه نحو: (رَهْط وقوم ونفر وإبل)، وأما قول سيبويه: إن كلاً من ركب وصحب اسم جمع لراكب وصاحب فغير مسلم به وأقرب منه قول الأخفش: إن ركب وصحب جمعا تكسير لراكب وصاحب^(١). وأما طرفاء وحلفاء وقصباء فقد دلت على الواحد والجمع فهي - اذن - كفلك وهجان ولما لم يعلم الفرق بين اسم الجمع وواحدة دل ذلك على ان أشياء جمع شيء لا اسم جمع لبيان الفرق بينهما وبين واحدها^(٢).

ج- اسم الجمع ينسب اليه على لفظه نحو: قومي وإبلي وطرفاوي وقصباوي مثل صحراوي ولما لم يسمع عن العرب النسبة إلى (أشياء) دل ذلك على إنها من أبنية الجمع لان الجمع لا ينسب اليه الا اذا جرى مجرى الإعلام كقولهم: أنصاري وكلابي وأعرابي^(٣). أي إن تنظير أشياء بصحراء غير موجه ولم يقله الخليل وسيبويه وانما عرف بعدهما بما يربو على السبعين عاما ثم ذهب به مذاهب شتى على ما سبق^(٤).

٢- اختلاف العلماء في أصل (أشياء) جمع (أشياء) وقول الأكثرين إن (أشياء) على وزن (لفاعي) لا (أفاعل) إذ لا سبيل لـ (فعلاء) في أفاعل وألف (أشياء) الثانية تقابل ألف (صحاري) وكلتاها للتأنيث يدخل عليه أن الف (صحاري) ونحوها قد تبدل ياء في بعض لغات العرب وذلك بقلب الفتحة كسرة ثم تحذف الياء تخفيفا فيقال: صحار وعذار كغواش وجوار، ولما لم يسمع عن العرب حذفهم ألف (أشياء) دل على أنها ليست كألف صحاري وأنها ليست للتأنيث ومن ثمّ أشياء ليست على وزن (لفاعي) وليس مفردها فعلاء وانما هي أفاعل^(٥).

(١) ينظر: التكملة ٤٥٤ والمتصف ١٠١/٢.

(٢) ينظر: الكتاب ٥٧٧/٣، ٦٣٩ والأصول ٤٦٩/٢.

(٣) ينظر: التكملة ٢٥٥ واللمع ٢٠٩ وشرح المفصل ٩/٦ وأوضح المسالك ٢٨٣/٢.

(٤) ينظر: المتصف ٩٩/١ - ١٠٠ والمتع في التصريف ٥١٦/٢ - ٥١٧.

(٥) ينظر: المتصف ٩٩/١ - ١٠٠ والمتع في التصريف ٥١٦/٢ - ٥١٧.

٣- قول الخليل أشياء أصلها شيء وقدمت الهمزة الأولى قبل الشين ليس مما يجري على الأصل في هذا الجانب اذ ان القلب في نحو (قسي) و (خطايا) يمكن بيانه بخطوات متعاقبة فما جرى لـ (قسي) يمكن بيانه بخطوات الآتية:

قووس - قُسُو - قُسوي - قُسَي - قُسَي - قُسَي. وقال البصريون: أن (خطيئة) جمعت على (خطايا) بعد أربعة أعمال فزاد عليهم أبن جني عمليين آخرين لأنه وجد في خطواتهم الأربعة ما يمنع تتابعها^(١). ومثل هذا الترتيب لم يتبع في أشياء، ولن يثبت بل فيه خروج عن القواعد الصرفية اذ ان نقل الهمزة الأولى في (شيء) يلزم منه التقاء ساكنين الياء والالف في (أشياء)، فان قيل: أعطيت فتحة الشين للياء، قيل: الصحيح أولى بالحركة من المعتل، لذا نقلت حركة المعتل في نحو: (يسع ويقول) إلى الصحيح قبله، فكيف نقلت فتحة الشين إلى الياء؟ ثم متى نقلت تلك الفتحة؟ أحدث ذلك قبل نقل الهمزة أم بعدها؟ فأن كان الجواب: قبل نقل الهمزة قيل: يلزم منه الابتداء بالساكن في (شيء) وهذا ممتنع. وان كان الجواب: نقلت الفتحة بعد نقل الهمزة، قيل لم يعرف ساكنان التقيا في حشو كلمة وحرك أولهما تخلصا من التقائهما. وان كان الجواب: نقل الهمزة ونقل الفتحة أمران متلازمان قيل: لم يقل الصرفيون مثل هذا ولو كان الأمر كذلك لما علم وزن ألفاظ عدة حدث فيها قلب مكاني.

٤- كان لنظام تقليب مواضع الحروف الذي اتبعه الخليل في كتابه العين أثر كبير في دراسات الخليل الصرفية، اذ ذهب إلى وجود القلب المكاني في ألفاظ كثيرة اختلفت في بنائها كاسم الفاعل من الأجوف المهموز اللام وجمع فعلية المهموزة اللام أو المعتلة اللام و (أشياء) وغيرها. ولم يلق قول الخليل في اسم الفاعل من الأجوف المهموز اللام وفيما جمع على (فعائل) من المهموز اللام صدقاً واسعاً لدى العلماء وردّه كثير منهم، وربما يكون سبباً في ذلك اذ انه أول المخالفين فتبعه الجمهور في ذلك، ولما سكت سيويه عن قول

(١) ينظر: الخصائص ٧/٣ - ٨.

الخليل في (أشياء) ظن البصريون أنه استحسنة فاعتدوا به أيما اعتداد ولما لم يقبل من الخليل قوله في القلب في نحو (جاء) و (خطايا) كان الأولى أن لا يقبل قوله في القلب في (أشياء) لأن ثقل الهمزتين في (جائي) و (خطائي) أعظم منه في (شيء) لوجود الالف الفاصلة بين همزتي (شيء) و (خطائي) بين همزتي (جائي) و (خطائي)، علما أن القلب مطرد عند الخليل فيما اجتمعت فيه همزتان لثقل النطق بهما معا^(١). وثمة مأخذ أخرى ذكرها العلماء على قول الخليل أفاض الدكتور هاشم طه شلاش في ذكرها واستقصى^(٢). ويمكن ترجيح قول الكسائي لما يأتي:

- إجماع اللغوين على أن (أشياء) جمع (شيء)^(٣) وليس اسما مفردا مثل (حمراء) ولا اسم جمع مثل (طرفاء) كما قال مؤيدو قول الخليل، وهذا يرجح قول الكسائي، إذ إن الجمع (أفعال) مطرد في (فعل) المعتل العين اطرادا تاما نحو: بيت أبيات وباب أبواب وشيخ أشياخ وقول أقوال وفيء أفياء وضوء أضواء وحي أحياء وغير هذا كثير. ومن ثم أضيف إليها العدد كما أضيف إلى غيرها من جموع التكسير، فقالوا: ثلاثة أشياء، فهذا مثل "ثلاثة أيام" و "ثلاثة أشهر" ولو كانت مؤنثة ك (طرفاء) لما جاز تأنيث هذه الاعداد معها. ثم أنها صغرت على لفظها اتباعا للقياس في تصغير أبنية التكسير الدالة على القلة.

- ما أخذ على الكسائي من أن (أفعال) لا تجمع على أفعال ليس بصحيح، فقد جاء في كتب اللغة شيء من هذا فقيلا: الأسامي جمع

(١) ينظر: الكتاب ٣٧٨/٢ والمقتضب ١٤٠/١-١٤١ والمنصف ٥٦/٢-٥٨ وشرح الشافية للرضي ١١/٢-١٢ وارتشاف الضرب ١٦١/١.
(٢) ينظر: ما قيل في كلمة أشياء ٦١-٦٢ (بحث).
(٣) ينظر: الصحاح (شيأ) والعياب ٧٥ ولسان العرب (شيأ) والمصباح المنير ٣٣٠ والقاموس (شيأ).

الأسماء^(١) والأعادي جمع الأعداء^(٢). ومن ثم سمي نحو (الأسامي و الأعادي) جمع الجمع وقد ذكره أكثر العلماء^(٣) لذا تكون أشياء على وزن أفعال جمعت على أشايا بوزن أفاعل وأصله (أشايئ) ثم صار (أشايي) فاستثقل اجتماع يائين وكسرة فقلبت الكسرة فتحة تخفيفاً فقلبت الياء الثانية ألفاً لأجل تلك الفتحة فصار (اشايا) بزنة (أفاعل) فيكون (شيء أشياء أشايا) ك (رهط أرهاط أرهاط).

- ما أخذ على الكسائي أن (أفعال) لا تجمع بالألف والتاء لا يلزمه، لأنه علل منع أشياء من الصرف بمشابهتها ما لا ينصرف نحو (صحراء) وله أن يقول: إن من دواعي شبه أشياء لصحراء أن جمعت أشياء كما جمعت صحراء ومنعت من الصرف كما منعت صحراء منه.

- إن تشابه أبنية العربية بعضها مع بعض واقع فيها وقد شك الأسلاف منه فكانوا يغيرون في بعض الأبنية المختلفة المتشابهة الأوزان، أما بالقلب أو بالحذف أو بزيادة أو بغير ذلك، ومن ثم أوجدوا علة أمن اللبس وعلة الفرق في علمهم ففسروا بها كثيراً من الأحكام التي أحدثوها في بعض الأبنية فقالوا: أبدلت النون في نحو: (دَنَار) ياء كي لا يلتبس بناء المفرد ببناء المصدر في نحو قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ ﴿النبا ٢٨﴾. وقالوا: زيدت الالف في (مائة) للتفريق بينه وبين (منه)^(٤) وقالوا: زيدت الواو في (عمرو) للتفريق بينه وبين (عمر)^(٥) وكتبوا (يحيى) الاسم بالألف المقصورة للتفريق بينه وبين (يحيى)

(١) ينظر: الصحاح ٢٣٨٣/٦.

(٢) ينظر: القاموس ٣٦٠/٤.

(٣) ينظر: الكتاب ٦١٨/٣ - ٦١٩ والتكملة ١٧٥ وشرح الكافية الشافية ١٨٨٧/٤ وتسهيل الفوائد ٢٨٢ - ٢٨٣ وشرح الشافية للرضي ٢٠٨/٢.

(٤) ينظر: شرح الجاربردي ٣٨٠.

(٥) ينظر: ثلاث رسائل ٤٥.

الفعل^(١). ومثل هذا كثير في كلام العرب، فالكسائي ليس مخطئاً في قوله (أشياء) أشبهت (صحراء). ثم إنه قال أيضاً: إنها كثيرة الاستعمال في كلام العرب ولو جاء بهذا وحده لكان مستحسننا لأن كثرة الاستعمال في كلام العرب كان يصاحبها كثير من الأحكام الأخرى، وقد جاء بعضها في القرآن، اذ قالوا: إن الهمزة حذفت في (بسم الله الرحمن الرحيم) لكثرة الاستعمال^(٢)، وقالوا أيضاً: حذف التنوين في قوله تعالى " قل هو الله أحد الله الصمد " لكثرة الاستعمال^(٣). وقول الكسائي: أشياء منعت من الصرف لكثرة استعمالها وشبهها ما لا ينصرف يمكن قبوله من ثلاثة أوجه:

أ - إنها منعت من الصرف طلباً للخفة التي توجبها كثرة دوران كلمة على ألسنة الناس ولا شك في ثقل التنوين أو الكسرة في كل الألفاظ أو في لفظة كثر الاعتلال في أحرفها فجاء على أربعة منها، وقول من قال: الكسائي منع أشياء من الصرف بغير علة لا يلزمه لأن طلب الخفة وروم السهولة غاية كل الناطقين بلغة الضاد وإن كان فيه خروج عن القياس نحو: ترك الهمزة في باب الإفعال (يكرم) أصله (يؤكرم).

ب - إنها منعت من الصرف في كلام العرب لتوهمهم زيادة الألف والهمزة فيها لأنها أشبهت في كلامهم ما لا ينصرف لزيادة الألف والهمزة في آخره نحو صحراء وحمراء وطرفاء وقصباء وغير هذا، وقل نظيرها في أفعال ك (أفياء)، وفي (أحياء) و (أسماء) لم تتأصل الهمزة، لذا كان لمثل هذا التوهم ما يسوغه وان لم يصرح به الكسائي فيما نقل عنه. فالتوهم ظاهرة لا يمكن إنكارها في العربية كما أثبتت الدراسات الحديثة^(٤).

(١) ينظر: نفسه ٤٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/١ - ٢ والجمل ٢٧٥.

(٣) ينظر: شرح جمل الزجاجي ٤٤٧/٢.

(٤) ينظر: المغني في تصريف الأفعال ٣٩ ونظرات فاحصة ١٣٣ وما قيل في كلمة أشياء ٦٥ (بحث).

ج- أن علة منع ألفاظ العربية من الصرف التي أقرها العلماء لا ينبغي الوقوف عندها لأنها ليست حجة على الكلام الفصيح. وقد أقر العلماء أنفسهم هذه الحقيقة بعد أن رأوا تسابق الشعراء في الخروج عليها: فقالوا في مناسبات عدة: يجوز للشاعر أن يصرف ما لا ينصرف^(١) وقد جاء في التنزيل العزيز ما يدل على قصور تلك العلل عن الإحاطة بكل أحوال الكلم العربي كقوله تعالى "وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿الإنسان: ١٥ - ١٦﴾". وقد تحبّطوا في توجيه مثل هذا الكلام الفصيح محاولين إخضاعه إلى قواعدهم التي أقروها بعد أن عزت عليهم تلك القواعد فلم يحاولوا تقويمها وإعادة النظر في أمرها، وخير مثال على ذلك تشتت آرائهم في وزن (أشياء).

١٨ - اطمأنّ

اختلفوا في تأصيل الفعل (اطمأنّ) في نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿الحج: ١١﴾. فنقل سيبويه عن الخليل مذهبه في (طمأنّ واطمأنّ) في باب القلب المكاني فقال: "ومثل هذا في القلب طأمن واطمأنّ، فإنما حمل هذه الأشياء على القلب حيث كان معناها لا يطرّد ذلك فيه، وكان اللفظ فيه إذا أنت قلبته ذلك اللفظ، فصار هذا بمنزلة ما يكون فيه الحرف من حروف الزوائد ثم يشتق في معناه ما يذهب فيه الحرف الزائد... وجميع هذا قول الخليل"^(٢).

وفهم من هذا القول أنّ "اطمأنّ ذهب سيبويه فيه إلى أنه مقلوب وأنّ أصله من طأمن... وحجة سيبويه فيه أنّ (طأمن) غير ذي زيادة واطمأنّ ذو

(١) ينظر: الإنصاف ٤٩٣/٢ وائتلاف النصرة ٥٩.

(٢) الكتاب ٣٨١/٤.

زيادة، والزيادة إذا لحقت الكلمة لحقها ضرب من الوهن... (لذا كان) القلب مع الزيادة أولى، وذلك أن الكلمة اذا لحقها ضرب من الضعف أسرع اليها ضعف آخر وذلك كحذفهم ياء (حنيفة) في الإضافة اليها لحذف تائها في قولهم: (حنفي)، ولما لم يكن في (حنيف) تاء تحذف فتحذف ياؤها جاء في الإضافة إليه على أصله، فقالوا (حنفي)^(١) أي إن (طأمن) إنما هو أصل لأنه لا زيادة فيه ولا تغيير و (اطمأن) إنما هو منشعب منه لأنه مزيد، وفي الزيادة ضعف، ولا يُغير إلا البناء الضعيف ولذا كان (اطمأن) مقلوباً من (طأمن) بوزن (فعلل) وأصله (اطمأن) بوزن (افعلل)، وبعد القلب صار (افعلل)، وإلى هذا ذهب جمهور المتقدمين إلا أبا عمر الجرمي الذي عزي إليه مخالفته إياهم فعدّ (اطمأن) أصلاً و (طأمن) منشعباً منه، مستدلاً بكثرة استعمال (اطمأن) وما ينصرف منه وقلة استعمال (طأمن) وفروعه^(٢). ورجّح ابن جني تبعاً لشيخه الفارسي مذهب سيبويه مستدلاً بـ "أن أحداً لا يقول في طأمن الذي هو الأصل (طمأن)، فهذا هو الصحيح وينبغي أن يحتج به لسيبويه وعن أبي علي أخذته"^(٣). وقد أشارت كتب اللغة إلى استعمال (طمأن) خالياً من الزوائد وأنه بمعنى (طأمن) يقال: طمأن ظهره وطأمنه بمعنى حناه وخفضه على القلب^(٤). فعلى هذا لا دليل في قول ابن جني وشيخه على أصالة (طأمن) وانشعاب (طمأن) منه. أما الاستدلال بالزوائد في (اطمأن) وما يصاحبها من ضعف يؤدي إلى ضعف آخر هو القلب المكاني وتنظير ما جرى في (اطمأن) بـ (حنفي)، فدعوى مقبولة وإن صاحبها القياس البعيد، اذ يمكن

(١) الخصائص ٧٦/٢ وينظر: لسان العرب (طمن).

(٢) ينظر: الكامل ٢٥٥/٢ والخصائص ٧٦/٢ والمنصف ١٠٤/٢ والروض الأنف ٣٧٠/٢ وشرح الشافية للرضي ٢٢/١ ولسان العرب (طمن) وارتشاف الضرب ٢٢٤/١ والبحر المحيط ٢٨٦/٢.

(٣) المنصف ١٠٤/٢.

(٤) ينظر: الصحاح ٢٠٥٩/٦ ولسان العرب (طمن).

القول: إنَّ الأصل (اطمأنّ) بزنة (افعلل) لما ثقل بالزيادة في آخره استثقل اجتماع الهمزتين في أوله ولا اعتداد بالطاء الساكنة بينهما لأن الساكن حاجز غير حصين فقدمت لامه الاولى (الميم) إلى موضع عينه (الهمزة) فصار (اطمأنّ) بزنة (افعلل). ولا شك في خفة (اطمأنّ) وثقل (أطمأنّ). ثم كثر القلب في تصارييف هذه اللفظة كالاطمئنان ومطمئن وغيرها لخفتها، وهجرت الأصول لثقلها. يعضد ذلك سماع (الطمأنينة) غير ذي زيادة وعدم سماع (الطمأنينة). فهذا دليل بين على أصالة (طأمن) وانشعاب (طمأن) منه، وليس هما ك (جذب وجبذ) كل أصل بنفسه لمحيء مصدريهما (الجذب والجبذ) على وفق مذهب البصريين الذين يستدلون بالمصدر على معرفة القلب المكاني^(١)، ومن هنا علم أيضاً أن المجرد من الزيادة (طمأن) أصل والمزيد (اطمأن) فرع عليه لأنه مبني على فرع بين.

وأحكم ابن جني مذهب سيبويه بأن قال: "فإن قال أبو عمر: جري المصدر على اطمأن يدل على إنه هو الاصل وذلك قولهم: الاطمئنان، قيل: قولهم: الطأمنة بإزاء قولك الاطمئنان، فمصدر بمصدر، وبقي على أبي عمر أن الزيادة جرت في المصدر جريها في الفعل والعلة في الموضعين واحدة وكذلك الطمأنينة ذات زيادة فهي إلى الاعتلال أقرب"^(٢).

وثمة مذهب ثالث ذكره بعض المتأخرين في تأصيل (اطمأن) وهو إن أصله (اطمان) بوزن (افعال) ك (احمار) و (أسود) همزوا الالف فراراً من التقاء الساكنين على غير القياس فقالوا: اطمأن^(٣). وهذا مردود لأن "طمن غير مستعمل في الكلام"^(٤). فيبنى عليه (اطمان) كما بُني (احمار) (حمر) و (اسود) على (سود). ثم إن (الافعال) كالاشمئزاز والاقشعرار و(الافعال) (اسود) على (سود). ثم إن (الافعال) كالاشمئزاز والاقشعرار و(الافعال)

(١) ينظر: المصباح المنير ٣٧٨.

(٢) لسان العرب (طمن).

(٣) ينظر: المصباح المنير ٣٧٨.

(٤) لسان العرب ١٣٨/١٧.

كالاحميرار والاسويداد) بابان كل أصل بنفسه فلا يدعى بعد هذا ان أحدهما منقول من الآخر.

وذهب محمد عبد الخالق عضيمة إلى إنّ (طأمن) و (أطمأن) كل أصل بنفسه مستدلاً بسماع مصدريهما (الطأمنة) و (الاطمئنان) ومثلهما في الأصالة (جذب) و (جبد) لسماع مصدريهما (الجذب) و (الجبد)^(١).

وقد سبقت الإشارة عما قريب إلى أن البصريين يستدلون بالمصدر في معرفة القلب المكاني في إحدى لفظتين تماثلتا معنى ووزناً وحروفاً إلا ان ترتيب الحروف فيهما مختلف فعلموا أن (ناء يناء) مقلوب نأى ينأى لمجىء (النأى) وعدم مجىء (النيء) وأن (امضحل) مقلوب من (اضمحل) لسماع (الاضمحلال) دون (الامضحلال)^(٢). ومذهب عضيمة فيه خروج على هذا الاستدلال لعدم الوفاق بين (طمأن) و (اطمأن) زنة وحروفاً.

ومما يعضد ضعف هذا المذهب ان الكوفيين نقضوا استدلال البصريين بالمصدر على أصالة كل من (جذب و جبد) فعدوا الجذب أصلاً و (الجبد) منشعباً منه لكثرة استعمال الأول وقلة استعمال الثاني لأن المصدر لديهم ليس أصل المشتقات فلا دليل لهم فيه على اثبات أصالة لفظ ما وانشعب آخر منه^(٣) ولما لم يسلم دليل البصريين المبين في الأمثلة المتشابهة (جذب و جبد) من النقض ينبغي ان لا يسلم هذا الدليل في الأمثلة المختلفة (طأمن و طمأن).

واستدل الدرس المقارن بين الساميات على زيادة الهمزة في هذا الفعل وأنه من أصل ثلاثي (طمن) وهذا الأصل متداول بين الساميات ذلك "إنّ المادة في العبرية (طَمَنَ taman) ليس فيها الهمز والتعليل العلمي لوجود الهمز فيها في العربية أنّ الكلمة أصلها (اطمأن) على وزن احمار واصفار ثم

(١) ينظر: المغني في تصريف الأفعال ٤٤.

(٢) ينظر: الخصائص ٧٢/٢.

(٣) ينظر: نفسه.

استخدمت الكلمة في الشعر بكثرة فاضطر الشاعر إلى التخلص من التقاء الساكنين - على قول النحاة - بإقحام همزة كما قال كثير عزة^(١):
وأنت - ابن ليلى - خير قومك مشهداً إذا ما احمأرت بالعيط
العوامل^(٢).

وهذا التوجيه لوجود الهمزة في الفعل اطمأن مقبول لكن الاستدلال عليه بالشعر العربي المحكوم بالضرورة الشعرية ليس مقنعاً والأولى أن يستدل عليه بالقراءات القرآنية التي ورد فيها همز الألف إن وليها تضعيف كما في (الجان والضالين) فقد قرأ أبو أيوب السخيتاني (ولا الضالين) بالهمز^(٣)، وقرأ أبو السّمال وغيره (والجان خلقناه) بالهمز^(٤) وفي هذا دليل آخر يعضد الاستدلال بما ورد في اللغات السامية على إن الفعل اطمأن أصله بالمد ثم همزت ألفه، وهو المذهب الثالث الذي ذكره بعض المتأخرين.

١٩ - الأم

اختلف في تأصيل الأم، فذهب الجمهور إلى أنها على وزن (فعل) ك (دُر) وأن العين واللام فيها ميمان بدليل قول العرب: أم بينة الأمومة، فالأمومة مصدر بزنة (الفُعولة) ك (العُدوبة والمُلوحة). ومن هنا حكموا بزيادة الهاء في المفرد المسموع قليلاً (أمّهة) كما في قول الراجز^(٥):
إنني لدى الحرب رخي اللبب معتمزم الصولة عالي النسب
عند تناديهم بهال وهب أمهتي خندف والياس أبي

(١) ديوانه ١٤١.

(٢) فصول في فقه اللغة ٤٩.

(٣) ينظر: إعراب ثلاثين سورة ٣٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤٥٣/٥.

(٥) الرجز منسوب إلى قصي بن كلاب جد النبي (صلى الله عليه وآله) كما في امالي القاضي ٣١١/٢ والمحتسب ٢٢٤/٢ ولسان العرب (أمم).

وفي الجمع المستعمل كثيراً (أمهات) كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨). وعندهم (أمهة) بزنة (فعلهة) و (أمهات) بزنة (فعلها)، وإنما زیدت الهاء في هذين الموضعين لأنها من الحروف الزوائد فزیدت هنا تفريقاً بين دلالتی الجمعین (أمهات) الذي يستعمل في الإنس و (أمات) الذي يستعمل في البهائم^(١).

وعُزي إلى ابن السراج مخالفته الجمهور وذهابه إلى أن الهاء في (أمهة) و (أمهات) أصلية وهي لام اللفظ وليست بزائدة، وعنده (أمهة) بوزن (فعلة) ك (ترهة) و (أبهة) و (أمهات) (فعلات)، و (أم) (فع)، و (أمات) (فعات). ودليلة على ذلك ما جاء في كتاب العين من نقل عن بعض فصحاء العرب الذي قال: "تأمهت أمّا"^(٢) ف (تأمهت) بوزن (تفعلت) ولو حكم بزيادة الهاء فيه لثبت في الأفعال بناء نادر هو (تفعلت)^(٣).

وردّ مذهب ابن السراج بأن حكاية صاحب كتاب العين: (تأمهت) ليس فيها دليل على أصالة الهاء في (أمهة) و (أمهات) من وجهين: الأول: إن كتاب العين كتاب مطعون عليه معيب عند أكثر العلماء وليس فيه حجة فيما ينفرد به، لأن فيه خطأ كثيراً في الصرف يخالف مذهب الخليل، لكثرة ما زيد فيه بعده. الثاني: إنه لو صح قولهم: تأمهت أمّا، لم يدل على أن الهاء أصلية لأن

(١) ينظر: المقتضب ١٦٩/٣ وإعراب القرآن للنحاس ٢١٩/٢ - ٢٢٠ و ٤٤٤ والتكملة ٥٦٠ والتصريف الملوكي ٢٤ والمحتسب ٢٢٤/٢ والمفتاح ٨٩ ونزهة الطرف ٣١ والبيان للعكبري ١٧٣/١ والممتع في التصريف ٢١٧/١ وارتشاف الضرب ١٠٧/١ وحاشية الصبان ٢٦٩/٤ وشذا العرف ١٤٧ ودروس في التصريف ٤٩ وأبنية الصرف ١٠٤، ١٨٨.

(٢) ينظر: العين ٤٣٣/٨.

(٣) ينظر: المحتسب ٢٢٤/٢ وشرح المفصل ٤/١٠ - ٥ وشرح التعريف ٣٤ وشرح الشافية للرضي ٣٨٣/٢ - ٣٨٤ وشرح الكافية ١٩٠/٢ وارتشاف الضرب ١٠٧/١ وشرح شواهد الشافية ٣٠٣/٢ - ٣٠٤ وحاشية الصبان ٢٦٩/٤ ودروس في التصريف ٤٩ وأبنية الصرف ١٨٨ وتصريف الفعل ٦٠.

(تَأْمَهَتْ) يجوز أن يكون مشتقاً من (أَمْهَة) كما اشتق تقلنست من القلنسوة، وتمسكنت من المسكين، وقد علم زيادة النون في القلنسوة، والميم والنون في المسكين، ومن ثم زيادة هذه الحروف فيما اشتق من هذه الكلمات المزيد فيها، فعلى هذا تكون هاء (تَأْمَهَتْ) زائدة كزيادتها في (أَمْهَة) ويكون وزنها (تفعلهت).

أما دعوى زيادة الهاء في (أَمْهَة) ونقصانها في (أَمْ) فمردودة لدى الجمهور من وجوه: الأول؛ تشديد الميم في (أَمْ) يوجب أن يكون وزن (أَمْ) (فُعْلاً) ولا ميماً، لكن اللام في مذهب ابن السراج (هاء)، فدل هذا على أن (أَمْ) ليست محذوفة من (أَمْهَة) وإنما هي أصل بدليل (الأومَة) و (أَمَمْتُ) فهذا يدل على أن ميم (أَمْ) مضاعفة كما ضوعفت في (سَمَّ وَهَمَّ)، والثاني: إن حروف الزيادة التي الهاء إحداها، إنما سماها النحويون حروف الزيادة، ولم يسموها حروف الحذف وإن كان منها ما يحذف في بعض المواضع لأن الأغلب عليها أن تزداد لا أن تحذف فنسبت إلى الزيادة التي هي أغلب عليها، فإذا جاء منها حرف يحتمل الزيادة أو الحذف لزم أن يحكم عليه بالزيادة التي هي الباب فيه، حتى يقوم دليل على الحذف الذي هو أقلّ حالة وهذا هو محض القياس وطريقه. والثالث: إن الذين تكلموا في الاشتقاق لم يعلم أحد منهم جعل الأم مشتقة من (أَمَهَ يَأْمَهَ)، وإنما قال بعضهم: إنها مشتقة من (أَمْ يَوْمَ) إذا قصد، سميت بذلك لأن ولدها يؤمها ويتبعها، وقيل: إنما سميت (أَمْ) لأنها أصل الولد وأم كل شيء أصله، كما قالوا لمكة: أم القرى ولفاتحة الكتاب: أم الكتاب، وفي هذا دليل بين على مناسبة اشتقاق اللفظ، والرابع: إن (الأَمَة) بوزن (فُعْلة) وجمعها (أَمَمَ) بوزن (فُعْل) لو قيل: إن الهاء أصل فيهما كان قولاً غير موجه البتة^(١).

(١) ينظر: المسائل والاجوبة ١٧٦ - ١٨٣ والممتع في التصريف ٢١٧/١ - ٢١٩ وشرح الشافية للرضي ٣٨/٢ وشرح الكافية ١٩٠/٢ والاشباه والنظائر ٣١١/٢ وهمع الهوامع ٢٠٣/١ - ٢٠٤.

والمأثور عن ابن السراج في كتابه الأصول يبين التزامه بمذهب الجمهور مع تجويزه المذهب الذي عزي إليه، إذ قال: " فأما أمهات فوزنها فعلها يدلك على ذلك أنهم يقولون: أمّ وأمّهات فيجئون في الجمع بما لم يكن في الواحد، وقد حكى الأخفش على جهة الشذوذ أن من العرب من يقول: (أمّة) فإن كان هذا صحيحاً فإنه جعلها (فعلّة) ^(١) .

ويفهم من هذا أن ابن السراج إنما عدّ الهاء زائدة في (أمّهات) لأن الكثير الشائع في المفرد (أمّ) لا هاء فيه والمفرد أصل للجمع لذا حكم بزيادة الهاء في الجمع، أما (أمّة) التي سمعها الأخفش فإنما لم يرتض ابن السراج زيادة الهاء فيها حفاظاً على استدلاله بالمفرد أصلاً للجمع، ولما كان المفرد أصلاً كانت هاؤه أصلية أيضاً أي أن أصالة الهاء في (أمّهات) مقرونة بثبوت أصالتها في المفرد (أمّة) أما (أمّ وأمّات) فلم يدع ابن السراج نقصانها من (أمّة وأمّهات) كما عزي إليه في كثير من الكتب.

وثمة مذهب اعتمد على اختلاف الدلالة بين الجمعين (أمّات) و (أمّهات) فرأى أن (أمّ وأمّة) كلّ أصل بنفسه، وإنما استعمل المفرد (أمّ) وشاع لحفته ونذر استعمال (أمّة) لثقله، أما الجمعان (أمّات وأمّهات) فثبتا ليدلّ كلّ على معناه الدقيق، و (أمّ وأمّة) في هذا المذهب محمولان على قول العرب: سبط وسبطر، وبعث وبعثر ودمث ودمثر. ومن ثمّ قالوا: أمّ وأمّهم. لكن هذا ردّ بأنّه مذهب محمول على الشاذ القليل الذي لا يصح الحمل عليه إلا بدليل لندرته في اللغة ^(٢) .

وعد برجستراسر لفظة (أمّ) ثنائية الوضع فزيدت عليها الهاء لأجل الجمع لأن الثنائيات لاحظ لها في الجمع المؤنث السالم فكأن هذه الهاء علامة أخرى لهذا الجمع خصت بها الألفاظ الثنائية فيصير اللفظ بها ثلاثياً ليسوغ جمعه بالألف والتاء (at) التي هي علامة للمؤنث سامية الأصل فمن قال:

(١) الأصول ٣/٣٣٦ وتوضيح المقاصد ٥/٢٦٢.

(٢) ينظر: شرح الشافية للرضي ٢/٣٨٣ - ٣٨٤ وحاشية الصبان ٤/٢٦٩.

(أمّهات) جمع اللفظ بعلامتين هما (الهاء) و (الألف والتاء) ومن قال (أمّات) اكتفى بعلامة الجمع الأصلية (at). ومثلها في الجمع (عِظَة عِظَهَات) و (سنة سنهات)^(١). على حين فسر الدكتور إبراهيم السامرائي وجود الهاء في (أمّهة) و (أمّهات) بأنه شيء من تمام عدة الثلاثي وهروبا من الثنائي، لكن النطق العامي قد طوى هذه الفائدة بتضعيف الميم فقالوا: (أم) كما قالوا: (أب)، وهذا من سنة العوام في الإفادة من التضعيف لغرض الحصول على ثلاثة أحرف^(٢) ولا أدري ما سبيل العوام إلى أفصح نص ينطق بلغة الضاد - القرآن الكريم - الذي كثر فيه مجيء (أم) مضعفة الميم.

وأفضل ما يمكن الركون إليه هو قول برجستراسر المذكور آنفا الذي عدّ الهاء علامة للجمع أولى، وما يعضده أن لفظة (أمّهة) المفردة لم ترد إلا في رجز مصنوع كما نقل السيوطي عن المرزوقي في شرح الفصيح أن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو عن قول الشاعر:

أمّهتي خندف والياس أبي

فقال: هذا مصنوع وليس بحجة^(٣). مما يعني أن الهاء لم ترد إلا في الجمع المؤنث أمّهات والمفرد هو (الأمّ).

٢٠ - الأنام

اختلفوا في تأصيل الأنام الوارد في قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ ﴿الرحمن: ١٠﴾. ويبدو أن جذر اللفظة (أنم) مهجور، ولذا جاءت أقوالهم فيها مبرزة معناها اللغوي دون الحديث عن أصلها فقال صاحب العين: "

(١) ينظر: التطور النحوي ١١١ - ١١٢.

(٢) ينظر: دراسات في اللغتين السريانية والعربية ٣١ - ٣٢.

(٣) ينظر: المزهر ١/١٤٢.

الأنام: ما على ظهر الأرض من جميع الخلق.^(١) ولما كان الأصل الذي اشتق منه لفظ الأنام مهجورا تمحل بعضهم في إخراجهم من الأصل (ونم الذباب) إذا صوت من نفسه، ويسمى كل ما يصوت من نفسه أناما. وقلبت الواو من ونام همزة كقولهم: أناة من (وناة)^(٢). فكأن الأنام سمي كذلك باعتبار صوته، كما إن الأناس سموا كذلك لأنس بعضهم ببعض^(٣) وهو بهذه الدلالة يختلف عن الناس الذين هم مطلق البشرية التي دبت فوق الأرض لأن أصل الناس من النوس وهو الحركة الظاهرة^(٤). وأغرب كثيرا من رأى أن الناس منشعب من الأناس بحذف الهمزة^(٥) لأن بين الأناس والناس فرقا واضحا يفصح عن أن الأناس بعض الناس كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْأَمِهِمْ﴾ ﴿الإسراء: ٧١﴾. أما الفرق بين الأنام والناس فساقه العسكري بأن قال "إن الأنام يقتضي تعظيم شأن المسمى من الناس قال الله عز وجل (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم) وإنما قال لهم جماعة وقيل رجل واحد وإن أهل مكة قد جمعوا لكم، ولا تقول جاءني الأنام تريد بعض الأنام"^(٦).

وخلص أصحاب المعجم الوسيط إلى إن الأنام "جميع ما على الأرض من الخلق"^(٧) وهذا هو مفهوم الوري أيضا فلا محصل من قولهم هذا فالورى سمي كذلك لستره ظهر الأرض وتوريته إياها وبهذا الملحظ فرقوا بين الأنام

(١) العين ٣٨٨/٨ وينظر: جمهرة اللغة ٩٩٣/٢ وتهذيب اللغة ٣٦٤/١٥ والمحيط في اللغة ٢٨/١ والمفردات ٦٦٨/١ ولسان العرب (أنم) والقاموس المحيط (أنم) وتاج العروس (أنم).

(٢) ينظر: التبيان للطوسي ٣٢٧/٩ وروح البيان ١٠٢/١٤-١٠٣.

(٣) ينظر: الصحاح (أنس) والمفردات ٩٤.

(٤) هذا رأي الكوفيين كما في جامع البيان ١٤٨/٢٧ ٩٠/١ ومجالس العلماء ٥٦ وسر الصناعة ١٣٨/١.

(٥) هذا رأي البصريين كما في العين ٣٠٣/٧ والكتاب ١٩٦/٢ والمقتضب ٣٣/١.

(٦) الفروق اللغوية: ٧٥/١-٧٦.

(٧) المعجم الوسيط ٢٨/١.

والورى كما في قول صاحب العين وغيره: "الورى: الأنام الذين على وجه الأرض في الوقت، ليس من مضى، ولا من يتناسل بعدهم، فكأنهم الذين يسترون الأرض بأشخاصهم"^(١) ومن هذا يفهم أن الأنام أعم من الورى إذ يشمل الأنام من على ظهر الأرض وهم الأحياء ومن في بطنها وهم الأموات ومن لم يخلقوا بعد وهم ذرية الأحياء. وقال صاحب القاموس ذاكرا اللغات المسموعة في اللفظة: "الأنام، كسحاب وساباط وأمير: الخلق، أو الجن والإنس، أو جميع ما على وجه الأرض"^(٢) وأهمل الجوهري ذكر الأنام، وتعقبه الزبيدي بالقول "والعجب من الجوهري كيف أغفله وهو في القرآن مع انه استطرد بذكره في أم"^(٣). ونقلوا تصريفات نادرة للفظه فنقل ابن دريد (ت ٣٢١هـ) عن الكوفيين قولهم: واحد الأنام (نيم) ولكنه غير مشهور وإلا لكان قد عرفه البصريون^(٤)، وقال أبو هلال العسكري: جمع الأنام: آنام^(٥) وقيل: هو جمع لا واحد له من لفظه^(٦). واستظهر بعض المتأخرين "أنه اسم غير مشتق"^(٧) لما وجده من غرابة المشتقات من جذرها ونادرة استعمالها.

واختلف أهل التأويل والتفسير في تلمس دلالة الأنام فمنهم من ضيق مدلولها ومنهم من توسع فيها كثيرا ومجمل ما قيل فيها يندرج في ثلاثة أوجه:

الأول: الأنام كل شيء فيه روح. أو كل ما يدب على الأرض أو هم الحيوان كله أو جميع الخلق من كل ذي روح. وهذا الوجه مروى عن أكثر أهل التأويل ومنهم ابن عباس وقتادة وابن زيد والشعبي ومجاهد وقتادة

(١) العين ٣٠٥/٨ وينظر: المفردات ٩٤.

(٢) القاموس المحيط (أنم) وتاج العروس (أنم).

(٣) تاج العروس (أنم).

(٤) ينظر: جمهرة اللغة ٩٩٣/٢.

(٥) ينظر: الفروق اللغوية ٧٦/١.

(٦) ينظر: روح البيان ٣٤٤/٩.

(٧) التحرير والتنوير ٢٤١/٢٧.

والسدّي^(١). وتأول له الماوردي بأن قال: "سمي بذلك لأنه ينام، قال الشاعر^(٢):

جَادَ إِلَهُ أبا الوليدِ ورهطَه ربَّ الأنامِ وخصَّه بسلام"^(٣)
وهذا الوجه هو حاصل قول أبي عبيد القاسم بن سلام: " (الأنام) الخلق بلغة جرهم"^(٤) ويفهم من هذا أن الأنام يتسع مدلوله ليشمل البهائم والناس والجن والملائكة وربما النبات أيضا لأن فيه حياة من نوع خاص.

الثاني: الأنام الإنس والجن. وهو وجه مروي عن الحسن البصري^(٥)، وعُضِدَ بأن التعبير القرآني قال بعقب ذكره الأنام إلى قوله: ﴿وَالرِّيحَانُ قَبَائِلُ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ولم يَجْرِ للجن ذكر قبل ذلك إنما ذكر الجن بعده فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾، والجن والإنس هُما الثَّقَلَانِ^(٦). وردَّ هذا الاستدلال بأن مخاطبة الثقلين قبل ذكرهما معاً، إنما جازت لأنهما ذكرا بعقب الخطاب؛ كما قال المثقب العبدى^(٧):

(١) ينظر: معاني القرآن للقرآء ١١٣/٣ وجامع البيان ١٤٨/٢٧ والنكت والعيون ٤٢٥/٥-٤٢٦ والتبيان للطوسي ٣٢٧/٩ والبسيط ١٤٠/٢١-١٤١ والكشاف ٤٤٤/٤ والمحزر الوجيز ٢٢٥/٥ ومجمع البيان ٣٣١/٢٧-٢٩ وأنوار التنزيل ٤٥٢/٢ والدر المصون ٢٣٧/٦ وتفسير اللباب ٣٠٤/١٨ وروح المعاني ١٤٥/٢٧-١٤٦ وتفسير الأمثل ٤٣٧/١٣ وتفسير الميزان ٩١/١٩.

(٢) لم أقف على قائله ولا على من استشهد به غير الماوردي.

(٣) النكت والعيون ٤٢٥/٥-٤٢٦.

(٤) تفسير مجاهد ٦٤٠/٢ ولغات القبائل الواردة في القرآن ٢٩.

(٥) جامع البيان ١٤٨/٢٧ والتبيان للطوسي ٣٢٧/٩ والنكت والعيون ٤٢٥/٥-٤٢٦ ومجمع البيان ٣٣١/٢٧-٢٩ والكشاف ٤٤٤/٤ والمحزر الوجيز ٢٢٥/٥ والجامع لأحكام القرآن ١١١/١٧ ونظم الدر ٣٧٦/٧ وتفسير اللباب ٣٠٤/١٨ والدر المصون ٢٣٧/٦ وتفسير الأمثل ٤٣٧/١٣.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة ٣٤٦/١٥ ولسان العرب (أنم).

(٧) الشعر والشعراء ٣٨٤/١.

فما أدري إذا يَمَمْتُ أَرْضاً أريد الخَيْرَ أيهما يليني
الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني
فقال: أيهما، ولم يجر للشر ذكر إلا بعد تمام البيت^(١).

ورأى بعضهم أن "القرائن الموجودة في السورة وطبيعة النداءات الموجهة
للإنس والجن تدل على أن المقصود هنا (الجن والإنس)"^(٢). وعضد الرازي
هذا الوجه بأن ضمير المثني في الآية المرددة في سورة الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يعود على الثقلين وهما (الإنس والجن) فيكون مدلول الأنام
عليهما مفهوماً من أحد "ثلاثة أوجه أحدها: يقال: الأنام اسم للجن والإنس
وقد سبق ذكره، فعاد الضمير إلى ما في الأنام من الجنس ثانيها: الأنام اسم
الإنسان والجان لما كان منوياً وظهر من بعد بقوله: ﴿وَخَلَقَ الْجَانِ﴾ ﴿الرحمن: ١٥﴾
جاز عود الضمير إليه، وكيف لا وقد جاز عود الضمير إلى المنوي، وإن
لم يذكر منه شيء، تقول: لا أدري أيهما خير من زيد وعمرو ثالثها: أن يكون
المخاطب في النية لا في اللفظ كأنه قال فبأي آلاء ربكما تكذبان أيها
الثقلان"^(٣).

الثالث: الأنام هم الناس، وهو وجه مروى ابن عباس في أحد قوليهِ:
الأنام "هم بنو آدم فقط"^(٤). وعُضد هذا الوجه بقول بعض الشعراء في رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٥):
مبارك الوجه يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر

(١) تهذيب اللغة ٣٤٦/١٥ ولسان العرب (أنم).

(٢) تفسير الأمثل ٤٣٧/١٣.

(٣) تفسير الرازي ٨٩/٢٩/١٠ - ٩٠ وينظر: روح المعاني ١٤٥/٢٧ - ١٤٦.

(٤) المحرر الوجيز ٢٢٥/٥ وينظر: النكت والعيون ٤٢٥/٥ - ٤٢٦ وزاد المسير ٢٠٥/٤ والجامع
لأحكام القرآن ١١١/١٧ والدر المصون ٢٣٧/٦ وتفسير الباب ٣٠٤/١٨ وروح المعاني

١٤٥/٢٧ - ١٤٦ وتفسير الميزان ٩١/١٩ وتفسير الأمثل ٤٣٧/١٣.

(٥) ينظر: النكت والعيون ٤٢٥/٥.

وتأول الرازي لدلالة الأنام على الناس فجوز أن يكون ضمير المثني في الآية المرددة عائدا على الذكر والأنثى من الإنس، أو أن يكون تقدير الآية فبأي آلاء ربك تكذب، فبأي آلاء ربك تكذب، والخطاب للإنسان بلفظ واحد والمراد التكرار للتأكيد، فيكون الأنام دالا على الناس^(١).

ووصف الألوسي ما جوزه الرازي في هذين الوجهين بالبعد فقال: "قد أبعد من ذهب إلى أنه خطاب للذكر والأنثى من بني آدم، وأبعد أكثر منه من قال: إنه خطاب على حدّ (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ) ﴿ق: ٢٤﴾ ويا شرطي أضربا عنقه، يعني أنه خطاب للواحد بصورة الاثنين والفاء لترتيب الإنكار"^(٢).

ولم ير الألوسي تخصيص الأنام ببني آدم عند غير ابن عباس^(٣) ووجه هذا التخصيص في مدلول اللفظة بأن قال: "يحتمل أنه أراد أن المراد به هنا ذلك بناءً على أن اللام للانتفاع وأنه محمول على الانتفاع التام وهو للإنس أتم منه لغيرهم"^(٤) وخلص إلى إن "الأولى عندي ما حكى عنه أولاً"^(٥) يريد دلالة الأنام على الخلق الحيّ كلّ لا الناس وحدهم.

وما استبعده الألوسي بلا محصل فلم يبين وجه البعد في قول الرازي، وما ذكره من أن هذا الوجه خبر آحاد عن ابن عباس ليس صحيحا فبهذا المعنى وردت اللفظة في أشعار ما قبل الإسلام، قال لييد^(٦):

فَإِنْ تَسْأَلُنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِّ
والمسحَر صيغة نسب على زنة مفعّل بمعنى (ذو السحر) أي الرثة وقيل
قصبة الرثة بما يتعلق بها من كبد وغيره وقيل أعلى البطن، وهو كناية عن

(١) تفسير الرازي ١٠/٢٩-٨٩-٩٠.

(٢) روح المعاني ٢٧/١٤٥-١٤٦.

(٣) روح المعاني ٢٧/١٤٥-١٤٦.

(٤) روح المعاني ٢٧/١٤٥-١٤٦.

(٥) روح المعاني ٢٧/١٤٥-١٤٦.

(٦) ديوانه ٥٧.

كونهم من الأناسي المخلوقين فكل منهما يطعم ويشرب ومن هنا يقال للرجل إذا جبن: قد انفتح سحره، قال أبو عبيدة في مجاز قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الشعراء: ١٥٣: ﴿كُلَّ مَنْ أَكَلَ مِنْ إِنْسٍ أَوْ دَابَّةٍ فَهُوَ مُسَحَّرٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ لَهُ سَحْرًا يَقْرَى يَجْمَعُ مَا أَكَلَ فِيهِ﴾^(١) وما بعده في الآية يقويه لأن التعبير القرآني ذكر ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الشعراء: ١٥٤: ﴿أَيُّ أَنْتَ ابْنُ آدَمَ لَا يَصَحُّ أَنْ تَكُونَ رَسُولًا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى﴾^(٢).

ووردت اللفظة في شواهد أخرى من الشعر العربي بمعنى (الناس)، من ذلك قول كعب ابن زهير:

لَأَسْتَشْعِرَنَّ عَلَى إِدْرِيسٍ مُسْلِمًا لَوَجْهِ الَّذِي يُنْجِي الْأَنَامَ وَيَقْتُلُ^(٣)
وقال أيضاً:

تَلَبَّثْنَا وَفَرَطْنَا رَجَالًا دُعُوا وَإِذَا الْأَنَامُ دُعُوا أَجَابُوا^(٤)
وقال المتنبي:

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ^(٥)
وثمة عدة قرائن بيانية وروائية تعضد إنسية الأنام، فأما القرائن البيانية التي تلحظ في التعبير القرآني وتشهد بكون الأنام بشرا فهي:

١- ذكر التعبير القرآني في مبتدأ سورة الرحمن أن الأرض وضعها الله ورفع الميزان وذلك في سياق الإنعام على الإنسان ففي بداية السورة قال تعالى (خلق الإنسان) ❖ علمه البيان) والآية تدل على خلق الإنسان فيبعد أن الأنام فيما بعد تدل على المخلوقات عامة وذلك لأن الإنسان هو الذي أنزل عليه

(١) مجاز القرآن ٢/٢٤٣ وينظر: التبيان للطوسي ٩/٣٢٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٢٢٥.

(٣) ديوان كعب: ٥٦.

(٤) المصدر نفسه ٢٤٩.

(٥) ديوان المتنبي: ٢/١١٠.

الكتاب أو القرآن ويُنّه للثقلين. وعلمه البيان بمعنى لِيُبين عن نفسه والبيان هو القدرة على التعبير عما في النفس.

٢- وردت لفظة الأنام في سياق قرآني زاخر بمنافع البشر فذكر (فيها فأكهة). أي: ما يتفكه به الإنسان من ألوان الثمار، وذكر «والنخل ذات الأكماء» إشارة إلى الأشجار^(١). قال ابن عاشور: "سياق الآية يرجح أن المراد به الإنسان، لأنه في مقام الامتنان والاعتناء بالبشر كقوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) ﴿البقرة: ٢٩﴾" ^(٢).

٣- استعمل التعبير القرآني الأرض موصوفة بصفات توائم حياة الجنس البشري عليها ومنها "أنها ذكرت هنا بعنوان هبة إلهية مهمة، وفي آيات أخرى ذكرت بعنوان (مهاد) مأوى ومستقر للإنسان الذي لا يدرك قدرها غالباً في الحالات الاعتيادية، إلا أنه في حالة حدوث تغير بسيط كزلزلة مدمرة أو بركان بإمكانه أن يدفن مدينة بأكملها تحت المواد المذابة وعتمة الدخان ولهيب النار، هنا ندرك كم أن هدوء الأرض نعمة عظيمة، خصوصاً إذا وضعنا الأرقام التي توصل إليها العلماء أمامنا فيما يتعلق بسرعة حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، عند ذلك يتبين لنا أهمية هذا الهدوء الكامن في أعماق هذه الحركة السريعة جداً والتي هي ليست نوعاً واحداً، بل أنواع مختلفة. التعبير بـ (وَضَعَ) عن الأرض في مقابل (رَفَعَ) عن السماء، إضافة إلى الروعة البلاغية في هذا التقابل فهو إشارة إلى تسخير الأرض ومنابعها للإنسان حيث يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا﴾" ^(٣).

٤- تظهر قوة هذا الوجه في أن اللام في " (لِلْأَنَامِ) يدل على الاختصاص، فإن اللام لعود النفع... والأرض موضوعة لكل ما عليها، وإنما خص الإنسان

(١) الدر المصون ٢٣٧/٦ وتفسير اللباب ٣٠٤/١٨.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٤١/٢٧.

(٣) تفسير الأمل ٤٣٧/١٣.

بالذكر لأن انتفاعه بها أكثر فإنه ينتفع بها وبما فيها وبما عليها، فقال ﴿لِلْأَنَامِ﴾
لكثرة انتفاع الأنام بها، إذا قلنا إن الأنام هو الإنسان، وإن قلنا إنه الخلق
فالخلق يذكر ويراد به الإنسان في كثير من المواضع^(١).

٥- قارب التعبير القرآني في سورة الرحمن بين (الثقلان) وبين (معشر
الجن والإنس) وذلك في تحديدهم معا بقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ
اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا
بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا
تَنْتَصِرَانِ﴾ ﴿الرحمن: ٣٣- ٣٥﴾ فتقديم الشواظ على النحاس ملائم لتقديم
الجن على الإنس فكأن الحمم المتطايرة للجنس الطائر والصهير الزاحف
للجنس الماشي^(٢). ولم يقارب التعبير القرآني بين الجن والإنس من جهة
والأنام من جهة أخرى وهذا دليل على اختلاف المدلول بينهما.

٦- تفسيرهم الأنام بمن على الأرض من الأحياء يصطدم بمدلول الخلق،
ولكن العقل يوجب فرقاً دلاليّاً بين لفظتي (الخلق) و(الأنام)؛ "فالخلق عام
لكل ما خلق الله في السموات والأرض وما بينهما ومن ملائكة وإنس وجن
ومن حيوان ونبات وجماد وما نعلم منها وما لا نعلم"^(٣) فلا يعقل أن يكون
لفظ الأنام بهذا المدلول نفسه.

٧- يمكن توجيه ضمير المثني في الآية المرددة في سورة الرحمن إلى إنه
عائد على المكلفين (الإنس والجن) المفهومين من ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا
تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ﴿الرحمن: ٩﴾ والمكلفين هما الإنس والجن. وفي قوله تعالى
ابتداء (الرحمن علّم القرآن) القرآن هو للإنس والجن. إذن من الممكن أن
يخاطب تعالى الثقلين مباشرة دون أن يسبقه كلام وإنما في هذه الآيات سبقه

(١) تفسير الرازي ١٠/٢٩/٨٩- ٩٠ وتفسير اللباب ١٨/ ٣٠٤.

(٢) ينظر: (شواظ ونحاس في القرآن الكريم بين التأصيل الصرفي والإعجاز العلمي: ٢٣) /
بحث.

(٣) الإعجاز البياني: د. عائشة عبد الرحمن: ٢/ ٢٧٨.

كلام وأوامر ونواهي للثقلين والكتاب الذي أنزل للإنس والجنّ إذن هو خطاب عام للثقلين في قوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان). وإنما جاء الخطاب في الآية للثقلين (بالمثنى) وقال تعالى (وأقيموا الوزن) بالجمع لأن الخطاب للثقلين بالمثنى هو للفريقين عموماً وهما فريقان اثنان (فريق الإنس وفريق الجن) على غرار قوله تعالى (قالوا خصمان) وقوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وصيغة الجمع تدل على أن الخطاب هو لكل فرد من أفراد هذين الفريقين.

فيظهر مما سبق كون الأنام هم الناس ولكن ليس هذا المدلول على إطلاقه فلا يراد بالأنام عموم الناس بل صفوتهم وخلاصتهم، فالإنسان هو خليفة الله على أرضه، إذ قال في كتابه العزيز: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) ﴿الأنعام: من الآية ١٦٥﴾، وسخر له ما في السموات والأرض: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ﴿الجاثية: ١٣﴾، والكثير من الآيات التي تؤكد خلافة الإنسان للأرض وتسخير من فيها لخدمته، ولم يكن الإنسان وحده في هذه الأرض فهناك مخلوقات أخرى غيره هي شريكة له فيها منها الحيوان والنبات والجن، إلّا أن الإنسان كان أكثر هذه المخلوقات انتفاعاً، ومعظم هذه المخلوقات مُسَخَّرَةٌ له. والتعبير القرآني قسم البشرية منذ الخليفة على صنفين: الغاوين وهم الكثرة الكاثرة من حزب إبليس والمخلصين وهم الخلاصة المستخلصة من البشرية جمعاء، يشهد لهذا سياق سورة الحجر في الآيات: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) ﴿الحجر: ٣٩-٤٢﴾، ولا يفهم معنى الأنام بمعزل عن قصة الاستخلاف البشري في الأرض التي ذكرها التعبير القرآني مفصلة. وفي مشهد آخر منها إنما أنكر الملائكة جعل الخليفة في الأرض لأنهم بحسبانهم أنه جعل أبدي لا ابتلائي فقال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٣٠﴾ أي إن الملائكة نظروا إلى الحياة الدنيا للإنسان لا الحياة الآخرة ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿العنكبوت: ٦٤﴾ ولفظة الأنام اسم جمع لأهل الجنة ولذا اقترن التعبير القرآني في آيتها باللام المآلية فقال تعالى ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ والوضع قرينة للإنسان وإلا فالجن ليس له موضع محدد أي إن مآل وضع الأرض سيكون لهذا الصنف من البشرية وهم عباد الله الخالص الذين ستؤول ملكية الأرض إليهم يستقروا عليها أخير بعد تمحيص وابتلاء كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ﴿الأنبياء: ١٠٥﴾. والتعبير القرآني لما أورد الأرض مملوكة للأنام بلام الملك أشار إلى الاستخلاف البشري الذي يختص بالصالحين لا الغاوين الذي لن ينالوا من ملك الأرض شيئاً خلا إنهم من ترابها وإليه ثم يبعثون للعذاب الأبدي.

٢١ - الإنجيل

اختلف في تأصيل الإنجيل، عربي أم أعجمي؟، والذاهبون إلى إنه عربي لا خلاف بينهم في أنه من الأصل (نجل) بزنة (إفعليل) لأن هذا بناء ثبت في العربية كـ (إخريط، وإسليح، وإجفيل، وإقليد)^(١)، ولذا استحسنوا قراءة من كسر الهمزة وضعفوا قراءة من فتحها لأن (إفعليل) ليس له مثال في العربية^(٢). لكنهم مختلفون في تقدير المعنى الذي يدل عليه الأصل (نجل) ومن ثم معنى الإنجيل في العربية ولهم في ذلك أربعة مذاهب:

(١) الإخريط من أطيب الحمض سمي إخریطاً لأنه يُخَرِّطُ الإبل أي يرقق سلحها كما قالوا لبقلة أخرى تُسَلِّحُ المَواشي إذا رَعَتْها: إِسْلِيحٌ. والإجفيل: الجبان الذي يهرب من كل شيء، والإقليد: المفتاح. ينظر: لسان العرب: (خرط، جفل، قلد).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٨٠/٢ والمحاسب ١٥٢/١ ومشكل إعراب القرآن ٢٢٨/١ ومجمع البيان ٤٠٧/٣ والبحر المحيط ٣٧١/٢.

الأول: إن الإنجيل بمعنى الأصل وهو إفعيل من قولهم: قد نجله أبوان كريمة؛ أي ولده أبوان. ويقال: لعن الله ناجليه، أي؛ أبويه، ومنه قول الأعشى^(١):

أَنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَّاهُ فَنِعَمَ مَا نَجَّاهُ
وقول الآخر^(٢):

إِلَى مَعْشَرٍ لَمْ يُورِثِ اللُّؤْمَ جَدُّهُمْ أَصَاغَرَهُمْ وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُمْ نَجْلٌ
فكأن معنى الإنجيل أصل للقوم الذين أنزل عليهم، يحللون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بما فيه. أو يكون المراد أن "الإنجيل أصل من أصول العلم"^(٣).

وقد ورد ذكر هذا المذهب لدى القدماء من دون عزو إلى صاحبه لكن أبا حيان عزاه إلى الخليل^(٤). وعزاه الطبرسي إلى علي بن عيسى الربعي^(٥).
الثاني: إن الإنجيل (إفعيل) من قول العرب: قد نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته إذ يقال للماء الذي يخرج من النز: نجل، ويقال: قد استنجل الوادي إذا نز ماؤه فسمي الإنجيل كذلك لأن الله تعالى أظهره للناس

(١) ديوانه ١٥٧.

(٢) لم أقف على قائله وهو من شواهد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٥/٤.

(٣) مجمع البيان ٢/٢٠٨.

(٤) ينظر: إصلاح المنطق ٥١ وتفسير غريب القرآن ٣٦ وإعراب القرآن المنسوب ٨٧٩/٣ ومعاني القرآن وإعرابه ١٨٠/٢ وجمهرة اللغة ١١٢/٢ والزاهر في معاني كلمات الناس ١٦٨/١ وتهذيب اللغة ٨١/١١ ومشكل إعراب القرآن ٢٢٨/١ ولسان العرب (نجل)

والبحر المحيط ٣٧١/٢.

(٥) مجمع البيان ٢/٢٠٨.

بعد طُموس الحقّ ودروسه فهو مستخرج أما من اللوح المحفوظ أو من التوراة. والى هذا ذهب ابن جني^(١).

الثالث: إن الإنجيل (إفعليل) من التناجل بمعنى التنازع والاختلاف لأنّ الناس اختلفوا فيه وتنازعوا، وعزي هذا المذهب إلى أبي عمرو بن العلاء^(٢).
الرابع: إنّ الإنجيل من النجل بمعنى الفرع ومنه قيل للولد: نجل، فكأنّ الإنجيل فرع على التوراة مستخرج منها^(٣).

الخامس: إنّ الإنجيل بمعنى الواسع وهو (إفعليل) من (نجل) بمعنى اتسع، ومعنى السعة في الجذر (نجل) ظاهر في النّجل وهو الماء الذي يخرج من النّز، ويقال: استنجلت الأرض، وبها نجل إذا خرج منها الماء من النّجل فى العين (بالتحريك) وهو سعتها، وقالوا: نجلت الإهاب إذا شققته، وطعنة نجلاء أي واسعة الشق. قال الشاعر^(٤):

رُبَمَا ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ بَيْنَ بُصْرَى وَطَعْنَةِ نَجْلَاءِ
فكأنه سمى بالإنجيل لأنّ فيه توسعة خلاف التوراة. ونقل عن الأصمعي أنّ الإنجيل كل كتاب مكتوب وافر السطور^(٥). وعزا الطبرسي هذا الوجه إلى ابن فضال وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وتأول معناه بأنّ المراد أنه تعالى "وسع عليهم في الإنجيل ما ضيق على أهل التوراة"^(٦).

(١) ينظر: المحتسب ١٥٢/١ - ١٥٣ والخصائص ١١٣/٢ ومشكل إعراب القرآن ٢٢٨/١ ومجمع البيان ٤٠٧/٣ والجامع لأحكام القرآن ٥/٤.

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١٦٨/١ ولسان العرب (نجل) والبحر المحيط ٣٧/٢.

(٣) مجمع البيان ٤٠٧/٣.

(٤) لم أقف على قائله وهو من شواهد ابن دريد في جمهرة اللغة ٤٩٢/١.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (نجل) ولسان العرب (نجل) وتاج العروس (نجل).

(٦) التبيان للطوسي ٥٣٩/٣.

واختار فريق من المفسرين هذا الوجه بعد أن وجدوا قوة حجته اشتقاقاً ومعنى^(١).

وذهب فريق من علماء العربية كابن خالويه والزمخشري والجواليقي وأبي حيان وآخرين إلى أن الإنجيل اسم أعجمي أو سرياني ثم عُرِبَ، ولذا لم يضعفوا قراءة من فتح الهمزة لأن الأسماء الأعجمية لا تجري في سنن العربية غالباً كـ (إبراهيم وقابيل وأجر) وغير هذا^(٢).

ونقل عن الأب انستانس ماري الكرملّي قوله في الإنجيل: "الكلمة يونانية الأصل وأصلها (أو أنجيليون) مركبة من كلمتين معناهما البشري الحسنة"^(٣). وقال برجستراسر: أنجيل "في الحبشية (eangil) وأصلها اليوناني (euangelion)"^(٤). وفي المعجم الوسيط قالوا: "الإنجيل: كتاب الله المنزل على عيسى وهي كلمة يونانية معناها البشارة (ج) أناجيل"^(٥).

وإنما شاع بين اللسانين المحدثين أن اللفظة معربة لعدم اطمئنانهم إلى (النجل) وما يؤديه من معان لا تتناسب مع معنى الإنجيل. وما أعانهم على ترجيح عجمة الإنجيل هو اختلاف علماء العربية واضطرابهم في تقريب معنى النجل من الإنجيل تأويلاً وتقديراً في خمسة سبل، لكن معنى الإنجيل يتضح في أكثر من لغة، ففي اليونانية "Gualion" وتعني البشارة الحسنة وفي الانكليزية (Angle face) بمعنى وجه ملائكي^(٦).

(١) ينظر: مجمع البيان ٤٠٧/٣ والتيبان للعكبري ١٢٣/١ وبحر العلوم ١٩٣/١ والكشف والبيان ٨/٣ والنكت والعيون ٢٥/١ وتفسير البسيط ٤٤٨/١.

(٢) ينظر: المختصر ١٩ والكشاف ٣٦٥/١ والمغرب ٢٣-٢٤ والبحر المحيط ٣٧١/٢ وتحفة الأريب ٢٦٤.

(٣) المغرب ٢٤ (الهامش).

(٤) التطور النحوي ٢٢٨.

(٥) المعجم الوسيط ٢٩/١.

(٦) ينظر: غرائب اللغة العربية ٢٥٤.

وواضح جداً أن تأصيل اللفظة في غير العربية مختلف فيه أيضاً يونانية هي أم سريانية أم أعجمية، وإذن ليس للرأي القائل إن اللفظة أعجمية فضل مزية على الرأي القائل بعروبتهما ففي كليهما يلحظ الحدس والتخمين والاجتهاد الشخصي، ويمكن عضد عروبة الانجيل بالحمل على النظائر في العربية كالإبريق والاسفين والازميل وغيرها من الألفاظ التي شاعت في متن العربية أصالة أو تعريباً حتى تنوسي أصلها ومعنى السعة في اشتقاق الانجيل مفهوم من كونه جاء ردفاً للتوراة فضلاً عن نقل هذا الوجه عن ابن فضال وهو من أصحاب الإمام الصادق الخلف أي إن رواية هذا الوجه عن أهل البيت قوية فينبغي التمسك به.

٢٢ - إنسان

جاء الخلاف في تأصيل لفظة إنسان مدرسياً في الكتب المخصصة بدرس الخلاف فعزى إلى البصريين أنه من الإنس وإلى الكوفيين أنه من النسيان^(١). أما البصريون فذهب سيبويه منهم إلى إن الإنسان (فعلان) من الإنس^(٢)، وإلى هذا ذهب جمهور البصريين القدماء ومعظم المتأخرين، قائلين: إن الإنسان مأخوذ من الإنس، وسمي الإنس إنساً لظهورهم كما سمي الجن جنّاً لاجتنانهم أي استتارهم، ويجوز أن يكون سمي الإنس إنساً لأن هذا الجنس يستأنس به ويوجد فيه من الأئس وعدم الاستيحاش ما لا يوجد في غيره من سائر الحيوان ومن هنا قيل: آنت الشيء إذا أبصرته، كما في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} ﴿النمل: ٧﴾. وعلى كلا الوجهين الألف والنون في

(١) ينظر: الانصاف ٨١١/٢ وائتلاف النصرة ٨٥.

(٢) ينظر: الكتاب ٢٥٩/٤.

(إنسان) زائدتان، والهمزة في الإنس أصلية وهي أصلية - أيضا - في (إنسان)^(١).

أما الكوفيون فاعتمدوا على قول ابن عباس (رضي الله عنه): "إنما سمّي إنساناً لأنه عهد إليه فني" ^(٢). فذهبوا إلى أنّه مشتقّ من النسيان وأصله "إنسيان على إفعلان من النسيان إلا أنّه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا منه الياء التي هي اللام لكثرة في استعمالهم... كقولهم (عم صباحاً) في (أنعم صباحاً) و (ويلمه) في (ويل أمه)... والذي يدلّ على أن (إنسان) مأخوذ من النسيان أنهم قالوا في تصغيره: (أنسيان) فردّوا الياء في حال التصغير... والتصغير يردّ الأشياء إلى أصولها" ^(٣).

ونسب ابن قتيبة هذا المذهب على بعض البغداديين ^(٤). وتبين للدكتور مهدي المخزومي "أنّ المقصود بالبغداديين هنا هم الكوفيون" ^(٥). والغريب في الأمر أن يرد مذهب أهل الكوفة في كتاب العين ولا يرد مذهب أهل البصرة فيه ^(٦). وأنكر البصريون مذهب الكوفيين لأنّ الأصل (إنسيان) غير مسموع كما سمع (انعم صباحاً) و (ويل أمه)، وأما تصغيره على (أنسيان) فعلى سبيل الشذوذ كما شدّ (رويجل) تصغير (رجل) و (مغربان) تصغير (مغرب). ووجد بعض المتأخرين قوة الاستدلال بالتصغير (إنسيان) فذهبوا إلى أن (إنسان) أصله (إنسيان) وهو (فعليان) من (الإنس) لا (إفعلان) من

(١) الإنصاف ٨١١/٢ - ٨١٢.

(٢) أدب الكاتب ٤٩٩ وينظر: تفسير غريب القرآن ٢٢ ولسان العرب ٣٠٧/٧.

(٣) الإنصاف ٨٠٩/٢ - ٨١١ وينظر: معاني القرآن للقرّاء ٢٦٩/٢ ومجالس ثعلب ٣٥٣ والاشتقاق لابن دريد ١٦٢ والزاهر في معاني كلمات الناس ٢٤٦/١ ورسالة الغفران ٣٦١ والمخصص ١٦/١ - ١٧ والمفردات ٢٥ والامالي الشجرية ١٢٣/١ - ١٢٥ ومجمع البيان ٩٨/١ وشرح الشافية للرضي ٢٧٤/١ وائتلاف النصرة ٨٥.

(٤) ينظر: أدب الكاتب ٤٩٩.

(٥) الدرس النحوي في بغداد ٢١٧ وينظر: أبنية الصرف ١٦٣.

(٦) ينظر العين ٣٠٨/٧.

النسيان^(١). ووافق الكوفيون البصريين في أن (إنسي) منسوب إلى الإنس، وكذا وافقوهم في أن (أناسي) يجوز فيه أن يكون "واحدهم إنسي وإن شئت جعلته إنساناً ثم جمعته أناسي فتكون الياء عوضاً من النون"^(٢).
والأظهر رأي البصريين الذين أجروا الأصل (أنس) في أربعة ألفاظ أخرى وردت في التنزيل العزيز هي (إنسي) و (أناسي) و (أناس) و (ناس). ف (الإنسي) - لديهم - منسوب إلى الإنس ك (جنّ وجنّي). و (أناسي) أصله (أناسين) بوزن (فعالين) وهو جمع تكسير لـ (إنسان) ك (بستان وبساتين)، فقلبت نونه المتطرفة ياء وأدغمت الياء بالياء فصار (أناسي)، ويجوز فيه تخفيف الياء المشدودة فيقال: (أناسي) بياء واحدة^(٣)، ومنهم من ذهب إلى أنه جمع (إنسي) ك (كرسي وكراسي) فعلى هذا لا إبدال فيه، واختار فريق هذا المذهب عازياً إياه إلى الأخفش والمبرد لأنه لا يقال في جمع نحو سرحان سراحٍ وبستان بساتي^(٤). وسيأتي لاحقاً بعد رأيهم في أن الناس أصله الأناص فسقطت همزته.

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٨٨/١٧ والإنصاف ٨١٣/٢ ولسان العرب ٣٠٧/٧ وائتلاف النصرة ٨٦.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٩/٢ وينظر: جامع البيان ١١٦/١، ٢١/١٩ - ٢٢.

(٣) ينظر: المقتضب ٣٣/١ وإعراب القرآن للنحاس ٧٩٥/٣ واشتقاق أسماء الله ٢٤ ومجالس العلماء ٥٦ وإعراب ثلاثين سورة ٢٥٥ وسر صناعة الإعراب ١٣٨/١ والفروق اللغوية ٢٢٦ والصحاح ٩٠٢/٢ ورسالة الغفران ٣٦٠ والمخصص ١٦/١ - ١٧ والبيان ٦٧/١ والكشاف ١٦٥/١ - ١٦٦ والامالي الشجرية ١٢٣/١ - ١٢٥ ومجمع البيان ٩٨/١ والبيان للعكبري ٢٩٨/٢ وشرح المفصل ١٢١/٥ وشرح الملوكي ٢٩٢ وشرح الشافية للرضي ٢٧٤/١ ونهاية الإرب ٥٠٧/٢ وشرح الجاربردي ٢١٠ وحاشية الصبان ١٥٩/٤.

(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤٧٠/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٠٦/٢ والممتع في التصريف ٣٧٢/١ ولسان العرب ٣٠٧/٧، وتحفة الأريب ٣٩ والبحر المحيط ١١١/٢ و٥٠٥/٦.

٢٣- أَنْعَمُ

اختلفوا في مفرد جمع التكسير الدال على القلة (أنعم) على وزن (أفعل) في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢) وقوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ١٢١) على أربعة أقوال:

الأول: أن يكون مفرد (أنعم) هو (نعمة) مثل شدة وأشد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٢٢)، وعُزي هذا الوجه إلى أبي الهيثم الرازي فقال: "وَاحِدَةُ الْأَنْعَمِ نِعْمَةٌ، وَوَاحِدَةُ الْأَشَدِّ شِدَّةٌ".^(١) وعزاه الطبري إلى بعض نحويي البصرة ولم يسمه فقال: "اختلف أهل العربية في واحد الأنعم، فقال بعض نحويي البصرة: جمع النعمة على أنعم، كما قال الله (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) فزعم أنه جمع الشدة"^(٢). وقيل: إن سيبويه حكى أن جمع النعمة نعم وأنعم كشدة وأشد^(٣)، وقال النابغة^(٤):
فلن أذكر النعمان إلا بصالح فإن له عندي يدياً وأنعماً
وهذا اختيار الزمخشري^(٥) الذي رأى أن الأنعم جمع نعمة على ترك التاء ولا اعتداد بالتاء كدرع وأدرع. وهو - أيضاً - اختيار الفخر الرازي الذي رأى أن الأنعم جمع نعمة وهو جمع قلة، ولم يأت بنعم الله وذلك أنه قصد التنبيه بالآدنى على الأعلى بمعنى أن كفران النعم القليلة أوجب العذاب، فكفران

(١) تهذيب اللغة ٩/٣.

(٢) جامع البيان ٣١١/١٧.

(٣) لسان العرب (نعم).

(٤) ديوانه ١١٧.

(٥) الكشف ٥٩٦/٢.

الكثيرة أولى بإيجابه ^(١). واختار آخرون هذا الوجه دون عزو لصاحبه ^(٢).
الثاني: عزي إلى قطرب أن يكون مفرد (أنعم) هو (نعم) مثل غُصن
أغصن، ورأى قطرب أن "نعم بمعنى النعيم، يقال: هذه أيام طُعم ونعم فيكون
كبؤس وأبؤس" ^(٣).

وعزا الطبري هذا الوجه إلى رجل (آخر) من البصريين فقال: "قال آخر
منهم: الواحد نُعم، وقال: يقال: أيام طُعم ونعم: أي نعيم، قال: فيجوز أن
يكون معناها: فكفرت بنعيم الله لها. واستشهد على ذلك بقول الشاعر ^(٤):
وعندي قُرُوضُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كُلِّهِ فُبُؤْسٌ لِّذِي بُؤْسٍ وَنُعمٌ بَأُنعمٍ" ^(٥)
واختار الجوهري هذا الوجه فقال: "النُعمُ بالضم: خلافا لبؤس، يقال:
يومُ نُعمٍ، ويومُ بؤسٍ، والجمع أنُعمٌ وأبؤسٌ" ^(٦).

الثالث: أن يكون مفرد (أنعم) هو (نعماء) مثل بأساء وأبؤس ^(٧)، وعزاه
الطبري إلى بعض أهل الكوفة فقال: "وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَقُولُ: أَنْعمُ:
جَمْعُ نَعْمَاءَ، مِثْلُ بَأْسَاءَ وَأَبُؤْسُ، وَضَرَاءَ وَأَضْرُ، فَأَمَّا الْأَشَدُّ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ جَمْعُ
شَدٍّ" ^(٨). ويبدو أن هذا هو مذهب الكسائي والفراء إذ عزي إليهما أن (أشد)
جمع (شد) على القياس ومثله (قد وأقْد) و (ضَبَّ وأَضَبَّ) ^(٩).

(١) ينظر: تفسير الرازي ٢٧٩/٢٠.

(٢) ينظر: مجمع البيان ١٨٣/٦ والجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٠ والبحر المحيط ٥٢٤/٥ وتفسير
اللباب ١٧٣/١٢.

(٣) البحر المحيط ٥٢٤/٥ وينظر: الدر المنصون ٢٩٦/٧.

(٤) من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٦٩/١).

(٥) جامع البيان ٣١١/١٧.

(٦) الصحاح (نعم).

(٧) مجمع البيان ١٨٣/٦.

(٨) جامع البيان ٣٨٥/١٤.

(٩) تفسير الرازي ٢٧٩/٢٠.

الرابع: أن يكون الأنعم جمع مفردة (نعمى) مثل بُؤسى وأبؤس وهذا وجه ساقه القرطبي ثم ابن عادل^(١) ولم ينسباه إلى أحد. واختار الفيروز أبادي هذا الوجه فقال: "النَّعْمَى، بالضم الحَفْضُ، والدَّعَى، والمالُ، كَالنَّعْمَةِ، بالكسر، وجمَعُها نِعَمٌ وأنْعَمَ"^(٢).

وفي هذه الأوجه يكون الجمع (أنعم) شاذاً لأن القياس فيما كسر على (أفعل) أن يكون اسماً على وزن (فعل) صحيح الفاء والعين وغير مضعّف^(٣)، وهنا ورد المفرد (نعمة) مكسور العين ففقد أحد شروط تكسيره على أفعل ومع ذلك سُمع الجمع المقيس منه وهو (أنعام) مثل ضلع أضلاع هذا إذا لم يراع زيادة التاء في آخره، أما إذا روعي زيادة التاء في آخره فإن القياس يستدعي أن يكسر نعمة على نِعَم مثل قربة قرب ولحية لحي. أما الوجه الثاني فشاذ أيضاً للجيء المفرد (نعم) مضموم الفاء فقياس فعل أن يكسر في القلة على أفعال كقفل أقفال وعُرف أعراف وغُصن أغصان أما أغصن فيبدو أنه غير مسموع إذ لم أهتد إليه في معجمات اللغة جاء في المحكم "الغُصْنُ ما تشعب عن ساق الشجرة دقاقها وغلاظها والجمع أغصان وغُصُون وغُصْنَة مثل قُرْط وقرْطَة والغُصْنَة الشُعْبَة الصغيرة منه يقال غُصْنَة واحدة والجمع غُصْنٌ"^(٤) وكذا النعماء والنعمى فقد اُحْد التّكسِير على أفعل للزيادة في الآخر. ولذا فالأظهر أن يكون الأنعم جمع مفردة (النَّعْمَة) بفتح النون وهي اسم لما يتنعم به الإنسان من مأكّل أو مشرب أو ملبس^(٥). وأما النَّعْمَة بكسر النون فتعني ما أنعم الله به على عباده من مال أو رزق^(٦) وهي تُجمع على

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٠ وتفسير اللباب ١٧٤/١٢.

(٢) القاموس المحيط (نعم).

(٣) ينظر: كتاب سيبويه ٦٢٨/٣ - ٦٢٩.

(٤) لسان العرب (غصن) وينظر: المحكم ٤٢٣/٥.

(٥) جمهرة اللغة ٩٥٣/٢.

(٦) نفسه.

(نعم). والموجب لهذا الاستظهار هو إن النعمة بفتح النون مستعملة في التعبير القرآني في سياق سلبها من المتنعم بها بعد الكفر بها في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨]. فهذا يدل على إن النعمة هنا تعني المرة الواحدة من الإنعام وأما المكسورة الفاء فتعني حالة الإنعام وهيئته وهذا لا يليق بها أن تسلب من قوم أو يكفر بها آخرون لأنها أرسخ وأثبت فاستعملها التعبير القرآني مع الشاكرين الحامدين لا الجاحدين الكافرين كما في قوله تعالى ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] فالمراد "ما أنت بأنعام الله عليك وحمدك إياه على نعمته بمجنون. والنعمة بالكسر اسم من: أنعم الله عليه يُنعم إنعاماً ونعمة، أقيم الاسم مقام الأنعام، كقولك: انفقته عليه إنفاقاً وَنَفَقَةً بمعنى واحد" (١).

ومن هنا يكون الملائم لوحدة الخطاب في التعبير القرآني أن يكون الأنعم المكفور بها في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] جمعا للنعمة المفتوحة الفاء لاتحاد مدلول اللفظ في المفرد والجمع ثم إن القياس الكثير في جمع التكسير (أفعل) يستدعي أن يكون المفرد مفتوح الفاء ساكن العين والنعمة أقرب المفردات قياسا إلى الجمع (أنعم) وهي أولى أن يقال بها ولا اعتداد بالتاء لأن تاءها لو حذفت لجرى القياس بين المفرد والجمع دونما كسر فيقال: نعم أنعم مثل فلس أفلس ونجم أنجم وقصر أقصر.

(١) تهذيب اللغة ٩/٣.

٢٤ - انقض

اختلف في زنة (انقض) الوارد في قوله تعالى: "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾" على مذهبين فذهب الجمهور إلى إنه (انفعل) من القَض مصدر قَض الخشبة يقضها من باب (نصر) إذا ثقبها، ويقال منه في باب الانفعال: انقض الطائر إذا هوى في طيرانه، وانقض الجدار إذا سقط، ومعنى الآية يناسب هذا الاشتقاق لأن الجدار يريد ان يسقط فأقامه الخضر (عليه السلام)^(١).

وعُزي إلى الفارسي مخالفته الجمهور، وذهابه إلى إن انقض إنما هو (افعل) من (النقض) مصدر نقض البناء من باب (نصر) إذا هدمه وأسقطه، اذ يدل هذا الأصل دلالة صريحة على هدم البناء فيقال منه: النقض بضم النون وكسرها للبناء المنقوض ويستعمل مجازا لنقض العهود والمواثيق كما في قوله تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ١٥٥، ومن المجاز أيضا النقيضة في الشعر وهي ما ينقض به من أقوال الخصوم وجمعها نقائص.

أما النقض فدلالته على الهدم والسقوط لا تدرك إلا بطريق المجاز اذ لم يرد في كتب اللغة دالا دلالة حقيقية على هدم الجدار، لذا كان حمل (انقض) على النقض أولى من حمله على القَض لبيان دلالة (النقض) على الهدم وتكلف استحصال المعنى المقصود من (القض)^(٢).

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٢٥٢/٨ والكشاف ٤٩٥/٢ والصحاح (قضض) وتفسير الرازي ٥٧/٢١ ولسان العرب (قضض، نقض) والبحر المحيط ٥٢/٦ والمصباح المنير ٥٠٧ وانوار التنزيل ٣٩٨/٤ وفتح القدير ٣٠٣/٣.

(٢) ينظر: لسان العرب (قضض) والبحر المحيط ١٥٢/٦.

ومما يعضد مذهب الفارسي قلة جريان الأصل (قض) مزيدا فيه لما فيه ثقل التضعيف وفي الزيادة ثقل آخر، وما سمع منه في باب التفعّل أبدلت اللام فيه ياء إبدالا مطردا تخلصا من ثقل توالي الأمثال فليل، تقضي الباز. أما (نقض) فمستعمل في أبواب الإفعال والافتعال والمفاعلة والتفعيل والتفعّل والتفاعل فلا غرو بعد هذا من سماعه في باب الافعال فيقال منه: انقض انقضاضاً بزنة افعّل افعلال، ثم إن نظرة فاحصة في التعبير القرآني تنبئ بأنه خصّ البناء (انفعل) بالدلالة على الأفعال الالهية المعجزة كانهطار السماء واندثار الكواكب وانسلاخ الاشهر الحرم وغير هذا، وقد صلح هذا البناء في التعبير عن هذه الأفعال لسببين الاول: دلالة على المطاوعة في حصول الفعل وهو أمر مطلوب اذا ما علمنا ان الفاعل الحقيقي هو الله القادر المقتدر والآخر انه بناء لا تستدعي افعاله ظهور الفاعل الحقيقي في الجملة وتخصيصه بالتعبير عن الافعال الالهية هذه فيه تنزيه للفاعل الحقيقي الذي هو (الله) جل وعلا، ولذا يبعد ان يكون (انقضاض الجدار) من باب الانفعال لأن هذا الفعل ليس بمقصود على الأفعال الالهية وحصوله ليس معجزا أما فاعله الحقيقي إذا كان من هذا الباب فيمكن أن يكون الريح أو المطر أو شخص حقيقي وحينئذ يكون عدم التصريح به في الآية الكريمة غير موجه. ولذا كان اخراج (انقض) على باب (الافعال) أبين وأكثر مناسبة لان فاعل (افعل) يتّصف بالفعل ولا يقوم به، ففي قوله تعالى "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ" النحل: ٥٨ ﴿٥٨﴾ "اتصف الوجه بالسواد فكأنه كقولنا: أسود الوجه، وعلى وفق هذا يمكن القول إن الجدار في الآية الكريمة اتصف بالنقض ولم يقم به.

ومما يعضد هذا الاختيار أن وزن (افعل) في الأفعال يكون دالا على حدوث الفعل من الفاعل نفسه. إذ قال المبرد يصف أمثلة باب الافعال "أصل هذا الفعل إنما هو لما يحدث في الفاعل نحو احمر واعور فإن وقع ذلك للمكان أو الزمان قلت مكان محمر فيه ومعور فيه ويكون المصدر على مثال

(أفعلال) نحو الاحمرار والاصفرار^(١). وواضح من تمثيل المبرد أن أفعال هذا الباب تدل على الألوان والعيوب، ولذا يكون انقضاؤ الجدار مجازا في العيوب التي هي من لوازم آدميين كاحول واعور واعرج ونحوها، وهذه العاهات طارئة وليست ثابتة خلقة وكذا انقضاؤ الجدار إذ علم صاحب موسى أنه سيحدث فجأة. وأفاد مجيء الفعل (يريد) في الآية الكريمة تأخر زمن النقص عن الزمن الذي وجد فيه الخضر وصاحبه (عليهما السلام) الجدار.

٢٥- أول

في لفظة أول وما تفرع منها في نحو قوله تعالى: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة: ٤١) ﴿بلغ الخلاف مبلغا يدعو إلى التأمل الدقيق بل الحيرة أحيانا، وسبب ذلك أن كل ما قيل في وزنها وأصل اشتقاقها من آراء غير منسوب إلى أصحابها نسبة يطمأن إليها، فنسب إلى العالم الواحد أو المدرسة الواحدة رأيان متضادان. والزنان التي ورد ذكرها خمس هي (أفعل، فوعل، فعل، أعفل، عفول)، أما الأصول التي قيل: إن اللفظة اشتقت منها فتلاثة هي: (وول يوول) - وهو أصل مهجور - و (آل يؤول) إذا سبق أو إذا رجع و (وأل يوأل) إذا نجا، وللبيان سيكون عرض الخلاف في هذه اللفظة موزعا على زاناتها الخمس التي رتب بحسب شهرتها.

١- أفعل من (وول) أو (وأل) أو (آل)

الذي يطمأن إليه أن مذهب البصريين في (أول) هو أفعل من (وول)، إذ وردت في كتبهم إشارات واضحة إلى مذهبهم هذا، كقول سيويه "وجاء على

(١) المقتضب ٧٦/١.

فعل لا يُتكلَّم به كراهية نحو ما ذكرت لك أول^(١) وقوله أيضاً: "وأما أول فهو أفعل. يدلّك على ذلك قولهم: هو أول منه ومررت بأول منك والأولى^(٢)، وقول المازني: "ومما رفضوا - أيضاً - الفعل منه (أول) وهو (أفعل)، يدلّك على ذلك ترك الصرف ولزوم (من) له وقصته كقصّة أقصر وأطول وأفضل^(٣)"، وقول المبرد: "ومما رُفض منه الفعل لما يلحقه من الاعتلال (أول) وهو (أفعل) يدلّك على ذلك قولهم: هو أول منه كقولك: هو أفضل منه^(٤). وقول الفارسي: "أول وزنه أفعل فالهمزة فيه زائدة والفاء والعين جميعاً من موضع واحد كما ان الفاء والعين في قولك: ددن وكوكب من موضع واحد^(٥)". ثمّ ألح ابن جني إلى إجماع البصريين على هذا المذهب فقال "القول فيه ما يقوله أصحابنا: إنّ أول ليس بمشتق من فعل، وفاؤه وعينه واوان^(٦)".

ويفهم من أقوال البصريين هذه أنهم مجمعون على أن (أول) اسم تفضيل بوزن (أفعل) لمنعه من الصرف ولزومه (من) في قول العرب: هو أول منه فهذا كقولهم: هو أفضل منه، وجمعه على (أوائل) أصله (أواول) فهذا ك (أفضل أفاضل). وربما كان الفارسي خير من وجه قلب واو (أواول) الثانية همزة في (أوائل) عضداً لمذهب أصحابه إذ قال: "فإن قال قائل: فما هذه الهمزة؟ يريد همزة (أوائل) - قلت إنها منقلبة عن الواو التي هي عين، وإنما قلبت همزة لوقوعها بعد ألف الجمع قريبة من الطرف، ومثل ذلك لو كسرت سيّداً، سيائد

(١) الكتاب ٣٧٤/٤.

(٢) نفسه ١٩٥/٣.

(٣) المنصف ٢٠١/٢.

(٤) المقتضب ١٥١/١ - ١٥٢.

(٥) البغداديات ٨٧.

(٦) المنصف ٢٠٤/٢.

فُتبدل من الواو التي هي عين في قولك: سيود، همزة لما ذكرناه^(١). وما استدلووا به على إن أول أفعل قولهم في تأنيثه: أولى فهذا مثل أفضل فضلى وأكبر كبرى.

ووجه الفارسي مذهب اصحابه في (أولى) فقال: "فأما أولى فالهمزة فيه أصلية وهي فاء الفعل والأصل (وولى) إلا إن الواو الأولى لزم قلبها لأن الواو الثانية لازمة، فهذه الهمزة إنما هي منقلبة عن واو هي فاء وانقلبت لاجتماع الواوين ولزومهما"^(٢). وكذلك الجمع (أول) أصله (وول) بزنة (فعل) وقلبت المضمومة همزة فهذا كـ (أكبر كبرى كبر)^(٣).

وفهم من أقوال البصريين - أيضا - أن (أول) في مذهبهم مشتق من أصل مهجور تقديره (وول يوول)، وقد عللوا هجرانه وعدم النطق به بكثرة ما يلحقه من إعلال، والالتباس بغيره من الكلام "فترك العرب أخذ الفعل منه كما تركوا أخذه من يوم وويح وويل وما أشبه لما يلزمه من الاعتلال"^(٤). وتلمس ابن جني سببا آخر لهجر النطق بهذا الفعل يكشف عن قدرة صرفية فائقة، فذكر أن هذا الفعل لما كانت فاؤه وعينه واوين كان المضارع منه يتجاذبه شيئان: الأول: أن تكسر عينه فيقال: (يول) لأن هذا هو القياس في المضارع من المثال الواوي كـ (وعد يعد) و (وزن يزن)، والآخر أن تضم عينه فقال: (يوول) لأن هذا هو قياس المضارع من الأجوف الواوي كـ (قال يقول) و (قام يقوم). هذا إذا كان الماضي مفتوح العين أما إذا ضمت العين فقليل (وول) كان المضارع (يوول) وفيه من ثقل اجتماع واين وضمة ما يمنع النطق به، فلما

(١) البغداديات ٨٧ وينظر: المنصف ٢٠٣/٢ والخصائص ٣٩٢/١ - ٣٩٣ وشرح الكافية ٢٠٢/٢ - ٢٠٣.

(٢) البغداديات ٨٨.

(٣) ينظر: البغداديات ٨٩.

(٤) البغداديات ٩٠.

لم يقبل في الماضي (فعل) و (فعل) رفضوا (فعل) أيضاً^(١). وكان أكثر العلماء قد رجّحوا هذا المذهب ناسبين إياه إلى البصريين^(٢) إلا بعضهم لم يتحقق من نسبته إليهم^(٣) لما فيه من مراعاة القياس المتبع، رادّين المذاهب الأخرى التي قيلت في هذه اللفظة لخروجها عن القياس الظاهر كما يتبين لاحقاً.

وذكر ابن جني أن ثعلباً حكى "عن الفراء أن أول يجوز أن يكون من (وَأَلْت) ويجوز أن يكون من (أَلْت) فإذا كان من (وَأَلْت) فهو في الأصل (أَوَّل)، وإذا كان من (أَلْت) فهو في الأصل (أَوَّل)^(٤) وعلى هذا القول يمكن الاطمئنان إلى أن الفراء يذهب إلى أن (أَوَّل) بوزن (أَفْعَل) - أيضاً - لكن التقدير لديه مختلف عما أجمع عليه البصريون، فهو لديه إما من (وَأَل يَوَّل) إذا "نجا لأنّ النجاة في السبق"^(٥) أو من (آل يَوَّل) إذا "رجع لأنّ كل شيء يرجع إلى أوله فهو أفعل بمعنى مفعول كأشهر ومشهور"^(٦).

فعلى التقدير الأول يكون أصل (أَوَّل): (أَوَّل) وخففت الهمزة بقلبها واوا كما قلبت في (مقروّة) أصلها (مقرووّة) ثم ادغمت الواو بالواو، وعلى التقدير الثاني يكون أصل (أَوَّل): (أَوَّل) وقلب الهمزة الثانية واوا تخفيفاً وأدغمت الواو بالواو^(٧).

ولم يتحقق المتأخرون من نسبة هذا المذهب إلى الفراء كما فعل ابن جني الذي أثبت له رواية عن ثعلب، فاختلفوا في أيهم صاحبه؟ اختلافاً كبيراً، إذ

(١) ينظر: المنصف ٢٠١/٢ - ٢٠٢ والممتع في التصريف ٥٦٦/٢.

(٢) ينظر: البغداديات ٨٧ - ٩٠ ومشكل إعراب القرآن ٩١/١ والمنصف ٢٠١/٢ - ٢٠٤ والبيان

في غريب إعراب القرآن ٨٧/١ وشرح الكافية ٣٤٠/٢.

(٣) ينظر: مشکل إعراب القرآن ٩١/١ والبحر المحيط ١٧٢/١.

(٤) المنصف ٢٠٢/٢ وينظر: المحرر الوجيز ٢٥٣/١ والممتع في التصريف ٥٦٤/٢ والبيان

للعكبري ٥٨/١ والدر المصون ٣١٧/١.

(٥) شرح الكافية ٢١٨/٢.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: مشکل إعراب القرآن ٩١/١ والبيان ٧٨/١.

نسب مكّي القيسي والأنباري وأبو حيان التقدير الأول: أول (أفعل) من (وَأَلَتْ) إلى الكوفيين مدرسة^(١)، ونسبه الرضيّ والسيوطي إلى بعض البصريين^(٢). ويمكن رد دعوى الرضي ومن تابعه في بصرية هذا المذهب بما ذكره ابن جني من حكاية ثعلب له عن الفراء وما صرح به العلماء قبل الرضي وبعده من أن المذهب كوفي^(٣).

وأنكر ابن جني هذا المذهب فقال: إن أول لو كان في الأصل (أوأل) لجاز أن يجيء على أصله، ولم نسمعهم نطقوا به هكذا... (وإنه) لو خُفّف لقليل: (أوأل) كما تقول في تخفيف مؤألة وحوأبة: مؤلة وحوبة ولم تكن تقول: مؤلة ولا حوبة^(٤).

أما التقدير الثاني: أوأل أفعل من (أَلَتْ)، فحظه من التحليل قليل عند العلماء خلا متابعة ابن عصفور ابن جني في نسبته إياه إلى الفراء، إذ اكتفى الفارسي ومكي القيسي والرضي الاستربادي بالإشارة إليه من دون نسبة إلى أحد^(٥). ويمكن عضد قول ابن جني السابق في حكاية هذا الرأي عن الفراء - أيضا- بأن الفارسي حين أشار إليه استهله بما يقلل من شأنه فقال: "وزعم بعض الناس أول مأخوذ من آل يوول أولاً^(٦)".

ولو كان صاحب هذا الرأي بصريا لوجدنا اسمه صريحا في أقوال البصريين كالفارسي وابن جني بل المأثور عنهم تشنيعهم على هذا المذهب ودفعهم إياه بأدلة منها شذوذ قلب الهمزة الثانية في (أوأل) واوا في (أوأل) إذ

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٩١/١ والبيان ٧٨/١ والبحر المحيط ١٧٢/١.

(٢) ينظر: شرح الكافية ٢١٨/٢ وشرح الشافية للرضي ٣٤٠/٣ وجمع الهوامع ١٩٩/٣.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٩١/١ والبيان ٧٨/١ وارتشاف الضرب ٢٣٢/٣ والبحر المحيط ١٧٢/١.

(٤) المنصف ٢٠٢/٢ - ٢٠٣ وينظر: ٥٦٤/٢ - ٥٦٥.

(٥) ينظر البغداديات ٨٩ ومشكل إعراب القرآن ٩١/١ وشرح الكافية ٢١٨/٢.

(٦) البغداديات ٨٩ وينظر: الكليات ٤٣/١.

يقتضي القياس قلبها ألفا لسكونها وسبقها بهمزة مفتوحة، فيقال فيه: (أَوَّل) ك (آدَم) وزنا وإعلالا^(١) أي إن قلب الهمزة أو الالف المنقلبة عن الهمزة واوا غير معروف^(٢).

٣،٢ - فوعل من (وول)، عفول من (وأل)

تبيّن أن ابن دريد هو أقدم من ذكر (فوعل) زنة لـ (أَوَّل) ولم ينسبها إلى أحد، ويدو أنها له يدل على ذلك اكتفاؤه بها في قوله: أَوَّل فوعل... وليس أفعل كان الاصل (وَوَلّا) فقلبت الواو همزة وادغمت واو فوعل في عين الفعل فهي واو فقالوا: أَوَّل^(٣). وذكر الرضي الاسترادي هذه الزنة بتقديرين مختلفين ناسبا إحداهما إلى الكوفيين مدرسة والآخر إلى بعضهم، فقال: "وقال الكوفيون هو فوعل من (أَوَّل) فقلبت الهمزة إلى موضع الفاء، وقال بعضهم فوعل من تركيب (وول) فقلبت الواو الأولى همزة"^(٤). أي إن زنة (فوعل) هذه يتجاذبها أصلان (وأل) و (وول)، فيكون أصلها من وأل (وَوَلّا) بوزن (فوعل) وبعد قلب عينها (الهمزة) إلى موضع فائها (الواو الأولى) صارت (أول) بوزن (عفول). أما (فوعل) من (وول) فأصلها (وَوَلّا) وقلبت الواو الأولى همزة لتوالي الواوات في الطرف ثم أدغمت الواو الثانية في الثالثة فصار اللفظ (أَوَّل).

وذكر أبو حيان زنة (فوعل) في كتابه ارتشاف الضرب، لكن قوله الوارد في كتابه هذا لا يخلو من الغرابة والتعقيد بسبب ما لحقه من التصحيف، زيادة على تكلف أبي حيان في توجيهه وتقويمه، إذ قال أبو حيان: " قيل: أصله (وَأَوَّل) على (فوعل) قلبت الواو الأولى همزة ثم أبدلت عين الكلمة واوا

(١) ينظر: البغداديات ٩٠ والمنصف ٢٠٣/٢ - ٢٠٤.

(٢) المنصف ٢٠٤/٢ وينظر: الممتع في التصريف ٥٦٥/٢ والغرة المخفية ٧٢٦/٢.

(٣) ينظر: البغداديات ٩٠ والمنصف ٢٠٣/٢ - ٢٠٤.

(٤) المنصف ٢٠٤/٢ وينظر: الممتع في التصريف ٥٦٥/٢ والغرة المخفية ٧٢٦/٢.

وأدغمت واو (فوعل) فيها"^(١)، فالتصحيف الذي لحق بالنص جاء على زنة اللفظة المعقود عليها كلام المؤلف فصارت (وأول) وما هي إلا (ووال) لأن (وأول) ليس على (فوعل) والعين فيه واو فلا يستقيم معها كلام المؤلف: (أبدلت عين الكلمة واوا). وأما التعقيد في توجيه هذا التقدير فأن دعوى قلب واو (ووال) الأولى همزة لتصير (أوال) ثم قلب الهمزة الثانية واوا وإدغام واو (فوعل) فيها أمر في غاية الشذوذ والتعقيد. ولو أقر أبو حيان القلب المكاني في هذا التقدير كما فعل الرضي لكان أحسن من الاحتكام إلى القلب الشاذ مرتين على الرغم مما في القلب المكاني من خروج على الظاهر.

ولا شك في عدم الاطمئنان إلى دعوى الرضي في نسبة: أول (عقول) من (وأل) إلى الكوفيين، إذ الثابت المأثور عنهم في هذه اللفظة ما نقله ابن جني في المنصف من حكاية ثعلب عن الفراء، وهذا لا يمنع من أن يكون أحد الكوفيين قد ذهب مذهباً آخر في زنة (أول) على (عقول) كما قال الرضي، أو ربما غير هذه الزنة الغريبة. أما ذهب الكوفيين مدرسة إلى هذا التقدير فدعوى غير مسلم بها. ويبقى ابن دريد هو صاحب المذهب القائل: (أول): (فوعل) من (وول) لوجوده في جمهرته خالصاً مما يشوبه من الأقوال التي احتدمت في كتب الآخرين.

وكان الرضي قد عرض حجج من ذهب إلى أن (أول): (فوعل) في كلا التقديرين فذكر منها، أنهم قالوا: أول أوله فهذا ك (جواهر جوهرة) وأنهم قالوا: (أول أوائل) فهذا ك (جواهر جواهر) لكن (أوائل) إن كان مفردة (عقول) من (وأل) يكون وزنه (عفاول)^(٢). وعلى الرغم من هذا ضعف الرضي هذا المذهب مستدلاً بما رجّحت به الزنة (أفعل) من استعمال (من) ومنع الصرف، وأما (أولة) فعدها من العامي الذي لا يؤخذ به والفصيح

(١) ارتشاف الضرب ٢٣٢/٣.

(٢) ينظر: شرح الكافية ٢١٨/٢.

(أولى)^(١). ومما يعضد فساد هذا المذهب أن (أول) لو كان (فوعِل) لما قالوا في مؤنثه (أولى) ولما قالوا في تكسير مؤنثه (أول).

٤- أعفل

ذكر مكي القيسي هذه الزنة ولم ينسبها إلى أحد فقال: "وقيل: إن أول أفعل من آل يؤول فأصله أول ثم قلبت فردت الفاء إلى موضع العين فصار (أوال) وزنة أعفل فصنع به من التخفيف والبدل والإدغام"^(٢) وتابع أبو حيان مكي القيسي في ذكر هذا المذهب ناسبا إياه إلى بعض الناس ولم يسمهم^(٣)، ولو وجّه هذا المذهب بقلب همزة (أأول) الثانية واوا لاجتماع همزتين في الطرف قلبا شاذًا أو إدغام الواو بالواو لكان أحسن من دعوى قلب (أأول) إلى (أوال) قلب مكانيا لا احتكام له. ثم قلب الهمزة الثانية واوا بلا قياس.

٥- فعل

ذكر الراغب الاصبهاني هذه الزنة ونسبها إلى الخليل مستحسنًا إياها فقال: قال الخليل: تأسيسه - يريد أول - من همزة و واو و لام فيكون فعل، وقد قيل من واوين ولام فيكون (أفعل)، والاول أفصح لقلة وجود ما فاؤه وعينه حرف واحد كددن، فعلى الأول يكون من آل يؤول وأصله (أول) فأدغمت المدة لكثرة الكلمة"^(٤). والمتأمل في هذا القول يدرك غرابته وتخبط صاحبه فيه، وإنما هو غريب لأن البصريين الأوائل كسيوييه والمبرد والمازني والفارسي وابن جني لم يشيروا إلى رأي خليلي في هذه اللفظة بل كان حديثهم فيها ينبيى بإجماعهم على أن (أول) (أفعل) هجر أصله، ويزداد قول

(١) ينظر: نفسه.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٩١/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١٧٢/١.

(٤) المفردات: ٣١.

الراغب غرابية في وزنه (أول) المؤسس من الهمزة و الواو على (فعل) وليس بصحيح لأن (أول) إن ضعفت عينه ليصير (أول)، يكون أما (فوعّل) أو (فَعُول) لندرة بناء (فعل) في الأسماء ويبدو أن هذا تصحيف وقع في مفردات الراغب، وتصحيحه أنه أراد (أفعل) فسقطت الهمزة ثم ضعفت العين تسمحا، يدل على ذلك قوله بعد هذا: "فعلى الأولى يكون من آل يؤول وأصله (أول) فأدغمت المدّة". إذ يفهم من هذا أن (أول) من (آل) أصله (أأول) بوزن (أفعل) فقلبت الهمزة الثانية ألفا لتحركها وسبقها بهمزة مفتوحة ثم قلبت تلك الألف واوا وأدغمت في الواو فصار (أول). وربما يكون هذا تسمحا من الراغب في بحث هذه اللفظة يعضد ذلك انه أشار في قوله المذكور أنفا إلى مذهب البصريين فيها ولم يتحقق من نسبته إليهم على الرغم من ظهوره جليا في آثارهم.

وقد أشار ابن عصفور إلى الزنة (فعل) في حديثه المخصص برد كل ما قيل في لفظة (أول) من زنات إلا زنة البصريين، فقال: "فأن قال قائل.... فما تنكر أن يكون وزنها (فعل) فتكون الواو عينا مضعفة، فالجواب أن الذي يدل على أنها (أفعل) لزوم (من) لها..."^(١) ولم يلتفت ابن عصفور إلى ندرة بناء (فعل) اسما كحجة بها يدفع هذا المذهب.

٢٦ - أيامى

اختلف في زنة الجمع (أيامى) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]. فذهب الجمهور إلى إنه جمع مفردة (أيام) بزنة (فيعل) وأصله (أيام) بزنة (فياعل)، ولما وقعت الياء ثاني لينين بينهما الف مفاعل قلبت همزة فصار (أيائم) كما صار (سياود) جمع سيد (سيائد)

(١) الممتع في التصريف ٥٦٣/٢.

و (عيال) جمع (عيل): (عياثل)، ولما صار (أيائم) قدّمت اللام وأخّرت العين فصار (أيامي) ثمّ أبدلت من الكسرة فتحة ومن الياء الف فآل إلى (أيامي) ووزنه (فيالغ)، هذا مذهب الجماعة في (أيّم وأيامي)^(١). والعين التي أخّرت إلى موضع اللام يجوز أن تكون همزة منقلبة عن ياء لوجود مسوغ قلبها همزة في (أيائم) أصله (أيایم) وبعد القلب المكاني سهّلت فردت إلى أصلها لأجل الكسرة التي قبلها في (أيامي) ثمّ خففت ياء (أيامي) بقلبها الفا في (أيامي) ويجوز أن تكون ياء ولم تهمز في (أيایم) حملا على قول الأخفش في نحو (سياود وأواول) إذ كان لا يميز قلب ثاني اللين همزة لعدم زيادته في المفرد^(٢).

وخالف ابن جني الجمهور فعَدَّ (أيامي) جمع الجمع (أيمي) بوزن (فعلى) معتمداً على كثرة تكسير ما دل على داء أو بلاء على (فعلى) ك (هالك هلكى) و (قتيل قتلى) و (زمن زمنى) و (سكران سكرى) و (ميت موتى) ومفرد (أيمي) عند ابن جني يجوز أن يكون (أيّم) ك (هالك) ويجوز أن يكون (أيّم) ك (ميت) وفي كلتا الحالين يدل على البلاء لأن الأئمة بلية، أما تكسير (فعلى) على (فعالى) فاستدل عليه بقول الراجز^(٣):

مثل القتالى في الهشيم البالى

إذ القتالى جمع الجمع (قتلى)، فعلى هذا يكون وزن (أيامي) (فعالى) من دون قلب مكاني ولا إعلال، وهو جمع (أيمي) بزنة (فعلى) جمع (أيّم) بزنة (فيعل) أو (أيّم) بزنة (فاعل)^(٤).

(١) المحتسب ٢٠٠/١ وينظر: جامع البيان ١٢٥/١٨ وارتشاف الضرب ٢٠٩/١.

(٢) ينظر: الصحاح ١٨٦٨/٥ والكشاف ٣/ وشرح الشافية للرضي ١٤٦/٢ - ١٤٨ ولسان العرب ٣٠٥/١٤ وتحفة الأريب ٣٠٦ والبحر المحيط ٣٦٢/٣.

(٣) المحتسب ٢٠٠/١ ولسان العرب ٣٠٥/١٤ من دون عزو.

(٤) ينظر: المحتسب ٢٠٠/١ - ٢٠١.

ورأى ابن جنى في مذهبه هذا فضل مزية على مذهب الجمهور من جانبين فقال: "إذا سلكت هذا الطريق أحرزت غنيمتين وكُفيت مؤونتين إحداهما: أن تكون الكلمة على أصلها لم تقلب ولم يغير شيء من حروفها، والأخرى: إنه لو كان الاصل (أيائم) لجاز بل كان أوجه أن يسمع وإنما المسموع أيامي كما ترى" (١).

لكن المغمز الثاني الذي أخذه ابن جنى على الجمهور لم يسلم منه هو في مذهبه هذا بل كان لديه أشنع لأنه ادّعى أن (أيامي) تكسير (أيى) وهذا تكسير (أيم) أو (آيم) ولم يسمع (أيى) ولا (آيم). ثم إن إخراج (أيامي) على جمع الجمع مردود بقلة هذا النوع من الجمع وعدم اطراده إذ سمع في الجمع القليل كـ (أفعال) و (أفعل) و (أفعله) (٢). وأما الجمع الكثير كـ (فعلى) فلم يرد منه لفظ مجموع إلا (قتالى) في شاهد ابن جنى الذي لا يعرف قائله، وإن صحّ الاستشهاد به فإنما استدعته الضرورة الشعرية، وفي تكلف استحصال دلالة (الأيم) و (الأيامي) على الداء والبلاء دليل آخر على ضعف مذهب ابن جنى، إذ "الأيامي الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء... ورجل أيم سواء كان تزوج من قبل أم لم يتزوج، وامرأة أيم أيضاً بكرةً أو ثيباً" (٣). ولا أدري ما وجه البلاء في كل هذا؟

ومذهب الجمهور في أيامي هو الراجح، إذ ليس فيه إلا دعوى القلب المكاني الذي هو ظاهرة ألفتها العربية ولا سيما في المعتل كـ (قسي) و (أينق) و (الحادي عشر) وكل ذلك جرى طلباً للخفة وروماً للسهولة. وقد لا يسمع الأصل المقلوب منه البتة لما فيه من الثقل الزائد كالأصل (قووس) مثلاً.

(١) المحتسب ٢٠/١.

(٢) ينظر: التسهيل ٢٨٢ - ٢٨٣ وشرح الكافية الشافية ١٨٨٧/٤ - ١٨٨٨.

(٣) الصحاح ١٨٦٨/٥.

٢٧- بغيّ

اختلف في وزن (بغي) الوارد في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ ﴿مريم: ٢٠﴾ و﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ ﴿مريم: ٢٨﴾، فعُزي إلى المبرد أنه يرى أن (بغياً): (فعلول) من البغي وهو الزنا، يقال فيه: بغيت الشيء أبغيه بغياً إذا طلبته، وبغى على الناس جميعاً إذا ظلمهم، وبغى في الأرض إذا سعى بالفساد، وبغت المرأة تبغي بغاءً اذ فجرت^(١)، وأصل (بغى) عند المبرد (بغوي) ولما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون الأصلي قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء^(٢). وعزا الزمخشري إلى ابن جني قوله "في كتابه التمام هي (فعليل) ولو كانت فعولاً لقليل: (بغو) كما قيل: فلان نهو عن المنكر"^(٣). وتابع فريق من العلماء الزمخشري في نسبته هذا الرأي إلى ابن جني^(٤). ولم أجده في كتابه التمام الذي ذكره الزمخشري وإنما وجدته يستدل بقول الشاعر:

فيا عجباً منكم تميم وداركم بعيدٌ بجنبِي نخلةٍ فالمناقبِ
على استعمال (فعليل) في قول العرب دالا على المذكر والمؤنث فقال الشاعر (بعيد) في وصف الدار ولم يقل (بعيدة) لأن (فعليلاً) مما وصف به الجنسان، وبهذا فسّر قوله تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿الأعراف: ٥٦﴾".

(١) ينظر: جمهرة اللغة ٣١٩/١ وتهذيب اللغة ٢١٠/٨ والصحاح ٢٢٨٢/٦ والمصباح المنير ٩٢.

(٢) ينظر: المحكم ٢٠/٦ والكشاف ٥٥٥/٢ والروض الأنف ٢٧٩/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٢٤/٢ والبحر المحيط ١٨١/٦ وأوضح المسالك ٢٣٥/٣ وشرح التصريح ٢٧٨/٢. (٣) الكشاف ٥٥٥/٢.

(٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢٧٩/٢ والبحر المحيط ١٨١/٦ وشرح مختصر التصريف ١٥٥.

ويدرك من هذا أن ابن جني إنما لم يستعبد أن يكون (بغيا) على (فعليل) وهو وصف لمؤنث حملاً على (بعيد) و (قريب) فيما سبق^(١)، وليس في هذا فضل مزية على مذهب المبرد لأن (فعول) ك (فعليل) مما يستوي فيه المذكر والمؤنث قال تعالى: (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَبَصَّكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ الذاريات: ٢٩) ﴿٢٩﴾.

ويفهم من مذهب ابن جني أنه حمل اللفظ (بغيا) على ظاهره، فلم يحتج فيه إلى إعلال اذ ليس في (فعليل) من البغيا إلا إدغام الياء في الياء، وإنما أنكر ابن جني مذهب المبرد لأنه يستدعي إعلال الواو جرياً على القياس ولكن سمع من العرب قلب الياء واوا إذا اجتمعتا وسبقت إحداها بالسكون ومنه قولهم: (فلان نهو عن المنكر) أصله (نهوي) لأنه من (النهوي) ولما لم يقولوا: (بغو) كما قالوا: (نهو) دل هذا على ضعف مذهب المبرد.

ولم يلق مذهب ابن جني قبولا لدى القدماء، إذ رجحوا رأي المبرد مستدلين بأن (فعيلاً) إذا كان بمعنى (فاعل) لزمته الهاء، فيقال: امرأة كريمة ورحيمة ولطيفة وكان ينبغي على وفق رأي ابن جني أن يقال: (بغية) ولما لم تدخله الهاء دل هذا على أنه (فعول) لأن (فعولاً) يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال: رجل شكور وامرأة شكور ورجل عجوز وامرأة عجوز^(٢).

ولم يكن حظ ابن جني في رأيه هذا عند المحدثين أحسن منه لدى القدماء بل إن بعض المحدثين لما لم يتأمل مذهب ابن جني فذكر أنه يرى أن (بغيا) (فعول) من (البغو) الذي هو النظر إلى الشيء فصار (بغو) وأصله (بغوو) بواوين أولاهما: واو (فعول) والأخرى لام الكلمة، وراح يستدل بمناسبة الاشتقاق في رد مذهب ابن جني لأن معنى الآية يدل صراحة على البغاء الذي هو الزنا ولا مناسبة لمعنى النظر فيها لأنه غير منكر^(٣). ووصف باحث

(١) ينظر: التمام ١١٦.

(٢) ينظر: المحكم ٢٠/٦ والكشاف ٥٠٥/٢ والروض الأنف ٢٧٩/٢ والبيان ١٢٤/٢.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (دراسة صرفية) ٣٩ - ٤٠.

آخر مذهب ابن جني " بأنه شاذ، لأن القياس فيما اجتمع فيه الواو والياء والسابق منهما ساكن أن تقلب الواو ياء وتدغم الياء في الياء، والشاذ لا يقاس عليه"^(١)، ولا سبيل للواو إلى (فعل) من البغي.

ويمكن القول: إن مذهب ابن جني في هذه اللفظة مقبول لأن دليل القدمات إن (فعيلاً) إذا كان بمعنى (فاعل) لزمته الهاء، لا أحسب ابن جني غافلاً عنه، إذ يمكن أن يقال: إن (بغياً) في الآية الكريمة بمعنى (مفعول) لا (فاعل) بل هذا هو الملتزم في صفة مريم عليها السلام لما فيه من زيادة في تنزيه أمها عن القيام بهذا الفعل إن فسر البغي بالفاعل.

٢٨ - البرية

اختلف في تأصيل البرية في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة: ٧ ﴿ على مذهبين:

الأول: إنها فعيلة من برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً إذا خلقهم، وعلى هذا أكثر العلماء، إذ سأل سيويوه "يونس عن برية فقال: هي من برأت وتحقيرها بالهمز"^(٢). وعزي إلى أبي عبيدة قوله: "تركت العرب الهمز في أربعة أشياء لكثرة الاستعمال في الخاية وهي من خبأت والبرية وهي من برأ الله الخلق..."^(٣) ويفهم من هذا المذهب أن البرية أصلها (بريئة) فأميتت همزتها بقلبها ياء وأدغمت الياء بالياء والذي يدل على أصحها المهموز اللام قراءة بعضهم (بريئة) بالهمز، وتصغيرها على (بريئة) بالهمز أيضاً لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها^(٤).

(١) ينظر: الروض الأنف للسهيلي (دراسة صرفية ولغوية) ٢١٩.

(٢) الكتاب ٤٦١/٣ وينظر: ٥٥٥/٣.

(٣) المزهر ٢٥٢/٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٥٠/٥ ونزهة القلوب ٤٥ وإعراب ثلاثين سورة ١٦٠ وحجة

الفارسي ٣٧٤ ومجمع البيان ١١٢/١ و٥٢٢/٣ ولسان العرب ٢٢/١.

الثاني: إنها (فعيلة) من البرى الذي هو التراب، اذ سمع الفراء العرب يقولون: " بفية البرى وحمى خيبرى وشرّ ما يرى فإنه خيسرى " ^(١)، ولذا جوز في البرية أن تكون مشتقة من البرى زيادة على جواز اشتقاقها من البرء، فقال: البرية غير مهموز إلا أن بعض أهل الحجاز همزها كأنه أخذها من قول الله جل وعزّ (بَارِئُكُمْ) ﴿البقرة: ٥٤﴾ و(الْخَالِقُ الْبَارِئُ) ﴿الحشر: ٢٤﴾. ومن لم يهمزها فقد تكون من هذا المعنى ثم اجتمعوا على ترك همزها كما اجتمعوا على يرى وترى وإن أخذت من البرى كان غير مهموز ^(٢).

وسار مع الفراء فريق من تابعيه من ذوي الاتجاه الكوفي وغيرهم مجوزين اشتقاق اللفظة من الاصلين (البرء والبرى) ^(٣). لكن الزجاج رد مذهب من جوز في البرية " أن يكون اشتقاقها من البرى وهو التراب ولو كان كذلك لما قرؤوا البريئة بالهمز، والكلام برأ الله الخلق يبرؤهم ولم يحك أحد براهم يبريهم فيكون اشتقاقه من البرى وهو التراب " ^(٤).

وذكر ابن قتيبة والطبري مذهباً ثالثاً في البرية قيل فيه: إنها فعلية من برئت العود ولذا لم يهمز ^(٥). وعدها الزبيدي منسوبة إلى البر ^(٦)، وكلتا الدعوتين مدفوعة ببعد المناسبة بين البرية والبرى والبر، وبقراءة من قرأ اللفظة بهمز اللام ومن صغرها على (بريئة).

(١) معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٣ وينظر: تفسير غريب القرآن ١٥ وجامع البيان ٢٨٨/١ والمفردات ٤٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٣.

(٣) ينظر: إصلاح المنطق ١٥٨، ٣٥٧ وجامع البيان ٢٨٨/١ والزاهر في معاني كلمات الناس ١٢١/٢ والصحاح ٣٦/١ والمخصص ٧/١٤ وتهذيب إصلاح المنطق ٣٩٧/١ ومجمع الأمثال ١٦٦/١ والبحر المحيط ٤٩٩/٨ وتحفة الأريب ٤٢.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٠/٥.

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن ١٥ وجامع البيان ٢٨٨/١.

(٦) ينظر: لحن العوام ٦٣.

والراجع اشتقاق اللفظة من البرء لأن معنى البرية في كلام العرب الخلق والأصل (برأ) يفيد هذا المعنى ومنه قوله تعالى ﴿فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤). ولا شك في أن دلالة (البرية) ليست كدلالة (النطيحة) ففي البرية تلاحظ الدلالة على الجمع لأنها اسم لكل ما خلق الله تعالى، وقد خلق (عز وجل) أجناساً متعددة هي الجن والإنس والملائكة، أما (النطيحة) فأسم لكل ما نطح فمات وهو جنس محدد من الانعام. ومن هنا بان الفرق الدلالي بين اللفظتين اللتين اشتركتا زنة ومعنى ولكن اختلفتا في الدلالة تبعاً لاختلاف المسمى بهما. فكأن البرية اسم جنس جمعي لكل ما برأ الله (عز وجل).

٢٩ - التابوت

اختلف في التابوت الوارد في قوله تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٨) تأصيلاً وزنة، فذهب ابن جني إلى أنه (فاعول) من الأصل المهجور (تبت)، وإليه ذهب العكبري وأبو حيان وآخرون^(١). وأنكره الزمخشري الذي ذهب إلى أن التابوت "لا يكون فاعولاً (من تبت) لقلة نحو (سلس) و (قلق) ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه وإنما هو فعلوت من التوب وهو الرجوع لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودع فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه صاحبه"^(٢). ولم يلتفت ابن جني وصحبه إلى أن التابوت (فعلوت) من (التوبة) التي تعني الرجوع عن الذنب لأن "المعنى لا يساعده وإنما يشتق إذا صح المعنى فيه"^(٣).

(١) ينظر: المحتسب ١٢٩/١ والمحرر الوجيز ١٧٠/٢ والبيان للعكبري ١٠٣/١.

(٢) الكشف ٣٨٠/١.

(٣) البحر المحيط ٢٦٠/٢.

وكان الجوهري قد ذكر التابوت في (توب) لكن قوله في تأصيله جاء غير موجه، إذ قال: " التابوت أصله تابؤه، مثل ترقوة وهو فعلوة، فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء"^(١)، وإنما كان هذا غير موجه لأنه يفهم منه أن تاء (تابوت) المتطرفة منقلبة من هاء التأنيث، والتابوت مذكر اتفاقاً وقد ورد كذلك في التنزيل العزيز، ثم إنه لم يحمل التابوت على (فعلوت) من (التوبة) كما في قول الزمخشري وإنما على (فعلوة) من التوبة بدليل تنظيره إياه بـ (تَرْقُوة) و (فَعْلُوهُ) من التوبة، (تَوْبُوة) ولا مسوغ لقلب عينها الفأ بل لا مسوغ لتسكين الواو الثانية بحذف حركتها ليتسنى بعد ذلك قلب هاء التأنيث تاء لسكون ما قبلها. وكل هذا خلط لا فائدة منه. والراجح مذهب الزمخشري لحمله اللفظ على بناء شائع في العربية، إذ ورد منه (الرحموت والحانوت والرهبوت) وغيرها كثير، وعلى أصل معروف في العربية تلحظ فيه مناسبة الاشتقاق بطريق المجاز والتأويل ولئن كان بعد المناسبة بين معنى (التابوت) و (التوبة) مغمراً على الزمخشري ففي حمل اللفظ على أصل مهجور مغامر كثيرة، أي ان التابوت أصله (توبوت) بزنة (فعلوت) من (التوبة) وأعلت عينه بقلبها واواً لتحركها وسبقها بفتح.

وأظهر الدرس المقارن بين الساميات أن التابوت من الألفاظ المشتركة بين الساميات إذ هو في الآرامية (Tebuta) وفي الحبشية (Tabot)^(٢)، فأن ثبتت أصالته في إحداهن يكون القول: إنه من بقية الأصول الجزرية القديمة هو الملتزم لعدم رسوخ الدليل على أصالته في العربية.

(١) الصحاح (توب).

(٢) ينظر: التطور النحوي ٢٢٦.

٣٠- تُقَاة

اختلف في تأصيل (تقاة) الوارد في قوله تعالى ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿آل عمران: ٢٨﴾. فذهب الجمهور إلى إنه مصدر للثلاثي (وقى يقي) وأصله (وقية) بوزن (فُعلة)، فقلبت الواو تاء لثقل الضمة عليها، وقلبت الياء ألفا لتحركها وسبقها بفتح، ولذا أعربوه منصوباً على المصدرية الشاذة إذ القياس يستدعي أن يقال (اتقاء) لأن الفعل (تتقوا) من باب (الافتعال)، فكأن هذا كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ﴿المزمل: ٨﴾ والقياس (تبتلاً)^(١).

ولما وجد الفارسي إخراج اللفظ على البناء القليل في المصادر (فُعلة) ونسبة على الشذوذ فيها على وفق مذهب الجمهور، ذهب إلى إن (تُقَاة) جمع لا مصدر وهو عنده ك (رُماة) جمع (رام) و (غُزاة) جمع (غاز) أو ك (كُماة) جمع (كمي)، ولهذا أعربه على أنه منصوب على الحال لأن المصدر لا يقع حالا إلا في القليل، أما الجموع فيطردها في موضع الحال، فكأن التقدير عنده: "إلا أن تتقوا منهم متقين شرهم"^(٢). ورأي الفارسي هذا لا يخلو من الشذوذ والتكلف، فأما الشذوذ فلا أنه أخرج اللفظ على الجمع (فُعلة) المطرد في (فاعل) المعتل اللام ك (قاضٍ قضاة) ولم يُسمع من (تُقَاة) مفرد بوزن (فاعل) بل المسموع (تقي) بوزن (فعليل) والقياس يستدعي أن يجمع على (أتقياء) وليس على (تُقَاة) أما قولهم: (كمي كُماة) فليس له فيه حجة لبيان

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش ١٩٩/١ وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٠/١ والحجة لابن خالويه ١٠٧ وسر صناعة الإعراب ١٦٢/١ ومشكل إعراب القرآن ١٥٥/١ والكشاف ٤٢٢/١ والمحرر الوجيز ٣٨٠/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٩٨/١-١٩٩ والتبيان للعكبري ٢٢٨/١ والجامع لأحكام القرآن ٥٧/٤ وشرح الملوكي ٣٩٧ والتحرير والتنوير ٢٢٠-٢٢١.

(٢) ينظر: الحجة للفارسي ٣٢٣/٢ والمحرر الوجيز ٣٨٠/٢ والبحر المحيط ٤٢٤/٢.

شدوذ هذا الحرف ولأنّ الحمل على الشاذ ضعيف. أما التكلف فلأنّ استحصال معنى الحال في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿آل عمران: ١٠٢﴾ ليس بيّن في هذين الموضعين لأنّ الحال وصف ليس بثابت وإخراج اللفظ على المصدرية المؤكدة أبين لأنّ السياق يستدعي زيادة في توكيد الفعل لدى المخاطبين لا بيان حالهم منه.

٣١- التنور

اختلف في التنور الوارد في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿هود: ٤٠﴾ أعربي هو أم أعجمي؟ والذاهبون إلى أنه عربي مختلفون في وزنه وتأصيله، فمنهم من ذهب إلى أنه (تفعول) من النار، ومنهم من عدّه (فَعُول) من الأصل المهجور (تنر).

وأول إشارة إلى توجيه هذا اللفظ وصلت إلينا في كتاب العين وهي: "التنور عَمَت بكل لسان"^(١). ويفهم منها أن اللفظ جارٍ في كل اللغات ولا يوجد لإحداهن فضل مزية على الأخريات فيه، وهذا المذهب مبني على قول ابن عباس (رضي الله عنهما): "التنور بكل لسان عربي وعجمي"^(٢). والدليل على عموم نطقها في كثير من اللغات أنها في الفارسية تنورا وفي الآرامية (ܬܢܘܪܐ تنورا)، وفي السريانية (ܬܢܘܪܐ تنورا) وفي العبرية (תנור تنور)^(٣). ويمكن عدّ هذا التفسير اتجاها ثالثاً في بحث هذه اللفظة بعد اتجاهاي العجمة والعروبة الآتين، لكنه اتجاها مرجوح لدى ابن جني: "لأنّا لا نعرف شيئاً من

(١) العين ١٤/٨ وينظر: كتاب الغريبين ٢٩٣/١ ومجمع البحرين ٢٣٤/٣ والنهاية ١٩٩/١.

(٢) المغرب ٨٤.

(٣) ينظر: دراسات في اللغتين السريانية والعربية ٤٨.

الكلام وقع الاتفاق عليه في كل لغة وعند كل أمة^(١). ولكن "قد يجوز أن يكون وفاقاً وقع بين لغتين أو ثلاث أو نحو ذلك ثم انتشر بالنقل في جميعها"^(٢). فعلى هذا لا مناص من البحث عن أصالته في إحدى اللغات ثم نقله منها إلى الأخريات.

أما مذهب العجمة، فقد وردت الإشارة إليه مقرونة بقول الأقدمين: التنور عمت بكل لسان، فقال فريق منهم أنه منقول إلى العربية من غيرها والدليل، على ذلك أن أصل بنائه (تنر) لا يعرف في كلام العرب، وهو نظير ما دخل في كلام العرب مثل الديباج والسندس والاستبرق وغيرها، ولكن لما لم يعرف العرب اسماً له جاء في التنزيل العزيز أعجمياً^(٣).

ولم يلق هذا المذهب مؤيداً، لأن اللفظ "لو كان أعجمياً لجاز تمثيله، لكونه جنساً ولاحقاً بالعربي، فكيف وهو أيضاً عربي، لكونه في لغة العرب غير منقول إليها، وإنما هو وفاق وقع، ولو كان منقولاً إلى العربية من غيرها لوجب أن يكون أيضاً وفاقاً بين جميع اللغات غيرها... فإن جاز أن يكون مشتركاً في جميع ما عدا العربية جاز أن يكون وفاقاً وقع فيها، ويبعد... أن يكون في الأصل للغة واحدة ثم نقل إلى جميع اللغات، لأننا لا نعرف له في ذلك نظيراً"^(٤)، لذا ذهب الكثيرون على أن التنور عربي، وأنه "فعول من لفظ (تنر) وهو أصل لم يستعمل إلا في هذا الحرف وبالإضافة كما ترى، ومثله

(١) الخصائص ٢٨٩/٣.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ٢٦٩/١٤ - ٢٧٠ والمعرب ٨٤ ولسان العرب ١٦٢/٥ ولباب الآداب

١٤٥/١ ودراسات في اللغتين السريانية والعربية ٤٨.

(٤) الخصائص ٣٨٨/٣ - ٣٨٩.

مما لم يستعمل إلا بالزيادة كثير، منه حوشب وكوكب... ومنجنون. وهو واسع جداً" ^(١).

وإنما أخرج الكثيرون (التنور) إلى بناء (فَعُول)، لأنه كثير في العربية ك (سَبَّوح وقَدَّوس وسَفَّود وكَلَّوب) وغيرها ^(٢). ولذا لا اعتداد بعدم سماع (تنر) في رد هذا المذهب، فثمة ألفاظ غير التنور لا أصول لها ك (اليوم) و (ويح) و (ويل) و (آية) وغيرها.

وجوز ابن جني " في التنور أن يكون فعنولا من (تنر)، فقد حكى أبو زيد في زُرْنُوق: زُرْنُوقاً" ^(٣)، أي أنه جعل ثاني المضاعفين زائداً على سبيل الإلحاق لا على سبيل تضعيف العين.

وعزا المديني إلى أبي الفتح الهمداني قوله: " كان الأصل (نُور) فاجتمعت واوان وضمة وتشديد، فاستثقل فقلبوا عينه إلى فائه فصار (ونُور) فأبدلوا من الواو تاء كتولج أصله وولج، أي هو من النار والنور" ^(٤) وفي هذا يكون التنور بزنة (عَفُول) من النار، وأصله (نُور)، ولكن بعد القلب المكاني وإبدال الواو تاء صار (تُنُور). ويبدو أن هذا مذهب غير موجه، إذ إن العين المقلوبة إلى موضع الفاء مضعفة الواو في الأصل (نُور) والفاء نون واحدة، وفي القلب المكاني ينبغي أن يحافظ على عدد الحروف فيكون الأصل (وونُور) تقلب الواو الأولى تاء وتقلب الثانية نوناً وتدغم في النون بعدها وكل ذلك طلباً للخفة لتعذر إدغام الواو الأولى بالثانية بعد القلب المكاني. وربما وجد ابن الجبان تكلف إخراج التنور على البناء (فَعُول) من (النار) فقال: " وأما

(١) الخصائص ٣/٣٨٩ وينظر: معاني القرآن للفرآء ٢/١٤ والفصيح ٢٩٢ وشرح الفصيح ٢٠٩ ولسان العرب ٥/١٦٢ وروح المعاني ١٢/٥٢.

(٢) ينظر: الكتاب ١/٣٢٧ والمقتضب ١/١٢٥ والفصيح ٢٩٢ وشرح الفصيح ٢٠٩ ومبادئ اللغة ٦١.

(٣) الخصائص/٣٨٨.

(٤) المجموع المغيث ١/٢٤٤.

التنور فليس له عندنا اشتقاق، قال بعضهم اشتقاقه من النار وزعم أنه في الأصل نَوَّور ثم قلب فصار وَنَّور ثم أبدلت الواو تاء فصار تنور كما أبدلت واو والله تاء فقليل تالله ^(١).

وعزا ابن جني وابن عصفور وغيرهما إلى ثعلب أنه ذهب "في تنور إلى أنه تفعلول من النار" ^(٢)، وشنع عليه ابن جني قائلاً: "نعوذ بالله من عدم التوفيق هذا على سداد هذا الرجل وتميزه من أكثر أصحابه، ولو كان (تفعولاً) من النار لوجب أن يقال فيه (تنوور) كما أنك لو بنيت من القول لكان (تقوولاً) ومن العود (تعووداً) وهذا في نهاية الوضوح" ^(٣). وما أثر عن ثعلب في كتبه يدفع عنه هذا المذهب الضعيف لدى ابن جني وغيره، إذ قال ثعلب: "من قال سَفُود وكَلَّوب وَسَمَّور وشَبُوط وتَنُور وكل اسم على (فَعُول) فهو مفتوح الأول إلا السُّبُوح والقُدُوس فإنَّ الضمَّ فيهما أكثر وقد يفتحان" ^(٤). أي إنه سائر مع الجمهور في أنَّ التنور فعول من (تنر) المهجور وأنه لا اشتقاق معروف له. وما عَزَى إلى ثعلب خطأ ليس ببعيد في العربية، إذ يمكن توجيهه غير ما وجهه ابن جني، وذلك أن تفعلول من النار أصله (تنوور) ولما استقل المثلان (الواوان) حشوا ولم يجز ادغام أولهما في الثاني لتحركه وسكون الثاني لُجِيَء إلى المخالفة بينهما بالإبدال فقلب أولهما نوناً وأدغمت النون في النون فصار (تَنُور) بزنة (تفعول) من النار، وإنما أبدلت الواو نوناً لأمرين، أولهما: تحقيقاً لإدغام حرفين من أحرف اللفظة، لما في الإدغام من خفة في النطق. والثاني: أن المخالفة بين المتماثلين بإبدال أحدهما نوناً كثيراً ما تقع في العربية كقولهم: خنزير والأصل خنزير، وكرناسة والأصل كرناسة

(١) شرح الفصيح ٢٠٩.

(٢) الخصائص ٣٨٩/٣ وينظر: الممتع في التصريف ٣٠/١ ولسان العرب ١٦٢/٥ وروح المعاني ٥٢/١٢.

(٣) الخصائص ٣٨٨/٣، وينظر: الممتع في التصريف ٣٠/١.

(٤) الفصيح ٢٩٢، وينظر: شرح الفصيح ٢٠٩ (ابن الجبان).

وقنفذ الأصل قفّذ. فإذا علم صلاح هذا الوجه في التصريف التزم مذهباً راجحاً في اشتقاق (تنور) وتأصيله، لأن معنى النار واضح كل الوضوح في (التنور).

وكان المعري قد سوغ مذهب من قال: (تنور)، (تفعول) من النور وذلك أن "يقال: أصله تنوور فهمزت الواو لأنها مضمومة ثم شدد الحرف الذي قبل الهمزة وحذفت على رأى من ينشد، رأيت عرابة اللوسي تريد الأوسي"^(١). ولا شك في تكلف هذا التوجيه الذي حمل تأصيل اللفظة على لهجة نادرة توجب حذف الهمزة وتشديد الحرف الذي قبلها، ولا أثر للهمزة في اشتقاق التنور، ويبقى توجيه تشديد النون في (تنور) على أنه واقع بسبب المخالفة بين الواوين في (تنور) هو الأولى بالقبول. ومما يعضد اشتقاق تنور من النار أن الدراسات الحديثة أثبتت أن اللفظة عربية قديمة شاعت لدى الساميين القدماء كالآراميين الذين أطلقوها على مكان النار ورمزها لديهم Tanouro وهي مشتقة من 'By t'nouro أي مكان النار وقيل: هي من الأصلين الآراميين atun و nara أي موقد النار"^(٢). وما يؤيد زيادة التاء في التنور واشتقاقه من الأصل المعروف (نور) هو شيوع زيادة التاء أولاً في كثير من الألفاظ العربية من الأسماء المشتقة من أصول متصرف كتمساح من (مسح) والتسنيم من (سئم) وغيرهما.

٣٢- التهلكة

اختلف في تأصيل التهلكة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿البقرة: ١٩٥﴾، فذهب سييويه إلى أنه مصدر للثلاثي (هلك) وبناء (تفعلة) في المصادر

(١) ثلاث رسائل في اللغة ١٠.

(٢) ينظر: غرائب اللغة العربية ١٧٥ ومعجمات عربية سامية ٤٣ والساميون ولغاتهم ١٤٨ والألفاظ السريانية ٣٩ - ٤٠. ومن ثرائنا اللغوي القديم ٦٧ - ٦٨.

والأسماء قليل إذ سمع منه مصدراً التضرّة والتسرّة وتهلّكة واسماً التنصبة والتثقلة^(١).

واستحسن جمع من العلماء مذهب سيويه هذا قائلين: إن مصادر الثلاثي سبيلها السماع وهي كثيرة لا مجال لحصرها، فهلك - مثلاً - سمع فيه "هَلَكًا وهَلَاكًا وهُلُوكًا وتهلّكة بضم العين وكسرها وهلكاء ومهلك مثلث العين ومهلكة كذلك"^(٢). وجوز الزمخشري أن يكون التهلكة مصدراً من باب التفعيل للفعل (هَلَك) بوزن (فَعَلَ) وأصله (تهليك) كـ (قَدَمَ تقدّماً) و (عَلِمَ تعلّماً) فحذفت ياء التفعيل منه وعوضت بتاء في الآخر - حملاً له على المعتل اللام أو مهموزها - فصار (تهلكة) كـ (تربية) و (تجزئة)، ثم أبدلت ضمة كسرة العين فصار (تهلكة)^(٣) وعُورض هذا بأنه "ليس بجيد لأن فيه حملاً على شاذّ ودعوى إبدال لا دليل عليها أمّا الحمل على الشاذّ فحملة أصل تفعلة ذات الضمّ على تفعلة ذات الكسر وجعل تهلكة مصدراً لهلك المشدد اللام و(فَعَلَ) الصحيح اللام غير المهموز قياس مصدره أن يأتي على تفعيل نحو كسرت تكسيراً ولا يأتي على التفعلة إلا شاذّاً فالأولى جعل تهلكة مصدراً"^(٤) للثلاثي (هَلَك) وفاقاً للجمهور.

(١) ينظر: مجاز القرآن ٦٨/١ وجامع البيان ٢٠٥/٢ والصحاح ١٦١٦/٤ والكشاف ٣٤٣/١ والمحرم الوجيز ٥٣٩/١ والشوارد ١٣٩ والجامع لأحكام القرآن ٣٦٣/٢ وشرح الشافية للرضي ١٥٢/١-١٥٣ ولسان العرب ٣٩٥/١٢ - ٣٩٦ وارتشاف الضرب ٣٦٣/٢ والنهر الماد ٧٠/٢ والدر المصون ٣١٢/٢ وفتح القدير ١٧٠/١.

(٢) الكشاف ٣٤٣/١.

(٣) الكشاف ٣٤٣/١.

(٤) البحر المحيط ٧١/٢.

٣٣- التوراة

اتَّفَق القدماء على أَنَّ التوراة مشتقة من (الوري) الذي يقال منه: وري الزندُ يَري ورِيًا، إذا قُدح وخرجت ناره^(١)، " فكأنَّ التوراة ضياءٌ من الضلال " ^(٢)، أو " أنها تُوري الحكمة أي تضيء " ^(٣)، ومن هذه المادة قوله تعالى: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ العاديات: ٢. لكنَّهم مختلفون في وزنها وسبيل اشتقاقها من الوري. فمذهب البصريين إنَّ التوراة مصدر بوزن (فوعلة) تقدير فعله (وَوَرَى) بوزن (فَوَعَلَ) ملحقا بالرباعي المجرد (فَعَّلَ) بزيادة واو ثانية فيه، وأصلها (وَوَرِيَّة) كـ (حوقلة) مصدر (حوقل). وإنما قلبت الواو المفتوحة تاء لثقل اجتماع واوين طرفا، ثمَّ قلبت الياء (اللام) ألفا لتحركها وفتح ما قبلها فصارت (توراة) بزنة (فوعلة). وقد نسب أكثر العلماء هذه الزنة إلى البصريين مدرسة^(٤) ونسبها القرطبي إلى الخليل^(٥).

وذهب الكوفيون إلى أنَّ (توراة) مصدر من باب التفعيل وأصلها (تورية) بوزن (تفعلة) أو (تفعية) على حدِّ الخلاف الواقع بين العلماء في أي الياءين حذفت من المصدر (تفعيل) المعتلّ اللام. وأصلها من وريت الزند (تورية) إذا أخرجت ناره. وأصل (تورية) (توري) بوزن (تفعيل) فحذفت إحدى الياءين اتفاقا وعوضت بتاء في الآخر فصار (تورية) بزنة (تفعلة) إن كان المحذوف ياء التفعيل و (تفعية) إن كان المحذوف الياء الأصلية (لام الكلمة). وقلبت ياء

(١) ينظر: العين ١٧٦/٤ وجمهرة اللغة ١٤/٢ وتهذيب اللغة ٣٠٣/٢-٣٠٤.

(٢) التبيان للعكبري ١٢٣/١.

(٣) مجالس العلماء ١٢١.

(٤) ينظر: التكملة ٥٧١ والحجة ٢٤٣/٢ وسر صناعة الإعراب ١٦١/١-١٦٢ ومشكل إعراب القرآن ١٤٩/١ والمفردات ٧٦ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٩٠/١ وشرح المفصل ٣٨/١٠ وشرح الشافية للرضي ٨١/٣ ولسان العرب ٢٦٨/٢٠ وارتشاف الضرب ١٠٥/١

والبحر المحيط ١٩٠/١ وتحفة الاريب ٢٩١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/٤.

المصدر (تورية) ألفا لثقل اجتماع الكسرة والياء، وذلك بقلب الكسرة فتحة ثم قلب الياء ألفا لآجل تلك الفتحة فقالوا (توراة) كما قالوا: (جارية) و (ناصاة) في (جارية) و (ناصية). ونسب كثير من العلماء هذا المذهب إلى الكوفيين مدرسة^(١)، ونسبه آخرون إلى الفراء^(٢). وهذا أقرب إلى الصواب لظهور مذهب كوفي آخر فيها سيأتي بيانه عما قريب. يعضد ذلك أن ابن منظور نقله عن الفراء من كتاب له اسمه المصادر^(٣).

وأخطأ بعض المحدثين في قولهم: إن المبرد اختار هذا المذهب، إذ قال محققو شرح شافية ابن الحاجب للرضي "وذهب قوم منهم المبرد إلى أن توراة تفعلة بكسر العين"^(٤). وإنما كانت نسبة هذه الزنة إلى المبرد خطأ ظاهرا لأن الزجاجي نقل في بعض أماليه ما يكشف اللثام عن هذا الخطأ. فروى عن أبي العباس المبرد أنه اجتمع يوما مع أبي العباس ثعلب في مجلس عقده أحد أمراء بني العباس وكان شغوفًا باللغة والأدب فقال لهما "... فخبّراني عن توراة ما وزنها؟ قال أحمد بن يحيى ثعلب (تفعلة)، قال "ما تقول يا محمد؟ - يريد المبرد؟ قلت ليس في كلام العرب (تفعلة) الا قليل نحو (تفعلة)^(٥)، قال: فما عندك؟ قلت: (فوعلة) وأصله: وورية، ثم قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ووراة، ثم قلبت الواو الأولى تاء كما قالوا: تُراث وأصلها وُراث وتخمّة وأصلها وخمة"^(٦). وما غرّ محققي شرح شافية ابن الحاجب

(١) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١٦٨/١ ومشكل إعراب القرآن ١٤٩/١ والمفردات

٧٦ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٩٠/١ وشرح الشافية للرضي ٨١/٣ - ٨٢.

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ٣٦ وشرح اللمع ٦٦٩/٢ والتبيان للعكبري ١٢٣/١ والبحر

المحيط ٣٧١/٢ وابن خالويه ٤٨١.

(٣) لسان العرب ٢٠/٢٦٨.

(٤) شرح الشافية للرضي ٨٢/٣ (الهامش).

(٥) أثنى الثعالبي، ينظر: لسان العرب ١٣/٨.

(٦) مجالس العلماء ١٢١ وينظر: التعليقة ٩/٥ - ١٠.

للرّضي إلا قول أبي حيان: " التوراة عند أبي العباس تفعلة " ^(١) فلما اكتفى أبو حيان بذكر كنية ثعلب دون الإشارة إلى اسمه ظنّ هؤلاء أن المقصود بأبي العباس في قول أبي حيان هذا هو المبرد وما هو كذلك على ما تقدم من نقل صريح عنه. وقد ذكر أكثرهم إجماع البصريين على أن (توراة): (فوعلة) ولم يشر أحدهم إلى خروج المبرد عن هذا المذهب، إذ قال أبو حيان في كتاب آخر له: إن هذا المذهب هو " مذهب الخليل وسيبويه وسائر البصريين " ^(٢). ولو كان المقصود بأبي العباس - في قوله المذكور أولاً - المبرد لما نسب إلى البصريين الإجماع على زنة (فوعلة) في موضع آخر. ثم إن مذهب ثعلب الذي ورد في إملاء الزجاجي ليس كمذهب الفراء، إذ إن توراة عند ثعلب (تفعلة) ك (تفعلة) بدليل ردّ المبرد عليه في ذلك المجلس بقلة (تفعلة) اسما في الكلام، وتوراة عند الفراء (تفعلة) مصدرا لا اسما، وقد اشار كثير من القدماء إلى المذهب الثالث المفهوم من قول ثعلب الذي أملاه الزجاجي في (توراة) ناسبين إياه إلى البغداديين حيناً وإلى بعض الكوفيين حيناً آخر. إذ نسبته ابن جني وابن يعيش وابن عصفور إلى البغداديين ولم يذكروا مذهب الفراء في هذه المسألة ^(٣)، ونسب الراغب الاصبهاني والرّضي إلى الكوفيين زنتين هما (تفعلة وتفعلة) ^(٤). وصرح أبو حيان بوجود ثلاثة مذاهب في هذه اللفظة إذ قال: " ذهب الخليل وسيبويه وسائر البصريين إلى أن (توراة) وزنها فوعلة والتاء بدل الواو كما أبدلت في تولج... وذهب الفراء إلى أن وزنها (تفعلة) ك (توصية) ثم أبدلت كسرة العين فتحة والياء ألفا كما قالوا في ناصية وجارية جارة وناصاة... وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها (تفعلة) بفتح العين " ^(٥)

(١) تحفة الأريب ٢٩١ وينظر: ارتشاف الضرب ١٠٥/١.

(٢) البحر المحيط ٣٧١/٢.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب ١٦٢/١ وشرح المفصل ٣٨/١٠ والمتع في التصريف ٣٨٤/١.

(٤) ينظر: المفردات ٧٦ وشرح الشافية للرّضي ٨٢/٣.

(٥) البحر المحيط ٣٧١/٢.

وما صاحب هذا المذهب الثالث إلا أبو العباس ثعلب الذي أخرج (توراة) إلى الأسماء خاصّة، فهي عنده كـ (تثفلة) لأنّ بناء (تفعلة) لا سبيل له في المصادر. وبقلة (تفعلة) اسما يستدل على بعد هذا المذهب. وكان البصريون قد احتجّوا لمذهبهم بكثرة (فوعلة) - اسما وندرة (تفعلة) و (تفعلة) اسمين وبكثرة زيادة الواو ثانية في الأسماء وقلة زيادة التاء أولا فيها^(١).

ونظرة فاحصة في أقوال المتقدمين في (توراة) تبين أنّهم لم يخرجوها إلى الأسماء بل إلى المصادر - إلا ثعلب الذي ادعى بناء لا يجري في المصادر - منظرين إياها بـ (حوقلة) و (توصية)، و (توراة) إنما هي مصدر سمي به، وبناء (تفعلة) في المصادر أوسع من أن يبلغه الحصر لا طّرادا طّرادا تامّا في كلّ ما ضعفت عينة وأعلّت لأمه، وليس (فوعلة) - في مذهب البصريين - بأكثر منه. فهذا مدخل للفراء على البصريين، ومما يدخل عليهم أيضا عدم سماع (فوعل) من (الوري) كما سُمع (حوقل) ليكون مصدره (وورية) بزنة (فوعلة). ولا يعني هذا رجحان مذهب الفراء لدخول الشذوذ عليه في قلب ياء توراة ألفا من دون مسوغ ولذا ردّه الزجاج بقوله: وكأنّه يُجيز توصية توصاة وهذا غير مسموع^(٢).

ومما يعضد مذهب البصريين أنّ التوراة في الآرامية (eorayta) فهذا يدلّ على أنّ فاء الكلمة واو لا تاء، وقلبت الواو تاء في سائر الساميات فقليل، توراة في العربية و (Tora) في العبرية. ومن هنا ذهب بعض المحدثين إلى أنّ اللفظة

(١) ينظر: مجالس العلماء ١٢١ والتعليقة ١٠/٥، ومشكل إعراب القرآن ١٤٩/١ والمفردات ٧٦ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٩٠/١ والممتع في التصريف ٣٨٣/١ - ٣٨٧ وشرح الشافية للرضي ٨٢/٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٨٩/٢ وينظر: البحر المحيط ٣٧١/٢.

ليست عربية بل مقتبسة من الكلمة العبرية (Tora) التي تعني لدى اليهود (شريعة أو تعليم أو هدى أو إرشاد)^(١).

لكن دعوى عجمة اللفظة مردودة لوجود أكثر من أصل في العربية يصلح لحمل اللفظة عليه، وزيادة على ما سبق يمكن القول: إنها يتجاذبها أصلاً؛ الأول: الوري، وهو قدح الزناد لإخراج ناره - وفقاً للسابقين - ويكون أصل تورا منه (توراي) بوزن (تفعّال) خلافاً لهم جميعاً، ولما تطرفت الياء بعد ألف زائدة قلبت تاء ولم تقلب همزة دفعا للبس ببناء (فعلاء)، وقلب الياء تاء كثيراً في العربية^(٢). فعلى هذا، أما أن يكون (تورا) مصدراً للثلاثي المجرد (وري الزند يري وريا وتورا) كـ (لعب يلعب لعباً وتلعاباً) و (كريكر كرا وتكرارا) و (هذر يهذر وتهذارا) وفقاً للبصريين في مجيء مصدر الثلاثي على وزن (تفعّال) دالة على المبالغة، وأما أن يكون مصدراً للرباعي المضعّف (ورى تورية وتورا) كـ (كرّر تكريرا وتكرارا) و (لعب تلعباً وتلعاباً) وفقاً للكوفيين في أن (التفعّال) إنما هو مسموع في بعض أمثلة باب التفعيل.

وإجراء مذهب الكوفيين - في أن التفعيل والتفعّال مصدران للرباعي المضعّف (فعل) - في (تورا) أبين، إذ يمكن توجيه ظهور التاء فيها توجيهاً آخر هو إن ياء (توراي) بوزن (تفعّال) حذفت وعوضت بتاء في الآخر حملاً على الحذف والتعويض في باب التفعيل كـ (تربية وتزكية) أصلهما (تربي وتزكي). الآخر: التور، وهو "الرسول بين القوم عربي فصيح"^(٣)، ولا شك في إدراك معنى الرسالة في التورا أو في كل الكتب السماوية، ويكون أصل (تورا) من هذه المادة (توراء) بزنة (فعلاء) كـ (صحراء) و (بيداء) و قلبت

(١) ينظر: التطور النحوي ٢٢٧ وغرائب اللغة العربية ٢١٣ والعرب واليهود ١٤٨ ودروس في اللغة العبرية ٤٣٥.

(٢) ينظر: الممتع في التصريف ٣٨٧/١ - ٣٨٨.

(٣) جمهرة اللغة ١٤/٢ والصحاح ٦٠٢/٢ ولسان العرب ١٦٣/٥.

الهمزة المتطرفة تاء، أو يكون أصلها (توراة) اسما بزنة (فعلاة) ك (عزهاة) و (سعلاة) وقلبت الكسرة فتحة حفاظا على الواو.

٣٤- جهنم

اختلف في جهنم أعرابية أم أعجمية؟ وأقدم إشارة إلى اصطراع العلماء في أمرها وصلت إلينا كان صاحبها ابن دريد وأبا حاتم الرازي، أما ابن دريد فاكتفى بذكر المذهب الذي يقول بعروبتها عازيا إياه إلى أبي حاتم السجستاني، اذ قال: "جهنم ركية بعيدة القعر، قال أبو حاتم: احسبه منه اشتقاق جهنم"^(١). وأما الرازي فنقل كلا المذهبين عازيا مذهب العروبة إلى أبي عبيدة التيمي ومذهب العجمة إلى يونس بن حبيب فقال: "قال أبو عبيدة: جهنم اسم مؤنث لا ينصرف لأنه على أربعة أحرف. وحكي عن رؤية قال: ركية جهنم أي بعيدة القعر، وقال يونس: جهنم اسم أعجمي وجهنم لقب رجل، وأنشد للأعشى^(٢):

دَعَوْتُ خَلِيلِي مَسْحَلًا وَدَعَا لَهُ جَهَنَّمَ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمَذْمَمِ
فلم يصرفه، قال - يريد أبو عبيدة - وهذا تقوية لقول يونس إنه أعجمي"^(٣). فكان أبا عبيدة نأى عن مذهبه في عروبة (جهنم) مستأنسا بمذهب يونس الذي أخرجها على سبيل الأعجمي.

ونسب ابن الانباري إلى "يونس وأكثر النحويين قولهم: إن جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الآخرة، وهي أعجمية لا تجري للتعريف والعجمة"^(٤). ورد بعض تابعي ابن الانباري قوله هذا ناسبين مذهب عجمة

(١) جمهرة اللغة ٤٠٤/٣.

(٢) ديوان الأعشى ١٧٥، واللسان والتاج (سحل، جهنم)، والتهذيب ٣٠٨/٤، وديوان الأدب ٣٠٠/١.

(٣) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢١٢/٢.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس ١٥٥/٢.

(جهنم) إلى يونس والكثيرين^(١). واكتفى آخرون بالإشارة إليه من دون نسبة^(٢). ولم أتبين من الكثيرون - قبل ابن الانباري - الذين عدّوا للفظ أعجميا؟، إذ لم يعرف منهم إلا يونس كما في قول أبي عبيدة وابن الانباري. ويبدو أن ابن الانباري ما كان لينسب هذا المذهب إلى الكثيرين بعد نسبته إلى يونس بن حبيب لولا اختياره له مستدلا عليه بترك صرف (جهنم) في هذا المذهب كما في قول المذكور آنفا لأنّ ترك إجراء جهنم يدل على أنه وما يماثله في الاشتقاق أعجمي^(٣).

ونقل أبو موسى المديني (٥٨١هـ) عن ابن الجبان (ت ٤١٦هـ) انه رأى (جهنم) معربة من العبرية فقال: "قال ابن الجبان هو تعريب كهنام بالعبرانية"^(٤). وأشار فريق من تابعي المديني إلى أن (جهنم) معربة من (كهنام) العبرية ولم يبينوا معنى اللفظ العبري الذي أريد له أن يكون أصلا - (جهنم)^(٥). لكن باحثين محدثين ممن شغلوا بالدرس المقارن بين الساميات فصلّوا القول في (كهنام) العبري، فقال أحدهم: "إنه وادي (Quey hennam) في جنوبي أورشليم كثر فيه قبل ميلاد المسيح (عليه السلام) إحراق الأطفال تضحية بهم لـ (مولوخ) إله العمونيين"^(٦)، وقال باحث آخر: "إن أصل الكلمة عبري وهو (ge- ennom) المركب من (Ge) المراد به الوادي و (ennom) اسم علم لا ذكر له في التاريخ، والوادي واقع في جنوبي - غربي مدينة

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٤١٣/١ والمعرّب ١٠٧ والمجموع المغني ٣٨٢/١ ولسان العرب ٣١١/١٤ وعمدة القاري ٢٨٦/٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٥١٥/٦ والصحاح ١٨٩٢/٥ والمفردات ١٠٢ والبحر المحيط ١٠٨/٢ والاشباه والنظائر ٢٣٩/٤.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس ١٥٦/١.

(٤) المجموع المغني ٣٨٢/١.

(٥) ينظر: النهاية ٣٢٣/١ ولسان العرب ٣٧٩/١٤ وعمدة القاري ٢٠٦/٣ والمهذب فيما وقع

في القرآن من المعرب ٨١ وتاج العروس ٢٣٥/٨.

(٦) غرائب اللغة العربية ٣١١.

القدس، وفي هذا الوادي وفي قسمه المدعو (Topheth) كان اليهود الوثنيون يقربون الصبيان ذبائح يحرقونها اكراما للاله (ملوخ)، فلتخليد الكره لهذا الوادي اخذوا يرمون فيه اقدار المدينة وجثث الحيوانات، وخشية ان يضحى هذا المكان بؤرة فساد كانوا يحرقونها بالنار، فلسبب الضحايا المحروقة في هذا الوادي سمي (Geenna teu puros) اي جهنم النار وأضحى رمزا عن الجحيم، ومن ذلك ورد اسم جهنم في العهد الجديد مطلقا على محل العقاب الأبدي^(١).

لكن فريقا آخر من المحدثين عدّ (جهنم) معربة في العربية من الآرامية (geninnan) او من الحبشية (gahannam)^(٢). وفصل بعضهم القول في رحلة اللفظ بين الساميات فعده عبراني الأصل، ذاكرا أنه في العبرية مركب من كلمتين (Ge) وتعني واديا و (hennam) وتعني الهمس أو الأئین فكأنه بمعنى وادي البكاء والعذاب، ثم دخلت الكلمة في الآرامية ومنها إلى الحبشية ثم أخذتها العرب من الحبشية لتشابه نطقها بين العربية والحبشية تشابها ملحوظا^(٣).

٣٥- حاشا

اختلف في (حاشا) الوارد في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف: ٣١) أفعل هو أم حرف؟ فذهب الكوفيون إلى أن (حاشا) فعل ماض وانما هو كذلك لانه متصرف، والتصرف من خصائص الافعال

(١) معجمات عربية سامية ٥٣- ٥٤.

(٢) ينظر: التطور النحوي ٢٢٦ والألفاظ السريانية ٤٧ وتحقيقات تاريخية لغوية ٩٢.

(٣) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢١٢/٢ (الهامش).

والاسماء، والحروف لا تتصرف، والدليل على تصرفها قولهم: حاشيت أحاشي، ومنه قول الشاعر^(١).

ولا أرى فاعلا في الناس يُشبهه وما أحاشي من الأقوام من أحد
وانها يدخلها الحذف فيقال: (حاش) وبه قرأ الجمهور، والحذف لا يدخل
الحرف، وميدانه الأسماء كـ(يد ودم وأب) والأفعال كـ(لم يك، ولم أبال،
ولا أدر) وأنها تتعلق بها الحروف: (حَاشَ لِلَّهِ) وحاش لزيد، وحرف الجر
يتعلق بالفعل لا بالحرف ولذا تمسك الكوفيون بفعيلة (حاشا) لكنهم ادركوا
مخالفتها للأفعال التي ترفع فاعلا فاختلفوا فيما بينهم في علة استغنائها عن
الفاعل، فذهب جماعة منهم إلى انها فعل استعمل استعمال الحروف، وذهب
آخرون إلى إن الفاعل مستكن فيها لازم الإضمار، وقال بعضهم: هي فعل لا
فاعل له، وعورض هذا بأنه عجيب أن يأتي فعل لا فاعل له.

ثم إن الكوفيين اختلفوا في تأصيل (حاشا) فمنهم من عده (فعل) منة
الحوش أي الغريب ومنه حوشي الكلام أي انه ملحق بالرباعي بزيادة الالف
في آخره كـ (سلقى وقلسى)، ومنهم من ذهب إلى انه (عفلى من الوحشة)
التي هي ضد (الألفة)، وأكثرهم على إنه (فاعل) من (الحشي) أي الناحية،
ومنه الحاشية وأصله (حاشي) فأعلت اللام بقلبها ألفا بعد أن وجدوا شذوذ
قلب الواو ألفا في (حاشا) إن كان (فعل) من الحوش أو (عفلى) من
(الوحشة) إذ الأصل (حوشي) لا مسوغ لإعلال الواو فيه لأنها ساكنة، وهذه
الأصول التي تلمسها الكوفيون تدل على التباعد والغربة والعزلة والتنحي،
وهي معان يمكن إدراكها في (حاشا)، ولذا قالوا: معنى (حاشى فلانا) في كلام
العرب: أعزله بناحية، أو أنحيه جانبا، أو أبعده عنهم فأجعله غريبا غير
مألوف^(٢).

(١) البيت للناطقة الذبياني في ديوانه ٦٤ وهو من شواهد الإنصاف ٢٧٨/١.

(٢) ينظر: الفاخر ٢٧٠ والمحكم ٢١٩/٣ والمفردات ١٣٦ وأسرار العربية ٨٣ والإنصاف
٢٧٨/١ والتبيان للعكبري ٣٩/٢ وشرح المفصل ٨٥/٢ و٤٧/٨ والتسهيل ١٠٥ وشرح

وذهب البصريون إلى إنَّ (حاشي) حرف جر وليس فعلا واستدلّوا على ذلك من ثلاثة أوجه، الأول: إنه يقال: حاشاي، ولا يقال: حاشاني بنون الوقاية، ولو كان فعلا ل قيل: حاشاني بنون الوقاية كما يقال: "راماني وغازاني، قال الشاعر^(١):
في فتية جعلوا الصليبَ إلههم حاشايَ إنّي مسلمٌ معذور

فقال: حاشاي، من غير نون الوقاية. والثاني: ألا يحسن دخول (ما) عليها، فلا يقال: ما حاشا زيدا، كما يقال: ما عدا زيدا ولا ما خلا زيدا. والثالث: إن ما بعدها يجيء مجرورا ولو كان فعلا لما جاز أن يجيء ما بعده مجرورا، قال الشاعر:

حاش أبي ثوبان؛ إنَّ به ضنّا على الملحة والشمّ^(٢)
وردّوا أدلة الكوفيين بأن قالوا: "أما قولهم (وما أحاشي) فليس متصرفا من لفظ (حاشي)، وإنما هو مأخوذ من لفظها كما يقال: بسمل وهلل وسبحل وحمدل، إذا قال: بسم الله ولا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله... وأما قولهم: إنَّ الحرف لا يدخله الحذف فليس كذلك، فإنَّ الحرف قد يدخله الحذف فقد قالوا: سو أفعل في سوف أفعل... وأما قولهم: إنه يتعلّق به حرف الجر، قلنا لا نسلم، فإنَّ اللام في حاشا زائدة لا تتعلّق بشيء كاللام في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى

ابن النازم ١٢٢ وشرح الكافية ٢٤٤/١ ولسان العرب ١٨١/١٤ والجنى الداني ٥١٠ - ٥١٣ ومغني البيب ١٣٠/١ - ١٣١ وائتلاف النصرة ١٧٧ - ١٧٨ وشرح التصريح ٤٣٩/١ وشرح الاشموني ٤٩٨/٢ وحاشية الصبان ١٤٦/٢.

(١) البيت للaqيشر في لسان العرب ١٩٨/١٨.

(٢) البيان ٣٨/٢ - ٣٩ وينظر: الكتاب ٣٧٧/١ وأسرار العربية ٨٣ والإنصاف ٢٨٠/١ - ٢٨١ وشرح المفصل ٨٥/٢ و٤٧/٨ والتسهيل ١٠٥ وشرح الكافية ٢٤٤/١ وشرح ابن النازم ١٢٢ وائتلاف النصرة ١٧٨.

وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿الأعراف: ١٥٤﴾". وكالباء في قوله تعالى
﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ﴿العلق: ١٤﴾^(١).

وعُزي إلى المبرد وابن جني تجويزهما في (حاشى) أن يكون فعلا وحرفا
بعد أن ظهرت لهما قوة الاستدلال على فعليته وحرفيته في كلا المذهبين، ثم
إنهما حفظا عن العرب نصبهم الاسم بعدها وادخالهم (ما) عليها في قول
الشاعر^(٢):

رَأَيْتُ النَّاسَ مَا حَاشَا قُرَيْشًا فَإِنَّا نَحْنُ أَكْثَرُهُمْ فِعَالًا
فهذا يعضد فعليتها، كما حفظا الذي حفظه أصحابهما البصريون من الجر
بها، ومن هنا جوزا أن يكون حال (حاش) كحال (عدا وخلا) كل واحد من
هذه الثلاثة يكون حرفا تارة ويكون فعلا تارة أخرى^(٣).

٣٦- حِطَّة

لَمَّا تَشَعَّبَتْ أَقْوَالُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي بَيَانِ مَدْلُولِ اللَّفْظَةِ (حِطَّة) فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿البقرة:
٥٨﴾، اختلفت بعد ذلك أقوال أهل اللغة في تأصيل اللفظة عربية هي أم
أعجمية؟ ولهم في تأصيلها قولان:

الأول: حِطَّة أعجمية، نزلت بلسان بني إسرائيل الذين كُلفوا بنطقها على
لفظها وهي مفهومة لديهم ولا أصل لها في العربية لأن اللفظة من لغة بني
إسرائيل الذين أمروا بنطقها كما هي في حكاية التعبير القرآني (حِطَّة) ولغة

(١) البيان ٣٩/٢ وينظر: الإنصاف ٢٨٢/١ - ٢٨٥ وائتلاف النصرة ١٧٩-١٨٠.

(٢) في شرح الكافية ٢٤٤/١ ومغني البيب ١٢٩/١ وشرح ابن عقيل ٥٢٧/١ وهمع الهوامع
٢٣٣/١ وخزانة الأدب ١٣٦/٣.

(٣) ينظر: المقتضب ٣٩١/٤ والمحتسب ٣٤١/١ والمفصل ١٣٤ والكشاف ٤٦٥/٢ وشرح
المفصل ٤٧/٨ وشرح الكافية ٢٤٤/١ والجنى الداني ٥١٤.

بني إسرائيل قرية من العربية، ومن ثمّ اختلفوا في ترجمتها إلى العربية على أقوال هي:

١: أن يكون لفظ (حِطَّة) بمعنى (الحق) وهذا مروى عن ابن عباس في واحد من عدة أقوال له في تأويل دلالة اللفظة وهو أنه أول (وَقُولُوا حِطَّةً)، فقال: قُولُوا هَذَا الْأَمْرُ حَقٌّ، كَمَا قِيلَ لَكُمْ^(١). ونقل الطبري هذا الوجه عن جماعة "أنهم قالوا: القول الذي أمروا أن يقولوه، هو أن يقولوا: هذا الأمر حق كما قيل لكم"^(٢).

٢: أن يكون معنى اللفظة (الصواب) قال الراغب: "قيل: معناه: قولوا صواباً"^(٣).

٣: أن يكون لفظ (حِطَّة) اختصار لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهذا مروى عن عكرمة أنه أول قوله تعالى: "وَقُولُوا حِطَّةً، ب"قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لأنها تحط الذنوب"^(٤) والمحصل من هذا أنهم أمروا بنطق كلمة التوحيد كي يتوب الله عليهم ونقل الطبري هذا الوجه عن جماعة وصدده بالقول "كأنهم وجهوا تأويله: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم، وهو قول لا إله إلا الله"^(٥).

(١) جامع البيان ٣٩٣/١-٣٩٧ تفسير ابن أبي حاتم ١١٨/١-١١٩ و١٥٩٤/٥-١٥٩٦ والدر المنثور ١٥٨/١-١٦٠ والبيان للطوسي ٣٢٥/١-٣٢٧ ومجمع البيان ٢٢٩/١-٢٣٠ والبحر المحيط ٣٥٨/١-٣٦٠ والمحرر الوجيز ١٤٩/١-١٥٠.

(٢) جامع البيان ٣٩٣/١-٣٩٧ زاد المسير ٦٩/١.

(٣) المفردات ٢٤٢/١.

(٤) جامع البيان ٣٩٣/١-٣٩٧ تفسير ابن أبي حاتم ١١٩/١ و١٥٩٥/٥ والدر المنثور ١٥٨/١-١٦٠ ومعالم التنزيل ٤٤/١ والبيان للطوسي ٣٢٥/١-٣٢٧ ومجمع البيان ٢٢٩/١-٢٣٠ والجواهر الحسان ٢٤٧/١ البحر المحيط ٣٥٨/١-٣٦٠ والتفسير البسيط ٥٥٣/٢-٥٥٨ المحرر الوجيز ١٤٩/١-١٥٠ وإرشاد العقل ٢٤٤/١-٢٤٥ وتفسير الباب ٩٥/٢-٩٧ الكشف والبيان ١٢٢/١.

(٥) جامع البيان ٣٩٣/١-٣٩٧ مدارك التنزيل ٧٢/١ زاد المسير ٦٩/١ وفتح القدير ١٢١/١.

وعلق الطبري بهذا الوجه قائلا: "أما على تأويل قول عكرمة، فإن الواجب أن تكون القراءة بالنصب في "حِطَّة"، لأن القوم إن كانوا أمروا أن يقولوا: لا إله إلا الله، أو أن يقولوا: نستغفر الله، فقد قيل لهم: قولوا هذا القول، ف(قولوا) واقع حينئذ على الحِطَّة، لأن الحِطَّة على قول عكرمة هي قول (لا إله إلا الله)، وإذا كانت هي قول "لا إله إلا الله"، فالقول عليها واقع، كما لو أمر رجل رجلا بقول الخير فقال له: "قل خيرا" نصبا، ولم يكن صوابا أن يقول له: "قل خير"، إلا على استكراه شديد.

وفي إجماع القراء على رفع "الحِطَّة" بيان واضح على خلاف الذي قاله عكرمة من التأويل في قوله: (وقولوا حِطَّة). وكذلك الواجب على التأويل الذي روينا عن الحسن وقتادة في قوله: (وقولوا حِطَّة)، أن تكون القراءة في "حِطَّة" نصبا. لأن من شأن العرب - إذا وضعوا المصادر مواضع الأفعال، وحذفوا الأفعال - أن ينصبوا المصادر. كما قال الشاعر: هو الفرزدق:

أييدوا بأيدي عصبة وسيوفهم على أمهات الهام ضربا شاميا
وكقول القائل للرجل: "سمعا وطاعة" بمعنى: أسمع سمعا وأطيع طاعة،
وكما قال جل ثناؤه: (معاذ الله) ﴿يوسف: ٢٣﴾ بمعنى: نعوذ بالله.

٤: أن يكون المراد بلفظة (حِطَّة) النطق بكلمة البسملة وهو وجه نقله الواحدي والنسفي عن "علي رضي الله عنه: وهو بسم الله الرحمن الرحيم" ^(١).

٥: أن يكون (حِطَّة) اسما لأحد أبواب بيت المقدس أذ أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله (وادخلوا الباب سجدا) قال: هو أحد أبواب بيت المقدس وهو يدعى باب حِطَّة ^(٢). واختلفوا أيضا في باب حِطَّة من بيت

(١) التفسير البسيط ٥٥٣/٢ - ٥٥٨ ومدارك التنزيل ٧٢/١.

(٢) جامع البيان ٣٩٣/١ - ٣٩٧ والدر المشور ١٥٨/١ - ١٦٠ وفتح القدير ١٢١/١.

المقدس " فليل هو الباب الثامن عن مجاهد وقيل باب القبة التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل هو باب القرية التي أمروا بدخولها وهي أريحا" (١).

٦: أن بني إسرائيل أمروا بأن يقولوا بهذا اللفظ ولا ندرى ما معناه (٢). ونقل الرازي هذا الوجه عن الأصم وأورد قوله: "إن هذه اللفظة من ألفاظ أهل الكتاب أي لا يعرف معناها في العربية" (٣).

الآخر: (حطة) عربية. والذاهبون إلى إنها عربية أطبقوا على إنها وزن فعلة من الحط وهو الخفض، قال الطبري: "تأويل قوله: (حطة)، فعلة، من قول القائل: "حط الله عنك خطاياك فهو يحطها حطة"، بمنزلة الردة والحدة والمدة من رددت وحددت ومددت" (٤). وأصل الصيغة أن تدل على الهيئة ولكنها هنا مراد بها مطلق المصدر (٥).

والقائلون بعروبة اللفظة مختلفون في مدلولها الدقيق والقصد من استعمالها في التعبير القرآني على خمسة أقوال هي:

١: إن المراد من قولهم: حطة، دعاء لغفران الذنوب أي؛ حطّ عنا ذنوبنا؛ فهو أمر بالاستغفار والمعنى؛ أنه تعالى أمرهم بالتذلل والخضوع والدعاء عند دخولهم الباب. فقالوا: اللهم حط عنا ذنوبنا فإنما انخططنا لوجهك وإرادة التذلل لك، فحط عنا ذنوبنا. و"رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم سار مع أصحابه في سفر، فقال: قولوا: نَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَنُتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَالُوا ذَلِكَ، فَقَالَ:

(١) التبيان للطوسي ٣٢٥/١ - ٣٢٧.

(٢) تفسير غريب القرآن ٥٠/١ التفسير البسيط ٥٥٣/٢ - ٥٥٨ وتفسير اللباب ٩٥/٢ - ٩٧.

(٣) تفسير الرازي ٨٦/٣ - ٨٨ وتفسير اللباب ٩٥/٢ - ٩٧ وإرشاد العقل ٢٤٤/١ - ٢٤٥.

(٤) جامع البيان ٣٩٣/١ - ٣٩٧ ومجمع البيان ٢٢٩/١ - ٢٣٠.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ١٤٩/١ - ١٥٠ والكشاف ١٧١/١ وإرشاد العقل ٢٤٤/١ - ٢٤٥ وأنوار التنزيل ٦٤/١ والنهاية في غريب الحديث ٤٠٢/١ وأضواء البيان ٢٧٨/٧ والتحرير والتنوير ٥١٥/١ - ٥١٦ والبحر المحيط ٣٥٨/١ - ٣٦٠ والجواهر الحسان ٢٤٧/١ وتفسير اللباب ٩٥/٢ - ٩٧.

وَاللَّهِ، إِنَّهَا لِلْحِطَّةِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا^(١). وهذا الوجه منقول عن ابن عباس والحسن وقتادة وعطاء وابن زيد ومعمّر والربيع وأكثر أهل العلم^(٢).

وأنس السمين الحلبي بهذا الوجه وطول في بيانه وإعرابه والاستشهاد له فقال: "قوله (وَقُولُوا حِطَّةً) أي؛ قولوا: لتكن منك حِطَّةً لذنوبنا" كما تقول للرجل: سَمِعَكَ إِلَيَّ. كأنهم قيل لهم: "قولوا: يا رب لتكن منك حِطَّةً لذنوبنا". وقد قرئت نصبا على انه بدل من اللفظ بالفعل. وكل ما كان بدلا من اللفظ بالفعل فهو نصب بذلك الفعل، كأنه قال: "أحططُ عَنَّا حِطَّةً" فصارت بدلا من "حُطَّ" وهو شبيه بقولهم: "سَمِعَ وطاعةً"، فمنهم من يقول: "سَمِعاً وطاعةً" إذا جعله بدل "أَسْمَعُ سمعا وأطيع طاعةً". وإذا رفع فكأنه قال: أَمْرِي سَمِعَ وطاعةً^(٣).

وقال بعضهم: "وَهِيَ عَلَيْهِ نَوْحٌ" جعلها في التشبيه هي النوح لكثرة ما كان ذلك منها كما تقول: "إِنَّمَا أَنْتَ شَرٌّ" و"إِنَّمَا هُوَ حِمَارٌ" في الشبه، أو تجعل الرفع كأنه قال: "وَهِيَ عَلَيْهِ صَاحِبَةٌ نَوْحٌ"، فألقى الصاحبة وأقام النوح مقامها. ومثل ذلك قول الخنساء^(٤):

تَرْتَعُ مَا رَتَعْتَ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ فَإِنَّمَا هِيَ إِفْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٥)

(١) الجواهر الحسان ٢٤٧/١.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٨/١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٠/١ وجامع البيان ٣٩٣/١ - ٣٩٧ والتبيان للطوسي ٣٢٥/١ - ٣٢٧ ومجمع البيان ٢٢٩/١ - ٢٣٠ والدر المنثور ١٥٨/١ - ١٦٠ وتفسير ابن أبي حاتم ١١٩/١ ومعالم التنزيل ٤٤/١ والتحرير والتنوير ٥١٦/١ والبحر المحیط ٣٥٨/١ - ٣٦٠ والجواهر الحسان ٢٤٧/١ وتفسير الرازي ٨٦/٣ - ٨٨ والتفسير البسيط ٥٥٣/٢ - ٥٥٨ والكشف والبيان ١٢٢/١.

(٣) معاني القرآن للأخفش ١٠٢/١.

(٤) ديوان الخنساء ٣٥.

(٥) الدر المصون ٢٣١/١ - ٢٣٢.

أي إن السمين الحلبي لم يستبعد حصول معنى الأمر بالاستغفار في اللفظة إن قرئت بالرفع لأنه معنى ظاهر على تقدير الجملة الخبرية بالانشائية الدالة على الأمر والتقدير (أمري حطة) أو يكون الكلام على التشبيه البليغ المحذوف الأداة ووجه الشبه، والتقدير (أمرنا كالحطة). أو على الحذف والإيصال والتقدير (أمرنا أصحاب حطة).

وواضح تكلف استحصال معنى الأمر من اللفظة في حال رفعها مع ما فيه من من عدول تركيبي بحذف أحد ركني الإسناد وحمل على البعيد فلا يفهم معنى التشبيهية في (حطة)، ولذا رأى الفراء أن معنى اللفظة الذي هو الاستغفار يوجب نصبها لا رفعها فقال: "بلغني أن ابن عباس قال: أمروا أن يقولوا: نستغفر الله؛ فإن يك كذلك فينبغي أن تكون "حطة" منصوبة في القراءة؛ لأنك تقول: قلت لا إله إلا الله، فيقول القائل: قلت كلمة صالحة، وإنما تكون الحكاية إذا صلح قبلها إضمار ما يرفع أو يخفض أو ينصب، فإذا ضمنت ذلك كله فجعلته كلمة كان منصوبا بالقول كقولك: مررت بزيد، ثم تجعل هذه كلمة فتقول: قلت كلاما حسنا ثم تقول: قلت زيدا قائم، فيقول: قلت كلاما. وتقول: قد ضربت عمرا، فيقول أيضا: قلت كلمة صالحة^(١).

٢: إن المراد من قولهم (حطة) هو أمر بحط الرحال والإقامة أي؛ ادخلوا قائلين: إنكم ناوون الإقامة بها لأن دخول ديار العدو في الحرب يكون فتحا ويكون صلحا ويكون للغنيمة ثم الإياب^(٢). ونقل الرازي هذا الوجه عن أبي مسلم الأصفهاني الذي ذكر أن معناه أمرنا حطة أي أن نخط في هذه القرية ونستقر فيها، وأورد الرازي رد القاضي على هذا الوجه بأن المراد لو كان الإقامة لم يكن غفران خطاياهم متعلقا بها ولكن قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، يدل على أن غفران الخطايا كان لأجل قولهم

(١) معاني القرآن للفراء ٣٨/١ وينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٠/١ وزاد المسير

(٢) التحرير والتنوير ٥١٦/١.

حِطَّةٌ وليس لأجل الإقامة، ورد الرازي هذا الرد بالقول: "يمكن الجواب عنه بأنهم لما حطوا في تلك القرية حتى يدخلوا سجداً مع التواضع كان الغفران متعلقاً به"^(١). ورأى ابن عاشور أن تفسير (حِطَّة) بـ (حَطَّ الذنوب) أو (حَطَّ الرِّحال) لا يتوافق مع القراءة المشهورة التي هي برفع (حِطَّة)، فإنه إذا كان المقصود حَطَّ الذنوب أو حَطَّ الرِّحال كانت الكلمة بالنصب على أنها مفعول مطلق، فقال: "وهذان التأويلان بعيدان ولأن القراءة بالرفع وهي المشهورة تنافي القول بأنها طلب المغفرة لأن المصدر المراد به الدعاء لا يرتفع على معنى الإخبار نحو سقيا ورعيا وإنما يرتفع إذا قصد به المدح أو التعجب لقربهما من الخبر دون الدعاء ولا يستعمل الخبر في الدعاء إلا بصيغة الفعل"^(٢).

٣: إن لفظة (حِطَّة) كان قولاً "معروفاً في ذلك المكان للدلالة على العجز أو هو من أقوال السؤال والشحاذين كيلا يحسب لهم أهل القرية حساباً ولا يأخذوا حذراً منهم فيكون القول الذي أمروا به قولاً يخاطبون به أهل القرية"^(٣) وصوب ابن عاشور هذا القول، أي تفسير قولهم (حِطَّة) بالدلالة على العجز كنوع من التعبير عن السؤال والشحاذة وإظهار الذل.

٤: أن يكون معنى حِطَّة التوبة وهو منقول عن أحمد بن يحيى وأبان بن تغلب اللذين أنشدا^(٤):

فاز بالحِطَّة التي جعلَ الله بها ذنبَ عبده مغفُوراً^(٥)

أي فاز بالتوبة، وتفسيرهما الحِطَّة بالتوبة إنما هو تفسير باللازم لا بالمرادف، لأن من حط عنه الذنب فقد تيب عليه. وربما كان التكتّم بالتوبة

(١) تفسير الرازي ٨٦/٣/١ - ٨٨ وتفسير اللباب ٩٥/٢ - ٩٧ ومدارك التنزيل ٧٢/١.

(٢) التحرير والتنوير ٥١٥/١.

(٣) البحر المحيط ٣٥٨/١ - ٣٦٠ التحرير والتنوير ٥١٦/١.

(٤) تفسير اللباب ٩٥/٢ - ٩٧.

(٥) تفسير اللباب ٩٥/٢ - ٩٧ البحر المحيط ٣٥٨/١ - ٣٦٠ تفسير الرازي ٨٦/٣/١ - ٨٨ فتح

القدير ١٢١/١ الدر المصون ٢٣١/١ - ٢٣٢.

على وجه لا يطلع عليها إلا الله عز وجل أحب إلى الله، وأقرب إلى مغفرته^(١).

٣: أن يكون المراد بكلمة (حِطَّة) كناية عن الإقرار بالذنوب والتوبة منها، فقد جاء في تفسير ابن أبي حاتم عن الأوزاعي أنه كان "يُحَدِّثُ، قَالَ: كَتَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ يَسَّالُهُ "عَنْ قَوْلِهِ: " وَقُولُوا حِطَّةً " فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنْ أَقْرَأُوا بِالذَّنْبِ " ^(٢). ويبدو أن الذي كاتبه ابن عباس هو أمير المؤمنين (عليه السلام) لكن صدور بعضهم لا تطيق له ذكر^(٣). ووصف الرازي هذا الوجه بأنه "أحسن الوجوه وأقربها إلى التحقيق" ^(٤). لأنَّ المعنى المحصل منه "أنه تعالى بعد أن أمرهم بدخول الباب على وجه الخضوع أمرهم بأن يقولوا ما يدل على التوبة، وذلك لأن التوبة صفة القلب، فلا يطلع الغير عليها، فإذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه أن يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب، لأن التوبة لا تتم إلا به، إذ الأخرس تصح توبته وإن لم يوجد منه الكلام بل لأجل تعريف الغير عدوله عن الذنب إلى التوبة، ولإزالة التهمة عن نفسه، وكذلك من عرف بمذهب خطأ، ثم تبين له الحق فإنه يلزمه أن يعرف إخوانه الذين عرفوه بالخطأ عدوله عنه، لتزول عنه التهمة في الثبات على الباطل وليعودوا إلى مولاته بعد معاداته، فلهذا السبب ألزم الله تعالى بني إسرائيل مع الخضوع الذي هو صفة القلب أن يذكروا اللفظ الدال على تلك التوبة وهو قوله: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ (البقرة: ٥٨)، فالحاصل أنه أمر القوم بأن يدخلوا الباب على وجه الخضوع وأن يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان" ^(٥).

(١) تفسير الرازي ٨٧/٣/١ والبحر المحيط ٣٥٨/١-٣٦٠ وفتح القدير ١/٢١١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١٥٩٥/٥ والبحر المحيط ٣٥٨/١-٣٦٠.

(٣) ينظر: مسند أحمد حديث رقم: ٢٤٧٢٥.

(٤) تفسير الرازي ٨٦/٣/١-٨٨ وتفسير اللباب ٩٥/٢-٩٧.

(٥) تفسير الرازي ٨٦/٣/١-٨٨ وتفسير اللباب ٩٥/٢-٩٧.

وهذا الوجه يشتمل على الأوجه الأخرى كلها لأن معنى الإقرار بالذنب يشتمل على الغفران والتوبة والإقامة. أما إعرابها فالأظهر إنها " خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله:

صبر جميل فكلانا مبتلي

والأصل صبراً على تقدير اصبر صبراً، وقرأ ابن بي عبلة بالنصب^(١).
ويبدو أن لفظ (حطة) كناية عن العزيمة والإصرار وتصحيح المسار وتغيير ما في النفوس الخائفة عن نصرة الحق وكله مظنة لحط الذنوب.

٣٧- الحيوان

اختلف في واو (الحيوان) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: ٦٤. أصلية أم منقلبة عن ياء؟ فذهب الخليل إلى إن (الحيوان) أصله (حيّان) بيّانين محرّكين بالفتح لأنه من (حييت)، إذ ليس في كلام العرب ما عينه ياء ولا مه واو، وإنما قلبت الياء الثانية واوا فرار من توالي المثليين اللذين يستدعي اجتماعهما تخفيف أحدهما أما بالإبدال نحو (أمليت) أصله (أمللت) و (دينار) أصله (دنار)، أو بالحذف نحو (ظلت) أصله (ظللت)، وكان قلب الياء الثانية واوا أولى من قلب الأولى لأن الثانية هي التي حصل فيها التكرير والثقل، وإنما عدلوا عن الإدغام إلى القلب لأن الإدغام يقع في الأسماء مما كان على (فعل) و (فعل) بضم العين وكسرهما ولا يكون فيما على (فعل) بفتح العين نحو (طلّل) و (شرّر) دفعا لالتباس معنى مفتوح العين بساكنها نحو (طلّ وشر). ولم يجر القياس في (حيّان) فتبدل ياءه الثانية ألفا حفاظا على بناء (فعلان) من النقص والالتباس بغيره لأن القلب المقيس يلزم منه التقاء

(١) الكشف ١٧١/١ وينظر: مدارك التنزيل ٧٢/١.

الساكنين في (حيّان) وحذف اللام وجوبا، وإنما صحّت عين (حيّان) كما صحّت في الجوّلان والهيّمان، ثمّ صحّت بعد قلب اللام واو ولم تعلّ بقلبها ألفا كما قلبت في (ماهان) لئلاّ يجتمع على الكلمة اعتلالان. واستحسن أكثر علماء العربية مذهب الخليل مقدمين الأدلة التي سوّغت قلب لامه قلبا شاذّا بحسب ما تقدم^(١).

وخالف المازني الخليل والجمهور فذهب إلى أنّ الواو في الحيوان أصل وليس منقلبة عن ياء وعنده (حيّوان) لفظ لم ينطق منه بفعل لما يلزمه من الاعتلال الكثير لأنّ عينه ياء ولامه واو فلذلك هجر وبقي مصدره (الحيّوان) نقيض (الموتان)، وسُمع من تصاريفه (حيّوة) اسم رجل و (حيّوت) ذكر الحيات و (حيّوان) اسم موضع باليمن، فهذا كقولهم، فاظ الميت يفيظ فيظاً وفوظاً ولا يشتقون من الفوظ فعلاً. وقولهم: جبت الخراج جباية وجباوة ولم ينطقوا من الجباوة بفعل، وقد كثر في كلامهم نحو هذا المهجور فلم يستعملوا فعلاً من (اليوم) و (الاية) و (ويل) و (ويح) و (ويس) كراهية أن يكثر في كلامهم ما يستقلون^(٢).

ووصف مذهب المازني هذا بأنه " فاسد لأنه قد ثبت إبدالهم الياء واوا شذوذا ولم يثبت في كلامهم ما عينه ياء ولامه واو، وأيضاً فإنّ (الحيّوان) من الحياة ومعنى الحياة موجود في (الحيا) المطر..... وهم يقولون في تثنية (حيّان)

(١) ينظر: الكتاب ٣٩٤/٢ والمقتضب ١٨٦/١ واشتقاق أسماء الله ١٧١ والبغداديات ٢٣٢ والتكملة ٣٥٨ والخصائص ٢٥٥/١ - ٢٥٦ وسر صناعة الإعراب ١٧٠/١ والمصنف ٢٨٤/٢ - ٢٨٥ والتبصرة والتذكرة ٩٢٣/٢ والكشاف ٢١١/٣ - ٢١٢ والبيان ٢٤٦/٢ وشرح المفصل ٢٦٨/٢ و٥٥/١٠ والممتع في التصريف ٥٦٩/٢ - ٥٧٠ و٧٥٤ - ٧٥٦ والتسهيل ٢٩٢ وشرح الشافية للرضي ٧٣/٣ و١٠٧ ولسان العرب ٢٣٤/١٨ وارتشاف الضرب ٩٠/١ وتحفة الأريب ٨٦ والاشباه والنظائر ٢٤٣/٤.

(٢) ينظر: المقتضب ١٨٦/١ واشتقاق أسماء الله ١٧١ والبغداديات ٢٣٢ والتعلقية ١٠٨ والمصنف ٢٨٤/٢ والممتع في التصريف ٥٦٩/٢ - ٥٧٠ وشرح الشافية للرضي ٧١/٣، ٧٣.

بالياء لا غير" ^(١). ثم رُدَّ على المازني تشبيهه (الحيوان) بـ (الفُوظ) و (الجِباوة) بأن هذه لغات يتعاقب فيها الواو والياء ^(٢). وردَّ استشهاده بسماع (حيوة) و (حيوت) بأن (حيوة) اسم رجل وأصله (حية) إلا أنه لما كان اسماً علماً والأعلام كثيراً ما يُعدل بها عن قياس كلامهم أدخلوا عليه ضرباً من التغيير فأبدلوا من الياء الثانية واوا على خلاف القياس كما فعلوا ذلك في كثير من الأعلام نحو: مَدين ومَريم، وإنَّ (حيوت) يحتمل أن يكون (فَعول) من (الحوت) وأصله (حَووت) فأعلت عينه بقلبها ياء فرارا من توالي الأمثال ويحتمل أن يكون (فعلوت) من (الحياة) وأصله (حيوت) وأسكنت العين لاجتماع المثليين وأدغمت في اللام وفي هذا عضد لقلب الياء واوا في (الحيوان) فراراً من توالي الأمثال لا دفع له وأما (حيوان) اسم الموضع - فوزنه (فِعال) ونونه أصلية ولا دليل له فيه ^(٣).

٣٨ - الخنزير

اختلف في تأصيل الخنزير فذهب سيبويه إلى أنه (فَعِيل) من الأصل الرباعي المجرد (خنزر) والنون فيه أصلية فهو بها بمنزلة قَنَدِيل وصَنَدِيد ^(٤)، وإلى هذا ذهب أكثر العلماء إلا ثعلباً وابن دريد اللذين عدَّا اللفظ مشتقاً من الخزر وهو صغر العين، والياء والنون فيه زائدتان، إذ يقال من هذا الأصل: تخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدّد النظر، والخنزير كذلك ينظر. ولذا عدَّ ثعلب (خزر تغلب) المردد عدة مرات في أقوال جرير ومنها ^(٥):
يا خزر تغلب إنني قد وسمتكمُ يا خزر تغلب وسوماً ذات أحبار

(١) الممتع في التصريف ٥٦٩/٢.

(٢) ينظر: البغداديات ٢٣٢ والمنصف ٢٨٥/٢.

(٣) ينظر: البيان ٢٤٦/٢.

(٤) ينظر: الكتاب ٣٢٦/٢ - ٢٣٧ وينظر المخصص ٧٤/٧.

(٥) ديوانه ٣١٠/٢.

لَا تَفْخَرَنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَكَمُ يَا خَزَرَ تَغْلِبَ دَارَ الذَّلِّ وَالْعَارِ
جَمْعاً لـ (خَنْزِير) ^(١).

ورجح ابن عصفور مذهب سيبويه والجمهور راداً على ثعلب الذي
استدل على زيادة النون في الخنزير، جمعه على (خزر) في أقوال جرير قائلاً:
"وأما خنزير فنونه أصلية وليس في قوله:

لَا تَفْخَرَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَكَمُ يَا خَزَرَ تَغْلِبَ دَارَ الذَّلِّ وَالْهَوْنِ
دليل على أن النون زائدة لأن خُزراً ليس بجمع خنزير بل هو جمع
أخزر؛ لأن كل خنزير عندهم أخزر، خلافاً لأحمد بن يحيى فإنه جعل خُزراً
جمع خنزير وذلك فاسد لأنه ليس لخنزير أن يجمع على خُزر، فمهما أمكن أن
يحمل على المطرد كان أولى" ^(٢).

وما قاله ثعلب ليس ببعيد لثبوت (خُزر العين) في العربية، وهو أصل
تلحظ فيه مناسبة اشتقاق لفظة الخنزير بطريق المبالغة بدليل قولهم: كل خنزير
أخزر، ولذا يمكن القول: إن أصل اللفظ (خَزِير) بزنة (فَعِيل) وقُلِبَ أَوَّلُ
المثلين نوناً لأجل المخالفة بينهما. ولا شك في أن (فَعِيل) بناء يفيد الدلالة على
أعلى منازل المبالغة في الصفة، ومن هنا ثبت هذا الوصف المبالغ فيه اسماً لهذا
الجنس من البهائم الذي تلحظ فيه المبالغة في الخُزَر وكثيراً ما تغلب الاسمية
على أمثلة هذه الصيغة كـ (قَسَّيسٌ وَصَفَّيْنِ وَحِطَّيْنِ) وغيرها. يعضد هذا أن
النون إذا كانت في بنات الأربعة يحكم بزيادتها كثيراً إن ظهر في بنات الثلاثة ما
يدل على ذلك فهي زائدة في (جندب) لوجود (الجذب) وفي (عرد) لوجود
(عرد) وفي (سنبلة) لوجود (السبل) ^(٣) وغير هذا. وما استدل به ثعلب من
نعت جرير قوم الأخطل بـ(خزر تغلب) يرجح زيادة النون في الخنزير ولا يرد

(١) ينظر: الاشتقاق (ابن دريد) ٤٩٨/٢ والمتع في التصريف ٢٧٠/١ ولسان العرب ٣١٨/٥
والبحر المحيط ٣٧٧/١.

(٢) المتع في التصريف ٢٧٠/١.

(٣) ينظر: الأصول ٣٤١/٣.

هذا شذوذ تكسير الخنزير على (خزر) لأن خزرا جمع مقيس لأخزر خزراء على أفعل فعلاء اللذين يدلان على الوصف الثابت الملازم صاحبه لأنهما أما عيب أو لون أو حلية، كـ (أعور عوراء عور وأحمر حمراء حمر وأغيد غيداء غيد) فيكون (خزر تغلب) جمعا لكلا الجنسین جار على القياس وفيه دلالة على زيادة النون وهو أقرب إلى مرام جرير الذي رام هجاء مقذعا فأتى بالجمع فعل المطرد في الصفة اللازمة (أفعل فعلاء) وأمثلتها في حكم الطباع والسجايا لا تنفك عن موصوفها، وذكره (خزر) لا يقل إقذاعا من ذكر (الخنزير). وعضد الدرس المقارن بين اللغات السامية زيادة النون في (خنزير) لأنه في الآرامية Hazero لا نون فيه^(١).

٣٩- دُرِّي

اختلف في تأصيل (دُرِّي) الوارد صفة للكوكب في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿النور: ٣٥﴾، "فذهب الكثيرون إلى إنه بزنة (فعلي) منسوباً إلى الدر، وقال بعضهم: إنما هو (فُعيل) من الدر أي الدفع وأصله (دُرِّيُّ) فأُميتت همزته بقلبيها ياء قلباً لازماً وأدغمت الياء بالياء، ودليله على ذلك قراءة من قرأ (دُرِّيُّ) بالهمز على الأصل المهموز اللام ولو كان اللفظ منسوباً إلى الدر لما كان لهمز لामه في هذه القراءة وجه^(٢).

(١) ينظر: غرائب اللغة العربية ١٨٠.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٣، ٢٥٢ ومعاني القرآن للأخفش ٢/٤٢١ وإعراب القرآن المنسوب ٣/٨٨٦ والبغداديات ٤٥٧ وشرح عيون كتاب سيويه ٢٨٨ ومشكل إعراب القرآن ٢/٥١٢ والاقتضاب ٢٧٥ والبيان ٢/١٩٥ والكشاف ١/١٥٣.

لكن مناسبة الاشتقاق ترجح أن يكون (دُرِّي) منسوباً إلى الدرّ، إذ ورد اللفظ في سياق قرآني ائتلفت ألفاظه دالة على معنى النور والضياء، ولا يبعد في استحصال هذا المعنى في الدرّ، ولذا كان إخراج (دُرِّي) منه سائغاً، أما إخراجه من الدرّ فلا يخلو من التكلّف والتأويل البعيدين لبعد المناسبة بين معنى الدرّ ومعاني الألفاظ الأخرى التي وردت في سياق الآية القرآنية، وليس أدل على هذا التكلّف من قول الفارسيّ الذي فسر اشتقاق (دُرِّي) من (الدرء) قائلاً: "كأنه دفع الخفاء والغموض عن نفسه لشدة وضوحه للعين وظهور ضيائه ونوره"^(١). وكفى بهذا التكلّف بعداً عن الحقيقة، وانما الدرّي منسوب إلى الدرّ الذي هو اسم جمع مفردة (درة) أي لؤلؤة وتجمع أيضاً على دُرر ودُرّات^(٢).

٤٠ - الدم

أجمع العلماء على أن (دَم) مما حذف منه اللام، واتفقوا على أن لامة المحذوفة يجوز أن تكون واو أو ياء وإن كان بعضهم قد رجح الياء لامل (دم)^(٣)، وحكى آخرون (دم) بتضعيف اللام بأنها رديئة^(٤). لكنهم اختلفوا في وزن (دم) أ(فَعَلَ) بالتحريك هو أم (فَعْل) بتسكين العين؟ واختلفوا - أيضاً - في دلالة مصدر هو يدلّ على الحدث ك (الفرح والحذر) أم اسم ذات لا حدث فيه ك (الدّلّو والطّبي)؟ فسيبويه ذكر الدم مفرداً ومصغراً ومجموعاً في موضعين من كتابه، ورأى أن وزنه (فَعْل) ساكن

(١) البغداديات ٤٥٧ وينظر: تفسير غريب القرآن ٣٠٥.

(٢) ينظر: الصحاح ٦٥٦/٢ ومختار الصحاح ٢٠٢.

(٣) ينظر: الكتاب ٥١/٣ والأصول ٥٥/٣ و٣٢٣/٣ ومجالس العلماء ٣٢٨ والمنصف ١٤٨/٢ والامالي الشجرية ٣٤/٢ والتبيان للعكبري ٢٨/١، والتوطئة ٣٢٧ والممتع في

التصريف ٦٢٤/٢ والبحر المحيط ٢٨١/١ وشرح نقرة كار ٥٤/٢.

(٤) ينظر: الأصول ٥٥/٣ ومجالس العلماء ٣٢٨.

العين، وهذا واضح في قوله: "أما ما كان أصله فعلاً فإنه إذا كُسِرَ على بناء أدنى العدد كُسِرَ على أَفْعَل، وذلك نحو (يد) و (أيد)، وإن كُسِرَ على بناء أدنى العدد كُسِرَ على فَعَال وفُعُول وذلك قولهم: دِمَاءٌ وَدُمِيَّ"^(١). وقال أيضاً: "هذا باب ما ذهب لأمه، فمن ذلك دم، تقول: دِمِي، يدلُّك دِمَاءٌ على أنه من الياء أو من الواو"^(٢).

ويفهم من هذين القولين أن (دم) عند سيبويه إنما كان على (فَعَل) ساكن العين لأنه يُجمع على (دِمَاءٌ وَدُمِيَّ) كما جُمع (ظَبِيَّ) على (ظَبَاءٌ وَظَبِيَّ) و(دَلُو) على (دَلَاءٌ وَدَلِيَّ)، فاستدل بالجمعين الكثيرين (فَعَال وفُعُول) على سكون عين المفرد، وأصل (دِمِيَّ وَظَبِيَّ وَدَلِيَّ) (دُمُوِيَّ وَظَبُوِيَّ وَدَلُوِيَّ) على (فُعُول)، وإنما صارت كذلك بعد قلب الواو فيها ياء، لاجتماعهما وسبق إحداهما بالسكون الأصلي، وأدغمت الياء في الياء فقلبت ضمة العين كسرة، لأجل الياء المشددة، ثم قلبت ضمة الفاء كسرة - أيضاً - اتباعاً لما بعدها ويجوز فيها أن تثبت على حالها فلا تقلب كسرة.

وخالف المبرد سيبويه فعَدَّ (دم) مصدراً بوزن (فَعَل) محرَّك العين بالفتح وهذا واضح في قوله: "وأما (دم) فهو (فَعَل)، يدلُّك على ذلك أنك تقول: دِمِيَّ يَدْمِي دَمًا فهو دَم، فهذا مثل فرق فرقاً فهو فرِقٌ وحذر حذرًا فهو حذر. ف (دم) إنما هو مصدر مثل البَطَر والحَذَر. ومما يدلُّك على أنه (فَعَل) أن الشاعر لما اضطرَّ فأخرجه على أصله وردَّ ما ذهب منه جاء به متحرِّكاً، فقال^(٣):

فَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبْنَا جَرَى الدَّمِيَّانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ"^(٤)

(١) الكتاب ٥٩٧/٣.

(٢) نفسه ٤٥١/٣.

(٣) في الحماسة البصرية ١٧ للمثقب العبدى.

(٤) المقتضب ٢٣١/١.

ويفهم من هذا أن المبرد لما عد (دم) مصدرا حرك عينه بالفتح كما حركت عين (الحذر) و (الفرح) و (البطر) و (الصدى) وغير هذا كثير مقيس في (فعل يفعل) اللازم، وإنما عد (دم) مصدرا، لأنه رأى قولهم: (دمي يدمي) كـ (حذر يحذر وفرح يفرح وبطر يبطر وصدى يصدى) وقولهم (دم) كـ (فرح وحذر وبطر وصدى)، فعلى هذا يكون أصله (دمي) أو (دمو) فقلبت لامه ألفا، لتحركها وفتح ما قبلها فصار (دما) واستعمل في قول الشاعر تاما^(١):

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمَا
ورد المبرد استدلال سيبويه بالجمع (فعال) على سكون عين (دم) قائلا: "فإن قال قائل: فأنتك تجمعهم على فعال كما تقول: كَلْبٌ وَكِلَابٌ وَفِعْلٌ وَفِعَالٌ، فالجواب في ذلك أن (فعالا) جمع لـ (فعل) المتحرك العين كما يكون لـ (فعل) الساكن العين، نحو قولك: جَمَلٌ وَجَمَالٌ وَجَبَلٌ وَجِبَالٌ، فهذا غير خارج عن ذاك" (٢).

وأيد ابن السراج (فعل) زنة لـ (دم) لكنه لم يرتض بعض أدلة شيخه على مذهبه هذا فقال: "ليس عندي في قولهم: دمي يدمي دما حجة لمن ادعى أن دما: (فعل) لأن قولهم: دمي يدمي دما إنما هو فعل ومصدر اشتقا من الدم، كما اشتق (ترب) من التراب و (شعر الجبين) من الشعر... ولكن قولهم: (دميان) دل على أنه (فعل) (٣). أي إنه استدل بالثنية وحدها على تحريك عين (دم). ومن مؤيدي المبرد - أيضاً - الزجاجي الذي استدل بالثنية أيضاً في عضده هذا المذهب (٤).

(١) في الشعر والشعراء ١/١٣٩، للحصين بن الحمام المري.

(٢) المقتضب ١/٢٣٢ وينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢/٨٩٩ - ٩٠٠.

(٣) الأصول ٣/٣٢٣.

(٤) ينظر: مجالس العلماء ٣٢٦.

ولم أجد غيرهما يسير في مذهب المبرد، إذ اختار معظم المتأخرين مذهب سيبويه، رادين على استدلال المبرد بالثنية (دميان) على تحريك عين (دم) بأن العين إنما حُرِّكت في الثنية، إشعاراً بأنها موضع إعراب تظهر عليه الحركات الإعرابية بعد حذف لام اللفظ، إذ يقال: دمٌ ودمًا ودم، ومن هنا قالوا: (دميان) فأبقوا حركة على الميم تُشعر بأنها موضع حركة وإعراب، فهذا مثل (يديان) إن حركوا الدال، ولا خلاف بينهم في سكون دال (يد) بدليل جمعها في القلة على (أيدي) ولو كانت متحركة لما جمعت على (أفعل) إشعاراً لطيفاً بكونها موضع حركة الإعراب. أما دعوى المبرد في مصدرية (دم) فقد أنكرها مؤيدوه قبل معارضيه على ما سبق في قول ابن السراج، ومن ثم فسّر ابن جني قول الشاعر:

ولكن على أقدامنا يَقْطُرُ الدِّمَّا

بأنه إنما استعمل المصدر مقصوراً على (فَعَلَ) في موقع الجوهر على حذف مضاف تقديره (ذو)، أو أن يكون رد المحذوف في الجوهر لا المصدر، فلما رده بقى الحركة في العين على حدّ قوله: يديان بيضاوان. وروى آخرون البيت بلفظ (تَقْطُرُ الدِّمَّا)، مفسرين (الدِّمَّا) بأنه جمع (دم) وأصله (دماء) بالمد لكن الشاعر لما اضطر جاء به مقصوراً، فلا شاهد للمبرد فيه^(١).

ومذهب سيبويه هو الراجح في وزن (دم)، لقولهم في الجمع (دماء ودمي)، ولو كان (دم) على وزن (فَعَلَ) لما جمع في الكثرة على (فِعال) و (فُعُول) معاً، وإنما على (فِعال) وحده كـ (جبل جبال) و (جمل جمال) أو على (فُعُول) وحده كـ (عصا عصي) و (رحى رحى) و (قفا قفّي)، ولما جمع (دم) على (فِعال) و (فُعُول) معاً دلّ هذا على أنه مثل (دلو) و (ظبي) و (قوس) فجميع هذه المفردات تجمع على (فِعال) و (فُعُول) معاً، فيقال: (دماء ودمي) و (دلاء ودلي) و (ظباء وظبي) و (قياس وقسي) ومثل هذا كثير.

(١) ينظر: المنصف ١٤٨/٢ - ١٤٩ ومجمع البيان ١٦٠/١ والامالي الشجرية ٣٤/٢ وشرح المفصل ١٥١/٤ والتوطئة ٣٢٧ وشرح الجمل ٣١٤/٢ وشرح الكافية ١٦٣/٢.

٤١ - ذُرِّيَّة

كثرت أقوالهم في تأصيل لفظة (ذُرِّيَّة) في نحو قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿البقرة: ٢٦٦﴾، إذ أفاد الصرفيون في بحثهم هذه اللفظة مما في العربية من أبنية كثيرة يمكن حمل (ذُرِّيَّة) عليها، ومما فيها من أصول متعددة يمكن اشتقاق (ذُرِّيَّة) منها، فاختلفت أقوالهم في وزنها وتأصيلها أيما اختلاف، فالأبنية أربعة هي (فُعْلِيَّة) و (فُعُولَة) و (فُعْلُوْلَة) و (فُعْلِيَّة)، والأصول كذلك هي (ذُرَأ) و (ذَرر) و (ذرو) و (ذري). وبسبب تعدد السبل الصالحة أمامهم في توجيه هذه اللفظة راح فريق من حذاقهم يقلّب الأوجه المحتملة منها فوجد أن القسمة العقلية تقتضي أن يكون لها ستة عشر وجهاً بعد إجراء الأصول الأربعة في الأبنية الأربعة، والمتداول منها أحد عشر وجهاً لبيان الدليل على فساد خمسة أوجه منها. فكان المسألة على وفق هذا لا خلاف فيها، وإنما أمرها في العربية يصلح في إجراء كل من (ذُرَأ) و (ذَرر) و (ذرو) و (ذري) في الأبنية الأربعة، وعلى أي وجه فيها أخرجت (ذُرِّيَّة) صلحت وجازت^١. ولكن ثمة إشارات واضحة في كتب القدماء تنبئ باختلافهم في زنتها وتأصيلها ومن ثم اصطراعهم في قبول وجه من أوجهها المحتملة ودفع الوجوه الأخرى.

ولما خلت أقوال القدماء في هذه اللفظة من نسبة كل مذهب فيها إلى صاحبه نسبة يمكن الركون إليها كانت متابعة تلك الزنات بحسب الزمن خير ما يلتزم في نسبتها إلى أصحابها، والوجوه الأحد عشر المحتملة في (ذُرِّيَّة) متفاوتة في العدد تحت زناتها الأربع:

(١) ينظر: البغداديات ٤٩٩ والمحاسب ١٥٦/١ - ١٥٩ والمسائل والأجوبة ٤٦١ - ٤٦٤ ولسان العرب ٧٣/١.

الأولى: فُعَيْلة: ويتجاذبها أربعة أصول:

أ- (ذراً)؛ وأقدم إشارة إلى هذا الوجه وجدتها عند أبي العباس ثعلب الذي قال: "ذَرِيَّةٌ وَذَرِيَّةٌ جميعاً من ذراً الله الخلق يذرؤهم ذرءاً وكان ينبغي أن يكون مهموزاً"^(١)، ويدرك من هذا القول أن (ذَرِيَّة) بوزن (فُعَيْلة) مشتقة من الذرء الذي هو الخلق وأصلها (ذُرِّيَّة) كـ (مُرِّيقة)، وخففت لامها (الهمزة) بقلبها ياء تخفيفاً لازماً كما فعل بها في (النبي) و (البرية). وقد أشار فريق من العلماء^(٢) إلى هذا الوجه من دون نسبته إلى ثعلب مستحسنين اشتقاق الذَرِيَّة من (الذرء) لمناسبة المعنى وكذا استحسنوا تخفيف همزتها المفتوحة ياء لأجل الياء قبلها فهذا عندهم كـ (البرية) أصلها (البريئة)، والنبي أصله (النبيء)، كما استحسنوا كسر الذال في قراءة من قرأ (ذَرِيَّة)^(٣)، لأن قلب ضمة (فُعَيْل) كسرة لأجل الياء بعدها كثير في العربية، وألحوا إلى أن أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبي والبرية والذَرِيَّة مخرجين إياها على الأصول المهموزة (نبأ) و (برأ) و (ذراً). وصرح بعضهم^(٤) بنسبة هذا إلى ثعلب، ولا مدخل لهم عليه خلا إشارة البطليوسي إلى أن (ذَرِيَّة) في هذا الوجه محمولة على البناء القليل نحو (مُرِّيقة) و (كوكب دُرِّي)^(٥).

ب- (ذرر)؛ يمكن عدّ أبي علي الفارسي رائداً لهذا التوجيه إذ ذهب في واحد من ستة أقوال له في (ذَرِيَّة)^(٦) إلى أنها يجوز أن تكون فُعَيْلة من ذرّ الحب

(١) مجالس ثعلب ١/١٧٧.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٤٠٥/١٤ و٤/١٥ والبغداديات ٤٩٩ والمحتسب ١٥٦/١ والصحاح ٥١/١ والمفردات ١٧٨ ومجمع البيان ٤٥١/١ والمسائل والأجوبة ٤٦٣ ولسان العرب ٧٣/١ والبحر المحيط ٣٧٢/١ وتاج العروس ٢٣٣/١.

(٣) ينظر: المختصر ٧٤ والبحر المحيط ٤٣٥/٢.

(٤) ينظر: المسائل والأجوبة ٤٦٣.

(٥) ينظر: جامع البيان ٣٨/٨ ولسان العرب ٧٣/١.

(٦) ينظر المحتسب ٥٦/١ ومشكل إعراب القرآن ١٥٨/١ والمسائل والأجوبة ٤٦٢ ومجمع البيان ٤٦٢/١ والبحر المحيط ٣٧٢/١.

الحب في الأرض أي نشره، يقال منه: ذرّ الله الخلق يذرهم ذراً إذا نشرهم في الأرض، وعندئذ يكون أصلها (ذُرِّيَّة) وقلبت لامها (الراء الأخيرة) ياء وأدغمت فيها الياء الزائدة قبلها فراراً من توالي الأمثال (الراءات الثلاث في ذُرِّيَّة) فقالوا: (ذُرِّيَّة) بعد القلب والإدغام: كما قالوا: دهديت الحجر والأصل (دهدعت) وتقضي البازي والأصل (تقضض) و(تظنّيت) والأصل تظنّنت^(١). وقد أشار فريق من خالفي الفارسي إلى رأيه هذا ولم يصرحوا بنسبته إليه على الرغم من ترديدهم كلمات الفارسي فيه وأمثله عليه^(٢). واستحسن مكّي القيسي منهم مناسبة اشتقاق الذرّية من هذا الأصل، وعنده الذرّ اسم جنس جمعي مفردة (ذرة) و"أصل الذرّية أن تكون اسماً لصغار ولد الرجل ثم اتسع فيه"^(٣)، أي إنّ لم يلحظ معنى النشر في هذا الأصل بل معنى الصغر فحمل الذرّية عليه. لكن ابن السيد البطلوسي ضعف هذا التوجيه "لأنّ فعّيلاً في الكلام قليل لم يأت منه إلا مريق وكوكب دري ولا ضرورة تدعوننا إلى حملها على الأقل مع إمكان حملها على الأكثر"^(٤).

ج- (ذرو)، سبق الفارسي غيره إلى ذكر هذا الوجه - أيضاً - فجوز إخراج (ذُرِّيَّة) في أحد أقواله على إنّها مشتقة من ذرت الريح التراب تذروه إذا سفته وفرّفته فكأنّ الذرّية إنّما سميت بذلك لتفرّقها بعضها عن بعض وانشعابها عن الأصل، عندئذ يكون أصلها (ذُرِّيَّة)، ولما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون الأصلي قلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء الزائدة قبلها فصار (ذُرِّيَّة)^(٥). ولم تلحظ نسبة صريحة لهذا الوجه إلى

(١) ينظر: البغداديات ٤٩٩ - ٥٠٠.

(٢) ينظر: المحتسب ٥٦/١ مشكل إعراب القرآن ١٥٨/١ والمسائل والأجوبة ٤٦٢ ومجمع البيان ٤٥١/١.

(٣) مشكل إعراب القرآن ١٥٨/١.

(٤) المسائل والأجوبة ٤٦٢.

(٥) ينظر: البغداديات ٤٩٩.

الفارسي لدى خالفه على الرغم من نقلهم عباراته بتمامها^(١) وليس ثمة مغمز عليه منهم إلا إخراجهم إلى بناء قليل^(٢).

د- (ذري) ؛ سبق ابن جني غيره في الإشارة إلى هذا الوجه وهو واحد من عشرة وجوه له في تفسير هذه اللفظة أكثرها لسابقه^(٣)، فخرج (ذرية) على وفقه بأنها (فُعيلة) من (ذرت الريح التراب تذريه ذرياً) وهي لغة في (الذرو)، فيكون أصل اللفظة (ذرية) وأدغمت الياء الزائدة بالياء الأصلية (اللام) بعدها^(٤) وأغفل كثير من خالفي ابن جني الإشارة إلى هذا الوجه في تخريج (ذرية) ولم يذكره منهم إلا قليل منهم^(٥). وربما يكون في إخراجهم على الأصل المرجوح (ذري) سبب في النأي عنه إذ الكثير (ذرو) وبه جاء التنزيل كقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَزْلَنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (الكهف: ٤٥).

الثانية: فعولة: ويتجاذبها أربعة أصول أيضاً:

أ- (ذراً)، أقدم إشارة إلى هذا الوجه وجدتها عند ابن الانباري الذي ذهب في واحد من ثلاثة أقوال له في (ذرية)^(٦) إلى إن " أصلها ذروءة ترك همزها وأبدل من الهمزة ياء فصارت (ذروية)، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن أبدل من الواو ياء وأدغمت في التي بعدها وكسرت

(١) ينظر: المحتسب ٥٦/١ والمسائل والأجوبة ٤٦٣ ومجمع البيان ٥١/١ والبيان للعكبري ١١٤/١ والبحر المحيط ٣٧٢/١.

(٢) ينظر: المسائل والأجوبة ٤٦٣.

(٣) ينظر: المحتسب ١٥٦/١ - ١٦٣.

(٤) ينظر: المحتسب ١٥٩/١.

(٥) ينظر: مجمع البيان ٥١/١ والبحر المحيط ٣٧٢/١.

(٦) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١٢٢/٢.

الراء لتصحّ الياء^(١). وأشار مكّي القيسي والبطليوسي والانباري والعكبري والكفوي إلى هذا الوجه، ولم يتبين لهم صاحبه الأول^٢. وتبين للبطليوسي ضعفه وبعده عن القياس على الرغم من أن (فُعُول) أكثر من (فُعِيل) إذ سمع منه (قُدُوس) و (سُبُوح) و (جُبُور) وألفاظ أخرى قليلة، وإنما هو ضعيف " لأنه كان يلزم - إذا جعلت من (ذراً) وأصلها ذُرُوءة ثم خُفَّت - أن تقلب همزتها واواً وتدغم فيها الواو التي قبلها على حد قولهم في مقروءة: مقروءة، وفي السوءة: السوءة، وقلبها ياء إنما يصحّ على لغة من يقول في قرأت: قرئت، وفي أخطأت: أخطيت، وليست بلغة مرضية ولا ضرورة تدعو إلى حمل الشيء المحتمل للتأويلات على الشذوذ مع إمكان حمله على الوجه المختار^(٣).

ب- (ذرر) سبق ابن جني غيره إلى ذكر هذا الوجه فجوز أن يكون أصلها (ذُرُورَة) بزنة (فُعُولَة) وقلبت لامها (الراء الأخيرة) ياء فرارا من توالي الأمثال فصارت (ذُرُوبَة) ثم قلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء وسبق إحداها بالسكون وأدغمت في الياء بعدها وقلبت ضمة الراء المشددة كسرة لأجل الياء المشددة بعدها فقالوا: (ذُرِّيَة) بزنة (فُعُولَة) على الأصل^(٤). وأشار البطليوسي والانباري وأبو حيان إلى هذا الوجه ولا مدخل لهم عليه، لكن البطليوسي طول في بسط القول في التفريق بين تصريف (فُعُولَة) من (ذرر) و (فُعُولَة) منه، إذ يلزم التقدير في أصليهما أن يكون (ذُرُورَة)^(٥)، وسيأتي بيان ذلك في الزنة (فُعُولَة).

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس ١٢٢/٢.

(٢) ينظر: المشكل ١٥٨/١ والمسائل والأجوبة ٤٦٣ والبيان ١٧٥/١ والبيان للعكبري ١١٤/١ والكليات ٣٦١/٢.

(٣) المسائل والاجوبة ٤٦٣.

(٤) ينظر: المحتسب ١٥٨/١.

(٥) ينظر: المسائل والاجوبة ٤٦١ - ٤٦٢ والبيان ١٧٥/١ والبحر المحيط ٣٧٢/١.

ج- (ذرو) سبق الفارسي غيره إلى ذكر هذا الوجه فجوز أن تكون (ذُرِّيَّة): (فُعُولَة) من (ذرا يذرو) وأصلها (ذُرُوءَة) لكن الواو لما وقعت متطرفة بعد واو زائدة قلبت ياء ثم قلبت الواو الزائدة ياء أيضاً لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون وكسرت الراء المشددة لأجل الياء فقالوا (ذُرِّيَّة)، وقد ورد قلب الواوين في الطرف ياء مشددة كما في (مرضيّ ودليّ) وغيرهما إذ الأصل (مرضو) لأنه من الرضوان و(دلو) لأنه جمع للدلو^(١).

ونازع ابن جنّي في تعليل هذا التوجيه موردا نظائر له حدث فيها قلب وإدغام للواوين كما حدث للواوين في ذُرِّيَّة من (ذرو) فخرج (ذُرِّيَّة) على وفقه بأن أصلها (ذُرُوءَة) كفُعُولَة من غزوت (غَزُوءَة) إلا إن الاسم طال وضوعفت في آخره الواوات فاستثقلت فأبدلت اللام تخفيفاً فصارت (ذُرُوءَة) فأبدلت الواو - لوقوع الياء بعدها والواو ساكنة - ياء وقلب الضمة قبلها كسرة كما قلبت هي ياء وأدغمت الياء في الياء فصارت (ذُرِّيَّة). ومثل ذلك مما أبدل لظوله وثقل تضعيف الواو (أدحية) وأصلها (أدحوة) لأنها من (دحوت) و (أدعية) وأصلها (أدعوة)^(٢). أي إنه قلب واو (ذُرُوءَة) المتطرفة ياء لطول الكلمة فهذه علة أخرى عضد بها علة شيخه الذي نظر القلب والإدغام في (ذُرِّيَّة) من (ذرو) بهما في (مرضيّ ودليّ).

وكان مكّي القيسي والنباري قد ساقا هذا الوجه سوقاً حثيثاً من دون تفصيل^(٣)، لكن البطليوسي طول في عرضه كما طول في الردّ عليه فدفعه بدليلين ؛ الأول: إن الواوين إن اجتمعتا طرفاً وكانت أولاهما ساكنة فالقياس فيهما أن يدغما نحو: جثا جثواً وعتا عتواً، ولن يقلبا ياءين إلا في الجمع نحو (عات وعتي، وجاث وجثي)، وقد قلبا في غير الجمع فقالوا: مجفّي ومعدّي وليس بنا ضرورة في تخريج ذُرِّيَّة على القليل الشاذ مع إمكان غيره، والآخر:

(١) ينظر: المحتسب ١٥٨/١.

(٢) ينظر: المحتسب ١٥٨/١ وجمع البيان ٤٥١/١ والبيان للعكبري ١١٤/١.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١٥٨/١ والبيان ٤٥١/١.

إنّ الواو إنّما تقلب في هذا الباب ياء إذا وقعت طرفاً وقبلها ضمة مباشرة لها نحو أدل والأصل (دلو)، فإذا كانت الكلمة مبنية على هاء التأنيث صحت الواو نحو، مقروّة ومدعوة^(١).

د- (ذري) سبق ابن جني غيره إلى ذكر هذا الوجه فجوز أن تكون ذرية فعولة من (ذري) وأصلها (ذروية) ولما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وقلبت كسرة ضمة الراء المشددة لأجل الياء بعدها فصارت (ذرية)^(٢).

الثالثة: فعولة

يجري فيها أصل واحد هو (ذرر)، ونال هذا الوجه اهتمام كثير من العلماء وهم له مؤيدون مستحسنون، اذ فسروا الذرية على وفقه بأن الأصل فيها (ذرورة) بزنة (فعولة) ولما كثرت الراءات قلبوا الأخيرة ياء كما قلبت في تسريت أصله (تسررت) ومثل هذا القلب في الأمثال كثير فصار الأصل (ذروية) ولما التقت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون الأصلي قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء بعدها ثم قلبت ضمة الراء المشددة كسرة لأجل الياء بعدها فقالوا (ذرية) ومنهم من يكسر ضمة الفاء فيقول (ذرية) وبها قرأ جمهوره من القراء^(٣). ولذا حسن هذا الوجه لديهم زيادة على ما فيه من إخراج اللفظة إلى بناء أمثلته كثيرة نحو (عصفور). ومثل (ذرية) في القلب والإدغام (دهدية) بزنة (فعولة) أصلها (دهوة) ففعل بها ما مضى. وأقدم إشارة إلى هذا الوجه وجدتها عند الزجاج^(٤) الذي نسبته إلى بعض النحويين قبله ثم تعاقب فريق من العلماء أكثرهم من ذوي الاتجاه

(١) ينظر: المسائل والاجوبة ٤٦٣ - ٤٦٥.

(٢) ينظر: المحتسب ١٦٣/١ ومجمع البيان ٤٥١/١ والبيان للعكبري ١١٤/١.

(٣) ينظر: المختصر ٧٤ والبحر المحيط ٤٣٥/٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤٠٠/١ وإعراب القرآن المنسوب ٨٠٠/٣، ٨٦٦.

البصري^(١) على إيراد مما يدل على إنه لبعض البصريين، يعضد ذلك أن ثعلبا أغفل الإشارة إلى هذا الوجه على الرغم من ذبوعه وانتشاره لدى العلماء في زمانه، أما ابن الانباري فالوجه لديه مرجوح لتأخيره إياه بعد اثنين غيره^(٢). وهذا دليل آخر على بصرية الوجه. لكن تفسير ابن الانباري لهذا الوجه جاء ملبسا بسبب تسمّح المحقق، إذ جاء في الزاهر "... والوجه الثالث أن تكون (ذُرِّيَّة) مأخوذة من ذروت فتكون فُعلولة ويكون أصلها (ذُرْوَة) فأبدل من الراء التي بعد الواو ياء وأبدل من الواو ياء وأدغمت في الياء بعدها"^(٣). وإنما هو ملبس لأن (فُعلولة) من ذروت: (ذُرْوَة) ولا راء فيها بعد الواو يمكن قلبها ياء، وإنما الصواب: (مأخوذة من ذرت) فيكون تقدير (فُعلولة) منه (ذُرْوَة). ولما وجد البطليوسي اتفاق التقديرين (فُعلولة) من (الذرّ) و (فُعلولة) منه في الأصل (ذُرْوَة) مضى يفسر الفرق بينهما، ذاكراً أن تساويهما في اللفظ لا يلغي افتراقهما، فإن كانت (ذُرْوَة): (فُعلولة) تكون العين هي المضاعفة دون اللام، وإن كانت (ذُرْوَة) فُعلولة، تكون اللام هي المضاعفة دون العين، ولولا مجيء عين الذرّ ولامه من جنس واحد لبان الفرق في التقديرين كل البيان فـ (فُعلولة) من الضرب (ضُرْوَة) و (فُعلولة) منه (ضُرْبَة)^(٤) وقد تبين للفارسي وابن جني عدم جريان الأصول (ذُرّاً) و(ذرو) و (ذري) في (فُعلولة) "لأن التقدير من (ذُرّاً) يكون (ذُرْوَة) ومن (ذرو) سيكون (ذُرْوَة) ومن (ذري) يكون (ذُرْيَة) وفيها من تكلف القلب

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٦٩/١ وتهذيب اللغة ٤٠٥/١٤ والبغداديات ٤٩٩ والمختضب ٥٨/١ والمسائل والأجوبة ٤٦١ ومجمع البيان ٤٥١/١ والبيان ١٧٥/١ والبيان للعكبري ١١٤/١ والبحر المحيط ٣٧٢/١.

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١٢٢/٢.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس ١٢٢/٢.

(٤) ينظر: المسائل والأجوبة ٤٦١ - ٤٦٢.

والإدغام مالا يخفى زيادة على تعذر استحصال راء (ذُرِّيَّة) الثانية من هذه التقديرات^(١).

الرابعة: فُعْلِيَّة

ويجري فيها أصل واحد أيضا هو (ذرر) وفي إخراج ذُرِّيَّة من الذر قال الزجاج: "قال النحويون هي (فُعْلِيَّة) من الذرّ لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر^(٢)". ويبدو من قول الزجاج هذا أن ثمة شبه إجماع بصري على أن الذُرِّيَّة منسوبة إلى الذرّ وإنها بوزن فُعْلِيَّة، وهو المذهب الذي ساقه الكوفيون سوقاً ويبدأ فقال ثعلب: "من قال هي من الذرّ قال: ذُرِّيَّة بلا كسر ولا همز وإنما ضُمَّت قياساً على نسبة أشباهها مثل دُهرِي منسوب إلى الدَّهر وما كان مثله"^(٣).

ويفهم من هذين القولين أن الذُرِّيَّة منسوبة إلى الذرّ مصدر ذرّ الشيء يذره ذراً إذا فرقه، وإنما ضُمَّت فاء المصدر في (ذُرِّيَّة) لأن القياس في النسبة إلى (فعل) يستدعي ذلك الضم. وأنكر ثعلب هذا الوجه لأن قراءة (ذُرِّيَّة) بكسر الفاء وقولهم: (ذُرِّيَّة) بإظهار الهمز يدلان على ضعفه. ومما يعضد بصرية هذا المذهب أن الكثير من متأخري أهل البصرة مالوا إلى توجيه الذُرِّيَّة منسوبة إلى الذرّ^(٤) دون الالتفات إلى ما يدخل عليه من

(١) ينظر: البغداديات ٤٩٩-٥٠٠ والمحتسب ١٥٦/١ - ١٦٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٠/١ وينظر: إعراب القرآن المنسوب ٨٦٦/٣ وتهذيب اللغة ٤٠٥/١٤.

(٣) مجالس ثعلب ١٧٧/١ وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١٢٢/٢ والكلبيات ٣٦١/٢.
(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٦٩/١ والبغداديات ٤٩٩ والمحتسب ١٥٦/١ والصحاح ٥١/١، والمسائل والأجوبة ٤٦١ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٧٥/١ والتبيان للعكبري ١١٤/١ والبحر المحيط ٣٧٢/١.

كسر للفاء وإظهار للهمزة في القراءتين، منظرين إياها بـ (بُخْتِيَّة) و (قُمَرِيَّة). وعزاه بعضهم إلى الليث بن المظفر^(١).

واتباع هذه الزنة أولى في تفسير الذرية لما فيها من نأي عن دعوى القلب والإبدال غير المقيسين في الزنات الثلاث (فُعَيْلة وفُعُولَة وفُعْلولة)، وحمل على القليل والنادر في الزنتين (فُعَيْلة وفُعُولَة). وإنما لم تجر الأصول الثلاثة الأخرى (ذراً) و (ذرو) و (ذري) في هذه الزنة لأن المحصل منها: ذرّية، ذروية، ذرية، وهذه التقديرات أغفلت راء هي لام (ذَرِيَّة) وأظهرت أحرفاً تتعذر صيرورتها لاما لـ (ذَرِيَّة) بالقلب فضلاً عن إن دلالة (الذَرِيَّة) على الجمع أمر بين وهذه الدلالة لا تستحصل إلا من هذه الزنة إذ يمكن القول: إنها منسوبة إلى الذر الذي هو اسم جمع مفردة ذره كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨).

٤٢ - (راعنا)

اختلفوا في تأويل دلالة الفعل (راعنا) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤) و﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْتَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٤٦).

وتفاوتت أقوالهم في علّة النهي عن مخاطبة النبي الأكرم بهذا الفعل ومردّ هذا الاختلاف إلى إن القراء مختلفون في قراءة هذا الحرف ثم إن أهل اللغة اختلفوا في تأصيله، وثمة ستة أوجه خلافية في تأصيل هذا الفعل هي:

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٤٥/١٤ ولسان العرب ٣٩٠/٥.

الأول: أن يكون (راعنا) فعل أمر من المراجعة، ورُوي أن المسلمين كانوا يقولون: (راعنا) يا رسول الله، والمعنى: (راعنا) سمعك أي فرغ سمعك لكلامنا، وأصله من رعى إلى الشيء ورعاه، أي: أصغى إليه وأسمعه^(١). و(راعنا) مشاركة منه ومبالغة فيه. ونقل هذا الوجه عن ابن عباس ومجاهد اللذين أولاً (راعنا) على إنه مشاركة من المراجعة فقالا: "لا تقولوا (راعنا)، أي لا تقولوا: اسمع منا ونسمع منك"^(٢). وفي سبب النهي عن (راعنا) عدة أقوال هي:

١- أنه لما كان أمراً يقتضي المشاركة؛ لأن معناه: ليكون منك رعاية لنا، وليكن منا رعاية لك، نهوا عن ذلك؛ لأن فيه مساواتهم به عليه الصلاة والسلام.

فكان هذا اللفظ موهماً للمساواة بين المخاطبين كأنهم قالوا: أرعنا سمعك لنعريك أسماعنا، فنهاهم الله تعالى عنه وبين أن لا بد من تعظيم الرسول عليه السلام في المخاطبة على ما قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ ﴿النور: ٦٣﴾^(٣).

٢- النهي عن النطق بفعل المراجعة إنما هو تأدب في مخاطبة النبي الأكرم. وفي (راعنا) خطاب مع الاستعلاء كأنه يقول: راع كلامي فلا تغفل عنه، ولا تشتغل بغيره، وليس في قوله: (انظرنا) إلا سؤال الانتظار إلى مقدار ما يصل إلى فهم كلامه^(٤).

(١) ينظر: الصحاح (رعي) ولسان العرب (رعي).

(٢) جامع البيان ٢/ ٤٦٠ والبيان للطوسي ١/ ٣٨٥.

(٣) جامع البيان ٢/ ٤٦٠ والبيان للطوسي ١/ ٣٨٦.

(٤) التبيان للطوسي ١/ ٣٨٧ مجمع البيان ١/ ٣٠٦ المحرر الوجيز ١/ ١٧٣ وتفسير الرازي ٣/ ٦٣٤ والبحر المحيط ١/ ٥٤٢ ومعالم التنزيل ١/ ١٥٢ تفسير الباب ٢/ ٣٥٩ وروح المعاني ١/ ٣٤٨.

٣- إنّ (راعنا) لما كان من المراعاة فهو بمعنى فاعلنا أي أرعنا نرعك، وفي هذا جفاء أن يخاطب به أحد النبي الأكرم، وقد حض الله تعالى على خفض الصوت عنده وتعزيزه وتوقيره، فهي المؤمنین عنه لهذه العلة. وهو نهى عن كل مخاطبة فيها استواء مع النبي صلى الله عليه وآله.

٤- أن يكون (راعنا) لغة للعرب مألوفة، فقالها بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ليّاً بلسانه وطعناً كما كان يقول: اسمع غير مسمع، فهي الله المؤمنین أن تقال هذه اللفظة.

٥- أخرج الطبري أن (راعنا) كانت لغة الأنصار في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عنها في الإسلام لما فيها من غلظة الجاهلية وجفوة البداوة، وردّ هذا بأنّ (راعنا) لغة ليست مختصة بالأنصار لأنها محفوظة في لغة جميع العرب مذ كانوا.

٦- إن اليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتساّبون بها تشبه هذه الكلمة وهي (راعينا) ومعناها: اسمع لا سمعت، فلما سمعوا المؤمنین يقولون: (راعنا) اقترضوه وخاطبوا به النبي وهم يعنون تلك المسبة، فهي المؤمنون عنها وأمروا بلفظة أخرى وهي قوله: ﴿انظرونا﴾، وروي أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فنزلت هذه الآية^(١).

٧- نقل عن قطرب أنّ هذه الكلمة وإن كانت صحيحة المعنى إلا أن أهل الحجاز ما كانوا يقولونها إلا عند الهزؤ والسخرية، فلا جرم نهى الله عنها.

٨- نقل عن أبي العالية في قوله: (لا تقولوا) (راعنا)، قال: إنّ مشركي العرب كانوا إذا حدث بعضهم بعضاً يقول أحدهم لصاحبه: أرعني سمعك! فنهوا عن ذلك.

(١) جامع البيان ٤٦٣/٢.

وعلى الرغم من كثرة ما قيل في تأويل دلالة اللفظة يمكن القول: إن "الصواب من القول في نهى الله جل ثناؤه المؤمنين أن يقولوا لنبيه: (راعنا) أن يقال: إنها كلمة كرهها الله لهم أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم، نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تقولوا لعن بالكرم، ولكن قولوا: الحيلة^(١)". و"لا تقولوا: عبدي، ولكن قولوا: فتاي^(٢)". وما أشبه ذلك، من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد في كلام العرب، فتأتي الكراهة أو النهي باستعمال إحدهما، واختيار الأخرى عليها في المخاطبات. والمحصل من هذا الوجه الصري أن الفعل (راعنا) لما كان أمرا من المراعاة فهو عبارة فيها نوع من سوء الأدب، لأنها من باب المفاعلة، وباب المفاعلة يفيد المبادلة والاشتراك، وهي لذلك تعني: (راعنا) لنراعيك، وقد نهى القرآن عن ترديدها واستغل اليهود هذه العبارة في مخاطبتهم النبي لأنهم شعروا بما فيها من سوء أدب سواء في أصل وضعها العربي أم في اللغة العبرية.

الثاني: إن (راعنا) أمر من المراعاة يقال: راعنت الرجل إذا تأملت وعرفت أحواله فكان المسلمون يقولون للنبي (راعنا) وكان اليهود يقولونها وهي بلغتهم سب فأمّر الله تعالى المؤمنين أن لا يقولوها حتى لا يقولها اليهود. وإذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا: (راعنا) بمعنى يا أحمق، يريد بذلك الرعونة فنهى المسلمون عن ذلك. وعلى هذا الوجه تكون اللفظة بتشديد النون، ويستفاد من جملة من الروايات أن اليهود كانوا يتعمدون تشديد النون في (راعنا) ومد آخرها. وروي عن ابن عباس أنه قال: إن الصحابة كانوا يطلبون من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لدى تلاوته الآيات وبيانه الأحكام الإلهية أن يتمهل في حديثه حتى يستوعبوا ما يقوله، وحتى يعرضوا عليه أسئلتهم، وكانوا يستعملون لذلك عبارة: (راعنا) أي أمهلنا. واليهود حوروا

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ٧٥٠٩.

(٢) الحديث: في البخاري ٥ / ١٢٨ - ١٣١ (فتح)، ومسلم ١٩٧ / ٢.

معنى هذه الكلمة لتكون من (الرعونة) فتكون (راعنا) بمعنى اجعلنا رعناء، واتخذوا ذلك وسيلة للسخرية من النبي والمسلمين^(١).

وما يسوغ تصور هذا الوجه المحرف قراءة ابن مسعود " (راعنا) " وهي خطاب من جماعة لجماعة بمراعاتهم ووصفت بأنها قراءة شاذة^(٢). ولكنها تُحتمل أن تكون أمرا من (راعن) الدال على نسبة المفعول إلى الرعونة فاللفظة إذا أخذت مشتقة من الرعونة تكون بمعنى " اخدعنا واجعلنا حمقاء عندك "، يقولون ذلك على سبيل الاستهزاء والسب^(٣).

الثالث: إن (راعنا) اسم فاعل من الرعي مسند إلى ضمير جماعة المتكلمين وهو في لغة المنافقين الذين كانوا يقولون: (راعنا) أي: أنت راعي غنمنا فنهاهم الله عنها^(٤). فعلى هذا يكون الأصل راعينا فحذفت الياء دون موجب.

الرابع: (راعنا) اسم فاعل من الرعونة، وما يعضد هذا الوجه قراءة الحسن بن أبي الحسن وابن أبي ليلى وابن محيصن وأبي حيوة (راعنا) بالتثوين، وهذه من معنى الجهل، وهذا محمول على أن اليهود كانت تقوله فنهى الله تعالى المؤمنين عن القول المباح سدا للذرائع لئلا يتطرق منه اليهود إلى المحذور، إذ المؤمنون إنما كانوا يقولون (راعنا) دون تنوين^(٥). وفي اشتقاق القراءة على بناء اسم الفاعل من الرعونة ساقوا عدة أوجه هي:

١- يجوز أن تكون القراءة (راعنا)، بالتثوين صفة لمصدر محذوف أي قولاً (راعنا) من الرعن وهو الهوج، والمراد بالراعن اسم فاعل متصف بالفعل

(١) جامع البيان ٤٦٥/٢ والتبيان للطوسي ٣٨٧/١ ومجمع البيان ٣٠٦/١ .

(٢) جامع البيان ٤٦٧/٢ .

(٣) الأمثل ٣٢٤/١ .

(٤) ينظر: تفسير الرازي ٦٣٤/٣ والبحر المحيط ٥٤٣/١ والأمثل ٣٢٥/١ .

(٥) الكشف والبيان ٢٥١/١ والمحزر الوجيز ١٧٤/١ وجامع البيان ٤٦٤/٢ والتبيان للطوسي

. ٣٨٦/١

كفارق وهالك^(١)، فنهوا في هذه القراءة عن أن يخاطبوا الرسول بلفظ يكون فيه حمق وجهل، أو يوهم شيئاً من الغض، مما يستحقه صلى الله عليه وآله وسلم من التعظيم وتلطيف القول وأدبه^(٢).

٢- يجوز في (راعنا) أن يكون اسم فاعل دالا على النسب والمراد نسبته صلى الله عليه وسلم وحاشاه إلى الرعن، فهو بمنزلة دارع ولا بن. فجعلوه مشتقاً من الرعونة وهي الجهل والحمق، وكانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا: (راعنا)، أي يا أحمق فالألف حيثئذ لمد الصوت وحرف النداء محذوف وقد ذكر الفراء أن أصل يا زيد يا زيدا بالألف ليكون المنادى بين صوتين، ثم اكتفى بيا ونوى الألف، ويحتمل أنهم أرادوا به المصدر، أي رعت رعونة أو أرادوا صرت (راعنا) وإسقاط التنوين على اعتبار الوقف^(٣).

٣- يجوز أن يكون أصل (راعنا) فعلا ماضيا مزيدا بالألف مسندا إلى ضمير الجماعة (نا) فهو على مثال عاطنا من المعاطاة، ورامنا من المراماة، ثم إنهم قلبوا هذه النون إلى النون الأصلية وجعلوها كلمة مشتقة من الرعونة وهي الحمق، فالراعن اسم فاعل من الرعونة، فيحتمل أنهم أرادوا به المصدر. كقولهم: عياداً بك، أي أعوذ عياداً بك، فقولهم: (راعنا): أي فعلت رعونة. ويحتمل أنهم أرادوا به: صرت (راعنا)، أي صرت ذا رعونة، فلما قصدوا هذه الوجوه الفاسدة لا جرم نهى الله تعالى عن هذه الكلمة^(٤).

٤- يجوز أن يكون (راعنا) بمعنى خلافا وهذا قول مجاهد^(٥). ومعنى المخالفة يستدعي تقدير موصوف محذوف مع اللفظ المنوي به اسم فاعل من

(١) الكشف ٢٠٠/١، ٥٥٠.

(٢) معالم التنزيل ٦٤١/١ والبحر المحيط ٥٤٤/١.

(٣) معالم التنزيل ٦٤١/١ وروح المعاني ٣٤٩/١.

(٤) تفسير الرازي ٦٣٥/٣ وروح المعاني ٣٤٨/١.

(٥) جامع البيان ٤٦١/٢.

الرعونة والتقدير قولاً (راعنا) أي مخالفاً للأصل^(١).

وعلق الطبري بهذا الوجه قوله: "فأما التأويل الذي حكي عن مجاهد في قوله: (راعنا) أنه بمعنى: خلافاً، فمما لا يعقل في كلام العرب. لأن "راعى" في كلام العرب إنما هو على أحد وجهين: أحدهما بمعنى "فاعلت" من "الرعية" وهي الرقبة والكلاءة. والآخر بمعنى إفراغ السمع، بمعنى "أرعيته سمعي". وأما "راعى" بمعنى "خالفت"، فلا وجه له مفهوم في كلام العرب. إلا أن يكون قرأ ذلك بالتنوين، ثم وجهه إلى معنى الرعونة والجهل والخطأ، على النحو الذي قال في ذلك عبد الرحمن بن زيد، فيكون لذلك - وإن كان مخالفاً لقراءة القراء - معنى مفهوم حينئذ^(٢).

الخامس: إن لفظة (راعنا) لفظة ليست عربية وتعني شيئاً قبيحاً بلغة اليهود، وهي كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء والمسبة، فنهى الله تعالى ذكره المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا منقول عن طائفة من أهل التأويل أن (راعنا) قول كانت تقوله اليهود استهزاء، فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم^(٣). وقيل إن هذا كلام لعامة اليهود وقيل: بل كان ذلك كلام يهودي من اليهود بعينه، يقال له: رفاعة بن زيد. كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم به على وجه السب له، وكان المسلمون أخذوا ذلك عنه، فنهى الله المؤمنين عن قيله للنبي صلى الله عليه وسلم. وضعف الطبري هذا الوجه ورأى أنه "غير جائز في صفة المؤمنين: أن يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاماً لا يعرفون معناه، ثم يستعملونه بينهم وفي خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم^(٤).

(١) جامع البيان ٤٦٣/٢.

(٢) جامع البيان ٤٦٤/٢.

(٣) جامع البيان ٤٦٦/٢.

(٤) جامع البيان ٤٥٩/٢ - ٤٦٩.

والنهي عن المراعاة والأمر بالإنظار يدل على إنيهما على طرفي نقيض فلا يفهم معنى (راعنا) إلا ببيان مدلول انظرنا الذي ذكروا له ثلاثة أوجه كما في قول الطبرسي: "ومعنى (انظرنا) يحتمل وجوها (أحدها) انتظرنا نفهم ونتبين ما تعلمنا (والآخر) فقهنا وبين لنا يا محمد (والثالث) أقبل علينا ويجوز أن يكون معناه أنظر إلينا فحذف حرف الجر^(١). فالأمر بـ(وقولوا انظرنا) بدلا من (راعنا) مع إن الكلمتين متساويتان " في الحقيقة والمجاز وعدد الحروف والمقصود من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من أبداع البلاغة فإنَّ نظرَ في الحقيقة بمعنى حرسَ وصار مجازاً على تدبير المصالح، ومنه قول الفقهاء هذا من النظر، والمقصود منه الرفق والمراقبة في التيسير فيتعين أن قوله: (انظرنا) بضم همزة الوصل وضم الظاء وأنه من النظر لا من الانتظار^(٢).

السادس: إن لفظة (راعنا) وفاق وقع بين العربية والعبرانية ومعناها العربي فصيح مقبول ولكنها في العبرية تعني شيئاً قبيحاً، وهذا الوجه منقول عن الإمام الباقر (عليه السلام) وابن عباس وقتادة وهو إن هذه الكلمة سبَّ بالعبرانية ومعناه عندهم اسمع لا سمعت^(٣). ونُقل عن أمير المؤمنين والإمام السجاد (عليهما السلام) سبب نزول الآية بأن المراد بـ(راعنا) لما نزلت " راع أحوالنا وراغبنا وتأنَّ بنا فيما تلقننا حتى نفهمه لكن اليهود لما سمعوا المسلمين يخاطبون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقولهم (راعنا) وكان (راعنا) في لغتهم سباً بمعنى اسمع لا سمعت ؛ قال بعضهم لبعض: كنا نشتم محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الآن سرا فتعالوا الآن نشتمه جهراً فكانوا يقولون له (راعنا) يريدون شتمه ففطن لذلك سعد بن معاذ الأنصاري

(١) مجمع البيان ٣٠٦/١.

(٢) الأمل ٣٢٥/١.

(٣) جامع البيان ٤٦٣/٢ والتبيان للطوسي ٣٨٥/١ ومجمع البيان ٣٠٦/١ وتفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤/١ والدر المنثور ٢٥٣/١ والبحر المحيط ٥٤٣/١ والأمل ٣٢٤/١.

فلعنهم وأوعدهم بضرب أعناقهم لو سمعها منهم فنزلت وقولوا انظرونا واسمعوا إذا قال لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قولاً وأطيعوا وللکافرين الشاتمين عذاب أليم^(١).

والمحصل من هذا الوجه أنه الأظهر من بين الأوجه المذكورة أنفاً ففيه لفظة (راعنا) "كلمة صحيحة مفهومة من كلام العرب وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربي هي عند اليهود سب، وهي عند العرب: أرعني سمعك وفرغه لتفهم عني. فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن معناها منهم خلاف معناها في كلام العرب، فنهى الله عز وجل المؤمنين عن قيلها للنبي صلى الله عليه وسلم لئلا يجترئ من كان معناه في ذلك غير معنى المؤمنين فيه أن يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم به. وهذا تأويل لم يأت الخبر بأنه كذلك من الوجه الذي تقوم به الحجة. وإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بتأويل الآية ما وصفنا، إذ كان ذلك هو الظاهر المفهوم بالآية دون غيره^(٢).

فالأظهر أن القوم كأنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: (راعنا)، بمعنى مسألته: إما أن يرعاهم سمعه، وإما أن يرعاهم ويرقبهم - على ما قد بينت فيما قد مضى فليل لهم: لا تقولوا في مسألتكم إياه (راعنا). فتكون الدلالة على معنى الأمر في (راعنا) حينئذ سقوط الياء التي كانت تكون في "يراعيه" ويدل على الياء الساقطة كسرة العين من (راعنا). وليس راعنا في هذا الوجه بمعنى المشاركة أي المراعاة التي تستدعي حصولها من الطرفين بل الفعل (راعنا) بمعنى (أرعنا) بمعنى راقب أحوالنا^(٣).

(١) تفسير الصافي ١/١٩٦.

(٢) جامع البيان ٢/٤٥٩-٤٦٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش ١/٢٥٩ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/٢٣٦ ومعاني القرآن وإعرابه ١/١٨٨.

٤٣ - ربّانيون

اختلف في تأصيل الجمع (ربانيون) في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، عربي أم أعجمي؟ والذاهبون إلى أنه عربي مختلفون في مفردة وأصل اشتقاقه، فقال الراغب: "ذهب فريق من العلماء إلى ان (رباني): منسوب إلى الربان، ولفظ فعلان من (فعل) يبنى نحو (عطشان) و (سكران) وقلما يبنى من (فعل) وقد جاء (نعسان) وقيل هو منسوب إلى الرب الذي هو المصدر، وربان هو الذي يرب العلم كالحليم... وقيل منسوب إلى الرب أي الله تعالى، فالرباني كقولهم: (الهي) وزيادة الالف والنون فيه كزيادته في قولهم: لحياني وجسماني"^(١) واخراج ربّانيون من (ربّان) أجرى للقياس لان الالف والنون في ربان كهما في (غضبان) و (عطشان) ثم نسب إليه فقليل: (رباني) ثم جمع بالواو و النون فقليل: (ربانيون). والنسب إلى (ربان) من نوع النسب إلى الوصف كما قيل: ضامري في النسبة إلى (ضامر) و (دواري) في النسبة إلى (دوار) و (ربان) فعلان من (رب العلم يربه رباً) اذا أخذه فبلغ فيه الغاية ومعنى (ربان) ليس بعيد عن (رباني) مفرد (ربانيون) في نحو قوله تعالى (لَوْ لَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْبِائِثَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ٦٣) " لان الربان هو معلم الناس وسائسهم بما أوتي من العلم والفضل، وقد أنس فريق من العلماء بهذا القول ففسروا به لفظة (ربانيون) على وفق ما سبق^(٢). أما اخراج (رباني) المفرد من (الرب) بمعنى الاله فأبين في المعنى من إخراجه من الوصف (فعالان) على

(١) المفردات ١٨٤.

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ١٠٧ وجامع البيان ٥٤٣/٣ والتبيان للعكبري ١٥٣/١ ولسان العرب ٣٨٨/١ والبحر المحييط ٤٩٨/٢ و٧٤/٣ وإرشاد الساري ٤٩/٧.

الرغم مما فيه من خروج على القياس الظاهر في النسب، ففي (الربان) ان اخرج من الرب دلالة على شدة الاتصال بالرب وهذه الدلالة مفهومة من نسبته اليه، ولا شك في أن من يتصل بربه مثل هذا الاتصال يعلو شأنه بين الناس فينزل منزلة الرسل و الأنبياء كما في قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾) لكن هذا الوجه مرجوح لزيادة الالف والنون في المفرد (رباني) عند نسبته إلى الرب.

٤٤ - رِبِّيُون

اختلفوا -أيضا- في تأصيل (ربيون) في قوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) ﴿آل عمران: ١٤٦﴾. فذهب ابن قتيبة إلى إن (ربيون) أصله من الربة وهي الجماعة، يقال للجمع: رَبِّي كَأَنَّهُ نُسَبُّ إِلَى الرِّبَّةِ، ثم يجمع (رَبِّي) بالواو والنون، فيقال: (ربيون)^(١)، ونقل أبو حيان عن القدماء ثلاثة اقوال في تأصيل (ربيون) فقال: الربيون جمع واحد "الربي وهو عابد الرب و كسر الراء من تغيير النسب كما قالوا: أمسي في النسبة إلى أمس قاله الأخفش... أو منسوب إلى الربة وهي الجماعة ثم جمع بالواو والنون قاله الزجاج... وقال النقاش هم المكثرون العلم من قولهم: ربا الشيء يربو اذا كثر، وهذا لا يصح لاختلاف المادتين لأن ربا أصوله راء وباء وواو وأصول هذا راء وباء وياء"^(٢) فأبو حيان في قوله هذا ابتداء بذكر مذهب عزاء إلى

(١) تفسير غريب القرآن ١١٣.

(٢) البحر المحيط ٧٤/٣.

الاخفش يفهم منه أن (رييون) جمع مفردة (ربي) منسوب إلى (الرب) وكسرت الراء للنسب الذي قد يصحبه تغيير في شكل الكلمة نحو (بصري) في النسبة إلى البصرة و(دهري) في النسبة إلى (الدهر)^(١) ثم ذكر مذهب ابن قتيبة المذكور آنفا وعزاه إلى الزجاج تسمّحا وفي هذا المذهب فسر (ربي) مفرد (رييون) بأنه منسوب إلى (الربة) وهي الجماعة. اما المذهب الثالث فقد أثبت أبو حيان بطلانه لاختلاف الاشتقاق بين (رييون) و (الربا) لكن أبا حيان تسمح أيضا لما قال: رييون، أصوله راء وباء وياء ولو قال: أصوله راء وباء لكان أبين.

وإخراج المفرد (رَبِّي) من الرب بمعنى الاله أبين معنى واشتقاقا من اخراجه من (الربة) بمعنى الجماعة، يعضد ذلك سياق الآية فقوله تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿آل عمران: ١٤٦﴾ فالرييون إنما لم يضعفوا ولم يهنوا ولم يستكينوا وصبروا على القتال مع النبي وأحبهم الله (عز وجل) لا لأنهم جماعة فحسب بل لشدة اتصالهم بربهم وهذه الدلالة تستحصل إن قيل: (ربي) منسوب إلى (الرب). ويمكن استحصالها من طريق آخر لم يتبته عليه السابقون، وهذا يتم بأن يكون (رييون) جمعا مفردة (ربي) بزنة (فَعِيل) من (الرب) كـ (صديق) و (سكيت) وبناء (فَعِيل) وصف يدل على المبالغة^(٢) فكأنهم وصفوا بذلك لشدة اتصالهم بربهم وخضوعهم له وتذلّلهم له فإن صلح هذا الوجه يكون أصل المفرد (رييب) وقلبت الباء المتطرفة ياء فرارا من توالي الأمثال وأدغمت الياء بالياء فصار (ربي) ثم جمع بالواو والنون.

ونقل الجواليقي مذهب أبي عبيدة التميمي وأبي عبيد القاسم بن سلام في (الربانيون) وأنس قائلا: " قال أبو عبيدة أحسب الكلمة ليست بعربية وانما

(١) بنظر: الكتاب ٣٦٥/٤.

(٢) ينظر: معاني الأبنية ١١٨.

عبرانية أو سريانية وذلك ان أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين^(١) فكأن هذا الفريق أخرج اللفظتين (الربانيون والربيون) من أصل غير عربي لان (ربيون) تشترك مع (الربانيون) في المادة نفسها. وأنس بهذا الوجه أيضا روفائيل نخلة الذي زعم أن (رباني) من الآرامية ومعناه فيها عالم بشريعة اليهود أو (حاخام) أو (رب) أو (معلم) ورمزه فيها rabona^(٢) ولم يلق هذا المذهب مؤيدا غير أصحابه الثلاثة القدماء وروفائيل نخلة من المحدثين اذ رده الراغب قائلًا: "أخلق بذلك فقلما يوجد في كلامهم"^(٣). وربما كان أحمد محمد شاكر خير من دفع وجه العجمة عن هاتين اللفظتين مثبتا عروبتهما وفاقا لجمهور العربية قدماء ومحدثين موردا كثيرا من أقوالهم التي تشهد بذلك فقال: "قال في لسان العرب: الربّي والربّاني الخبر ورب العلم، وقيل: الربّاني الذي يعبد الربّ زيدت الالف والنون للمبالغة في النسب، وقال سيويوه زادوا الفا ونونا في الربّاني اذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره كأن معناه صاحب علم الرب دون غيره من العلوم وهم كما يقال: رجل شعراني ولحياني ورقباني: اذا خص بكثير الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة فاذا نسبوا إلى الشعر قالوا: شعري، وإلى الرقبة قالوا: رقبتي، وإلى اللحية قالوا: لحيي والربّي منسوب إلى الربّ، فهذه زبدة قولهم، وهذا قول سيويوه في تصريف الكلمتين فأين وجه نقلهما من غير العربية؟ أما ندرة النون واما ان العرب لم يعرفوا الربانيين بالمعنى الاصطلاحي الاسلامي فإن ذلك لا يدل على تعريضهما كأكثر الفاظ الاسلام العربية الأصل التي أريد بها معنى خاص بالشريعة"^(٤).

ويمكن القول: إن مجيء الجمعين (ربانيون وربيون) في بعض الساميات بمعنى العالم بالشريعة أو المعلم الديني على وفق ما ذكر روفائيل نخلة يعضد

(١) المفردات ١٨٤.

(٢) المغرب ١٦١ (الهامش)، وينظر: لسان العرب ٣٨٨/١ - ٣٨٩.

(٣) المفردات ١٨٤.

(٤) المغرب ١٦١ (الهامش). وينظر: لسان العرب ٣٨٨/١ - ٣٨٩.

التوجيه الذي استظهره البحث وهو أن يكون الربّي وصفاً على (فَعِيل) من الربوبية بمعنى التربة والعناية وهو المعنى اللغوي للجذر (ربب)، وكذا الربان من الجذر نفسه ولكنه يدل ببنائه فعلان على المبالغة الآنية لا الوصف الثابت، ومن هنا يتضح الفرق بين الجمعين فالربان على وزن فعلان وهو صيغة مبالغة من الباب الرابع الدال على الصفات النفسية والمعنوية العارضة كالغضب والفرح والحزن والعطش ولذا كان الفعل في (الربانيون) نفسياً أيضاً أو روحياً وهو الامتلاء بالعلم والحكمة والتفقه في الدين، ولذا ورد اللفظ في سياق يدل على العلم بالشرعة التي يحكم بها النبيون والأخبار. أما الربيون فمرده صفة على (فَعِيل) تدل على الثبات وهي محسوسة لا معنوية فينبغي أن يكون معنى الجمع الحث على الصبر وحمل النفس على تقبل المكروه تقرباً لله تعالى ولذا ورد الجمع في سياق القتال والصبر على أذاه وأريد به ثلة محتسبة صابرة من المؤمنين مع كل نبي وهم الصحب الخالص المصدقون بدعوة نبيهم المتقادون لأمر الله، أي إن شأن الربيين هو التصديق بالنبي والانقياد المطلق لدعوته الربانية. أما شأن الربانيين فنشر تلك الدعوة باللسان والقول.

٤٥ - الرحمن

لما اجتمع (الرحمن والرحيم) في البسملة، اختلف في تأصيل (الرحمن) ودلالته وفي سبب اجتماعه مع (الرحيم) فذهب الجمهور إلى أن (الرحمن و الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والأصل اللغوي لمشتقات الرحمة جميعاً هو الرحم التي هي منبت الولد و (رحمن) أشد مبالغة لأن (الرحمن) رحمن الدنيا والآخرة و(الرحيم) رحيم الآخرة، ولذا جاز الجمع بينهما بقصد الشمول والتوكيد كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) والسديب لا يكون إلا في الأرض والطيран لا يكون إلا بجناح. أي إن الرحمن (فعالان) وهي صيغة مبالغة تدل

على الكثرة والرحيم (فعليل) وهي صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء ولذا ناسب الرحمن ان يدل على الرحمة الكثيرة المفاضة على المؤمن والكافر وهي الرحمة العامة، وناسب الرحيم أن يدل على الرحمة الثابتة الباقية التي تفاض على المؤمن في الآخرة^(١).

ومن هنا فسر ابو عبيدة (الرحمن) بأنها صيغة نسب بمعنى ذي الرحمة لان صيغ المبالغة كثيرا ما تلحظ فيها هذه الدلالة، وفُسر (الرحيم) بأنه صفة بمعنى (الراحم)، والرحمن الرحيم - لديه - كقول العرب (ندمان نديم) بمعنى ذي الندم والنادم، والعرب قد تقدر لفظين مختلفين من أصل واحد والمعنى مختلف لا تساع الكلام عندهم^(٢). لكن الطبري وجد قول أبي عبيدة هذا غير موجه لأن (الرحيم) أو (الراحم) هو الموصوف بأنه سيرحم أو قد رحم، وهذا يدل على أن الرحمة صفة له ثابتة - أيضاً - كثبتها في (الرحمن) فكأن الرحمن والرحيم كلاهما بمعنى ذي الرحمة ولذا لم يجد الطبري فائدة من قول أبي عبيدة هذا، ولم يجد مسوغا لقوله: العرب تقدر لفظين من أصل واحد للمعاني المختلفة^(٣).

ونقل ابن دريد عن بعضهم ذهابه إلى إن الرحمن " اسم الله تبارك وتعالى لا يدعى به غيره، والرحيم صفة لأن العرب تقول: كن بي رحيمًا، ولم تقل: كن بي رحمانًا. وفي القرآن دليل على هذا هو قوله تعالى " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿الإِسْرَاءُ: ١١٠﴾"، فالله اسم ليس لأحد فيه

(١) ينظر: العين ٢٢٤/٣ ومعاني القرآن للأخفش ٧/١ وجامع البيان ٤٢/١-٤٣ ومعاني القرآن وإعرابه ٤٣/١ واشتقاق اسماء الله ٥٣ ودقائق التصريف ٥٢٣ والكشاف ٤٦/١ ومجمع البيان ٤١/١ ودرة الغواص ٢٠١ والبحر المحيط ٥٢/١ والمجيد ١٣ والميزان ١٨/١.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ٢١/١ وتفسير غريب القرآن ٦.

(٣) ينظر: جامع البيان ٤٣/١.

شركة وكذلك الرحمن، ولذا جاز الجمع بينهما^(١). وقال الزجاج: "الرحمن اسم من أسماء الله عز وجل مذكور في الكتب الأولى، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله"^(٢). وعورض مذهبه هذا "بمن الذين يعنيههم الزجاج بقوله: ولم يكونوا يعرفونه؟ أهم الأوائل أصحاب الكتب السابقة؟ فكيف إذن ذكر في كتبهم ولم يعرفوه؟ أم هم أهل العصر الجاهلي؟ وقد وردت أشعار كثيرة عنهم فيها ذكر الرحمة والرحمة... ومهما يكن من أمر فإن هذا التعليل ليس بمقبول عند البحث الجاد"^(٣). وعزى إلى أبي العباس ثعلب ذهابه إلى إن الرحمن لفظ ليس عربيا في الأصل وإنما هو عبراني وأصله (رخمان) بالمعجمة فعرب بالمهملة وأنشد لجرير يهجو الأخطل^(٤).

لن تدركوا المجد أو تشروا عباءتكم بالخز أو تجعلوا النبوت ضمرا
أو تتركوا إلى القسيس هجرتكم ومسحكم صلبهم رخصن قربانا
ثم أنه استدل على مذهبه هذا بقوله تعالى في وصف الكافرين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (الفرقان: ٦٠) ﴿وَأِنَّمَا قَالُوا: (وما الرحمن) إنكارا منهم لهذا الاسم لأنهم لم يعرفوه في كلامهم^(٥). ورد على ثعلب مذهبه هذا لأن الأعجمي لا معنى له ولا يتصرف في لغة العرب، والرحمن معروف الاشتقاق والتصرف في كلامهم قبل التنزيل العزيز ومنه قول الشنفرى^(٦):

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها الا قضب الرحمن ربي يمينها

(١) جمهرة اللغة ١٤٤/٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٣/١.

(٣) التطور الدلالي ١٠٩.

(٤) ديوانه ١٦٧.

(٥) ينظر: جامع البيان ٤٣/١ واشتقاق (ابن دريد) ٥٩ والظاهر في معاني كلمات الناس

٥٣/١ واشتقاق أسماء الله ٥٣ ومجمع البيان ٤١/١.

(٦) ديوانه

ومّا يدلّ على أنّه مشتقّ قول الرسول (صلى الله عليه واله) في الحديث القدسي: " قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته "١ وليس في قوله تعالى ﴿ قالوا وما الرحمن﴾ دليل على عجمة الرحمن لأن الكافرين انما أنكروه لجهلهم بالصفة لا بالموصوف ولذا جاء الاستفهام بـ (ما)^(٢) وكان بعض علماء العربية المحدثين - من غير المسلمين - قد وافقوا ثعلبا في اخراجه (الرحمن) من الجزريات فقال الأب روفائيل نخلة: "رحمن عبراني Rohmono نعت مختص بالله"^(٣). واستأنس بعضهم بهذه الدعوى كما فعل الدكتور داود الموصلي الجلبى، لكن الدكتور ابراهيم السامرائي كفانا مؤونة الردّ على مثل هذه الدعوات التي لا تقوم على دليل فقال: " ولا أدري كيف يجوز لعربي أو مسلم أن يذهب إلى ما ذهب اليه الدكتور داود وهو عربي مسلم.... فاذا كان القدماء قد تسرعوا ففسبوا مترددين كثيرا من الكلمات ذات الطابع الديني إلى السريانية تارة والى العبرانية تارة أخرى ظنا منهم أو تخرصا، لجهلهم بهذه اللغات فليس لنا في هذا العصر أن نذهب مذهبههم "^(٤).

ويبدو أن هؤلاء ما كانوا ليذهبوا إلى تعريب (الرحمن) في العربية لولا اطلاعهم على اختلاف القدماء في توجيه علة اجتماع (الرحمن الرحيم) في سياق واحد اختلافا لم يُثمر عن شيء مقنع وربما كان رأى الأستاذ أحمد الشرباصي - وهو من المحدثين - خير ما قيل في توجيه تلك العلة، إذ نقل عنه خليل ابو عودة قوله: ان الرحمن معناه الذي يوصل آثار نعمته ورحمته

(١) مسند أحمد ١٩٤/١ وتفسير ابن كثير ٢٠/١ وإرشاد الساري ٢٠٧/٢.

(٢) ينظر: جامع البيان ٤٣/١ والاشتقاق لا بن دريد ٥٩ والمخصص ١٥١/١٧ ومجمع البيان ٤١/١ والجامع لأحكام القرآن ٦٢/١ وتفسير ابن كثير ٢٠/١ والبحر ٥٢ وإرشاد الساري ٢٠٧-٣.

(٣) غرائب اللغة العربية ٧٩.

(٤) دراسات في اللغتين السريانية والعربية ٦٩.

وفضله بالفعل إلى عباده، أما الرحيم فهي كلمة تدلّ على ان إيصال هذه الألوان من الرحمة والنعم ليس شيئاً عارضاً يصدق في زمان دون زمان لأنه شيء ناشئ عن صفة دائمة مستمرة لله، فالرحمن تدل على انه يفعل الرحمة، والرحيم تدل على إنه يتصف بهذه الصفة"^(١).

٦٤ - الرمان

اختلف في نون (رمان) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتْرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَشْتَبَهَا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، أزائدة بعد الألف هي فيمنع الاسم بهما من الصرف إن سمي به، أم أصلية والاسم معها جار وإن كان علماً؟، إذ سأل سيبويه الخليل عن (رمان) فقال: "لا أصرفه وأحملة على الأكثر إذا لم يكن له معنى يعرف"^(٢). وإنما لم يصرف الخليل (رمان) لأنه حكم بزيادة النون بعد الألف، إذ تكثر زيادتها في هذا الموضع، وهذا هو حاصل قوله "وأحملة على الأكثر". أي إن (رمان) في هذا المذهب بزنة (فعلان) من الرمّ الذي هو الأكل، ومنه قوله (صلى الله عليه واله وسلم): "البقر ترمّ من كل شيء"^(٣) أو يكون من الرمّ مصدر "رمت الشيء إذا جمعت أجزائه، وهذا حال الرمان، وقد جاء بهذا المعنى بعض المولدين:

ما يحسن الرمان يجمع نفسه في قشره إلا كمثلته نحن^(٤)
وقيل: إنما الرمان "من الرمّ أي الإصلاح لأنه يرمّ المعدة أي يصلحها.

(١) التطور الدلالي ١١٠.

(٢) الكتاب ٢١٨/٣ وينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه ٨٢٤/٢.

(٣) الصحاح ١٩٣٦/٥ وشرح مسند أبي حنيفة ٥٨٤.

(٤) المحتسب ٨٧/١.

وعُزِي إلى الأخفش أنه ذهب إلى أن (رمان) بزنة (فَعَال) فجوز صرفه علمًا بعد أن حكم بأصالة نونه ^(١). ولم تؤثر عن المختلفين الأوائل حجج وافية على مذهبيهما هذين لكن خالفهم أفاضوا في إيراد تلك الحجج بعد أن سار فريق منهم في مذهب الخليل وسيبويه وسار آخرون في مذهب الأخفش. فأصحاب الخليل وسيبويه استدلوا بما يأتي:

لم يعرف لـ (رمن) اشتقاق في العربية ليكون (رمان) (فَعَالًا) منه ^(٢). غلبة زيادة النون متطرفة بعد ألف نحو سعدان وسرحان وغضبان وغيرها كثير ^(٣).

كل ما وجد في آخره ألف ونون قبلهما حرف مضعّف يلي حرفاً، حكم بزيادة النون فيه نحو: حَسَانٌ وَحَيَّانٌ وَأَبَانٌ وَعَدَّانٌ، ومن هنا قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لقوم أتوه يسمون (بنو غيان): "أنتم بنو رشدان" لأنه صلى الله عليه وسلم "جعل اسمهم من (الغي) الذي هو ضد (الرشاد) فاستكرهه فيهم" ^(٤).

أما أصحاب الأخفش فاستدلوا بما يأتي: كثرة بناء (فَعَال) في النوابت كالقُشَاء والحُمَاض والكُرَاث والخُبَاز وغيرها ^(٥).

قول العرب: أرض مَرْمَنَة ورَمِنَة، إذا كثر رَمَانُها فاشتقوه من (رمن) لا (رم) ^(٦).

(١) ينظر: المحتسب ٨٧/١ والروض الأنف ٥٧٧/٢ وتوضيح المقاصد ١٤١/٤، ٢٥٥/٥ - ٢٥٦.

(٢) ينظر: ما ينصرف وما لا ينصرف ٣٧ وشرح الشافية للرضي ٣٩٥/٣.

(٣) ينظر: المحتسب ٨٧/١ والمنصف ٢٥٩/١.

(٤) ينظر: المحتسب ٧/١ والمنصف ٣٤/١ والخصائص ٢٥١/٨ والممتع في التصريف ٢٦/١.

(٥) ينظر: شرح الكافية الشافية ٢٠٤٥/٤ وتوضيح المقاصد ١٤١/٤ و٢٥٥/٥ وشرح الاشموني ١٠٨/٣ وحاشية الصبان ٢٦٦/٤.

(٦) ينظر: شرح الكافية الشافية ٢٠٤٥/٤ وارتشاف الضرب ١٠٣/١ وشرح الاشموني ١٠٨/٣ وحاشية الصبان ٢٦٦/٤.

وحمل اللفظ على أصل مهجور في مذهب الاخفش يشهد بضعفه وبعده عن القصد، واستدلّاه بكثرة (فَعَال) في النبات لا يدفع هذا الضعف لأنّ النوبات أسماء جارية في كثير من أبنية العربية وليست مقصورة على بناء معين، أمّا دليله بقوله العرب: (مرمنه) ك (مذأبة) و (مأسدة)، فيمكن أن يقال فيه: إن أصله (مرمة) بزنة (مفعلة) من الرّمّ وقلبت الميم المتطرفة نونا لكثرة الميمات، كما قلبت السين ألفا في (دسّاها) أصله (دسّسها) لكثرة السينات وكما قلبت النون ياء في (دينار) أصله (دَنَار) لتوالي نونين، وإنما لم تقلب ميم (مرمة) إلّفا ولا ياء دفعا للالتباس بناء (مفعلة) من (الرمي)، وإنما اختيرت النون لأجل المخالفة بين الأمثال لظهورها في (الرمان) - وان كانت زائدة - واشترакها مع الميم مخرجا وجهرا وغنة. وكذا يمكن القول: إن (رمنة) بزنة (فَعلة) أصله (رَممة) ولتعذر إدغام الميمين حفاظا على بناء (فعل) ثقل اجتماع المثليين فأبدلوا من ثانيهما نونا على وفق ما سبق.

٤٧- رويدا

ذكر سيبويه لـ (رويدا) في قوله تعالى: (فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلَهُمْ رُوَيْدًا) ﴿الطارق: ١٧﴾ أربعة أوجه في العربية:

الأول: (رويد)، اسم فعل أمر بمعنى (أرود)، أي؛ تمهل، وذلك إذا وليه اسم منصوب به على المفعولية قال: "تقول: رويد زيدا، وإنما تريد أرود زيدا. قال الهذلي:

رُوَيْدَ عَلِيًّا جَدًّا مَا ثَدَى أُمَّهُمْ إِلَيْنَا وَلَكِنْ بَغْضُهُمْ مَتَمَّائِنُ
وسمعنا من العرب من يقول: والله لو أردت الدراهم لأعطيتك رويد ما الشعر. يريد: أرود الشعر، كقول القائل: لو أردت الدراهم لأعطيتك فدع الشعر. فقد تبين لك أن رويد في موضع الفعل ^(١).

(١) الكتاب: ٢٤٣/١ وينظر: رسالتان في اللغة للرماني ٥١-٥٢.

الثاني: (رويد) صفة لموصوف مذكور قبلها في السياق والموصوف مصدر منصوب بالفعل الظاهر، قال: "ويكون رويداً أيضاً صفةً، كقولك: ساروا سيراً رويداً"^(١).

الثالث: (رويد) حال من صاحب الحال الذي هو ضمير متصل بالفعل المحذوف معموله (المصدر المنصوب) قال: "ويقولون أيضاً: ساروا رويداً، فيحذفون السير ويجعلونه حالاً به وصف كلامه، واجتزأ بما في صدر حديثه من قول ساروا، عن ذكر السير. ومن ذلك قول العرب: ضعه رويداً، أي وضعاً رويداً. ومن ذلك قولك للرجل تراه يعالج شيئاً: رويداً، إنما تريد: علاجاً رويداً. فهذا على وجه الحال إلا أن يظهر الموصوف فيكون على الحال وعلى غير الحال"^(٢).

الرابع: (رويد) مصدر منصوب مضاف إلى معموله، قال: "وحدثنا من لا نتهم أنه سمع من العرب من يقول: رويد نفسه، جعله مصدراً كقوله: (فضرب الرقاب) وكقوله: عذير الحي"^(٣).

وتلقف خالفو سيبويه هذه الأوجه الأربعة بالتحليل والتوجيه وهم إزاءها بين مؤيد ومنكر ومجمل ومفصل وما يهمننا من كل ما علقوه بها هو أقوالهم الصرفية التي تعرض خلافهم في تأصيل اللفظة (رويد)، إذ شايع أكثر الخالفين سيبويه في مذهبه هذا الذي أجاز فيه تأصيل اللفظة على إنها اسم فعل أمر بمعنى (ارود) أو اسم بمعنى المصدر (الإرواد) وإن كان أكثرهم يميل إلى الوجه الثاني^(٤)، لأن "رويدا أقرب إلى إرواد منها إلى أرود، لأنها اسم مثل

(١) الكتاب: ٢٣٤/١.

(٢) الكتاب: ٢٤٤/١.

(٣) نفسه: ٢٤٦/١ - ٢٤٧.

(٤) الأصول في النحو ١٤٣/١ وشرح المفصل في صنعة الإعراب ٢٣١/٢ والصحاح (رود) واللباب في علم الإعراب ١٨١ وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٣ - ٩ والقاموس المحيط (رود) وشرح التصريح ٦١/٢ وتاج العروس (رود).

إرواد" ^(١) على إن هذا ليس حجة كافية في المفاضلة بين وجهي سيبويه لـ (رويد) لأن أسماء الأفعال هي ألفاظ تقوم مقام الأفعال في الدلالة على صيغ الأفعال وعملها، وتنوب عن أفعالها في ما لها من عمل ومعنى ٢ " وهي ألفاظ تؤدي معاني الأفعال ولا تقبل علاماتها، وليست هي على صيغها فسمائها النحاة أسماء الأفعال" ^(٣).

وليس في كتاب سيبويه أية إشارة إلى إنه كان يرى لفظ (رويد) مصغراً بل المحصل من قوله السابقين أنه لفظ مكبر وإن ورد على أحد أبنية التصغير وهو البناء (فُعيل) المطرد في تصغير الاسم الثلاثي وما يجري مجراه. ولما وجد السيرافي سيبويه يؤصل (رويد) على إنه اسم فعل أمر رأى أن أصل اللفظة بتسكين الدال طردا للباب في أسماء فعل الأمر التي تسكن أواخرها نحو صه وحيهل وغيرهما ووجه فتح آخر اللفظ بأنه فرار من التقاء الساكنين فقال: " فمن ذلك رويد زيدا وهو مبني، وكان الأصل فيه أن يبنى على السكون لأنه واقع موقع الأمر، والأمر مبني على السكون فاجتمع في آخره ساكنان الياء والدال فحركت الدال لاجتماع الساكنين، وكان الفتح أولى بها استقلا للكسرة من أجل الياء التي قبلها كما قالوا: أين وكيف ففتحوا" ^(٤).

لكن السيرافي في شرحه قول سيبويه فهم منه أنه يرى أن (رويد) مصغر للمصدر (إرواد) تصغير ترخيم بحذف الزوائد كما صغر (كامل) على كميل، وعمم هذا الذي فهمه على سائر البصريين وعده رأيا مستقلا لهم أزاء رأي آخر للكوفيين يرأسهم الفراء إذ قال السيرافي: " رويد تصغير إرواد وإرواد مصدر أروود ومعنى أروود: أمهل، وصغروه تصغير الترخيم لحذف الزوائد

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٤٢٢/٩.

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣/٣ والكناش في النحو والتصريف ٢١٠/١ وأوضح

المسالك ٨١/٤ ومعاني النحو ٣٤/٤.

(٣) معاني النحو ٣٤/٤.

(٤) شرح كتاب سيبويه ١٤٢/٢.

وهي الهمزة التي في أولها والألف التي هي رابعها. وقال الفراء: إن رويد تصغير (رود)، والذي قاله البصريون أولى لأنّ أرود يقع موقع (رويد) و(رود) لا يقع في موقعه فلاّ يكون مأخوذاً مما يقع موقعه ويطابقه في المعنى أولى^(١).

وهذا الخلاف بين رأس المدرستين لم أتبينه قبل شرح كتاب سيبويه للسيرافي فليس لرأي الفراء الذي ساقه السيرافي وجود فيما أثر عنه من كتب وربما هو في كتابه المفقود (المصادر في القرآن) فإنّ صح هذا يبقى التشكيك فيما نقله السيرافي عن سيبويه قائماً لأنه فهم من كتاب سيبويه أمراً لم يرد في الكتاب ما يعضده أو يقترب منه، ويبدو أن مجمل ما قاله السيرافي في تأصيله هذه اللفظة وزعمه وجود الخلاف فيها هو مما استدعته طبيعة هذا الشرح التعليمي للكتاب.

ولم يتنبه خالفو السيرافي على ما في شرحه من زيادة وتقول على صاحب الكتاب فرددوا مقالته التي تفصح عن إن تأصيل اللفظة (رويد) مسألة خلافية فقال ابن سيده: "وذهب غير سيبويه إلى إن رويد تصغير (رود) وأنشد^(٢):
كأنه مثل من يمشي على رود

وهذا خطأ لأنّ روداً لم يوضع موضع الفعل كما وضعت إرواد بدليل أرود^(٣).

فالمحصل من قول ابن سيده هذا أنه يصحح كون رويد تصغير إرواد لا تصغير رود لوجود الفعل أرود المزيد بالهمزة الذي يشهد لصحة استعمال الإرواد وعدم سماع المجرد (راد) بمعنى (تمهل) مما يضعف سماع الرود بهذا المعنى في العربية.

(١) شرح كتاب سيبويه ١٤٢/٢ .

(٢) الشطر للجموح الضفري كما في ديوان الهذليين ٨٧٢/٣ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٤٢٢/٩ .

وحاول الخوارزمي المقاربة بين القولين اللذين عزا قبله إلى سيبويه والفراء على نحو لا يوجب التناقض بينهما كما هو الظاهر من قولي السيرافي وابن سيده اللذين جمعا الوجهين على معنى التصغير وإن كان المكبر اسم فعل أو اسم مصدر وهو مما لم يقل به سيبويه صراحة ولم يؤثر في تراث الفراء أيضا، إذ رأى الخوارزمي أن (رويدا) إن كانت مصروفة منونة وكانت حالا أو صفة نحو: ساروا سيرا رويدا فهي تصغير رود وإن كانت اسم فعل غير منصرف ولا منون فهو تصغير إرواد مصدر (أرود)^(١).

والمحصل من قول سيبويه المذكور آنفا أنه يميز وجهين في تأصيل (رويد) الأول: إنه اسم فعل أمر بمعنى (أرود) أي (تمهل) وهو المفهوم من الوجه الأول الذي ذكره، والآخر: إنه يميز أن يكون (رويد) اسم مصدرا للفعل المزيد بالهمزة (ارود)، والمراد باسم المصدر هو ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوه لفظا أو تقديرا من بعض ما في فعله دون تعويض كعطاء فإنه مساوٍ لإعطاء معنى ومخالف له بخلوه من الهمزة الموجودة في فعله وهو خالٍ منها لفظا وتقديرا ولم يعوّض عنها بشيء^(٢)، وثمة أسماء مصادر كثيرة جاءت مبنية على باب الإفعال منها (نبات، عطاء، ثواب، جواب، طعام، تمام). ومثل هذه (رويد) جاء مبنيا على الفعل (أرود) الذي مصدره الصريح (إرواد). ولكون اللفظ اسم مصدر جاز الوصف به مبالغة كما قالوا: رجل عدل، وجاز مجيئه حالا كما قالوا: جاء ركضا، وجاز نصبه وإضافته إلى معموله كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ محمد: ٤.

(١) ينظر: شرح المفصل في صنعة الإعراب ٢٣١/٢ - ٢٣٢ ومختار الصحاح ١١٠.

(٢) ينظر: الكتاب ٢٦/٤ وشرح الشافية ١٦٣/١ وشرح ابن عقيل ٩٨/٢ وأوضح المسالك

١٦١/٣ وشرح التصريح للأزهري ٦١/٢ والمقاصد الشافية ٥٠٨/٥.

٤٨ - الريحان

اختلف في تأصيل الريحان الوارد في قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ ﴿الرحمن: ١٢﴾، فذهب أكثرهم إلى إنه مشتق من أصل معتل العين بالواو وأصله (رَيَّوْحَان) بزنة (فَيَعْلَان) وأميتت الواو بقلبها ياء وأدغمت الياء بالياء فصار (رَيَّحَان) ثم خَفَّفت ياءه المشددة تخفيفا لازما لطول الاسم بالزيادة في آخره، فقالوا (رَيَّحَان) مخففا تخفيفا لازما كما التزم التخفيف في (كينونة) و(سيدودة). ولولا إن الزيادة في آخره لسمع الأصل الثقيل (رَيَّحَان) كما سمع (سَيِّد) في (سَيِّد). والذي يدل على أنه من أصل واوي العين تصغيره على (رُويحين).

وذهب بعضهم إلى أن ياء (ريحان) أصل وليست منقلبة عن واو لأن اللفظ مشتق من أصل معتل العين بالياء، ودليله على ذلك إن الريحان جمع على (رياحين) فهذا مثل (شيطان وشياطين). ورد بأنه لا وجه لحمل الريحان على الشيطان لأن الشيطان أما من (شيطن) بزيادة ياء ثانية على الأصل المسموع (شطن) ليلحق بالرباعي (فعلل) أو من (شاط يشيط). وعلى الوجه الأول يبطل حمل (ريحان) على (شيطان) لعدم سماع (رحن) لتزداد فيه ياء ثانية إلحاقا له بالرباعي. وكذا يبطل الحمل على الوجه الثاني لثبوت جريان الأصل (راح يروح) معتل العين بالواو في كل التصاريف ومنها تلك التي ظهرت الياء في لفظها كـ (الريح والرياح) وغيرهما، وعدم سماع الأصل (ريح) جاريا في ألفاظ العربية^(١).

والذي يدل على المذهب الأول قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ ﴿الواقعة: ٨٩﴾، فأخراج اللفظين (روح وريحان) من أصل واحد فيه دليل على توكيد السياق، زيادة على ما فيه من الإشارة إلى المعاني الدقيقة المختلفة التي يؤديها كل بناء فكأن هذا كقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ و﴿رَاضِيَةٌ

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٢٢١/٥ ومشكل إعراب القرآن ٥٥/٢ ولسان العرب ٢٨٥/٢.

مَرْضِيَّةٌ ﴿الفجر: ٢٨﴾ و ﴿نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾ ﴿مريم: ٢٣﴾ وغير ذلك من الألفاظ المرددة في التنزيل العزيز ترديدا اشتقاقيا ينبئ عن اشتراكها في الأصل اللغوي الذي انبثقت منه واختلافها في المعنى الدقيق لاختلاف صوغها وتنوع بنائها من ذلك الأصل المشترك.

٤٩ - الزبانية

لا خلاف في إن الزبانية لفظ عربيّ مشتقّ من الزبن وهو دفع الشيء عن الشيء كالناقة تزبن ولدها عن ضرعها برجلها، والحرب تزبن الناس إذا صدمتهم^(١). فالزبن هو الدفع بشدة يقال: ناقة زَبُون إذا كانت تركل من يجلبها، وحرب زبون يدفع بعضها بعضاً بتكرار القتال^(٢) ويقال للمشتري زبون؛ لأنه يدفع لمن أخذ الثمن^(٣). واختلف أهل التأويل في المراد بالزبانية فنقل عن ابن عباس أنهم الملائكة الغلاظ الشداد. وقال مقاتل: هم خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء، وقال قتادة: الزبانية هم الشرط في كلام العرب، والأظهر أنهم ملائكة النار وسموا الزبانية لأنهم يزبنون الكفار أي يدفعونهم في جهنم، فهم خزنة النار الذين إذا قيل لهم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ﴿الحاقة: ٣٠-٣١﴾ ابتدروه سراعا ولم ينظروه^(٤)، وهم السائقون في قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ ﴿الزمر: ٧١﴾ أي: تسوقهم الزبانية بالعنف والإهانة، كما تساق

(١) العين ٧٨٤/٧، وينظر: الاشتقاق (الأصمعي) ١٢٤، وأدب الكاتب: ٨٧ الاشتقاق (ابن دريد) ٢٠٤.

(٢) التحرير والتنوير ٤٥٣/٣٠.

(٣) ينظر: لسان العرب (زبن).

(٤) جامع البيان ٥٢٧/٢٤ والبيان للطوسي ٣٦٦/١٠ ومجمع البيان ٣٥٤/١٠ والتسهيل لعلوم

التنزيل ٤٩٨/٢ وتفسير الرازي ٢٢٦/٣٢ وتفسير الباب ٤٢٤/٢٠ والميزان ١٨٣/٢٠.

(٥) الميزان ١٨٣/٢٠.

الأسارى والخارجون على السلطان، إذا سيقوا للقتل أو السجن، فتسوقهم الزبانية إلى جهنم أفواجا متفرقة، بعضها إثر بعض، حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة^(١).

والزبانية أعظم الملائكة خلقاً وأشدّهم بطشاً، والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه^(٢)، قال الشاعر^(٣):

مَطَاعِيمُ فِي الْقُصُوى مَطَاعِينُ فِي الْوَغَى زَبَانِيَّةٌ غَلَبَ عِظَامُ حُلُومِهَا

وصرح القرآن الكريم بأن عددهم تسعة عشر. ونُقل "عن عبد الله بن مسعود قوله: من أراد أن يُنجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها تسعة عشر حرفاً ليُجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد"^(٤).

واختلف اللغويون في الجمع (الزبانية) أليس له واحد من لفظة أم له واحد مسموع في اللغة؟ فبعضهم رأى أن الزبانية لا واحد له وهذا أحد قولي الكسائي: "لم أسمع لها بواحد"^(٥)، وقوله الآخر: "واحد الزبانية زبني"^(٦). وحرار الفراء في فهم رأي شيخه في تأصيل الزبانية فقال: "قال الكسائي: واحد الزبانية زبني، وكان قبل ذلك يقول: لم اسمع لها بواحد، ولست أدري أقياساً أم سماعاً"^(٧). ويبدو أن الكسائي لم يقطع بشأن دلالة الجمع فجوز فيه - بعد ذلك - أن يكون لا واحد له من لفظه فهو اسم جمع كغنم وإبل وخيل وجوز فيه أن يكون جمع تكسير سمع له واحد من لفظه، لكن الأخفش قطع بعدم معرفة العرب مفرداً ظاهراً للفظ الزبانية فرجح كونه جمعاً لا واحد له

(١) البحر المديد ٥٠٤/٨.

(٢) النكت والعيون ٣٠٨/٦.

(٣) لم أقف على قائله وهو من شواهد الماوردي ٣٠٩/٦ والقرطبي ١٢٦/٢٠ وغيرهما.

(٤) الكشف والبيان ٢٤٦/١٠.

(٥) معاني القرآن (الكسائي) ٢٥٧.

(٦) المصدر نفسه: ٢٥٧.

(٧) معاني القرآن (الفراء) ٢٨٠/٣.

فقال: "العرب لا تكاد تعرف هذا وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل "أبائيل" تقول: "جاءت إبلي أبائيل" أي: فرقا. وهذا يجيء في معنى التكثير مثل "عباديد" و"شعارير"^(١). وحذا آخرون حذو الكسائي في تجويزهم أن يكون الزبانية جمعا لا واحد له وبهذا صرح الطوسي والرازي وابن عادل وابن عاشور والنظام النيسابوي والآلوسي^(٢).

ويبدو أن الوجه الآخر في تأصيل لفظ الزبانية هو الأظهر لكثرة الألفاظ التي تلمسوها لتكون آحادا للزبانية، فقد ذكروا أربعة مفردات قياسا على نظائر الزبانية في باب جموع التكسير هي:

١- زابن زبانية، وهذا الوجه سمعه الأخفش من عيسى بن عمر وقال إن العرب لا تكاد تعرفه وهو بعيد في القياس فضلا عن السماع^(٣).

٢- زبني زبانية، وهذا أحد قولي الكسائي^(٤). وهو اختيار شهاب الدين المصري في قوله: "الزبانية واحد منهم زبني مأخوذ من الزبن وهو الدفع كأنهم يدفعون أهل النار إليها"^(٥). ورأى الزمخشري أن المفرد "زبني، كأنه نسب إلى الزبن، ثم غير للنسب، كقولهم أمسى"^(٦). وهذا الوجه محمول على إن وزن (فعالي) يطرد في كل ثلاثي ساكن زيدت في آخره ياء مشددة لغير تجديد النسب نحو: كرسى وكراسي وكركي كراكي^(٧). فكأن الزبني جمع أولا على زباني بياء مشددة ثم حذفت الياء الساكنة وعوضت بتاء في الآخر فقالوا زبانية

(١) معاني القرآن للأخفش ٥٨٢/٢ وتفسير الرازي ٢٢٦/٣٢ وتفسير اللباب ٤٢٤/٢٠.

(٢) التبيان للطوسي ٣٦٦/١٠ والتحرير والتنوير ٤٥٣/٣٠ وتفسير النيسابوري ٥٣٤/٦

وتفسير اللباب ٤٢٤/٢٠ وتفسير الرازي ٢٢٦/٣٢ روح المعاني ٤٩٠/١٥ والأمثل ٢٥٩/٢٠.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٥٨٢/٢.

(٤) معاني القرآن (الكسائي): ٢٥٧.

(٥) التبيان في تفسير غريب القرآن ٤٦٩.

(٦) الكشف ٧٨٤/٤ وتفسير اللباب ٤٢٤/٢٠.

(٧) ينظر: شذا العرف ١٤١ والفيصل في ألوان الجموع ٨٧ - ٨٨.

كما قالوا تلاميذ تلامذة وأساتيد أساتذة وأكاسير أكاسرة وقياسير قياصرة وقساويس قساوسة وغير هذا كثير. وصرح الزمخشري بالحذف والتعويض فقال: "أصله: زباني، ف قيل: زبانية على التعويض^(١)؛ ونقل البيضاوي (ت ٧٩١هـ) قول الزمخشري في الحذف والتعويض فقال: "الزبانية... أصلها زباني التاء معوضة عن الياء"^(٢). أي إن وزن الجمع قبل إبدال الياء تاء: (فعالي)، وبعد إبدال الياء تاء صار (فعالية).

٣- زباني زبانية، وهو وجه نقله الأخفش عن بعض العرب^(٣). واختاره الجوهري فقال: "واحدهم زباني"^(٤). وأظن الزباني محرف من (الزبني) لأن الزباني صيغة جمع فلا يستقيم كونه واحدا للزبانية والغريب أن هذا التحريف استمر في كتب التفسير الحديثة كما في قول ابن عاشور: "والزبانية: بفتح الزاي وتخفيف التحتية جمع زباني بفتح الزاي وبتحتية مشددة"^(٥).

٤- زبينة زبانية، وهو قول أبي عبيدة الذي جاء المفرد محرفا في كتابه مجاز القرآن ففي المطبوع: "الزبانية" واحدهم زبينة وكل متمرد من إنس أو جان يقال: فلان زبينة عفرية"^(٦) وإنما حكمنا بتحريف زبينة لأن القياس يأبى تكسير فعيلة على فعالي ثم إن أبا عبيدة عضد اللفظ بعفرية الذي على وزن فعيلة لا فعيلة. وصرح الرازي أن هذا مذهب أبي عبيدة والمبرد وذكر المفرد زبينة كعفرية^(٧). واختار الزجاج هذا الوجه ولم يعزه إلى أبي عبيدة^(٨). ثم اختاره

(١) الكشف ٧٨٤/٤ وتفسير اللباب ٤٢٤/٢٠.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦١٠ / ٢.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٥٨٢/٢ وتفسير الرازي ٢٢٦/٣٢ وتفسير اللباب ٤٢٤/٢٠

(٤) الصحاح (زبن).

(٥) التحرير والتنوير ٤٥٣/٣٠.

(٦) مجاز القرآن ٣٠٤/٢.

(٧) تفسير الرازي ٢٢٦/٣٢.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٤٦/٥.

الطوسي فنظر المفرد (زبينة) بعفرية ونفرية لغتين في (عفريت نفريت) المكسرين على عفاريت نفاريت وأما اللغتان فتكسيهما (عفاري ونفاري) على وزن فعالٍ بتشديد الياء وهذا الوزن يخفف إلى (فعالية) على وفق ما سبق ذكره. إذ قال الطوسي: "يقال: رجل عفرية نفرية على وزن (زبينة) الواحد الزبانية"^(١). وإلى هذا مال الزمخشري فقال: "والزبانية في كلام العرب: الشرط، الواحدة، زبينة، كعفرية، من الزبن: وهو الدفع." ^(٢). وهذا اختيار صاحب الأمل في قوله: "والزبانية جمع زبينة وهو في الأصل بمعنى الشرطة من مادة (زبن) - على زنة متن - وهو الدفع والردع والإبعاد"^(٣). وهذا الوجه أظهر من غيره لظهور معنى الشدة والمبالغة في (الزبانية) فهذا المعنى لا يتحقق إن كان المفرد منسوباً إلى الزبن أو كان اسم فاعل بل يتحقق إن أخرج المفرد على أحد أبنية المبالغة وهو (فعليت) كعفريت ونفريت، والتاء في (زبينة) للمبالغة والتخصص بالاسمية وهي كذلك في اللغات الجزرية كما في (الطاغوت وطالوت وجالوت ورهبوت ورحموت) وغيرها كثير.

٥٠ - الزيتون

اختلف في تأصيل الزيتون في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ٩٩). فذهب ابن كيسان إلى أن (الزيتون) (فيعول) من (زتن) المهجور، واستدل على ذلك بقول العرب: أرض زتنه إذا كثر زيتونها، فأثبتوا

(١) التبيان للطوسي ٣٦٦/١٠.

(٢) الكشف ٧٧٩/٤.

(٣) الأمل ٣٣٤/٢٠.

النون وحذفوا الياء وبسماح (فيعول) في العربية ك (القيصوم)، وعدم استقرار (فعلون) فيها^(١).

وذهب ابن جني إلى إنه (فعلون) من (الزيت)، منكرًا على ابن كيسان حمله اللفظ على أصل مهجور مع وجود المسموع الصالح للاشتقاق منه، ولم يرَ (فعلون) عزيزًا في العربية إذ سُمع منه أيضاً (ميسون وخذلون وسعدون)^(٢). وعُزي إلى الزجاج ذهابه إلى أن (زيتونا) كأنه جمع (زيت)، ورد بأن هذا القول يلزم منه أن يعرب اللفظ بالنون والواو والنون والياء وذلك مرفوض^(٣).

ورجح الخالفون مذهب ابن كيسان بعد أن وجدوا قوة استدلاله بأرض زنتة، إذ إن ثبات النون دليل على أصالتها^(٤). ومناسبة الاشتقاق تعضد مذهب ابن جني لأن معنى الزيتون يدرك في الزيت من جانبيين: الأول: إن كليهما طعام، والآخر: اشتراكهما في الدلالة على معنى الضياء والنور كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿النور: ٣٥﴾. فعلى هذا لا مسوغ لحمل اللفظ على أصل مهجور. أما قولهم: أرض زنتة فإنما هو وصف لبيان كثرة الزيتون فيها ولو قيل: زيتة على الأصل لفهم أن الكثير الزيت لا الزيتون، ففروا من الأصيل إلى الزائد أمنا للبس وفرقا بين الوصفين ثم إن الياء فيه (زيتة) لا تثبت على حالها إذ يؤول بها الإعلال

(١) ينظر: جمهرة اللغة ١٦/٢ والخصائص ٢٠٦/٣ ولسان العرب ٥٧/١٧.

(٢) ينظر: الخصائص ٢٠٦/٣.

(٣) ينظر: عبث الوليد ٣٠٠.

(٤) ينظر: الممتع في التصريف ١٢٥/١ والبحر المحيط ١٨٤/١ ولسان العرب (زيت).

المقيس إلى الألف وحينئذ يضطرب بناء (فَعِلَة) ولا يبقى فيه أي دلالة على تكثير الزيتون في المكان.

٥١ - سبحان

اختلف في تأصيل لفظة (سُبْحان) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢)، فذهب سيبويه إلى إنه مصدر لا فعل له، ولذا وضعه في باب المصادر التي تنتصب "بإضمار الفعل المتروك إظهاره ولكنها وضعت موضعاً واحداً لا تتصرف في الكلام تصرف ما ذكرنا من المصادر. وتصرفها أنها تقع في موضع الجر والرفع وتدخلها الألف واللام، وذلك قولك: سبحان الله... كأنه حيث قال: سبحان الله قال: تسبيحاً... فنصب هذا على أسبَح تسبيحاً... وخزل الفعل ههنا لأنه بدل من اللفظ بقوله: أسبَحك" (١). ولما وجد سيبويه (سُبْحان) ممنوعاً من الصِّرف في مثل قول الشاعر (٢):

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
قال: "وأما ترك التنوين في سبحان فإنما ترك لأنه صار عندهم معرفة" (٣). أي؛ إنه عد (سبحان) مصدراً لفعل ترك استعماله لأنهم استغنوا عنه بـ (سبح) لأنه بمعناه فمن قال: سبحان الله كأنما قال: تسبيحاً لله.

وتتابع فريق من العلماء على مشايعة سيبويه في مذهبه هذا كاشفين عن بعض الغموض الذي قد يلحظ في قوله هذا، فقال السيرافي: "سُبْحان مصدر فعل لا يستعمل كأنه قال: سَبَح سُبْحانا، كما تقول: كَفَرَ كُفْراناً وشَكَرَ شُكْراناً، وأما قولهم سَبَح يسبح فهو فعل ورد على سُبْحان بعد أن ذُكر وعُرف، ومعنى

(١) الكتاب ٣٢٢/١.

(٢) للأعشى في ديوانه ٩٤.

(٣) الكتاب ٣٢٤/١.

سَبَّحَ: قال سبحان الله، كما تقول بسمَل: إذا قال: بسم الله ^(١). ويفهم من هذا أن السيرافي وافق سيويوه في ذهابه إلى إنَّ (سُبْحان) مصدر أميت فعله لكنّه خالفه في إنَّ (سَبَّح) بمعنى (سَبَّح) المتروك فعده منحوتا من (سُبْحان الله) كما نُحِت (بسمَل) من (بسم الله).

وقال ابن جنّي مستمسكا بقول سيويوه في علة منع (سُبْحان) من الصرف: "كما جاءت الأعلام في الأعيان فكذلك أيضاً جاءت في المعاني نحو قوله:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
فسبحان اسم لعنَى البراءة والتنزيه بمنزلة عثمان وحُمران ^(٢). فهو يرى "أنَّ معاني الأعلام تنقسم إلى ضربين أحدهما عين وهو الأكثر والآخر معنى وهو الأقل. فأما العين فنحو زيد وجعفر وعاتكة وهند وزينب... وأما المعنى فنحو قولهم سبحان في قوله: (سبحان من علقمة الفاخر) فسبحان عندنا علم علّق على معنى التسبيح ^(٣). فكانه منع الصرف لأنه اجتمع فيه التعريف وزيادة الألف والنون.

ومَن سار في ركب سيويوه الأزهرى وابن فارس والزمخشري وابن الشجري وابن يعيش وابن الحاجب وابن منظور ^(٤).

وخالف ابن مالك مذهب سيويوه في (سُبْحان) فعده اسم مصدر مبنياً على الفعل (سَبَّح) كما بُني (نبات) على (أُنبِت) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ﴿نوح: ١٧﴾، وكما بُني (تَبَتَّل) على (تَبَّل) في قوله تعالى:

(١) الكتاب ٣٢٤/١ (الهامش).

(٢) الخصائص ١٩٩/٢ - ٢٠٠.

(٣) المبهج لابن جنّي ٦٠.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ٣٣٨/٤ ومقاييس اللغة ١٢٥/٣ والكشاف ٤٣٦/٢ والمفصل ١٠ والأُمالي الشجرية ٣٤٨/١ وشرح المفصل ١٣٧/١ والإيضاح في شرح المفصل ٨٨/١ ولسان العرب ٢٩٩/٣.

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ (المزمل: ٨). ولم يرتض إخراج (سبحان) من فعل مهجور لأنَّ (سَبَحَ) فعلٌ مستعمل يدلُّ على السعي والانتقال ومنه قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٣). فلا يقال: إنَّ فعلاً آخر مماثلاً له في اللفظ كان قد هُجِرَ وبقي مصدره (سبحان). ولذا قال في متن الكافية^(١):

سُبْحَانَ فِي غَيْرِ اخْتِيَارٍ أَفْرِدَا مُلَابِسَ التَّنْوِينِ أَوْ مُجَرِّدَا
وقال في شرحها: "من الملتزم الإضافة (سبحان) وهو اسم بمعنى التسبيح وليس بعلم لأنَّه لو كان علماً لم يضاف إلا إلى اسم واحد كسائر الأعلام المضافة، وأخلي من الإضافة لفظاً للضرورة منوئاً وغير منوئ، فالمتون كقول الشاعر:

سبحانه ثمَّ سبحانا نعوذ به وقبلنا سبح الجودي والحمد
وغير منوئ كقول الشاعر:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
وزعم أبو علي والزمخشري أنَّ الشاعر ترك تنوين (سبحان) لأنَّه علم التسبيح فلا ينصرف للعلمية وزيادة الألف والنون وليس الأمر كما زعما بل ترك التنوين لأنَّه مضاف إلى محذوف مقدَّر الثبوت"^(٢). فابن مالك هنا استدل بالتزام (سُبْحَانَ) للإضافة في فصيح الكلام وهي إضافة قد تكون إلى اسم كما في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١) أو إلى ضمير كما في قوله تعالى ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ

(١) متن الكافية ٢٢.

(٢) شرح الكافية الشافية ٩٥٢/٢.

مِنَ الظَّالِمِينَ» ﴿الأنبياء: ٨٧﴾، ولا يُقطع عن الإضافة إلا ضرورة، وعندما يمنع الإجراء تراعى الإضافة اللازمة فيه، وأمّا إجراؤه فلعدم مراعاة ذلك فيه. واختار الكفوي مذهب ابن مالك فقال: "سبحان الله: بمعنى التسبيح والأصحّ أنّه اسم مصدر لا مصدر مأخوذ من التسبيح وهو التنزيه وكونه مصدراً لفعل غير مستعمل ضعيف لأنّ أكثر المصادر يكون له فعل ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً إلى مفرد ظاهر أو مضمّر"^(١).

ويمكن عضد مذهب ابن مالك بأن (سبحان) لفظ ملازم الإضافة ولو كان علماً بنفسه لانفكّ منها وفي حال قطعه عن الإضافة يأتي منونا ولو كان علماً لمنع من الصرف لزيادة الألف والنون في آخره وجاء اللفظ معرّفاً بالألف واللام مما يوحي بتكثيره، فمن الشواهد على استعماله منونا ما عزي إلى أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي كان يمجّد الله في الجاهلية فقال^(٢):

سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ وَقَبْلُ قَدْ سَبَّحَ الْجُودِيَّ وَالْجُمُدُ

ومن الشواهد على اتصاله بالألف واللام قول الشاعر:

سبحانك اللهم ذا السبحان.

٥٢ - سلسبيل

اختلف في (سلسبيل) الوارد في قوله تعالى (وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿الإنسان: ١٧- ١٨﴾، زنة واشتقاقاً وجنساً، وللعلماء فيه أقوال كثيرة فمنهم من ذهب إلى أنّ السلسبيل بوزن (فعلليل). وأوّل من صرح بهذه الزنة سيبويه الذي قال: "هذا باب ما لحقته

(١) الكليات ٤/٣.

(٢) الفصول والغايات للمعري ١٠٩.

الزيادة من بنات الخمسة، فـ (الياء) تلحق خامسة فيكون الحرف على مثال فعلليل في الصفة والاسم، فالاسم: سلسيل و...^(١).

وفيه من هذا أن سلسيلا من الأصل الخماسي (سَلْسِيل) الذي يوزن عند البصريين على (فَعْلِيل) بزيادة لامين على ميزان الثلاثي (فعل)، ولما زيدت فيه ياء قبل آخره صار السلسيل بوزن (فعلليل)، وهو علم لعين في الجنة لا صفة لها. وقد استحسن فريق من العلماء مذهب سيويه هذا^(٢)، موجهين صرف (سلسيلا) على الرغم من اجتماع العلمية والتأنيث فيها بإحدى ثلاث طرق هي:

الأولى: أنها إنما صرفت موافقة لفواصل الآي في سورة الإنسان، ومثله قوله تعالى: (وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا) ﴿الإنسان: ١٥-١٦﴾. وعزي هذا التوجيه إلى الأخفش في أحد قوليهِ وأبي بكر بن السراج^(٣).

الثانية: أنها وردت على لغة بني أسد الذين يصرفون جميع ما لا ينصرف لأن الأصل في الأسماء الصرف، وقد عزي هذا التوجيه إلى الكسائي والأخفش في قوله الآخر^(٤).

الثالثة: وجه الجواليقي صرف (سلسيل) بأنه " اسم أعجمي نكرة فلذلك انصرف"^(٥)

(١) الكتاب ٣٠٣/٤.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥٧٩/٣ وشرح المفصل ١٤٣/٦ وشرح الشافية للرضي ٣٤٤/٢.

(٣) ينظر: لسان العرب ٣٦٥/١٣ والبحر المحيط ٣٩٨/٨ وتاج العروس ٣٨١-٣٨٠/٧.

(٤) ينظر: لسان العرب ٣٦٥/١٣ والبحر المحيط ٣٩٨/٨ وتاج العروس ٣٨١/٧.

(٥) المغرب ١٨٩.

وأنكر أحمد محمد شاكر هذا التوجيه فقال: "لم أر أحدا نقل أن السلسيل اسم أعجمي إلا هذا المؤلف"^(١). وربما أفاد الجواليقي من قول ابن الأعرابي: ولم أسمع سلسيلا إلا في القرآن^(٢)، فخالف علماء العربية جميعا في دعواه هذه. واستحسن آخرون زنة (فعلليل) في هذه اللفظة لكنهم لم يوافقوا سيويه في عده إياها علما لمؤنث لأن ذلك مدفوع بصرفها فذهبوا إلى أنها إنما صرفت لأنها صفة للعين لا اسما لها^(٣). وعزا الطبري هذا التوجيه إلى بعض أهل التأويل فقال: "الصواب من القول في ذلك أن قوله تعالى: (تُسَمَّى سَلْسِيلًا) صفة للعين وصفت بالسلاسة في الحلق وفي حال الجري وانقيادها لأهل الجنة يصرفونها حيث شأوا كما قال مجاهد وقتادة، وإنما عني (تعالى) بـ(تسمى) توصف وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لاجتماع أهل التأويل على أن قوله (سلسيلا) صفة لا اسم"^(٤). لكن فريقا من الخالفين عزا هذا التوجيه إلى الزجاج^(٥).

ولم يرتض آخرون هذه الزنة التي عدت خمسة من أحرف هذه اللفظة أصولا فذهبوا يتلمسون أصلا ثلاثيا أو رباعيا لـ(سلسيل) فعزي إلى الفراء أنه يراها (فعلليل) من (سلب) وعنده يجوز تكرير حرف أصلي من توسط حرف أصلي بينهما لذا كررت السين وهي حرف أصلي وفصلت اللام بين المتماثلين وهي حرف أصلي كذلك^(٦). لكن المأثور عن الفراء في كتاب معاني القرآن لا

(١) نفسه ٩٠ (الهامش).

(٢) ينظر: مجالس ثعلب ٥٣٥ ولسان العرب ٣٦٨/١٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢١٧/٣ وجامع البيان ١٣٥/٢٩ والزاهر في معاني كلمات الناس ٢٠٧/١ وإعراب القرآن للنحاس ٥٧٩/٣ وزاد المسير ٤٣٨/٨ والتبيان للعكبري ١٤٩/٢.

(٤) جامع البيان ١٣٥/٢٩.

(٥) ينظر: المغرب ١٩٠ ولسان العرب ٣٦٥/١٣ وتاج العروس ٣٨١/١٧.

(٦) ينظر: شرح الشافية للرضي ٣٥١/٢ وارتشاف الضرب ٥٤/١.

يلحظ فيه مثل هذا وإنما قال: "سلسيل اسم للعين وذكر أنه صفة للماء لسلسلته وعذوبته ونرى أنه لو كان اسماً للعين لكان ترك الإجراء فيه أكثر ولم نرَ واحداً من القراء ترك إجراءها^(١) وهو جائز في العربية"^(٢). فعلى هذا يكون القراء مخالفًا سيبويه في علة صرفها لا في أصل اشتقاقها.

وذهب أبو حيان إلى أن السلسيل بوزن (فعفليع) من (أسبل)^(٣). واستحسن أحمد مختار عمر هذا المذهب مؤيداً اشتقاق السلسيل من مزيد الثلاثي (أسبل) وأحرفه الأصول (السين والباء واللام) وعند وزن السلسيل تقابل هذه الحروف بـ(فعل) ثم تكرر الزوائد فتصير بزنة (فعفليع) لأن الزوائد هي: السين الثانية واللام الثانية^(٤).

وليس في هذين القولين ما يدل على رجحانهما بل أن دعوى اشتقاق هذا اللفظ من السلب والإسبال غير موجهة لبعد معنى السلسيل عن معنى السلب والإسبال وزيادة أحرف السلسيل عن أحرف (سلب) و(أسبل) ودعوى تكرار هذه الأحرف في اللفظة لا يقوم عليها دليل لذا يكون مذهب سيبويه الذي حمل جميع أحرف (سلسيل) - إلا الياء - على الأصالة أقرب إلى الصواب وقد ورد في العربية مثل هذا كـ(برقعيد) لقصة في ديار ربيعة و(علطيمس) للشابة^(٥).

وثمة أصول أخرى تلمسها العلماء في اشتقاق هذه اللفظة ف قيل هي من السلاسة أو من الإسلاس أو من السلسلة أو من التسلسل^(٦). وهذه الأصول

(١) قرأ بعضهم (سلسيل) فمنع الصرف، ينظر: المختصر ١٦٦ والكشاف ١٧٠/٤.

(٢) معاني القرآن للقرّاء ٢١٧/٣.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب ٥٤/١.

(٤) ينظر: معاجم الأبنية ٧٤.

(٥) شرح الشافية للرضي ٣٥١/٢.

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥٧٩/٣ والكشاف ١٩٨/٤ ولسان العرب ٣٦٥/١٣ وتاج

العروس ٣٨١/٧.

وإن ناسب معناها السلسيل إذ تلحظ فيها العذوبة واللين والسهولة والجريان السريع لا يمكن الاكتفاء بها في اشتقاق السلسيل لخلوها من الباء الذي هو من أصول هذه اللفظة. ومن هنا قال الزمخشري: "زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية معناها السلسيل إذ تلحظ فيها العذوبة واللين والسهولة والجريان السريع لا يمكن الاكتفاء بها في اشتقاق السلسيل لخلوها من (الباء) الذي هو من أصول هذه اللفظة ودلت على غاية السلاسة"^(١). لكنه لم يدل على مصير الباء في وزن السلسيل أثبت فيه على حالها منبئة بزيادتها فيه فيصير وزنه (فعليل) أم تقابل بلام زائدة في الميزان كما يفعل بالحرف الأصلي فوق الثلاثة؟

والأمر الأول يلزم منه حمل اللفظة على بناء نادر في العربية والثاني يلزم منه المطابقة التامة لمذهب سيويه الذي يزن (سلسيل) ب(فعليل) حينئذ تكون دعوى الزمخشري في زيادة الباء غير نافعة في اشتقاق هذه اللفظة إذ لا فرق بين أصالتها وزيادتها في الميزان (فعليل) والحكم بأصالتها أولى.

وثمة مذهب آخر في توجيه هذه اللفظة يلحظ فيهما مراعاة جميع أحوالها من دون تكلف ولا قصور، عزي إلى الإمام علي (عليه السلام) وهو أن الكلمة مركبة من السؤال عن السيل وأصلها (سل سيلا) مركب وصار علما لتلك العين ومثلها (ذرى حبا) و(تأبط شرا) و(سر من رأى) ولا شك في حسن هذا المذهب غير المتكلف الذي يحافظ على جميع أحرف اللفظة أصولا ويفسر صرفها تفسيراً واضحاً. أما المعنى فإن السلسيل إنما سميت بذلك لأنها لا يشرب منها إلا من سأل إليها سيلا بالعمل الصالح. أما الميزان فعلى الأصليين (سل) بوزن (فل) و(سيل) بوزن (فعليل)^(٢).

(١) الكشف ١٩٨/٤ .

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ٣٠٤ والكشف ١٩٩/٤ ومجمع البيان ١٣٧/٩ وزاد المسير ٤٨/٨ .

لكن هذا لدى الزمخشري "مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى مثل علي رضي الله عنه أبدع"^(١). ولا أدري ما وجه البدعة فيه؟! بل هو مذهب أقر النحت في هذه اللفظة من كلمتين يدرك معناهما فيها هما السؤال والسبيل، أو قد تكون منحوتة من السلاسة والسبيل فأما السلاسة فهي لعذوبة ماء العين وأما السبيل فلأنها جارية، والقول بنحت الكلمات الخماسية مذهب مألوف لدى علماء العربية^(٢).

٥٣- السورة

اختلف في تأصيل لفظة (السورة) القرآنية، فذهب أبو عبيدة التميمي إلى أنها (فَعْلَة) من سور البناء وأصل معناها عرق من أعراق الحائط، والسور عند العرب حائط المدينة، وقد استعمله التنزيل دالا على الإحاطة بالشيء في قوله تعالى: "يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿الحديد: ١٣﴾" ثم سُميت سورة القرآن بذلك لأنها تحيط بقطعة مستقلة من القرآن تتألف من عدة آيات كريمة فكانها أمانة تُعرف بها تلك الآيات، أي إنها سُميت بذلك لعلو منزلتها ولارتفاعها لأنها مشبهة بسور المدينة في إحاطتها بآيات وأحكام إحاطة السور بالمدينة، والسورة في القرآن تشبه سورة البناء لأن كل بناء إنما يبنى قطعة بعد قطعة وكذلك القرآن أنزل قطعة بعد قطعة حتى اكتمل نزوله، وكل قطعة منه سورة، وهي علامة لآيات مستقلة عن غيرها، ولذا ساغ قول النابغة للنعمان بن المنذر^(٣).

(١) الكشف ١٩٩/٤.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٣٢٩/١ والمخصص ١٨٤/١٥.

(٣) ديوانه ٥٦.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
فاستعمل السورة بمعنى العلامة والمنزلة العالية ^(١).

ونقل الأزهري عن أبي الهيثم الرازي توجيهه العلاقة بين الألفاظ
الثلاثة (سُورَةٌ وَسُورٌ وَسُورٌ) غير ما وجهها أبو عبيدة فذهب إلى أن (فُعْلَةٌ)
إنما تُجمع على (فعل) بسكون العين إذا سبق الجمع الواحد نحو: صُوفَةٌ
وصُوفٌ وسُورَةٌ البناءِ وسُورُهُ، فالسُورُ جمعُ سبقٍ وحدانه، وهو اسم جنس
واحد لشيء واحد، إلا إذا أريد التفريق بينه وبين العرق منه قيل: سورةٌ كما
قيل: تمرٌ وتمرة، وأما سورة القرآن فأنَّ الله جلَّ ثناؤه جمعها على (سُور) مثل
(غُرْفَةٌ وَغُرْفٌ وَرُتْبَةٌ وَرُتْبٌ) فدلَّ هذا على إنها ليست من سورة البناء لأنها لو
كانت كذلك ل قيل "بِعَشْرِ سُورٍ"، والقراء مجموعون على قراءة (أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿هُود: ١٣﴾) في هذا الموضع بفتح الواو ^(٢) كما أجمعوا على
تسكين واو السُور في قوله تعالى ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ ﴿الحديد: ١٣﴾ فدلَّ هذا على اختلاف سورة البناء
عن سورة القرآن معنى واشتقاقا ولذا ذهب الرازي إلى أن السورة من سور
القرآن مشتقة من (أسأرت سُورًا) أي (أفضلت فضلا) لأن فيها الشرف
والفضل والرفعة وسميت سورة لإجلالها ورفعتها، فعلى هذا يكون أصلها

(١) ينظر: مجاز القرآن ٤/١ وتفسير غريب القرآن ٣٤، ٢٥ وجامع البيان ١٠٥/١ وتهذيب اللغة
٤٧/٣ والصحاح ٦٩٠/٢ ومشكل إعراب القرآن ٦٨/١ والكشاف ٢٣٩/١ والجامع
لأحكام القرآن ٦٥/١ ومدارك التنزيل ٣٠/١ ولسان العرب ٥٣/٦ والإتقان ٨٩/١
والكليات ٣/٣ وتاج العروس ١٠١/١٢ .

(٢) البحر المحيط ١٣٠/٦.

(سُورَة) وأُمِيتت الهمزة بقلبها واوا كما أُمِيتت همزة (نبيّ وبريّة) أصلهما (نبيء، بريئة)^(١).

وقيل: إن السورة مشتقة من الأصل المهموز (أسأرت) بمعنى (أبقيت) يقال منه: أسأرت في الإناء سوراً أي بقيت فيه بقيّة وسُور الشراب بقيته، والدليل على ذلك إن قريش ومن جاورها كهذيل وسعيد بن بكر وكنانة يقولون (سُورَة) بغير همز وتميم كلها وغيرهم يهمزون الواو. وإخراج السورة من (سور البناء) ليس فيه توجيه لهمز واوها أما إخراجها من (سُور الشراب) فموجه في كلتا الحالتين (سُورَة) و (سورة).

واستبعد الدكتور عودة خليل أبو عودة أن تكون السورة مشتقة من (أسأر) بمعنى أفضل أو أبقى لأنه لا وجه لتأويل ذلك مع سور القرآن الكريم وإذا كان بعض العرب يهمزون فإنها من إحدى لهجاتهم كما قال بعضهم (النبيء والنبوءة) وغير ذلك، ثم إنه رجح اشتقاق السورة من سورة البناء لأن البناء يقوم سورة بعد سورة وكذلك القرآن الكريم نزلّه الله (عز وجل) على رسوله (صلى الله عليه واله) متفرّقاً في ثلاثة وعشرين عاماً حتى اكتمل بناؤه، أما استدلال أبي الهيثم الرازي بالجمعين (سُور) لقطع الحائط و (سُور) لقطع القرآن على أن السورة ليست من سور البناء فمدفوع بورود الجمعين في معاجم اللغة التي بينت أن السورة يمكن أن تجمع على (سُور) إذا كان المقصود بها عرقاً من عروق الحائط وعلى (سُور) إذا كان المقصود بها سورة من سور القرآن الكريم. ومن قال إن السورة هي المنزلة الرفيعة فقله ليس بعيداً عن سورة البناء عندما يعلو ويصبح في نظر الناس سامياً وإذا درجة رفيعة لا يمكن اجتيازها، فيكون سمو السورة القرآنية وعلو منزلتها مستمداً من ذلك المعنى اللغوي على سبيل المجاز^(٢).

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٤٧/١٣ ومشكل إعراب القرآن ٦٨/١ والكشاف ٢٣٩/١ ولسان العرب ٥٣/٦.

(٢) ينظر: جواهر الحسان ١٨/١ وتفسير الخازن ٣٣/١ ولسان العرب ٥٢/٦ والكليات ٣/٣.

٥٤ - الشيطان

سأل سيويه الخليل عن اشتقاق (شيطان) فقال له: " إن أخذته من الشيطان فالنون عندنا في مثل هذا من نفس الحرف إذا كان له فعل يثبت فيه النون وإن جعلت شيطان من شيط لم تصرفه "(١).

ويفهم من هذا أن الخليل وسيويه جوزا اشتقاق الشيطان من الشطن والشيط يقال فيهما: شطن يشطن شطنا إذا بعد عما أمر به، والشطن الحبل الطويل الشديد الفتل. وشاط يشيط شيطاً إذا احترق وفسد وذهب خيره^(٢)، وكلا هذين المعنيين يدرك في الشيطان، فيمكن أن يقال: إنه سمي بذلك لبعده عما أمر به أو لاحتراقه في جهنم وعلى التقدير الأول يكون وزنه (فِعال) وعلى الثاني يكون (فَعْلان).

وذهب فريق من علماء العربية إلى هذا القول مجوزين اشتقاق الشيطان من (شطن) أو (شاط) معاً، فرأى الاخفش والمبرد: إن الشيطان يكون من الشطن فيصرف ويكون من (شاط) فلا ينصرف^(٣). ورأى ابن الانباري أن الشيطان إنما سمي بذلك أما لتباعده من الخير أخذاً من قول العرب: دار شطون أي بعيدة وأما لغيه وهلاكه أخذاً من قول العرب: شاط الرجل إذا هلك^(٤).

وعد ابن جني (تشيطن وتشيط) لغتين مختلفتين كل أصل بنفسها، وجوز أخذ الشيطان من كليهما فهو أما (فِعال) من (الشطن) أي البعد ك (الغيداق) و (القيام) لأنه مبعّد مقصّي، ومن هنا قيل: لعنه الله، أي أبعده وأما (فَعْلان)

(١) الكتاب: ٢١٧/٣ - ٢١٨.

(٢) ينظر: إصلاح المنطق ٥٧ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٧٩/٢ - ١٨٠ والمفردات ٢٦١ ولسان العرب ٢١٣/٩ و١٥/٥ وتوضيح المقاصد ١٤١/٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش ١٤/١ والمقتضب ١٣/٤.

(٤) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١٥٠/١.

من (التشيط) أي؛ التهب غضبا لأنّ الالتهاب في الغضب مشبه بالجنون^(١). وفي ركب هذا الفريق سار ابن خالويه وابن الحاجب وابن الأثير وابن منظور والعيني والخضري^(٢). وعلى وفق هذه الأقوال التي سلفت المسألة ليست خلافية، وإنما تهيأ سبيلان لاشتقاقها فاعتمدا أصليين من دون ترجيح أحدهما على الآخر.

لكن فريقا آخر من العلماء رجّحوا أصالة النون في (شيطان) مقدمين الأدلة على ذلك، إذ استدل ابن قتيبة بقول أمية بن أبي الصلت:

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والأكبال

على أصالة النون في الشيطان لمجيئها لاما في اسم الفاعل (شاطن)^(٣). وأخذ الطبري وابن دريد والرازي بهذا الدليل فقالوا: الشيطان لو كان فعلا من شاط يشيط لقال: أيما شائط، ولكنّه قال: أيما شاطن لأنه من شَطَنَ يَشْطُنُ فهو شاطن^(٤).

واستدل ابن السراج والفارسي بأمثلة الاشتقاق (شيطنه فتشيطن) على أصالة نون الشيطان فـ (شيطن وتشيطن) على وزن (فعل وتفعيل) وهما بنآن موجودان في العربية كـ (بيطر وتبيطر)، ولو كانت النون زائدة لكان وزنهما (فعلن وتفعّلن) وهما بنآن لم يعرفا في العربية^(٥). ونسب مكّي القيسي وابن

(١) ينظر: المنصف ١٠٩/١ - ١١٠.

(٢) ينظر: إعراب ثلاثين سورة ١٧، والإيضاح في شرح المفصل ١٤٦/١ والنهاية ٤٧٥/٢ ولسان العرب ١٠٤/١٧ وعمدة القارئ ٣٦/٦، و٢٦٨/١٢ وحاشية الخضري ١٠٣/٢.

(٣) ينظر: أدب الكتاب ٢٨٣ تفسير غريب القرآن ٢٣ والبيت في ديوان الشاعر ٢٥٨.

(٤) ينظر: جامع البيان ٣٨/١ وجمهرة اللغة ٥٨/٣ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٧٩/٢.

(٥) ينظر: الأصول ٣٤٠/٣ - ٣٤١ والحجة ١٧٩/٢.

عصفور هذا الدليل القوي إلى سيبويه قائلين إنه خلص إلى أصالة النون معتمدا على أمثلة الاشتقاق شيطنة فتشيطن^(١).

وخلو قول سيبويه المذكور آنفا مما نسب إليه القيسي وابن عصفور يدل على أنه لابن السراج، يعضد ذلك أن علماء آخرين أشاروا إلى هذا الدليل المنبئ بأصالة النون في (الشيطان) ولم ينسبوه إلى أحد^(٢).

واستدل السيرافي على أصالة نون الشيطان بمجيئها في آخر الاسم بعد ألف زائدة ودلالاتها على بناء موجود هو (فعلان) ناسبا هذا الاستدلال إلى الخليل وسيبويه^(٣) وأنكر ابن عصفور استدلال السيرافي هذا كما أنكر نسبته إلى الخليل وسيبويه فقال: " ولم يفعل ذلك سيبويه لما ذكر من أن جعل النون فيهما - دهقان وشيطان - أصيلة يؤدي إلى بناء موجود، بل لقولهم: تدهقن وتشيطن لأنه ليس في كلامهم تفعلن فدل ذلك على أصالة النون "^(٤).

ولم يقف أمر المتأخرين في هذه المسألة عند نسبة أدلة إلى سيبويه لم يقل بها البتة بل زعم الزمخشري أن سيبويه جعل نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وجعلها في موضع آخر زائدة^(٥)، ولا أثر لهذا الزعم في الكتاب الذي وصل إلينا.

وذهب فريق من المتأخرين إلى أبعد من هذا فعدوا هذه المسألة خلافية بين العلماء مرجحين الرأي القائل بأصالة النون، فابن دريد يقول: " اختلفوا في اشتقاق الشيطان، فقال قوم من أهل اللغة الشيطان من شاط يشيط وتشيط إذا لفحته النار فأثرت فيه والنون زائدة.... (ومنهم) من قال إن النون فيه

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١٤٠/١ والممتع في التصريف ٢٦١/١.

(٢) ينظر: الكشف ١٨٤/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٧٧/١.

(٣) ينظر: الكاتب ٢١٨/٣ الهامش (٢) والممتع في التصريف ٢٦١/١.

(٤) المتع في التصريف ٢٦١/١ - ٢٦٢ وينظر: ابن عصفور والتصريف ٧٧.

(٥) ينظر: الكاشف ١٨٤/١.

أصلية فهو من شطن فهو شاطن أي بُعد عن الخير" ^(١). ونسب الأزهري إلى الليث بن المظفر أنه يرى أن الشيطان (فيعال) ونسب إلى غيره أنه يراه (فعلان) كـ (هيمان وغيمان) من هام وغام ^(٢).

وفي كتاب العين المطبوع اكتفى صاحبه بالإشارة إلى السبيل المؤدي إلى أصالة النون في اشتقاق (الشيطان) وهو (شطن) ولم يشر إلى الأصل الآخر (شاط) المؤدي إلى زيادة النون في (شيطان)، ولم يشر إلى أن المسألة خلافية ^(٣). ومثل هذا فعل الرازي فقدر (شيطان) بـ (فيعال) متصلا عن ذكر التقدير الآخر ^(٤).

وقد توالى إشارات هذا الفريق من المتأخرين إلى أن المسألة خلافية بين القدماء فأقر الخلاف في اشتقاق (الشيطان) كل من: المعري والراغب الأصفهاني والطبرسي والانباري والعكبري ^(٥). حتى إذا وصلنا إلى القرن الثامن الهجري نجد المسألة خلافية مدرسية إذ نُسب إلى البصريين إنهم يرون الشيطان بوزن (فيعال) من شطن ونُسب إلى الكوفيين أنهم يرونه (فعلان) من شاط يشيط ^(٦). ثم قيل: إن البصريين استدّلوا على مذهبهم بأمثلة الاشتقاق (شيطن وتشيطن)، فهذه تدلّ على أصالة النون ولو قيل: إنها زائدة لأدى ذلك إلى وجود بناء لم يعرف، واستدلوا أيضاً بكثرة ما يجري من (الشطن) وقلة مشتقات (الشيط) واستدلوا - أيضاً - بصرف الشيطان في نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ ﴿النساء: ١١٧﴾ وقوله

(١) جمهرة اللغة ٥٨/٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٣١١/١١.

(٣) ينظر: العين ٢٣٧/٣ و ٢٧٥/٦.

(٤) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٧٩/٢.

(٥) ينظر: رسالة الملائكة ٢٤٩ والمفردات ٢٦١ ومجمع البيان ٣٧/١ والبيان في غريب إعراب

القرآن ١٧٧/١ والبيان للعكبري ٤/١.

(٦) ينظر: المجيد ٨٩ وائتلاف النصرة ٩٢ - ٩٤.

تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١)
 ﴿الزخرف: ٣٦﴾ على أصالة النون. وأما منعه من الصرف في قول الشاعر^(٢):
 لقد منّت الخذواء منا عليهم وشيطان إذ يدعوهم ويثوب

فوجه بأنه ضرورة شعرية وقيل: إنما، قصد بـ (شيطان) اسما لقبيلة ولذا
 منعه الإجراء^(٣). وإن الكوفيين استدلوا بقلّة (فيعال) وكثرة (فعلان)، والحمل
 على الأكثر أولى العربية. وباقتران الشيطان بالنار في بعض المواضع من التنزيل
 العزيز كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا
 لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ٥).

وأثبتت الدراسات اللغوية المقارنة بين الجزريات التي نهض بها المحدثون
 أصالة النون في (شيطان) وزيادة الياء فيه إذ تبين أن هذا اللفظ من الألفاظ
 العربية القديمة إذ هو في العربية القديمة (zzz، Stanz)، وفي الحبشية (saytan)
 وفي العبرية (Saten) بمعنى عدو وقد ثبتت النون في الجزريات ولم تثبت الياء
 في اللفظ فهذا دليل على أصالة النون وزيادة الياء في اللفظ العربي^(٤).

ورجح عودة خليل أبو عودة أن يكون (الشيطان) من الشطن بأدلة
 أهمها^(٥): غلبة جريان تصاريف (شطن) في العربية وندرة تصرف (شيط) فيها
 ومما ورد مشتقا من (شطن) ما جاء في قول الرسول (صلى الله عليه واله): "

(١) في أسماء الخيل وفسانها لابن الإعرابي ص ٥ - ٦، هو شيطان بن الحكم بن جاهمة بن
 حراق، فرسه: الخذواء، قال فيها يوم محجر: من أخذ من ذنب الخذواء شعرة فهو آمن.
 فقال طفيل:

لقد منّت الخذواء منا عليهم وشيطان إذ يدعوهم ويثوب

(٢) ينظر: الحجة للفارسي ١٧/٢ ورسالة الملائكة ٢٤٩ ولسان العرب ١٠٥/١٧.

(٣) ينظر: التطور النحوي ٢٢٦ وغرائب اللغة العربية ٢١٢ - ٢١٣ والزينة في معاني الكلمات
 ١٨١ - ١٨٠.

(٤) ينظر: التطور الدلالي ٤٧٧ - ٤٧٨.

كل هو شاطن في النار". فضلا عن ظهور مناسبة الاشتقاق بين الشيطان والبعث في التنزيل العزيز اذ وصف عمل الشيطان بأنه إغواء للناس وإبعادهم عن الحقيقة وطريق الحق وصددهم عن سبيل الله، يدل على هذا قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ﴿المائدة: ٩١﴾ وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿النور: ٢١﴾. فعلى هذا يكون اشتقاق الشيطان من الإبعاد عن الخير والميل عن طريق الحق أقرب إلى الحقيقة من اشتقاقه من معنى الاحتراق لأن عمل الشيطان هو إبعاد الناس عن سبيل الله والذي يبعد الناس عن سبيل الحق يكون هو نفسه بعيداً عنه أما مسألة الاحتراق فهي موضوع مؤجل إلى يوم القيامة إذ يحاسب كل مخلوق على ما قدمت يداه.

٥٥ - الصابئون

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿البقرة: ٦٢﴾.

ولا خلاف بينهم في إن الصابئين جمع (صابئ)، وهو المستحدث دينا غير دينه، كالمترد من أهل الإسلام عن دينه. وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره، تسميه العرب: "صابئاً"^(١). ولكن أهل التأويل اختلفوا فيمن يلزمه هذا الاسم من أهل الملل. فقال بعضهم: يلزم ذلك كل من خرج من دين إلى غير دين، فالصابئ تعبير مطلق يستعمل حتى مع المترد عن الإسلام. على

(١) جامع البيان ١٥٥/٢.

حين خصص أكثر أهل التأويل مدلول اللفظ بقوم معلومين واختلفوا في تعيينهم، فقال مجاهد والحسن وابن أبي نجيح: الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم. وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. وقال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب. خيال منصف النهار، ويزعمون أنهم على دين نوح. وقال ابن زيد: الصابئون هم أهل دين من الأديان كانوا بالجزيرة: جزيرة الموصل، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله "ص"، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه: هؤلاء الصابئون: يشبهونهم بهم. وقال آخرون: هم طائفة من أهل الكتاب ^(١). ومعظم الفقهاء يجيزون أخذ الجزية منهم. وعند الإمامية لا يجوز ذلك، لأنهم ليسوا من أهل الكتاب ^(٢).

ثم اختلف اللغويون في تأصيل المفرد (صابئ) من أصل مهموز هو أم من ناقص واوي؟ فذكروا في الجذر الذي اشتق منه اللفظ ثلاثة أقوال؟
الأول: الصابئ من صبأ ناب البعير صبوءاً: طَلَعَ حَدَهُ. وَصَبَاتُ ثِيَّةُ الغلام: طَلَعَتْ. وَاصْبَأَ النجمُ، أي: طَلَعَ الثريا ^(٣). قال الشاعر يصف قحطاً ^(٤):

وَأَصْبَأَ النجمُ فِي غِبْرَاءِ مُظْلَمَةٍ كَأَنَّهُ بَائِسٌ مُجْتَابٌ أَخْلَاقِ
وبلحاز معنى الخروج عن الأصل والظهور قال أبو عبيدة: "صبأت من دينك إلى دين آخر إذا خرجت كما تصبأ النجوم، أي تخرج من مطالعها" ^(٥)،

(١) جامع البيان ١٥٥/٢ والتيان للطوسي ٢٨٠/١ ومجمع البيان ٢٢١/١ والمحزر الوجيز ١٥٦/١ النكت والعيون ١٢١/١ إرشاد العقل السليم ١٢٩/١ ومعالم التنزيل ١٢٤/١ وأنوار التنزيل ٨٤/١ وتفسير الرازي ٥٣٦/٣ وزاد المسير ٧٢/١ والدر المصون ٤٠٧/١.

(٢) التبيان ٢٨١/١ ومجمع البيان ٢٢٢/١.

(٣) الصحاح (صبأ).

(٤) لم أقف على قائله، وهو من شواهد الجوهرى (صبأ) وديوان الأدب ٢٢٣/٤.

(٥) مجاز القرآن ٤٣/١.

وصباً أيضاً، إذا صار صابئاً. والصابئ "هو من انتقل من دينه إلى دين آخر كالمرتد من أهل الإسلام. وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر يسمى صابئاً"^(١). وفي قراءة الجمهور (الصابئون) بهمزة دليل على إنه جمع صابئ وهو اسم فاعل صباً مهموزاً أي ظهر وطلع، يقال صباً النجم أي طلع وكأن معنى الصابئ من هذا الجذر: التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره: كما قال: ان الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها. فالدين الذي فارقه هو تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم، أو تغطيتها^(٢).

الثاني: الصابئ من الناقص (صبا يصبو) ومنه الصبي: الغلام، والجمع صبيةً وصبيانٌ ويقال: صبي بين الصبا والصباء. والصبا أيضاً من الشوق، يقال منه: تصابى. وصبا يصبو صبوةً وصبوءاً، أي مال إلى الجهل والفتوة^(٣). ونقل عن نافع أن الصابئ "مأخوذ من قولهم: صبا يصبو إذا مال إلى الشيء، وأحبه ولذلك لم يهمز قال الشاعر^(٤):

... صبوت أبا ذيب وأنت كبير"^(٥).

واشتقاق اللفظ من «صبا يصبو» إذا مال ملائم لمعناه عند العرب الوثنيين الذين كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابئاً؛ لأنه أظهر ديناً خلاف أديانهم، فالصابي كالغازي أصله: (صَابُو) فاعل كإعلان غازٍ، ولذا قرأ نافع وأهل المدينة^(٦) (الصابيون) بياء ساكنة على أنه جمع صابٍ مثل رام على أنه اسم فاعل من صبا يصبو إذا مال. لأن أهل هذا الدين مالوا عن كل

(١) التبيان للطوسي ٢٨٠/١.

(٢) التبيان للطوسي ٢٨١/١ ومجمع البيان ٢٢٢/١.

(٣) الصحاح (صباً).

(٤) لأبي ذؤيب الهذلي، وتماه: ديار التي قالت غداة لقيتها صبوت أبا ذئب! وأنت كبير

(٥) التبيان للطوسي ٢٨١/١.

(٦) الكشف والبيان ٢٠٢/١ ومجمع البيان ٢٢٢/١ والمحزر الوجيز ١٣٦/١ والنكت والعيون

١٣١/١ وتفسير اللباب ٥٤/٤ والجامع لأحكام القرآن ٤٣٢/١ وفتح القدير ٩٣/١.

دين إلى دين عبادة النجوم أو لأنهم مالوا عن دين الفطرة السليمة إلى غيره. وقيل إنما خَفَّف نافع همزة (الصابين) فجعلها ياء مثل قراءته ﴿سَالَ سائل﴾ ﴿المعارج: ١﴾، ومثل هذا التخفيف سماعي لأنه لا موجب لتخفيف الهمز المتحرك بعد حرف متحرك^(١). وكان نافع يهمز النبيين ويخفف الصابئون والخطئون، وأسند أبو عبيد إلى ابن عباس قوله لنافع: ما الصَّابئون إنما هي الصابئون، فقد اجتمع في قراءة نافع همز (النبيين)، وترك همز (الصابئين)^(٢). ورد أبو علي الفارسي هذا الاشتقاق وقال: "هذا ليس بجيد، لأنه قد يصبو الانسان إلى دين فلا يكون منه مدين به مع صبوه اليه فاذا كان هذا هكذا، وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي اخذ عليهم إلى سواء، وجب ان يكون مأخوذا من صبات الذي هو الانتقال"^(٣).

ويلزم من اشتقاق الصابي من أصل لامة واو أن تكون الهمزة في (الصابئون) منقلبة عن واو وهي طرف وقلب الهمزة على هذا الحد، لا يجيزه سيويه إلا في الشعر فلا قياس يعضده ولا سماع شائع يؤيده، وأجازه بعضهم على لغة لا تقوى على حمل ألفاظ التنزيل العزيز عليها. ومن أجاز ذلك أبو زيد. وحكي عنه انه قال لسيويه: سمعت قرئت وأخطيت؟ قال فكيف تقول في المضارع؟ قلت: اقرأ. فقال حسبك أو نحو هذا. أي إن سيويه استدل بقرائن الاشتقاق الأخرى على أن أصل اللغة (قرئت) هو قرأت وتسهيل الهمز لغة ضعيفة لأن قرئت مع اقرأ لا ينبغي، فلا يجوز ان تغير بعض الأمثلة دون بعض. فدل على ان القائل لذلك غير فصيح، فانه غلط في لغته^(٤).

ولذا تلمس ابن عادل وجها آخر لتوجيه قراءة (الصابيون) وهو أن يكون الصابي مأخوذا من المهموز فأبدل من الهمزة حرف علة إما ياء أو واو،

(١) التحرير والتنوير ٥٣١/١ وروح المعاني ٢٨٠/١.

(٢) تفسير اللباب ٥٣/٤.

(٣) الحجة في القراءات ٨٣ والبيان للطوسي ٢٨٢/١.

(٤) الحجة في القراءات ٨٤ والبيان للطوسي ٢٨٢/١.

فصار من باب المنقوص مثل (قاض أو غاز)، والأصل: صاب، ثم جمع كما يجمع القاضي أو الغازي، إلا أن سيبويه لا يرى قلب هذه الهمزة إلا في الشعر، والأخفش وأبو زيد يريان ذلك مطلقاً.

وجمع الفراء ^(١) الجذر المنقوص (صبا يصبو) إلى المهموز فرأى أن المنقوص مخفف من المهموز وكلاهما بمعنى الميل: "يُقال لكل من أحدث ديناً: قد صباً وأصبأ بمعنى واحد، وأصله الميل، وأنشد:

إذا أصبأت هواذي الخيل غناً حسبت بنحرها شرق البعير" ^(٢)

الثالث: "زعم بعض علماء الأفرنج أنهم سموا صابئة لأن دينهم أتى به قوم من سبأ" ^(٣). واستظهر ابن عاشور أن يكون أصل كلمة الصابئ أو الصابئة أو ما تفرع منها هو لفظ قديم من لغة عربية أو سامية قديمة هي لغة عرب ما بين النهرين من العراق ^(٤) وفي (دائرة المعارف الإسلامية) أن اسم الصابئة مأخوذ من أصل عبري هو (ص ب ع) أي غطس عرفت به طائفة (المنديا) وهي طائفة يهودية نصرانية في العراق يقومون بالتعميد كالنصارى ^(٥). "وجامع أصل هذا الدين هو عبادة الكواكب السيارة والقمر وبعض النجوم مثل نجم القطب الشمالي وهم يؤمنون بخالق العالم وأنه واحد حكيم مقدس عن سمات الحوادث غير أنهم قالوا: إن البشر عاجزون عن الوصول إلى جلال الخالق فلزم التقرب إليه بواسطة مخلوقات مقربين لديه وهي الأرواح المجردات الطاهرة المقدسة وزعموا أن هذه الأرواح ساكنة في الكواكب وأنها تنزل إلى النفوس الإنسانية وتتصل بها بمقدار ما تقترب نفوس البشر من طبيعة الروحانيات فعبدوا الكواكب بقصد الاتجاه إلى روحانياتها

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٠٢/٣ .

(٢) الكشف والبيان ٢٠٩/١ .

(٣) التحرير والتنوير ٥٣١/١ .

(٤) التحرير والتنوير ٥٣٢/١ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٥٦٧/٥ .

ولأجل نزول تلك الروحانيات على النفوس البشرية يتعين تزكية النفس بتطهيرها من آثار القوى الشهوانية والغضبية بقدر الإمكان والإقبال على العبادة بالتضرع إلى الأرواح وبتطهير الجسم والصيام والصدقة والطيب وألزموا أنفسهم فضائل النفس الأربع الأصلية (وهي العفة والعدالة والحكمة والشجاعة) والأخذ بالفضائل الجزئية (المتشعبة عن الفضائل الأربع وهي الأعمال الصالحة) وتجنب الرذائل الجزئية وهي أضرار الفضائل وهي الأعمال السيئة^(١).

والصائبون الآن قوم معروفون في جنوب العراق والأحواز لهم مذهب ينفردون به، من عبادة النجوم. وهم مقرون بالصانع وبالمعاد و ببعض الانبياء. ويتبعون يحيى المعمدان ويؤدون طقوسهم العبادية في مجاري الأنهر العذبة. وفي اللغة: صبأ الرجل إذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزينهم عن نهج الأنبياء قيل لهم: الصابئة. وقد يقال: صبأ الرجل إذا عشق وهوى، وهم يقولون: الصبوة هي الانحلال عن قيد الرجال وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين والصابئة تدعي أن مذهبها هو الاكتساب والحنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة فدعوة الصابئة إلى الاكتساب ودعوة الحنفاء إلى الفطرة^(٢).

٥٦- الصراط

ذهب فريق من علماء العربية إلى أن الصراط لفظة عربية الأصل وأنها (فعال) من (السرط) أي بلع الطعام، فكأن الصراط إنما "سمي بذلك لأنه يسترط الناس أي يبلعهم. وقيل للطريق صراط لأنه يسترطهم فيذهب بهم....

(١) التحرير والتنوير ٥٣٤/١.

(٢) الملل والنحل ٤/٢ - ٥.

واستطرد معناه ابتلع ومنه السرطراط وهو طعام يتتلع من غير مضغ^(١). أي إن فاء اللفظة مبدلة من السين، وقد سمعت اللفظة بثلاث لغات هي: صراط وسراط وزراط^(٢)، ونقل الرازي والسيوطي عن كثير من القدماء فقهاء ولغويين ذهابهم إلى أنها معربة ومعناها الطريق بلغة أهل الروم^(٣).

ورجح الدرس المقارن عدم أصالة (الصراط) في العربية فتبين لحسين الهمداني وبرجستراسر وحلمي خليل أبي عودة أن أصل اللفظ في اللاتينية (strata سطرطا) أخذته اليونانية ثم دخل مع الحكم الروماني في الآرامية فالسريانية فصار فيهما (أسطراطيا) ومنها أخذته العرب، أي أن لفظه (الصراط) في العربية ليست سوى الصورة النهائية للاتينية strata التي تعني الطريق^(٤).

واستدل الدكتور حلمي خليل بعدم وجود مشتقات واضحة لللفظة (الصراط) في العربية على أن اللفظة عرّبت قبل الإسلام أما مادة (سرط) التي أقحمت فيها هذه اللفظة فلا يمكن أن تقبل أصلاً (صراط) لكثرة اشتقاقات السرط (بالسين) مما يؤكد عدم أصلتها في العربية. فأن قيل: إن صاد (الصراط) هي السين المطبقة في (سرط) يبقى ضعف الدلالة على السرط في (الصراط) ينبئ بالأصل الغريب الذي وفدت منه اللفظة إلى العربية^(٥).

واستدل الدكتور خليل أبو عودة على عدم أصالة اللفظة في العربية بأنها "لم ترد في الشعر الجاهلي بهذا اللفظ وإن كان هذا ليس كافياً فإن كثيراً من

(١) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢١٧/٢ وينظر: شرح المفصل ٥٣/١٠ ولسان العرب ٢١٣/٦.

(٢) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢١٦/٢ والإبدال ١٨٧/١ والمزهر ٤٧٥/١.

(٣) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢١٥/١ والانتقان ٣٨/١.

(٤) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢١٦/١ (هامش ٥) والتطور النحوي ١٥٤ والمولد ١٤٠ والتطور الدلالي ٤٦٤.

(٥) ينظر: المولد ١٤٠.

الكلمات المعربة ذُكرت أحياناً في أشعارهم والكلمة المعربة يمكن أن تنتشر على ألسنة الناس وتخضع للظواهر اللغوية التي تصطنعها اللغة ولكن كلمة الصراط ظلت غريبة على ألسنة العرب قبل نزول القرآن وبعده ولم يذكر لها اشتقاق في معاجم اللغة المعتمدة^(١).

ولا غرو من اشتقاق الصراط من الجذر (صرط) الذي يعني بلع الطعام فالموءى نفسه بين بلع الطعام والمرور على الصراط الذي هو طريق باتجاه واحد لا رجعة منه تماماً كسرط الطعام.

٥٧- صُرْهَنْ

اختلف في لفظة (صُرْهَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَاخْذُ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠) هل هي عربية، أو معربة؟ فنقل الطبري وغيره عن فريق من أهل التأويل أنها معربة من النبطية و(صرى) يعني الشقق في النبطية^(٢). والجمهور على أنها عربية، لا معربة وهي فعل أمر. ثم اختلفوا في تأصيله عربياً على ثلاثة أقوال:

الأول: أن (صرهن) أمر من الأجوف الواوي (صاره يصوره) مثل (قاله يقوله) وحذفت عينه (الواو) لالتقاء الساكنين لما جزم آخره للأمر وبقيت ضمة الصاد دالة على الواو المحذوفة. وقرأ حمزة والكسائي هذا الحرف (صرهن) بكسر الصاد وهو من الأجوف اليائي (صاره يصيره)، وفي الفرق بين القراءتين، أقوال فنقل عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد:

(١) التطور الدلالي ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٢) ينظر: جامع البيان ٥٩٣/٥ - ٥٠٤ وتفسير ابن أبي حاتم ٥١١/٢ - ٥١٢.

صُرْهَنْ بالضم: بمعنى قَطَعَهُنَّ، يقال صار الشيء يصوره صوراً، إذا قطعه، قال رؤية يصف خصماً ألد^(١):

صُرْنَاهُ بِالْحُكْمِ وَيَبْغِي الْحُكْمَا

أي: قطعناه. وهذا القول لا يحتاج إلى إضمار. ونُقل عن عطاء: معناه اجمعهن، واضمهنَّ إليك، يقال: صار يصور صوراً، إذا اجتمع، ومنه قيل لجماعة النحل: صور. وهذا القول يحتاج إلى إضمار فعل القطع بعد الفعل على الجمع. وذهب الفراء إلى إن (صاره يصوره) يجمع المعنيين (القطع والميل)، والأجوف اليائي معناه القطع دون الإمامة^(٢). وقال الأخفش: معنى (صُرْهَنْ): وجههنَّ، ومعنى (صِرْهَنْ) قَطَعَهُنَّ وشَقَّقَهُنَّ^(٣). وذهب الفارسي إلى القراءتين بمعنى واحد، وذلك أنه يقال: صاره يصوره ويَصِيرُهُ، بمعنى قطعه، أو أماله، فاللغتان لفظٌ مشتركٌ بين هذين المعنيين، والقراءتان تحتملهما معاً^(٤).

الثاني: أن يكون (صُرْهَنْ) أمر من الأصل (صرر) بمعنى قطع ونقل عن أبي العباس المقرئ قوله: "ورد لفظ الصرّ في القرآن على ثلاثة أوجه: الأول: بمعنى القطع؛ كهذه الآية، أي: قَطَعَهُنَّ إليك..."^(٥). وعضد هذا القول بقراءة ابن عباس (فَصُرْهَنْ) بتشديد الراء، مع ضم الصاد من: صرّه يَصْرُهُ، إذا جمعه^(٦). فيكون أصل (صُرْهَنْ) في هذا القول (اصررهنَّ) وحذفت الراء الأولى هروبا من توالي الأمثال ونقلت ضمتها إلى الصاد قبلها فاستغني عن

(١) ديوانه ١٢٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/١٧٤.

(٣) معاني الأخفش ١/١٩٩.

(٤) السبعة في القراءات ١/١٨٩.

(٥) تفسير اللباب ٤/٣٧١-٣٧٢.

(٦) ينظر: السبعة في القراءات ١/١٨٩.

همزة الوصل فصار (صرهنّ) وهو محذوف العين أيضا ولكنه من (الصرّ) لا (الصور).

الثالث: أن يكون (صرهنّ) من الناقص الواوي (صراه يصروه) بمعنى قطعه، ونقل هذا عن الفراء أيضا أنه قال: (صَاه) مقلوبٌ من قولهم: "صَرَاهُ عَنْ كَذَا"، أي: قطعه عنه، ويقال: صُرْتُ الشيء، فانصار، أي: انقطع؛ قالت الخنساء^(١):

فَلَوْ يَلَاقِي الَّذِي لَاقَيْتُهُ حَضِنٌ لَظَلَّتِ الشُّمُّ مِنْهُ وَهِيَ تَنْصَارُ
أي: تنقطع. والذي يدل على جواز اشتقاق (صرهنّ) من أصل معتل اللام قراءة (صُرْهِن) بفتح الصاد، وتشديد الراء مكسورة؛ وهي محكية عن عكرمة؛ بمعنى فاحبسهنّ، من قولهم: صَرَى يُصَرِّي: إذا حبس، ومنه الشاة المصرة^(٢). ووصف المبرد هذا القول بأنه "لا يصح؛ لأنّ كل واحد من اللفظين أصل بنفسه فرع على الآخر"^(٣).

وواضح عدم الاتساق في المعنى بين (صرهنّ) المؤصل بمعنى القطع وتعديته بـ(إلى) التي تدل على التوجه لأن القطع لا جهة له، ولذا تجبّطوا في التوفيق بين الفعل (صرهنّ) وحرف التعدية (إلى) فعمدوا إلى تقدير محذوفات فالذين فسروا (فَصُرْهِن) بمعنى: أَمْلَهُنَّ قَدَّرُوا محذوفاً بعده تقديره: فأملهنّ إليك، ثم قَطَّعْن، والذين فسروا (صرهنّ) بقطَّعن قَدَّرُوا محذوفاً يتعلّق به (إلى) تقديره: قَطَّعْن بعد أن تميلهنّ إليك. وقال العكبري: "والأجود عندي أن يكون (إليك) حالاً من المفعول المضمر تقديره: فقطَّعن مقربةً إليك، أو ممالّة، أو نحو ذلك"^(٤).

(١) لم أجده في ديوانها، وهو في الأضداد للأصمعي ٣٣ وأضداد ابن السكيت ١٥٧ واضداد الأنباري ٢٣ ولسان العرب (صور).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٠١.

(٣) تفسير الباب ٤/٣٧١.

(٤) التبيان للطوسي ٢/٣٢٧.

وكان اللغويون أكثر إقناعاً من المفسرين في تأصيلهم اللفظة فقد أطبقوا على إن معنى صُرْهُنَّ إِلَيْكَ: أَمِلْهُنَّ واجمعهن، يقال رجل أصور، أي: مائلُ العنق، ويقال: صار فلان إلى كذا، إذا قال به، ومال إليه. ويقال: صُرْتُ إِلَيَّ الشيءَ وَأَصْرْتُهُ إذا أَمَلْتَهُ إِلَيْكَ، وَالصَّوْرُ بالتحريك: الميل. ورجل أصورَ بَيْنَ الصَّوْرِ أي مائل، وفي رأسه صَوْرٌ أي مِيلٌ^(١). ومن ثم قال الزجاج: قال أهل اللغة معنى صُرْهُنَّ إِلَيْكَ أَمِلْهُنَّ واجمعهن إِلَيْكَ^(٢)، وأنشد^(٣):

وجاءتْ خُلْعَةٌ دُهَسٌ صَفَايَا يَصُورُ عَنْوَقَهَا أَحْوَى زَنِيمٌ
أَي يَعْطِفُ عَنْوَقَهَا تَيْسٌ أَحْوَى.

ومجيء (صار يصور) دالا على القطع يعد من القليل النادر لدى اللغويين فقد ذكره الجوهري معنى جانبياً للفعل فقال: "صار وصُرْتُ الشيءَ أيضاً قطعته وفصلته"^(٤) ويبدو أنه مجاز من المعنى الأصلي الذي هو الميل وأكثر ما يكون ظاهراً في النبات الطري الذي يمال فيقطع من شدة الميل به نحو الأسفل ثم يستعار للأحياء بمعنى القتل والهلاك.

فالأولى أن يكون الفعل (صرهن) بمعنى الإمالة والتوجيه لا بمعنى القطع والذبح فهذا المعنى ملحوظ لاحقاً في سياق الآية بعد الفعل ذكر (صرهن) وذلك في قوله تعالى: (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا). وفائدة ذكر الفعل الدال على الإمالة والاستحواذ تتضح في أن يتأمل إبراهيم فيها، ويعرف أشكالها، وهيئاتها؛ لئلا تلبس عليه بعد الإحياء، ولا يتوهم أنها غير تلك، فالمراد بـ (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) هو الإمالة والتمرين على الإجابة، وتعلمها،

(١) ينظر: العين ١٤٩/٧ - ١٥٠ وجمهرة ٧٤٥/٢ وتهذيب اللغة ١٥٩/١٢ ولسان العرب (صور).

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٦/١ ومعاني القرآن للنحاس ٢٨٦/١.

(٣) في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨١/١ وأمالى القالي ٥٢/٢، ثم في لسان العرب (ظأب) (ظأب) (صور) (دهس) (خلع) (صوع) (عنق) (زنم).

(٤) الصحاح (صور).

أي: فعود الطير الأربعة، بحيث تصير إذا دعوتها، أجابتك. والغرض منه ذكر مثال محسوس في عود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة وأنكر القول بأن المراد منه: فقطعهن، ومن ثم لا مسوغ لخطلهم وعنائهم في اشتقاق الفعل من أصول بعيدة اشتقاقا عن تأصيله ولا ربط بينها وبين الفعل خلا إنها يلحظ فيها معنى القطع الذي أصروا على استظهاره في الفعل على الرغم من إن سياق التعبير القرآني لا يدل عليه بل يدل على التأمل والتمرن والدربة ثم يأتي التقطيع لاحقا مصدرا بالأداة (ثم) التي تفيد التواني والتراخي ويأتي بعدهما فعل الدعاء مصدرا بـ(ثم) أخرى للتدليل على إن القصة لم تحصل فجأة بل على مكث وفي مهل.

٥٨- الصفا

اختلف في الصفا الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)، فقال الطبري: "الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الملساء ومنه قول الطرماح^(١):

أبى لي ذو القوى والطول ألا يؤبس حافرأبداً صفاتي"^(٢)

ورجح الخالفون هذا الرأي قائلين: الصفا اسم لكل جنس لا يخلطه غيره من طين أو تراب واشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص وأصله من الواو، و(الصفا) اسم جنس مفردة (صفاة) كـ (حصاة وحصى) و (نواة ونوى). وقد استعمل المفرد (صفاة) في فصيح الكلام كقول امرئ القيس^(٣):

(١) ديوانه ١٣٤.

(٢) جامع البيان ٤٣/١.

(٣) ديوانه ٧٦. يريد أن عجز فرسه ملساء ليس بها فرق وهو إشراف أحد الوركين على الأخرى يقال فرس أفرق وذلك عيب، والجحاف هو مجاحفة السيل الصخرة. ينظر: المعاني الكبير لابن قتيبة الدينوري ٣٦.

لها عجزٌ كصفاء المسيل أبرزَ عنها جحافٌ مضر^(١)
 وذكر الطبري مذهباً آخر في (الصفاء) قيل فيه: إنه " واحد وإنه يشي
 صفوان ويجمع أصفاءً وصفيًا وصفيًا. واستشهدوا على ذلك بقول الراجز^(٢):
 كأن متنيه من النفي مواقع الطير على الصفي
 وقالوا: هو نظير عصا وعصي ورحى ورحي وأرحاء^(٣)، أي إن الصفا
 هذا المذهب مفرد، فيكسر في القلة على (أصفاء) بزنة (أفعال) وفي الكثرة
 على (صفي وصفي) بزنة (فُعول). وأشار فريق من العلماء إلى هذا المذهب
 من دون عزو إلى صاحبه، ثم إنهم لم يجدوا في تثنية (صفا) وجمعه دليلاً على
 إن اللفظ مفرد بل رأوا أنه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء واسم
 الجنس إن كان على (فعل) يحمل على المفرد فيكسر ويشي كما يفعل بالمفرد
 الموازن له^(٤).

٥٩ - الصفوان

اختلف في الصفوان الوارد في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا
 صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ
 عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ﴿البقرة: ٢٦٤﴾. فعزي
 إلى الكسائي أن (صفوان) واحد يجمع على (صفوان وصفي وصفي

(١) ينظر: مجمع البيان ٢/٤٢ والبحر المحيط ١/٥٤٤ والمجيد في إعراب القرآن ٤٣٦ والدر
 المصون ٢/١٨٨ والمصباح المنير ٣٤٤ وابن خالويه ١٦٩.

(٢) يصف ساقياً يستقي ماء ملحاً، فشبه ما قطر على ظهره من الماء الملح ويس بذرق الطائر
 إذا يس على الصخرة الملساء وابيض. ينظر: مجالس ثعلب ٤٤.

(٣) جامع البيان ١/٤٣.

(٤) ينظر: مجمع البيان ٢/٤٢ ولسان العرب ١٩/١٩٧ والبحر المحيط ١/٥٤٤ والدر المصون
 ٢/١٨٨ والمصباح المنير ٣٤٤ وابن خالويه ١٦٩.

وأَصِفَ^(١). وذهب فريق من خالفه إلى إنَّ (صَفَوان) اسم جمع مفردة (صفوانة)^(٢). ونسب ابن عطية والقرطبي هذا الرأي إلى المبرد ثمَّ إنَّهما أشارا إلى أنَّ بعضهم يرى أنَّ المفرد (صفوانة)^(٣). ورجَّح النحاس أنَّ يكون صفوان واحدا مستدلاً بعود الضمير عليه في الآية مفردا مذكرا، - لكنه وإن لم يستبعد تذكير اسم الجنس - مسلم بإفراد (صفوان) "لأنَّ الشيء لا يخرج عن بابه إلا بدليل قاطع"^(٤).

ولم يوافق النحاس الكسائي في عدّه: صِفَوان وصِفِيّ وصِفِيّ وأَصِفِ جموعا للمفرد (صفوان). بل عد (الصفوان والصفاء) مفردين وما يكسر على هذه الجموع منها هو (الصفاء) فيقال: (صفا صِفَوان) كـ (أخ إخوان) و (ورل ورلان) ويقال (صفا صِفِيّ) كـ (عصا عَصِيّ) و (قفا قَفِيّ)^(٥).

ويستدعي القياس في العربية أنَّ يكون (صفا) اسم جنس كـ (حجر وحصي) ونحوهما من الألفاظ الدالة على الأجناس المجتمعة التي يميّز واحدتها بالثاء فيقال: (صفاة) كـ (حجرة وحصاة)، وقد ورد في التنزيل تكسير (فَعَلَ) على (فُعُول) كالشحوم واللحوم، أو على (أفعال) كالأشعار والأوبار، فعلى هذا تكون الجموع (صِفِيّ، صِفِيّ، أَصْفَاء، أَصْف) جاريه في (صفا) على هذا الباب غير المطرّد في التنزيل. أما (صفوان) فينبغي ألّا يقرن بحثه بـ (الصفاء) وجموعه التي خلت من النون، لأنَّهم أجمعوا على إنَّ الجمع يردّ الأشياء إلى

(١) ينظر: جامع البيان ٦٥/٣ وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/١ والمحزر الوجيز ٢٣٤/٢ والبيان للعكبري ١١٧/١ والجامع لأحكام القرآن ٣١٣/٣ والبحر المحيط ٣٠٢/٢ وفتح القدير ٢٥٦/١.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ٨٢/١ ومعاني القرآن للأخفش ٢٨٧/١ وجامع البيان ٦٥/٣ وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/١ والمحزر الوجيز ٢٣٤/٢ وإرشاد الساري ١٩/٧ وفتح القدير ٢٥٦/١ وابن خالويه ١٦٩.

(٣) ينظر: المحزر الوجيز ٢٣٤/٢ والجامع لأحكام القرآن ٣١٣/٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/١.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/١ - ٣٣٥.

أصولها فلا يجوز أن يدعى خلاف هذا الإجماع فيقال: إن (صفيّ وأصفاء وأصف) جموع مفردهما (صفوان). والأظهر أن يكون صفوان اسم جنس بمعنى (الصفاء) وليس مفرداً ومثله (إنسان) بمعنى (ناس) وإنما عاد الضمير عليه مفرداً كما عاد على الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿العنكبوت: ٨﴾.

٦٠- الصلاة

اختلف في تأصيل الصلاة، أفعلّة من الصلّوين أو الصلي أو (علّفة) من الوصل؟ فالكثيرون على أنها مشتقة من الصلّوين وهما العظمان النائتان على جانبي العجز والواحد (صلا) لان المصلي يحركهما عند الصلاة، ومعنى (صلى) حرّك صلّويه، فعلى هذا يكون أصل اللفظة (صلوة) بزنة (فعلّة) وأعلّت الواو بقلبها ألفاً لتحركها وسبقها بالفتح^(١).

وفسر المديني اشتقاق الصلاة من الصلا ومن ثمّ تعميم دلالة اللفظة في الإسلام قائلاً: " الصلاة في اللغة: التعظيم وسميت الصلاة صلاة لما فيها من حني الصلا وهو وسط الظهر لأنّ انحناء الصغير للكبير إذا رآه تعظيم منه له في العبادات ثمّ سموا قراءته صلاة إذ كان المراد من عامة ما في الصلاة تعظيم الرب سبحانه وتعالى فأتبعوا عامة الأقوال والأفعال الانحناء وسموها باسمه ثمّ توسعوا فسموا كل دعاء صلاة^(٢).

ولما وجد بعضهم بعد المناسبة بين معنى الصلاة الآن - إذ هي بمعنى الدعاء والطلب والرحمة واللزوم - وبين معنى الصلّوين ذهب إلى أن الصلاة

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٣٢/١ وجمهرة اللغة ٨٨/٣ و٢٦٠ وتهذيب اللغة ١٢ والفروق اللغوية ٥٧ والكشاف ١٣١/١ ونتائج الفكر ٥٧-٥٨ ولسان العرب (صلو) والكيليات ١٠٤/٣.

(٢) المجموع الغيث ٢٨٥/٢-٢٨٦.

مشتقة من الوصول والصلة لأنَّ الأصل (وصل) يفيد الدلالة على هذه المعاني فائدة أبين من (الصلا) لأن الصلاة تصل الإنسان بخالقه، ولذا عد الصلاة بزنة (علفة) من (وصل) وأصلها (وصلة) ثمَّ قلبت الفاء إلى موضع اللام فصار (صلوة) ثمَّ أعلت الواو بقلبها ألفاً^(١).

وثمة مذهب ثالث في اشتقاق الصلاة قيل فيه إنَّ أصلها "من الصلا ومعنى صلى الرجل أزال عن نفسه بهذه العبادة الصلاء الذي هو نار الله الموقدة وبناء صلى كبناء مرض لإزالة المرض"^(٢). والراجح اشتقاق الصلاة من لفظ (الصلوين) لوضوح سبيله من هذا الأصل وتعسُّفه من الأصل وصل، ثمَّ إنَّ تصارييف اللفظة الأخرى تدل على ذلك كـ (صلى يصلي مصلي) وغيرها، إذ إنَّ حمل هذه التصارييف على القلب المكاني لا مسوغ له.

أما مناسبة الصلاة للصلوين فليست ببعيدة، إذ يمكن القول: إنَّ الصلاة استعملت أول مرة لدى العرب مراداً بها الركوع فحسب ولاسيما عند عرب ما قبل الإسلام الذين استدعت عبادتهم لأوثانهم أن يحني كلَّ منهم ظهره فيحرك صلويه راکعاً للوثن، أي إنَّ تحريك الصلوين هو الفعل البين الذي يقوم به الكافر ثمَّ إنَّه طغى على غيره من الأفعال العبادية، ولذا عبر عن فعل الركوع بالصلاة فقالوا: صلى صلاة كما قالوا: زكى زكاة وحدث حديثاً وكلم كلاماً والقياس يقتضي أن يقولوا: تصليه وتزكية وتحديثاً وتكليماً فرقاً بين العام والخاص وتميزاً لما اختلفت دلالاته تقيداً أو تعميماً. ومما يدل على إنَّ أصل الصلاة من هذا المعنى قول العرب في وصف الفرس: المجلي وقولهم في الذي بعده المصلي لأنه جعل رأسه عند صلوي السابق^(٣)، وقال الشاعر:

تركت الرَّمحَ يعمل في صلاه كأنَّ سنانَه خرطوم نسرٍ

(١) ينظر: المجموع الغيث ٢٨٦/٢ ونتائج الفكر ٥٩ وروح الصلاة في الإسلام ٢١ والتطور الدلالي ١٨٢.

(٢) المفردات ٢٨٥. وينظر الكليات ١٠٦/٣.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة ٨٨/٣ وتهذيب اللغة ٢٣٦/١٢.

ولما جاء الإسلام عمم دلالة الصلاة فعبر بها عن فعل العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني، فاستعملت معبرا بها عن جميع الحركات والإيماءات والإشارات التي يقوم بها المسلم في اليوم خمس مرات، لأن صلاة المسلم أخذت مدى أوسع من صلاة المشرك، وأصبح لها أفعال عدة كالإقامة والركوع والسجود والقنوت والدعاء وغير هذا ولم تقتصر على الركوع كما في عبادة المشرك، ومن ثمّ عبر بالأصل اللغوي (صلى) إذا حرك صلويه عن جميع هذه الحركات على سبيل التطور الدلالي عبر تعميم دلالة اللفظة، فكما إنّ الحرب كانت تعني السلب في القتال فحسب ثمّ عبر بها عن معنى القتال كله^(١). وكما أن المجد كان يعني امتلاء بطن الدابة بالعلف ثمّ عبر به عن مطلق الامتلاء وإن لم يكن محسوسا كالقرآن المجيد^(٢) فكذلك الصلاة، كانت تعني تحريك الصلوتين فحسب ثمّ عبر بها عن جميع الحركات الواجبة التي يقوم بها المسلم خمس مرات في اليوم وما يصاحبها من دعاء وطلب ورحمه. ولكن إخراج الصلاة على الزنة (فعلة) ليس ببين إذ لا سبيل لـ (فعل) فيها والأولى أنها بزنة (فعال) اسما وأصلها (صلاو) وقلبت الواو تاء أو حذفت وعوضت مكانها التاء، وانما الصلاة (فعال) لا (فعلة) لأنّ الفاعل يأتي اسما من فعل بالتشديد مثل ودّع وداعا وسلّم سلاماً وكلم كلاماً وزوّج زواجا وجهز جهازاً^(٣) ونحوه في حذف اللام وتعويضا بالتاء (زكاة) إذ هي (فعال) من (زكى)، وانما لجئ إلى الحذف والتعويض في الفاعل من (فعل) المعتل اللام حملا على الحذف والتعويض في باب التفعيل منه، اذ يقال تزكية وتربية وتولية والأصل: تزكي وتربي وتولي، فكأنّ اللام لما حُذفت في باب التفعيل استُكره بقاؤها في باب الفاعل ومن ثمّ قلبها همزة لوقوعها متطرفة بعد الف، وكان

(١) ينظر: لسان العرب ٣٨١/١.

(٢) ينظر: نفسه ٤٠٢/٤.

(٣) ينظر: الكتاب ٢٦/٤ وشرح الشافية ١٦٣/١ شرح ابن عقيل ٩٨/٢ وأوضح المسالك ١٦١/٣ وشرح التصريح ٦١/٢ والمفتاح في الصرف ٦٤/١.

الامر يستدعي في حال بقائها أن يقال: صلاء وزكاء فعدلوا من المد الى غيره
أما للبس، أما قول بعضهم: الصلاة مشتقة من الصلاء والصلي ومعنى
(صلى) أزال الصلي عن نفسه فبعد لا يمكن الركون إليه وإن ظهرت فيه
مناسبة الاشتقاق لأن باب التفعيل قلما يفيد معنى السلب والازالة والحمل
على القليل غير موجه، ثم ان الصلاة عرفت في الإسلام دالة على عدة معان
وليس على معنى إزالة الصلي وحده.

٦١- طاغوت

اختلف في الطاغوت دلالة على العدد وزنة، إذ قال الفارسي في دلالته: "قال قوم هو واحد وقال آخرون هو جمع، قال محمد بن يزيد: الأصوب عندي هو جمع، وليس الأمر عندنا على ما قال وذلك أن الطاغوت مصدر كالرغوت والرهوت والملكوت، فكما أن هذه الأسماء التي هذا الاسم على وزنها آحاد وليست بمجموع فكذلك هذا الاسم مفرد ليس بجمع، والأصل فيه التذكير"^(١). وممن عد الطاغوت مصدرا الطبرسي والابن عصفور والشوكاني ونظروا طاغوت برهوت ورحموت وجبروت وملكوت، قائلين: إن هذه مصادر بمنزلة الطغيان والرهبة والرحمة والتجبر والملك^(٢). على حين قال مكّي القيسي: الطاغوت "اسم يكون للواحد والجمع يذكر ويؤنث"^(٣). ونسب أبو حيان هذا الرأي إلى سيبويه فقال: "ومذهب سيبويه أنه مفرد كأنه اسم جنس يقع على الكثير والقليل"^(٤). ولم أتبين هذا الرأي في كتاب سيبويه، ولم أجد من ينسبه إليه قبل أبي حيان، وتبين أنه مذهب فريق من

(١) التكملة ٣٩٧ وينظر: المذكر والمؤنث للمبرد ٩٦ والمحاسب ١٣١/١ والبحر المحيط ٢٧٢/٢.

(٢) ينظر: مجمع البيان ٣٠٤/٢ والممتع في التصريف ٢٧٦/١ ولسان العرب ٢٢٩/٢٠ وفتح القدير ٢٧٥/١.

(٣) مشكل إعراب القرآن ١٣١/١.

(٤) البحر المحيط ٢٧٢/٢.

العلماء بعد سيبويه منهم أبو عبيده والمبرد والطبري والزجاج^(١). وما كان العلماء ليختلفوا في دلالة (الطاغوت) لولا استعماله في القرآن الكريم دالاً على المذكر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿النساء: ٦٠﴾ ودالاً على الجمع في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿البقرة: ٢٥٧﴾. ويعضد القائلين: طاغوت اسم جنس يدل على الواحد والجمع قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ﴾ ﴿النور: ٤١﴾ بهيأة الجمع وقوله تعالى: ﴿فَأَنْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿آل عمران: ٤٩﴾، بهيأة المفرد. وما يرجح كون الطاغوت اسماً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادٍ﴾ ﴿الزمر: ١٧﴾ بهيأة التأنيث، فهذا كقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ مُحْشُورَةٌ كُلُّ لَهَا أَوَابٌ﴾ ﴿ص: ١٩﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ﴿يوسف: ٤١﴾. فهذه أسماء بهيأة الجمع فأثت. ووجه الفارسي تأنيث الطاغوت في الآية بأنه: "إنما أنث على إرادة الآلهة التي كانوا يعبدونها"^(٢)، ولا شك أن هذا توجيه مرجوح.

(١) ينظر: مجاز القرآن ٧٩/١ والمذكر والمؤنث ٩٦ وجامع البيان ٤٢٨/٥ ومعاني القرآن

وإعرابه ٧٨/٢.

(٢) التكملة ٣٩٦.

وزهب أكثر أئمة اللغة إلى أن فعل (الطاغوت) يائي اللام يقال منه: طغى يطغى طغيانا إذا جاوز الحد بزيادة عليه^(١) مستدلين بوروده يائيا في التنزيل العزيز كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٥). وروى ابن جني "عن قطرب وغيره طغا يطغو طغوا"^(٢). وحكى الطبري: (طغا يطغو) دالا على المعنى نفسه^(٣). وأشار آخرون إلى جواز اشتقاق الطاغوت من فعل واوي اللام^(٤) واستدلوا بالمصدر (طغوى) في قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ (الشمس: ١١) فالطغوى مثل النجوى والسلوى والتقوى والبلوى في كونها فعلى من الثلاثي المعتل اللام بالواو. أما الخلاف في وزن الطاغوت فذهب فيه إلى ثلاث زئات أوجزها أبو حيان في قوله: "وفاعلوت طاغوت أصله طاغيوت وقيل وزنه فعلوت مقلوبة من طغيوت وقيل وزنه فاعول جعلوا التاء عوضا من الياء المحذوفة"^(٥). وسيكون تفصيل القول في هذه الزئات الثلاث مرتبا بحسب قدمها.

الأولى: فَلَعُوتُ ؛ أول من ذكر هذه الزنة المبرد الذي قال: "طاغوت فَلَعُوتُ مقلوب من فَعَلُوت مثل ملكوت ورهبوت إلا أنه قلب، وكان القياس أن يكون طَغِيُوت لأنه من الطغيان^(٦). واستحسن أكثر العلماء هذه الزنة قائلين: إن الأصل (طغيوت) بوزن (فعلوت) ك (رهبوت) ولما استثقل اجتماع الضمة والياء قُدِّمَت الياء (اللام) قبل الغين (العين) مستأثرة بفتحها تاركة

(١) ينظر التكملة ٣٩٨ والمحتسب ١٣١/١ وسر صناعة الإعراب ١٧٥/١ ومجمع البيان ٣٠٤/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٦٩/١ ١٠٧/١ والبحر المحييط ١٧٢/٢ وفتح القدير ٢٧٥/١.

(٢) المحتسب ١٣١/١.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٩/٣.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١٣٧/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٦٩/١ والبحر المحييط ٢٧٢/٢.

(٥) ارتشاف الضرب ٥٣/١ وينظر: المزهر ٢٥/٢.

(٦) المذكر والمؤنث ٩٩.

الضمة لها، فصار التقدير (طَيَّغُوت). وهذا إذا كانت اللام ياء، أما إذا كانت واوا فإنّ في الأصل (طغوت) الثقل أعظم منه في (طغوت) لاجتماع شبه ثلاث واوت، فقدمت الأولى (اللام) قبل الغين (العين) وجرى لها ما سبق ذكره^(١).

الثانية: فاعول، أقدم إشارة إلى هذه الزنة وجدتها عند الانباري الذي لم ينسبها إلى أحد من سابقيه وإنما قال: "قل طاغوت على فاعول فأبدلت الواو الثانية تاء فصارت طاغوت"^(٢)، وذكرها بعده أبو حيان والسيوطي دونما عزو، فقال الأول "وزعم بعضهم أنّ التاء في طاغوت بدل من لام الكلمة ووزنه (فاعول)"^(٣). وقال الآخر: "... وفاعول جعلوا التاء عوضاً من الواو المحذوفة"^(٤). ويفهم من أقوال العلماء في هذه الزنة أنّ (طاغوت) أصله (طاغو) أو (طاغوي)، إذ قطع الانباري والسيوطي بأنّ اللام واو وجوز أبو حيان الأمرين، فأبدلت لام الكلمة (الياء) أو (الواو) تاء فصار (طاغوت). ولا شك في حسن هذا الرأي وعدم تكلفه، ومن علائم حسنه أنه ليس فيه إلا دعوى الإبدال وهو محمول فيه على الكثير الشائع، إذ تقلب الواو والياء تاء كثيراً كما في (بنت) و (أخت) و (ثنتان) و (أتسق) وبابه. ومن العلائم أيضاً إنّ إبدال اللام تاء إنّما لجئ إليه دفعا للالتباس ببناء (فاعول)، إذ إنّ (طاغو) لو أُجري فيه القياس لآل إلى (طاغي)، كما آل (مرضو) إلى (مرضيّ)، ولما كثر في كلامهم تخفيف الياء المشددة فقالوا: (سيد وكيّونة) في (سيد وكيّونة)

(١) ينظر: جامع البيان ١٩/٣ والتكملة ٣٩٨ والمحتسب ١٣١/١ والصحاح ٢٤١٣/٦ ومشكل إعراب القرآن ١٣٧/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٦٩/١ والمفردات ٣٠٥ والتبيان للعكبري ١٠٧/١ ولسان العرب ٢٣١/٢ والبحر المحيط ٢٧٢/٢ وتحفة الأريب ١٧٦ وعمدة القارئ ٨٣/٦ وإرشاد الساري ١١٥/٢.

(٢) البيان ١٦٩/١.

(٣) البحر المحيط ٢٧٢/٢.

(٤) المزهر ٢٥/٢.

تركوا القياس هنا لئلا يلتبس (طاغي) المخفف من (فاعول) بـ (طاغي) اسم الفاعل من الطغيان فأبدلوا اللام تاء فرارا من ذلك. ومن تلك العلام إن دلالة (فاعول) على الجنس ليست ببعيدة كـ (الجاموس والjasوس والعاقول). ومنها أيضا إن دلالة فاعول على المبالغة واضحة لأنه من أوزان اسم الآلة التي تلحظ فيها هذه الدلالة كـ (الساطور والناقور). وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة (فاعول) بناء مقيسا في الآلة بعد أن أدرك دلالة على المبالغة التي تستدعيها الأسماء الدالة عليها^(١).

الثالثة: فاعوت ؛ يعد أبو حيان أول من ذكر هذه الزنة في قوله الذي ذكر في أول البحث، ولم يصرح فيه بأنه صاحبها، لكن طريقة عرضه الزنات في ذلك القول تنبئ بأنها له إذ ابتدأ بها كلامه على الرغم من عدم شيوعها، مقدما إياها على الزنتين الشائعتين (فلعوت) و (فاعول) من دون إسناد إلى مجهول أو معلوم كما فعل في الآخرين، وقد أشار السيوطي إلى هذه الزنة ولم ينسبها إلى أبي حيان ولا إلى غيره^(٢). وأصل طاغوت في هذا الرأي (طاغُوت) أو (طاغُوت) وحذفت لامه تخفيفاً وحركت عينه بالضمة مناسبة للواو بعدها فصار (طاغُوت) بوزن (فاعُوت)^(٣). وربما تكون دعوى الحذف في (طاغوت) أبعد من دعوى القلب المكاني والإبدال زيادة على ما فيها من حمل للفظه على بناء نادر وقصورها بهذا عن الجريان في التصارييف الأخرى كالجمعين (طواغيت) و (طواغي).

ونظرة فاحصة في التصارييف الأخرى التي سمعت من المادة التي أخذت منها اللفظة تدل على رجحان زنة (فاعول)، فالجمع (طواغيت) يعضد زيادة ألف (طاغوت) إذ قلبت تلك الألف واوا لوقوعها قبل ألف (مفاعيل)، وأصل الجمع (طاغوت) فقلب أول الألفين واوا وقلب الواو التي قبل الآخر

(١) ينظر: قياس أربع صيغ، ٧٥-٧٦.

(٢) ينظر: المزهر ٢٥/٢ وأبنية الصرف ١٥٤.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب ٥٣/١ والمزهر ٢٥/٢ وأبنية الصرف ١٥٤.

ياء لسكونها وسبقها بكسر، ومثل هذا كثير مقيس كـ (قاموس قواميس وشاعرة شواعر وطابق طوابق وبازل بوازل وحامل حوامل وفارس فوارس وناقفاء نوافق)، فعلى هذا يكون وزن (طواغيت): (فواعيل). وتكسير المؤنث (طاغية) على (طواغي) يدل على أن (واو): (طواغيت) كـ (واو) (طواغي) كلاهما منقلب عن ألف زائدة. وأما من قال: (طاغوت: فلعوت)، فأن كان أصل الألف واواً فلا مغمز عليه، إذ ردت الألف تلك إلى أصلها في الجمع كما ردت نون (دينار) المنقلبة ياء في الجمع (دنانيير)، ويكون وزن (طواغيت) حينئذ (فلاغيت)، وإن كان أصل الألف ياء فيدخل عليه أن تظهر تلك الياء في الجمع فيقال: (طياغيت) ولما يفعل بها ذلك استدل بالجمع على ضعف هذا المذهب. وقد تكلف ابن جني في دفع هذا الضعف عن هذا المذهب فقال: "إن طاغوتا وإن كان (طيغوت) فإنه بعد نقله وقلبه قد صار كأنه فاعول، فلما كسر قلبت ألفه واوا، كما تقلب في نحو تكسير عاقول عواويل وراقود رواقيد وهذا الشبه اللفظي كثير عندهم"^(١). ولو أقر ابن جني زنة (فاعول) في (طاغوت) لكان أقرب إلى مجازاة الصنعة من حمله تكسيرها على تشبيهها بـ (فاعول). ومما يعضد هذا المذهب أن ألف (طاغوت) لو كانت لا ما لكان (الطاغي) بوزن (فعلي) ولكانت (الطاغية) بوزن (فعلية) ولكان تكسير المؤنث (طواغي) بوزن (فلاعي) لا (فواعيل) وهذا كله في غاية البعد والاضطراب. وثمة أمران آخران يستدل بهما على رجحان زنة (فاعول) في (طاغوت): الأول كثرة أمثلة هذا البناء في العربية وقلة بناء (فعلوت) فيها والحمل على الأكثر أولى. والآخر: إن الطاغوت ما كان ليعرف بهذا الاسم لولا مبالغته في الطغيان، ومعنى المبالغة واضح كل الوضوح في بناء (فاعول) لانه من أبنية الالة كالساطور والناعور^(٢).

(١) المحتسب ١/١٣٢.

(٢) ينظر: معاني الأبنية ١١٦.

لكن الباحثة باكرة رفيق حلمي أغربت لما جوزت أن يكون أصل التاء في آخر الطاغوت علامة جمع المؤنث ثم أريد بها الدلالة على الشمول والمبالغة فقالت: "من الألفاظ التي استعملت التاء وهي علامة جمع التأنيث في كل اللغات السامية الملكوت والجبروت وقد يكون الطاغوت أيضا من هذا القبيل وهذه الأسماء ليست للمبالغة بل تعني الشمول والشدة"^(١). وإنما كان هذا القول غريبا لأن تاء المبالغة مستعملة في اللفظ (طاغية) في نحو قوله تعالى: (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) ﴿الحاقة: ٥﴾ وفي آخر الطاغوت تمت المبالغة بالواو والتاء كما في الجبروت والملكوت وثمة فرق بين هذه التاء وتلك التي لجمع المؤنث السالم.

٦٢ - الطوفان

اختلف في الطوفان الوارد في قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) ﴿الأعراف: ١٣٣﴾. وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ﴿العنكبوت: ١٤﴾. فقال الاخفش: هو اسم جنس جمعي مفردة (طوفانة)، واستدل على ذلك بمجيئه في سياق تواتر فيه أسماء الأجناس في الآية الأولى^(٢). وعزي هذا المذهب إلى البصريين مدرسة^(٣). وذهب ثعلب إلى أن (الطوفان) مصدر

(١) صيغ الجموع في اللغة العربية مع بعض المقارنات السامية ١٨٥.

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢٠٨/٢ وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٦٩/٢ والصحاح ١٣٧٣/٣.

(٣) ينظر: جامع البيان ٢١/٩ ومشكل إعراب القرآن ٢٩٩/١ والتبيان للعكبري ٤٨١/١ والجامع لأحكام القرآن ٣٦٧/٧ والبحر المحيط ٣٧٣/٤ والمصباح المنير ٣٨١.

طاف كالرُّجحان والنَّقْصان ولا حاجة لأنَّ يطلب له واحد ^(١). وعُزي مذهبه هذا إلى الكوفيين مدرسة ^(٢).

وأقوال المفسرين في (الطوفان) ترجَّح مذهب الأخفش لأنهم فسروه بأنه "المطر الذي يُغرق من كثرته" ^(٣) و"كل ماء غاش طام فهو عند العرب طوفان سيلاً كان أو غيره وكذلك الموت إذا كان غاشياً" ^(٤). فكل من المطر والسيّل والموت مصادر سُمِّي بها الجنس، زيادة على هذا يمكن القول: إن الفعل (طاف يطوف) مصدره (طَوَفَان) لأنه دالٌّ على حركة واضطراب ^(٥)، والاسم منه (طُوفَان) على (فُعْلَان) فرقا بين المصدر والاسم كما قالوا: (دَوْرَان) للمصدر و(دَار) للاسم و(سَيْلَان) للمصدر و(سَيْل) للاسم. أو يكون أصل (طُوفَان) (طُوفَانَا) وأسكنت الواو وضم ما قبلها لثلاث قلب ألفا فيضطرب فيها البناء (فُعْلَان) ^(٦).

أي إن إخراج اللفظ إلى أسماء الأجناس في مذهب الأخفش هو الراجح؛ إذ نقل الأخفش عن العرب قولهم في المفرد: طوفانة فهذا مثل نخل ونخلة، وإن لم يثبت استعمال (طوفانة) في الفصح فذلك لا يلغي جنسية (طوفان) فالمفرد إنما لم يستعمل لاستغنائهم عنه بالجمع (طُوفَان) لأن الفرق الدلالي لم يدرك بين المفرد وجمعه (طوفانه طوفان) كما يدرك في نحو: نخلة نخل وبقرة بقرة.

وكان بعض المحدثين قد ادّعى أن (الطوفان) في العربية مقتبس من الآرامية (Tawfone) التي تعني الماء الكثير أو السيل المغرق وهي مشتقة من

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٣٣/٤ والمخصص ١٣٨/١٤.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢١/٩ والجامع لأحكام القرآن ٣٦٧/٧ والبحر المحيط ٣٧٢/٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٩/٢.

(٤) جامع البيان ٨٧/٢.

(٥) ينظر: الكتاب ١٥/٤.

(٦) ينظر: دقائق التصريف ٢٥٦-٢٥٧.

الفعل (Tof) بمعنى فاض النهر^(١). ولا شك في إن هذه دعوى غير موجهة لأن اللفظ معروف الاشتقاق في العربية بهذا المعنى الذي ذكره، والأعجمي ليس له اشتقاق فيها، لذا يمكن القول: إن ما ورد في الآرامية منقول إليها من العربية أو يكون اللفظ وفاقا وقع بينهما.

٦٣ - عدن

اختلف في تأصيل (عدن) في قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢) أعربي أم أعجمي؟ فذهب علماء العربية القدماء إلى أن لفظة (عدن) عربية وهي مصدر عدن فلان بالمكان يعدن عدناً وعدونا إذا قام فيه ومعنى جنات عدن: جنات في مكان الخلود^(٢). وذهب فريق من الباحثين المحدثين إلى أن (عدن) في العربية مأخوذة من الكلمة البابلية (عدينو) التي تعني (السهل)، وبعضهم يرى أن اللفظ محرف عن اللفظ العبري (جن عدن) أي (جنة النعيم)^(٣). وعدها روفائيل نخلة آرامية، وأصلها (den) وتعني الفردوس الأرضي، وهي مشتقة من الفعل الآرامي (aden) بمعنى تمتع^(٤). ورد إبراهيم أنيس مذهب أبي حاتم الرازي وصحبه القدماء الذين أخرجوا لفظة (عدن) من الأصل العربي (عدن) بالمكان) قائلا: "ويسلك أبو حاتم المسلك نفسه في علاجه للألفاظ، فجنة (عدن) في رأيه مأخوذة من عدن بالمكان أي أقام فيه، ومنه المعدن الذي يثبت في الأرض ولا يبرحها، غير مدرك أن كلمة (عدن) وردت في النصوص العبرية القديمة في سفر التكوين في صورة لا تدع الباحث يتردد في أنها علم

(١) ينظر: غرائب اللغة العربية ١٩٤.

(٢) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢٠١/٢ ولسان العرب ١٥٠/١٧ - ١٥١.

(٣) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢٠١/٢ (الهامش).

(٤) ينظر: غرائب اللغة العربية ١٩٥.

على مكان في الأرض أو في السماء، أي أنها اسم الجنة ومن الخير ألا نسرف في الربط بينها وبين المادة العربية المألوفة"^(١).

وأثبت عودة خليل أبو عودة عروبة اللفظة بأدلة بينة هي^(٢):

١- شيوع مادة الكلمة ومشتقاتها في العصر الجاهلي في شعر العرب، وهذا يعني إن معناها شائع معروف إذ قال المخبل^(٣):

خوامس تنشق العصا عن رؤوسها كما صدع الصخر الثقال المعدن
٢- ورود الكلمة في العبرية القديمة لا يلغي عروبتها، فقد أثبتت الدراسات المقارنة وجود كلمات كثيرة مشتركة بين اللغتين العربية العبرية، وكثيرا ما تكون الكلمات متشابهة الأصول والمعاني فكأنها وفاق وقع بين هاتين اللغتين، ومن تلك الكلمات أيضا: الله برأ السماء، الأرض، الماء القدس. ولا يمتنع (عدن) ان تكون من تلك الكلمات التي جاءت وفاقا، ان لم يثبت كونها عربية الأصل وردت في اللغة العبرية.

٣- إن الكلمة استعملت في التنزيل صفة تدل على الخلود والدوام في الجنة لمن آمن واتفق وعمل صالحا، ولم تستعمل اسما علما على مكان ما - كما قال أنيس - ولذا هي تشترك مع صفات الجنة الأخرى كالنعيم والفردوس في الدلالة نفسها، ولو كانت اسما علما لما لوحظ فيها مثل هذا التشابه الدلالي مع صفات الجنة الأخرى. فكأنها مصدر (عدن بالمكان) إذا أقام فيه ثم غلبت عليها الوصفية.

(١) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٠/١ (المقدمة).

(٢) التطور الدلالي ٤٠٦ - ٤٠٨.

(٣) البيت من شواهد لسان العرب (عدن).

٦٤ - عزيز

اختلف في تأصيل (عزيز) في قوله تعالى " فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهُطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٦-٣٧﴾ " من أصل واوي اللام هو أم أصل لامة هاء؟ فذهب أكثر العلماء إلى إنه جمع مفردة (عزة) وأصله (عزوة) وحذفت الواو تخفيفا فصار بزنة (فعة) وجمع بالواو والنون عوضا مما حذف منه فقليل: (عزون) بزنة (فعون). وقيل: إنما المحذوف من (عزة وعزين) هاء لا واو ويشهد بصحة مذهب القائلين: إن الواو لام اللفظ مناسبة المعنى، فكأن المعنى في الآية الكريمة إن الكافرين جماعات متفرقة تعتزي كل فرقة منهم غير ما تعتزي اليه الأخرى وأخذ اللفظ من أصل لامة هاء يتكلف معه استحصال معنى التفرق والتشتت يمينا وشمالا، ومما يشهد له أيضا أن (عزة) سمع جمعها على (عزى) فهذا يدل على إن أصله (عزو) وقلبت الواو الفا لتحركها وسبقها بفتح ولو كانت اللام هاء لما كان لقلبها الفا قياس^(١).

٦٥ - عضين

اختلف في تأصيل (عضين) في قوله تعالى " كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَّكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٠-٩٢﴾ " فذهب الفراء إلى انه مشتق من العضو واحد الأعضاء، وهو أصل مناسب لمعنى الآية فكأنهم جعلوا القرآن متفرقة أي إنهم " فرقوه اذ جعلوه سحرا وأساطير الأولين والعضون في كلام العرب السحر بعينه، ويقال: عضوه أي

(١) ينظر: معاني الفراء ١٨٦/٣ ومعاني القرآن وإعرابه ٧٤/٢ والأصول ٣٢٨/٣ والبيان في غريب إعراب القرآن ٤٦٢/٢ ولسان العرب ٢٨٢/١٩، والبحر المحيط ٣٣٠/١ و ٣٣٠/٨ وخزانة الأدب ٣٠٤/٣.

فرقوه كما تعضى الشاة والجزور وواحدة العضين عضة رفعها عضون ونصبها وخفضها عضين" (١).

ويفهم من هذا ان العضين جمع سالم مفردة (عضة) وأصلها (عضوة) وسقطت لا مها تخفيفا وفي الجمع سقطت تاء التأنيث والتزم حذف اللام أيضاً فصار (عضين) بزنة (فعين) ومثله (سنين) و (بين) و(عزين) جمع (سنة وثبة وعزة) وانما جمعت هذه المفردات جمع مذكر سالماً عوضاً مما حذف منها (٢).

وعزي إلى الكسائي ذهابه إلى ان لام (عضة) و(عضين) المحذوفة هاء لا واو وان (عضين) (فعين) من عضهت الرجل أي رميته بالبهتان والسحر وأصل (عضة عضهه) " لان العضة والعضين في لغة قريش: السحر يقولون للشاعر عاضه " (٣).

ووافق أبو عبيدة الفراء فذهب إلى ان عضين مشتق من العضو يقال منه: عضيت أي فرقت والمحذوف من (عضه) واو والتصغير (عضية) ودليله على ذلك جمعه على (عضوات) في قول الراجز (٤):

هذا طريق يأزم المازما
وعضوات تقطع اللهازما
وأشار إلى أن لامة واو أو هاء (٥). ومذهب الفراء هو الراجح لمناسبة المعنى بين (عضين) و (عضو) فكأنهم جعلوا القرآن أعضاء متفرقة آمنوا ببعضها وكفروا بأخرى كما قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} ﴿النساء: ١٥٠﴾.

(١) معاني القرآن للفراء ٩٢/٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٠٣/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٢٠٣/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٠٣/٢ وينظر: الصحاح ٢٢٤١/٦.

(٤) الرجز في الصحاح ٢٢٢٤١/٦ من دون عزو.

(٥) ينظر: مجالس ثعلب ٤٠٣ ومعاني القرآن وإعرابه ٧٤/٢ والتصريف الملوكي ٦٧ والبيان

٧٢/٢ وشرح الملوكي ٣٦٤.

٦٦- عفريت

اختلف في تأصيل (عفريت) في قوله تعالى: ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل: ٣٩)، فذهب أكثر العلماء من المتقدمين إلى إنه (فعليت) من العفر وهو التراب إذ يقال منه: عافره إذا صارعه، كأن أحدهما يلقي الآخر بعفر الأرض، ويقال: رجل عفر إذا كان داهيا، ويقال في المثل: أشجع من ليث عفريين، فهذا أصل يدل على القوة والشدة بطريق المجاز. وكذلك العفريت الذي هو من الجنة الأشداء. والتاء والياء في هذا المذهب زائدتان كزيادتهما في غزويت ونفريت لمن كان كثير الغزو والنفر، والاسم بهما يدل على المبالغة في حصول الفعل^(١). وذهب بعضهم إلى أن (عفريت)، (فعللت) من الأصل الرباعي (عَفَرِيَ) والياء فيه أصلية أو زائدة للإحاق بنحو (شرذمة)، إذ إن (عفريتة) لغة في (عفريت). ورد هذا بأن الياء لا تكون أصلا في بنات الأربعة ونادر مجيئها مزيدة في الآخر لإحاق بنات الثلاثة ببنات الأربعة. وقيل بل العفريت (فعليل) من (عفرت) والتاء زائدة فيه لإحاقه بنحو (قنديل) ورد بندرة زيادة التاء للإحاق في آخر الثلاثي^(٢).

وأنكر الأستاذ حسين الهمداني محقق كتاب الزينة على القدماء مذهبهم في عروبة (عفريت) فقال: "صعب على أهل النحو اشتقاقه من عفر الأرض وكذلك اشتقاقه من عافره إذا صارعه وألقاه بالعفر ليس بشيء. وإذا كان معنى العفريت الموثق الخلق المبالغ في جسمه كما ذكره ابن قتيبة فالأقرب إلى هذا المعنى اللفظ البهلوي (أفريتان) ومنه بالفارسية الحديثة (أفريده) أي المخلوق^(٣).

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن ٢٤، ٣٠ وجامع البيان ١٩/١٠١ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٩٠/٢-١٩١ ومشكل إعراب القرآن ٥٣٤/٢-٥٣٥ وأساس البلاغة ٥٧/٢.

(٢) ينظر لسان العرب ٢٦٣/٦.

(٣) الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٩١/٢ (الهامش).

وأيد عودة خليل أبو عودة مذهب الهمداني في تعريب (عفريت) قائلا: "لو كانت الكلمة عربية الأصل لوردت في أشعار العرب كثيرا كما ورد الشيطان لا سيما إن الشعر الجاهلي حافل بأخبار الغزو والحرب والانتقال مما يتلاءم مع معنى العفريت ويفتح مجالا كبيرا للحديث عنه ولذا الكلمة مصطلح إسلامي جديد استعمله القرآن وأشاعه بين الناس وربما كان الأقرب إلى حقيقة أصلها أنها معربة عن لغة أخرى كما قال الهمداني"^(١).

ونظرة فاحصة في الأصل اللغوي العربي الذي قيل: إن العفريت مشتق منه تدل على رجحان مذهب القدماء في عروبة اللفظ، لأن العفريت من خلق الله في أرضه فلا يبعد اشتقاقه من وجه الأرض هو العفر وهو أصل كثر تصرفه في العربية وقد أنبأنا القرآن الكريم أن الإنسان خلق من أديم الأرض على اختلاف أنماطه من طين لازب وتراب وصلصال كالفخار وحمأ مسنون. وهذا يقوي أن يكون العفريت مسمى بأصله الذي منه خلق وهو (العفر). أما عدم سماعه في أشعار العرب فليس دليلاً على إنه ليس من كلامهم لأن الشعر وإن كان ديوان العرب لا يمثل لغة العرب جميعها. وأما عجمة اللفظ فدعوى لا يسلم بها وإن صح ورود اللفظ في بعض الساميات أو غيرها فعلى سبيل الوفاق اللغوي الذي لا يبين أصالة اللفظ في لغة ما وانتقاله منها إلى الأخريات بياناً قاطعاً. ثم إن دعوى العجمة التي جاء بها الهمداني لم يجمع عليها المحدثون من أصحاب الدرس المقارن بين الجزريات إذ ذكر الهمداني نفسه أن (بارث) عد العفريت لفظاً عربياً خالصاً ثم قال بعد ذلك "والله أعلم" مما يدل على حيرته في إخراج (عفريت) إلى العربية من اللغات الأخرى^(٢).

(١) التطور الدلالي ٤٧٩.

(٢) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٩١/٢ (الهامش).

٦٧- فئة

اختلفوا في تأصيل (فئة) في قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩) على مذهبين:

الأول: (فئة) على وزن (فعة) وهي مشتقة من أصل مهموز العين معتل اللام^(١)، واختلفوا فيه أيضا ناقص واوي هو أم ناقص يائي؟ فابن جني رأى أن لفظة الفئة من أصل معتل اللام ولم يحدد أبا الواو هي أم بالياء فقال: "وأما حذف اللام فنحو... فئة"^(٢). وجوز آخرون تبعا لابن جني أن تكون لام لفظة (فئة) (واوًا) أو (ياءً)؛ لأنها من فأوت فأوًا وفأيا فعلى هذا يصح أن تكون (فئة) من الياء"^(٣). على حين جزم ابن الشجري بأن "المحذوف من (فئة) الواو... وهي من قولهم: فأوت إذا شققت ومزقت... وقالوا: فأوت رأسه بالسيف إذا فلقتة"^(٤). وإنا رجح ابن الشجري أن المحذوف من (فئة) الواو من دون الياء لأن "ما لامه واو أكثر مما لامه ياء، فإذا جهلت جنس لام الكلمة فاحكم بأنها واو"^(٥). وعد ابن جني تاء الفئة عوضاً من اللام المحذوفة، إذ قال: "وأما ما حذف لامه وصار الزائد عوضاً منها فكثير منه: باب سنة ومائة ورئة وفئة... فهذا ونحوه مما حذف لامه وعوض منها تاء التأنيث"^(٦). وقال أيضاً: "وتاء مائة وعضة وسنة وفئة وشفة عوض؛ لأنها ثابتة في الوصل ومبدلة هاء في الوقف"^(٧).

(١) ينظر: تهذيب اللغة (فأى) ٤١٦/١٥، ولسان العرب (فأى) ٥٨٤ / ٨.

(٢) الخصائص ١٥٥/٢.

(٣) لسان العرب (فأى) ٥٨٤/٨.

(٤) أمالي الشجري ٢٧٨/٢.

(٥) أمالي الشجري ٢٧٨ / ٢.

(٦) الخصائص ٢٩٦/٢.

(٧) المصدر نفسه ٢٩٦/٢.

وأكثر المفسرين على هذا المذهب فقال الطبرسي: "الفئة من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعت وأنفاء الشيء انفياءً إذا انقطع وأصل الباب القطع ومنه الفئة؛ لأنها قطعة من الناس"^(١). فالطبرسي يرى أن أصل الفئة الفأو وهو القطع. وأنس اللغويون بهذا الاشتقاق أيضاً فمالوا إلى إن الفئة من الفأو: وهو قولك: فأوت رأسه بالسيف فأوأ، وفأيته فأياً إذا ضربت قحفه حتى ينفرج عن الدماغ^(٢). ومنه قيل: ضربه ففأى رأسه يفأه فأوأ إذا شقه^(٣). والفأو قطعة من الأرض تطيف بها الجبال ومنه قول الشاعر نمر بن تولب^(٤)

لم يرعها أحد واكتم روضتها فأو من الأرض محفوف بأعلام
والانفياء الانفراج والانفتاح والانصداع^(٥) ومن هذا اشتقت (الفئة) التي تعني مجموعة من الناس^(٦).

الآخر: (فئة) على وزن (فلة) وهي مشتقة من أصل مهموز اللام معتل العين، وعلى هذا أبو البقاء العكبري الذي ذهب إلى أن المحذوف من (فئة) عينها؛ لأنها من فاء يفيء فيئة إذا رجع، وعلى هذا فإن وزنها (فلة) وأما الهاء فإنها زائدة وليست أصلية، وأصل (فئة): (فيئة)؛ لأنه من فاء يفيء إذا رجع فالمحذوف عينها^(٧). ومما استعمل من هذا الأصل في كلام العرب قولهم: فاء الرجل يفيء فيئاً، إذا رجع، ومنه قوله تعالى: (حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) (الحجرات من الآية ٩) أي: ترجع إلى الحق. وفاء المولى فيئة رجع عن يمينه إلى

(١) مجمع البيان ١٤٧/١، وينظر: روح المعاني ٥٦٢/١.

(٢) ينظر: العين (فأى): ٤٠٧/٨، ولسان العرب (فأى) ٨ / ٥٨٤.

(٣) ينظر: الجمهرة (فأى): ٢٣٠/١.

(٤) ديوانه: ١١١.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة مادة (فأى): ٤١٦/١٥.

(٦) ينظر: الألفاظ الكتابية: ٢٦٠، و: أساس البلاغة: ٣/٢.

(٧) التبيان في إعراب القرآن: ١٠٥/١.

زوجته. وله على امرأته فيئة أي: رجعة^(١). والفيء: ما نسخه الظل؛ سمي فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب^(٢)، وتفيأ الرجل إذا صار في ظل شجرة أو غيرها^(٣). فالفيئة على هذا الجماعة من الناس يفيئون إلى الرئيس أي: يرجعون إليه^(٤). قال ابن منظور: "الفئة: الفرقة والجماعة من الناس وفي الأصل هي الطائفة التي تقيم وراء الجيش فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجأوا إليهم"^(٥). لذا قال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في تعريفها: "الفئة: هي الطائفة المقيمة وراء الجيش للالتجاء إليهم عند الهزيمة"^(٦). وقال الاستاذ محمود شيت خطاب: "الفئة: جماعة المدفع"^(٧).

وجوز السمين الحلبي كلا المذهبين فقال: "وفي (فئة) قولان أحدهما: إنها من فاء يفيء إذا رجع فتحذف عينها ووزنها (فلة). والثاني: إنها من فأوت رأسه أي: كسرتة فحذفت لامها وأصلها فعة.... ومعناها على كل من الاشتقاقين صحيح، فإن الجماعة من الناس يرجع بعضهم إلى بعض؛ وهم أيضاً قطعة من الناس كقطع الرأس المكسرة"^(٨).

ولفظه (فئة) استعملت في القرآن الكريم وفي كلام العرب للدلالة على مجموعة من الناس يفترقون عن المجموعة الكبرى ليكونوا رداءً لهم يلجئون إليهم كلما حسوا بخطر ما يهددهم. وأما (الفئة) في الحرب فهم مجموعة يقيمون وراء الجيش ليكونوا سنداً لهم فإن كان عليهم خوف أو هزيمة فاءوا-

(١) ينظر: الجهمرة (فأي): ٢٣٠/١، ٥٣٦/٢.

(٢) ينظر: مختار الصحاح: ٥١٦.

(٣) ينظر: الجهمرة (فأي): ٢٣٠/١، ٥٣٦/٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٠/١، وأقرب الموارد: ١١٢ / ٤.

(٥) لسان العرب (فأي): ٥٨٤/٨.

(٦) التعريفات (الجرجاني): ١٦٦.

(٧) معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم: ٥٦١/٢.

(٨) الدر المصون ١/ ٦٧.

التجأوا- إليهم. وعلى هذا الأساس فرّق أبو هلال العسكري بين لفظة (فئة) وبين غيرها من ألفاظ المجموعات البشرية ^(١).

وأما مفرد لفظة (فئة) فلم يذكر أحد من اللغويين أنّ لفظة (فئة) لها مفرد من لفظها، وبذا تكون لفظة (فئة) من الألفاظ التي تدل على الجمع وليس لها مفرد من لفظها. ولفظة (فئة) تعامل معاملة المفرد من حيث التثنية والجمع، إذ تقول في تشية (فئة): (فئتان) ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ {آل عمران ١٣}. وتجمع على (فئات) و(فئين)، قال ابن السراج: "أما ما كان من بنات الحرفين وفيه الهاء للتأنيث فإنهم يجمعونها بالتاء والواو والنون كأنه عوض فإذا جمعت بالتاء لم تغير وذلك فئة: فئات" ^(٢).

ويبدو أن الفئة إن اشتقت من الفأو ^(٣) وهو مصدر: فأوت رأسه فأوأ وفأياً بالواو والياء أي: فرقته وشققته، فمحمولة على المجاز فكل ما قيل في معنى (الفأو) من أنها تعني - قطعة أرض بين جبلين أو الفرق والشق والانصداع والانفتاح - تدخل في اشتقاق لفظة (فئة) إذ إنها تشير بهذا المعنى إلى مجموعة من الناس انقسموا وانشقوا عن المجموعة الكبرى. وأما اشتقاقها من فاء الرجل يفيء أي: إذا رجع ^(٤). فحقيقة واضحة ومن هذا قولهم: "فاء المولى فيئة رجع عن يمينه إلى زوجته، وله على امرأته فيئة أي: رجعة" ^(٥). و"الفيء هو ما نسخة الظل، والفيء الذي يعني الخراج والغنيمة" ^(٦). فالفئة على هذا تعني: "مجموعة من الناس يفيئون إلى الرئيس" ^(٧)، أو إنها: "الجماعة

(١) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٣١.

(٢) الأصول في النحو: ٤٤٦/٢.

(٣) ينظر: الأمالي الشجرية: ٢٧٨/٢، و: لسان العرب (فأى): ٥٨٤/٨.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (فأى): ٢٣٠/١، و: التبيان في إعراب القرآن: ١٠٥/١.

(٥) المصباح المنير: ٤٨٦/٢.

(٦) المصباح المنير: ٤٨٦/٢.

(٧) جمهرة اللغة ٢٣٠/١.

المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد^(١). ومن هنا يرجح اشتقاق الفئة من الفياء إذ هي مجموعة من الناس ينقسمون عن المجموعة الكبرى ليكونوا سنداً وعوناً لهم؛ ليرجعوا إليهم كلما حسوا بخاطر يحدق بهم أو هزيمة تتوعدهم. وتطلق لفظة (فئة) على المجموعة الصالحة والمجموعة الطالحة.

٦٨- فم

ذهب الجمهور إلى أن (فم) أصله (فوه) بزنة (فعل) لقولهم في الجمع (أفواه) بزنة (أفعال) كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران ١٦٧]، ولقولهم في التصغير (فويه) فهذا يدل على أن أصل (فم)، (فوه) لأن الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها. ثم إن تصاريف الكلمة الأخرى تشهد بهذا كقولهم: (مفوه وتفوهت)، وفي الجمع (أفواه) دليل على أن الأصل (فوه) ساكن العين لأن حكم ما كان على (فعل) معتل العين أن يجمع على (أفعال) ك (ثوب أثواب) وحوض أحواض وعين فلا يخرج الشيء عن بابه حتى يقوم ثبت يعدل إليه عنه^(٢).

وقد اختلف في سبيل انشعاب (فم) من (فوه) فذهب سيبويه إلى إن (فم) ذهب من أصله حرفان (الهاء والواو)، فأما الهاء فحذفت من دون تعويض لحفائها "والهاء إذا كانت لاما فإنها قد تحذف كما إن الياء والواو إن كانتا لامين قد تحذفان وذلك لمشابهة الهاء الياء والواو في الحفاء ولأنها من مخرج ما هو مشابه لهما وهو الألف، فكما إن الياء والواو إذا كانتا لامين تحذفان كذلك تحذف الهاء لمشابهتهما لهما في الموضع الذي حذفتا فيه"^(٣). وأما الواو فأبدلت منها الميم ليشبه الاسم بها الأسماء المفردة من كلامهم من حيث الإعراب

(١) أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: ١١٢/٤.

(٢) ينظر: الكتاب ٣/٣٦٥-٣٦٦.

(٣) البغداديات ١٤٩ وينظر: المخصص ١٣٤/١-١٣٥.

والشنية والإضافة لان الواو كثيراً ما تسقط في هذه التصارييف، فكأن ميم (فم) بمنزلة ميم (دم) التي يجوز إثباتها على لفظها في الإضافة والشنية فيقال: (فمي وفمان) ويجوز إتمام الكلمة على ثلاثة أصول بزيادة الواو التي هي عين الأصل وجعلها مكان اللام فيقال: (فموي وفموان) وعليه قول الفرزدق^(١):

هُمَا نَفْسًا فِي مِّنْ فَمَوِيَّهِمَا عَلَى النَّابِجِ الْعَاوِي أَشَدُّ رِجَامٍ
فجعل الواو لاما عند الشنية إتماماً لأصول الكلمة وما هي إلا عين في الأصل (فوه). وأيد سيبويه أكثر البصريين إلا الأخفش الذي ادعى أن ميم (فم) بدل من الهاء، وأن الساقط من (فم) هو الواو ولذا ردت في الشنية والإضافة، فكأن الأصل (فوه) لديه حدث فيه قلب مكاني وذلك بقلب الهاء إلى موضع الواو، ولما صار (فهو) بزنة (فلع) حذفت الواو لوقوعها طرفاً، ثم أبدل من الهاء ميماً، وفي الشنية والإضافة رد المحذوف إلى أصله. ولذا وجد الاخفش في قول الفرزدق - الذي ساقه سيبويه عضداً لمذهبه - دليلاً على مذهبه في أصل (فم) فقد اثبت الشاعر الواو لاما للكلمة في (فمويهما) بعد القلب المكاني ولو كانت عينا ولم تقلب لما كان لإثباتها وجه^(٢).

ومذهب الاخفش مردود من جوانب: الأول، وجود النظائر التي حذفت لاماتها ك (دم ويد)، والثاني أن (فاه) في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿الرعد: ١٤﴾ و(فوه) وفيه لا يمكن توجيهها على وفق مذهب الأخفش. وإخراج اللفظ على مذهب سيبويه مقبول لأن اللام والعين سقطتا ولم يأتوا بالميم عوضاً من العين لما أضافوا الاسم إلي المضمر وإنما جاءوا بعلامات الإعراب (الواو والألف

(١) ديوانه ٧٧١.

(٢) ينظر: البغداديات ١٤٩ والمخصص ١٣٥/١-١٣٧ وشرح الشافية للرضي ٢١٥/٣

وأوضح المسالك ٤٠/٤ وشرح التصريح ٣٩٢/٢.

والياء) وحركوا الفاء بالحركة المناسبة لها، والثالث إن دعوى القلب المكاني لا يقوم عليها دليل ولا يُسَلَّم بها إلا بثبت بين.

وذهب برجستراسر إلى أن (فم) ونحوها كـ (أخ وابن) هي من الأسماء القديمة جدا ومادتها حرفان لا ثالث لهما وعنده (فم) ثنائي الوضع فلا يسأل عما حُذِف منه ^(١). ويدفع هذا دعوى وجود الثنائيات أصلا في ألفاظ العربية الممكنة هي دعوى بلا برهان وقائمة على الحدس والتخمين على الرغم مما فيها من مراعاة لظاهر بعض الألفاظ كـ (فم) ونحوها على وفق أسس المنهج الوصفي الحديث، لكن الالتزام بها ليس فيه تفسير لوجود الواو والهاء في تصاريف اللفظة كـ (فويه وأفواه، وتفوهت ومفوه) وليس فيه تفسير لسقوط الميم في هذه التصاريف.

٦٩- القرآن

اختلف في تأصيل القرآن، جامد أم مشتق؟ والذاهبون إلى أنه مشتق مختلفون في أصل اشتقاقه فذهب بعض العلماء إلى أن القرآن اسم مرتجل جامد يدل على اسم الكتاب الذي أنزل على محمد (صلى الله عليه وآله) بدليل عدم معرفة اللفظ قبل الإسلام وعدم وروده في شعر تلك الحقبة ^(٢). لكن أكثر العلماء ذاهبون إلى أن القرآن مشتق لأن الكلام العربي يكون الاشتقاق أصلا فيه، والجمود فرع، فلا ينبغي ترك الأصل إن وجد إليه سبيل واضح. وقد اتضح هذا السبيل في لفظ القرآن أيما وضوح. ولذا أخرجوه على أنه مشتق من أحد أصليين اختلفوا فيهما، أولهما وعليه أكثرهم أن القرآن مصدر (قرأ) كالشكران مصدر (شكر) والكفران مصدر (كفر) والخسران مصدر خسر، وهو مصدر سمي به التنزيل العزيز وصار علما عليه وهو من

(١) ينظر: التطور النحوي ١٥.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن ١٨ والتطور الدلالي ٤٨٩.

إطلاق المصدر على اسم المفعول إذ القرآن بمعنى المقروء. والقرآن مثل القراءة كلاهما مصدر لـ(قرأ) وقد أفاد حسان بن ثابت من علاقة الترادف بين المصدرين فقال ^(١):

ضَحُوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا
أي تسبيحا وقراءة. والأصل (قرأ) يدل في العربية على معان كثيرة منها ولهم: قرأت الناقة والشاة بمعنى حملت وقرأ الشيء جمعه وضم بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلاقط وما قرأت جنيبا قط أي لم تضمّ رحمها على ولد، ويقال أيضا: قرأ الرجل إذا تلا، والقرآن يلحظ فيه معنى الجمع والتلاوة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨] . إذ قال معظم المفسرين أن كلمة (قرآنه) الأولى تعني جمعه وضم بعضه إلى بعض وحفظه و(قرآنه) الثانية تعني قراءته كما أنزل ^(٢).

أما الأصل الثاني لاشتقاق (القرآن) فصاحبه مكّي القيسي الذي قال: "القرآن مشتق من قرئت الماء في الحوض إذا جمعته، فكأنه قد جمع فيه الحكم والمواظع والآداب والقصص والفروض" ^(٣). وعلى هذا الوجه يكون أصل (قرآن) هو (قريان) وهمزت الياء شذوذا. ورد أبو حيان دعوى القيسي قائلا: "من زعم أنه من قرئت الماء في الحوض أي جمعته فقله فاسد لاختلاف المادتين" ^(٤) فكأنه أشار إلى تكلف همز لام القرآن إن أخرج من أصل معتل اللام بالياء. ويبدو أن قولهم: "قرئت الماء في الحوض وقروته أيضا" لغتان في

(١) ديوانه ٢١٦.

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ٣٣ وجامع البيان ٦٥/١ والشيرازيات ١٩٤/١ والجامع لأحكام القرآن ٦٨٩٧/١٠ ولسان العرب ١٢٤/١ والبحر المحيط ٢٦/٢ - ٢٧ وتفسير ابن كثير ٤٤٩/٤ وبصائر ذوي التمييز ٢٦٢/٤ وفي ظلال القرآن ٣٧٧/٨.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢٢٨/١.

(٤) البحر المحيط ٢٧/٢.

(قرأ) لبيان معنى الجمع في الأصول الثلاثة^(١) فعلى هذا يكون إخراج اللفظ من اللغة الأم (قرأ) هو الملتزم لوضوح سبيلي الاشتقاق والدلالة منها.

٧٠- قرن

اختلف في تأصيل (قرن) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣) فذهب فريق من العلماء إلى أن (قرن) أمر من (قَرَرْتُ) بالمكان أَقَرُّ قَرَارًا وقُرُورًا من الباب الرابع، وهي لغة قليلة في القرار عُزِيت حكايتها إلى الكسائي وأبي عبيد، وإنما الكثير الشائع (قَرَرْتُ) بالمكان أَقَرُّ من الباب الثاني، وبه فُسِّرَت قراءة من قرأ (قرن) بكسر القاف اذ أصلها (اقررن) فحركت الفاء بكسرة العين وحذفت اللام لالتقاء الساكنين بعد نقل حركة العين ثم استغنى عن همزة الوصل فصار (قرن) بزنة (فعن). فعلى هذا يكون أصل (قرن) في قراءة الجمهور (اقررن) من اللغة القليلة (قَرَرْتُ أَقَرُّ) وحذفت اللام لالتقاء الساكنين بعد نقل فتحة العين إلى الفاء ثم استغنى عن همزة الوصل لزوال موجب اجتلابها، وإنما حذفت إحدى الرائين لأن الراء حرف تكرير فإذا استثقل التكرير والتضعيف في حرف غير مكرر ففي المكرر يكون الثقل أعظم، ولما حذفوا التضعيف في الحروف التي لا يدخلها الحذف فقالوا: ربَّ ورُبَّ وإنَّ وإنَّ، كان حذف التضعيف في الأفعال أولى لأن الافعال كثيرا ما يتعرضها الحذف، أي إنَّ قرن على مذهب هؤلاء بزنة (فعن) من القرار^(٢).

(١) ينظر: لسان العرب ١٢٠/١٩ - ١٢٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٤٢/٢ وتفسير غريب القرآن ٣٥٠ والبيان ٢٦٨/٢ والجامع لأحكام القرآن ١٧٩/١٤ والبحر المحيط ٢٣٠/٧ وشرح المراح ١٤٩.

وعُزِي إلى المازني والأخفش الصغير إنكارهما تخريج (قَرْن) من اللغة القليلة (قَرَرْتُ بالمكان أَقَرَّ) وعدّها لغة مرذولة ولا تصلح لتفسير ألفاظ الذكر الحكيم، ولذا ذهبوا إلى أن (قَرْن) أمرٌ من (قَرَرْتُ به عينا أَقَرَّ قُرّة) من الباب الثالث فعلى هذا يكون أصل الفعل (اقررن) وحذفت لامه لالتقاء الساكنين على وفق ما سبق^(١) فصار وزنه (فَعَن) من قُرّة العين.

وجوز الفارسي اشتقاق الفعل من القرار بالمكان أو قُرّة العين لكنه ذهب إلى أن المحذوف منه عينه لا لامه وعنده أصل (قَرْن): (اقررن) فقلبت الراء الاولى وهي العين ياء فرارا من توالي الأمثال كما قلبت النون الاولى ياء في (دينار) أصله (دنار) قصار التقدير لديه (اَقِيرَنَّ) فألّقت حركة الياء على القاف الساكنة قبلها لأنّ الصحيح أولى بالحركة من المعتل، فالتقى ساكنان في (اَقِيرَنَّ) فحذف أولهما حذفاً مقيساً ثم سقطت همزة الوصل لعدم الاحتياج إليها فصار اللفظ (قَرْن) بزنة (قَلَن) من القرار أو القُرّة وإنما ذهب الفارسي إلى هذا التطويل مراعاة للقياس الذي يستدعي حذف أول الساكنين اذا التقيا، وحذف اللام في القولين السابقين غاية في الشذوذ^(٢).

وجوز مكّي القيسي أن تكون الراء الأولى التي هي عين الفعل إنما حذفت كراهة التضعيف كما قالوا: (ظَلَّتْ) والأصل (ظَلَّلَتْ) أي إن الأصل (اقررن) حذفت راؤه الأولى كراهة التضعيف بعد إلقاء فتحها على القاف ثم حذفت ألف الوصل لتحرك القاف^(٣).

وعزا أبو حيان والعيني إلى الفتح الهمداني ذهابه إلى إن (قَرْن) أمرٌ من (قار بالمكان يقار قارة إذا اجتمع) ك(خاف يخاف) وأصله (اقورن) لأنّ الفعل أجوف واوي فأعلت عينه بالتسكين أولاً ثم بالحذف لالتقاء الساكنين ثانياً، ولما

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٥٧٦/١ والجامع لأحكام القرآن ١٧٩/١٤ والبحر المحييط ٢٣٠/٧ وتوضيح المقاصد ١٠٢/٦.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧٩: ١٤ والبحر المحييط ٢٣٠/٧ وتوضيح المقاصد ١٠٢/٦.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٥٧٦/١.

حُرِّكَ التاء بالفتح في الاعلال الأول استغني عن همزة الوصل فصار اللفظ (قَرْن) بزنة (فَلْن) ك (خَفْن) من الخوف^(١).

ونظرة فاحصة في معاني الألفاظ التي تلمسها العلماء أصولاً لـ (قَرْن) تفصح عن رجحان (القرار بالمكان) أصلاً مناسباً لمعنى (قَرْن) الوارد في الآية الكريمة، أما قُرّة العين والقارة بمعنى الاجتماع فأصلان ذوا معنيين لا يلحظان في (قَرْن) إلا بطريق المجاز البعيد والتأويل المتكلف.

٧١- قبيعة

اختلفوا في دلالة قبيعة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَاءً حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: ٣٩) على مذهبين:

الأول: رأى أن اللفظة اسم مفرد، والقبيعة والقاع بمعنى واحد وهو المستوى من الأرض ليس فيها رُبى. وأقدم إشارة إلى هذا الوجه وردت عند أبي عبيدة^(٢) ونقل عنه خالفوه أنه رأى أن القبيعة، والقاع واحد^(٣)، واختار هذا الوجه طائفة من المفسرين واللغويين الذين رأوا أن القاع هو المستوي من الأرض، والجمع: أقوع وأقواع وقيعان، صارت الواو ياء لكسر ما قبلها، والقبيعة مثل القاع ولم يذكروها ضمن جموع (القاع)^(٤). وذكر آخرون هذا وجهاً جائزاً في تأويلهم دلالة اللفظة ولم يعزوه إلى أبي عبيدة. وعضد هذا الوجه بأن اللفظة (بقبيعة) قرئت: (بقيعات) بناءً طويلة على أنه جمع قبيعة

(١) ينظر: البحر المحيط ٢٣٠/٧ وشرح المراح ١٤٩.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ٦٦/٢.

(٣) ينظر: معاني النحاس ٥٤٠/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٩٧/٣ والجامع لأحكام القرآن ٣٨٢/١٢.

(٤) ينظر: معاني النحاس ٥٤٠/٢ ومعاني القرآن إعرابه ٤٧/٤ والصحاح (قاع) ونظم الدرر ٣٦٩/٥ ومجمع البحرين للصغاني ٣٤٥/١.

كديمات وقيمات في ديمة وقيمة، وهذا يدل على إن (قيعة) مفرد مؤنث ومذكره القاع ولذا جمعت (القيعة) جمعا مؤنثا سالما بالألف و التاء^(١). وعُضد كذلك بأن اللفظة قُرئت أيضا (قيعاة) ووقف عليها بالهاء ومن رأى أن اللفظة (قيعة) مفرد، رأى أن أصل القراءة (قيعاة) هو (قيعة) كما في قراءة الجمهور لكنه أشبع الفتحة فتولدت منها الألف مثل مخربق لينباع^(٢). وجوز الزمخشري أن يكون (بقيعاة) بقاء مَدَوْرَة كرجل عِزْهَة فظاهرُ هذا أنه جعلها صفة لمفرد وألفها أصلية وليست إشباعا من الفتحة^(٣).

الآخر: إن اللفظة جمع مكسر على فعلة الدال على القلة مفردة قاع ك (جار جيرة) و (نار نيرة)، والقاع الأرض الملساء وقيل مستنقع الماء، وجمعه أقوع أقواع وقيعان وقيعة^(٤). وأقدم من ذكر هذا الوجه هو الفراء في قوله: "القيعة جماع القاع واحدها قاع؛ كما قالوا: جارٌ وجيرة. والقاع من الأرض: المنبسط الذي لا نبت فيه، وفيه يكون السراب"^(٥). وشايع الطبري الفراء فقال: "وقوله: (بقيعة) وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب"^(٦). لكن الطبري اختار تأويل القيعنة

(١) ينظر: البحر المديد ٤/٤٦ التبيان في تفسير غريب القرآن ١/٢٤٥ والمحرم الوجيز ٤/١٨٦ وإرشاد العقل السليم ٦/١٨٠ وروح المعاني ٦/١٦١١ وفتح القدير ٤/٤٣ والنكت والعيون ٤/١٠٩ وتفسير الرازي ٢٤/٣٩٩ وتبيين القرآن ٢/١٩٥.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٦/١٨٠ وروح المعاني ٦/١٦١١ والبحر المحيط ٨/٥١ وتفسير اللباب ١٤/٤٠٠ والجامع لأحكام القرآن ١٢/٣٨٢.

(٣) ينظر: الكشف ٣/٢٤٣ والدر المصون ٨/٤١١.

(٤) ينظر: التبيان للطوسي ٧/٤٣٥ والكشاف ٣/٢٤٣ ومجمع البيان ٧/٢٢٨ والمحرم الوجيز ٤/١٨٦ وإرشاد العقل السليم ٦/١٨٠ وفتح القدير ٤/٤٣ وبحر العلوم ٢/٥١٥ ومعالم التنزيل ٣/٤٢٠ والجامع لأحكام القرآن ١٢/٣٨٢ والتحرير والتنوير ١٨/٢٥٠ والبحر المديد ٤/٤٦ وزاد المسير ٣/٢٩٩.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٤.

(٦) جامع البيان ١٩/١٩٥.

بالجمع على الرغم من أن معظم أقوال أهل التأويل التي أخرجها صريحة بأن اللفظة مفرد فنقل عن ابن عباس أنها (الأرض المستوية) ^(١) وأخرج عن مجاهد ومقاتل تأويلهما (بِقِيعَةٍ) بأن قالوا "بقاع من الأرض" ^(٢).

واختار هذا الوجه كثير من المفسرين واللغويين فرجحوه على الوجه السابق في تأصيلهم اللفظة ^(٣).

ووجهت قراءة (قيعات) توجيهها بعضد هذا الوجه وهو إن (قيعة) وإن كانت جمعا للقاع لكنها جاز جمعها بالألف والتاء فقالوا (قيعات) وهو جمع للجمع "فتكون على هذا قراءة قيعات جمع صحة تناول جمع تكسير مثل رجالات قريش وجماليات صفر" ^(٤).

وكذا وجهت القراءة (بقِيعَة) بتاء مدورة توجيهها يبرز دلالة (قيعة) على الجمع وهو إن (قيعاء) جمع للجمع (قيعة) بالألف والتاء ووقف على جمع الجمع بالهاء على لغة طيء كما قالوا: البناء والأخواء والمكرماه، في البنات والأخوات والمكرمات. ولكن هذا التوجيه ظاهر ضعفه لما صرف اللفظة إلى جمع الجمع وقابلها بجموع المؤنث السالبة (البنات والاختوات والمكرمات) فهي الثلاثة جموع للمفرد لا جموعا للجمع.

ويمكن الاستدلال للوجه الأول بأن سياق الآية مفرد يتحدث عن السراب وهو واحد والظمان وهو مفرد فحصل التوافق العددي بين الحاسب (الظمان) والمحسوب الأول (السراب) والمحسوب الثاني (الماء) فينبغي أن يكون الظرف واحداً لا متعدداً وهو أن (قيعة) وعاء واحد للموعى المفرد (السراب) وعلى هذا يستقيم إعراب (بِقِيعَةٍ) من وجهين "أحدهما: أنه متعلق

(١) جامع البيان ١٩٥/١٩ وينظر: تنوير المقياس ٢٩٦/١.

(٢) جامع البيان ١٩٦/١٩ وينظر: تفسير مجاهد ٤٩٣/١ وتفسير مقاتل ١٧١/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٢/١٢ واللباب في علوم الكتاب ٤٠٠/١٤ ونظم الدرر ٣٦٩/٥.

(٤) الكشف ٢٤٣/٣ وينظر: البحر المحيط ٥١/٨.

بمحذوف على أنه صفة لسراب. والثاني: أنه ظرف. والعامل فيه الاستقرار العامل في كاف التشبيه. والسراب: ما يتراءى للإنسان في القفر في شدة الحر مما يشبه الماء.^(١)

فالمحصل من البيان القرآني في هذه الآية أن القيعه هي الأرض القفر المستوية، التي لا تنبت الشجر. ولما كان السراب هو ما تفرق من الهواء في الهجير في فيافي الأرض المنبسطة؛ وكأنه ملتصق بها، جيء بالباء الدالة على الإلصاق في قوله تعالى: "بقيعه" للتعبير عن هذا المعنى. ولو قيل: كسراب في قيعه، لدل ذلك على أن القيعه كالظرف للسراب، وأن السراب داخل القيعه، وهو ليس كذلك؛ ولهذا اشترط الفراء في السراب أن يكون ملتصقاً بالأرض^(٢). وفي قوله تعالى: "يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً" إشارة إلى خداع النفس بعد خداع البصر بهذا السراب؛ فإن لهفة الظمان، وحرارة شوقه إلى الماء تغطي على عقله، فيحسب السراب ماء. مثله في ذلك مثل الخائف المذعور في سواد الليل ووحشته، يمثل له الوهم أشباحاً تطلع عليه من كل أفق، تريد الانقضااض عليه، والفتك به. ولهذا اختار سبحانه للتعبير عن هذا المعنى "يَحْسَبُهُ"، دون (يَظُنُّه). وجيء به على صيغة المضارع؛ ليفيد معنى التجدد والاستمرار.

٧٢- كَأَنَّ، وَيَكُنَّ

ذهب الجمهور إلى إنَّ (كَأَنَّ) مركبة من كاف التشبيه و (أَنَّ) المؤكدة وعندهم أصل (كَأَنَّ زيدا أسد) هو (إنَّ زيدا كالأسد)، وقدّمت الكاف

(١) الدر المصون ٤١١/٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٥٤/٢ وتأويل مشكل القرآن ١٩٧/١ وتفسير غريب القرآن ٢٠٥/١

للاهتمام بالتشبيه وفتحت همزة (إن) لأن (إن) المكسورة الهمزة لا يدخل عليها حرف الجر^(١).

وذهب بعض المتأخرين كابن هشام والمالقي إلى بساطتها مستدلين بأن الأصل في الحروف البساطة، والتركيب فيها عارض ولا يدعى مخالفة الاصل الا بدليل قاطع وان (كأن) لو كانت مركبة لكانت الكاف حرف جر فيلزمها ما تتعلق به لأنها ليست بزائدة و أن الكاف اذا كانت داخلية على (ان) لزم ان تكون وما عملت فيه في موضع مصدر مخفوض فترجع الجملة التامة جزء جملة فيكون التقدير في (كأن زيدا قائم) كقيام زيد فيحتاج إلى ما يتم الجملة و (كأن زيدا قائم) كلام قائم بنفسه لا محالة^(٢) والتقدير الذي رآه الجمهور قد لا يُستحصل بالتقديم والتأخير في بعض المواضع فتقول: كأن زيدا قام وكأن زيدا في الدار، وكأن زيدا عندك، وكأن زيدا قام أبوه^(٣).

وأيد المحدثون مذهب التركيب في (كأن) لقوة الاستدلال عليه لدى القدماء واطراد تقدير أن المؤكدة وكاف التشبيه في كل المواضع التي استعملت فيها (كأن) مع قليل من التقدير والتأويل^(٤).

واختلف - أيضا - في تأصيل (ويكان) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَآنُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾ القصص: ٨٢. فلما سأل سيبويه الخليل عن أمرها قال له: "إنها (وي) مفصولة عن

(١) ينظر: الكتاب ١٥١/٣ وتأويل مشكل القرآن ٤٠٢ والأصول ٥٣٠/١ وسر صناعة الإعراب ٣٠٣/١ والمقتصد ٤٤٤/١ والفصل ١٣١ والإنصاف ١٩٧/١، ٢٢٤ وشرح ابن الناطم ٦٥ وشرح الكافية ٣٦٠/٢ وجواهر الادب ٢٣٤ وجمع الهوامع ١٥١/٤ وشرح الاشموني ٢٧١/١ - ٢٧٢ وحاشية الصبان/٢٧٠.

(٢) الجنى الداني ٥١٩.

(٣) نفسه ٥١٩ وينظر: معني اللبيب ١٩١/١ ورصف المباني ٢٠٩.

(٤) ينظر: معاني النحو ٣٣٤/١ والمركبات ٤٥.

(كأن)، والمعنى وقع على إن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم أو نبهوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا^(١). واستحسن فريق من الخالفين^(٢) هذا المذهب، قائلين: إنه ليس مذهب الخليل وحده، وإنما هو مذهب جمهور البصريين كسيويه ويونس وقطرب وغيرهم، مفسرين إياه بأن (وي) المفصولة اسم سُمي به الفعل في الخبر، يفيد التنبيه والتندم، وهو بمعنى أعجب، و "كل من تندم أو ندم فأظهر تندمه أو ندامته أن يقول (وي) كما تعاقب الرجل على ما سلف منه فيقول: وي كأنك قصدت مكروهي"^(٣). وكأن فيه زائدة تفيد التحقيق وليست للتشبيه بل هي كالتي في قول الشاعر^(٤):
"كَأَنِّي حِينَ أُمْسِي لَا تُكَلِّمُنِي مُتِمِّمٌ يَشْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
أَيُّ أَنَا حِينَ أُمْسِي مُتِمِّمٌ مِنْ حَالِي كَذَا وَكَذَا"^(٥).

ومما يدل على إن نون (ويكأن) هي نون (كأن) جواز تخفيفها في الكلام كقول الشاعر:

وَيِ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحِبُّ بَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضُرٍّ^(٦)
ونعت الفراء هذا المذهب بأنه "وجه مستقيم ولم يكتبها العرب منفصلة ولو كانت هكذا لكتبوها منفصلة، وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت

(١) الكتاب ١٥٤/٢.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٥٢٦ ومعاني القرآن وإعرابه ١٥٧/٤ وإعراب القرآن للنحاس

٥٥٩/٢ والخصائص ١٧٢/٢ والمختضب ١٥٥/٢ والبيان ٢٣٦/٢ والتبيان للعكبري ١٨٠/٢

وشرح المفصل ٧٦/٤ والبرهان ٤٤٣/٤ وخزانة الادب ٩٦/٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٥٧/٤.

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٥٨.

(٥) الخصائص ١٧٢/٣.

(٦) ينظر: الكتاب ١٥٥/٤ ومجالس ثعلب ٣٨٩ وخزانة الادب ٩٥/٣ - ٩٦.

بما ليست منها كما اجتمعت العرب على كتب (يا ابن ام؛ يَنْوُم) ﴿طه: ٩٤﴾، وكذا رأيها في مصحف عبد الله وهي في مصاحفنا أيضاً^(١).

ويفهم من هذا أن الفراء استحسّن هذا المذهب، وأحسن بعضهم صنعا حين عدّ الفراء سائرا فيه^(٢) ونسب النحاس هذا المذهب إلى الكسائي^(٣)، وسيأتي تسمّح النحاس في إطلاقه هذه النسبة.

وكان الرضي قد نعت هذا المذهب بأنه لا يخلو من "تعسف في المعنى لأن معنى التشبيه غير ظاهر نحو قوله تعالى: ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرُّزْقَ﴾، و﴿وَيَكُنَّه لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤).

وانتصف البغدادي للخليل وصحبه من الرضي فذكر أن دلالة (كأن) على التشبيه هو خلاف المنقول عن الخليل وسيبويه وإنما هي لدهيما إخبار عار من معنى التشبيه ومعنى الآيتين: إن الله ييسط الرزق، وإن الكافرين لا يفلحون^(٥).

وعزي إلى الكسائي^(٦) ذهابه إلى أن أصله (ويلك إن...) ثم حذفت اللام وفتحت همزة (إن) على تقدير مضمّر، فكأن أصل اللفظ (ويلك اعلم أن...) أو (ويلك ألم تر أن...)، وقد سمع حذف لام (ويلك) كقول عنتره^(٧):

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَبَرَأ سَقْمَهَا قِيلَ الْفَوَارِسِ وَيَكْ عَتَرَ أَقْدَمِ

(١) معاني الفراء ٣١٢/٢.

(٢) ينظر: خزانة الادب ٩٥/٣.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥٥٩/٢.

(٤) شرح الكافية ٨٣/٢.

(٥) ينظر: خزانة الادب ٩٦/٣.

(٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٥٢٦ والخصائص ١٧٢/٣ والمحاسب ١٥٥/٢ وشرح المفصل

٧٧/٤ والبرهان ٤٤٣/٤ وخزانة الادب ٩٦/٣.

(٧) ديوانه ٢١٩.

وأخطأ السيرافي والانباري والعكبري^(١) في عزوهم هذا المذهب إلى الفراء لأن المأثور عنه في كتابه معاني القرآن إنكاره هذا المذهب الذي نسبه إلى بعض النحويين قائلًا: "لم نجد العرب تعمل الظن والعلم بإضمار مضمر في (أن)، وذلك إنه يطل إذا كان بين كلمتين أو في آخر الكلمة"^(٢).

ورد الزجاج والنحاس مذهب الكسائي من ثلاثة أوجه أولها: إن القياس في همزة (أن) أن تُكسر بعد (ويلك) على الاستئناف ولا موجب لتقدير محذوف قبلها، وثانيها: إن القوم لم يخاطبوا أحداً فيقولوا له: ويلك، والثالث: إن حذف لام (ويلك) لا يقوم عليه دليل وأما (ويك) في نحو قول عنتر فيمكن توجيهه بأنه (وي) زيد بعده (كاف) الخطاب^(٣). ومن هنا اكتفى ابن جني في رده هذا المذهب قائلًا: "هذا يحتاج إلى خبر نبي ليُقبل"^(٤).

وعُزي إلى أبي الحسن الأخفش ذهابه إلى أن (ويكأن) مركبة من (وي) وهي اسم فعل بمعنى أعجب - كما في مذهب الخليل - موصلة بـ (كاف) الخطاب) بعدهما (ان) المتعلقة بما في (ويلك) من معنى الفعل لذا فتحت همزتها^(٥). وقد أشار الفراء إشارة بينة إلى مذهب الأخفش هذا لكنه لم يشر إلى طريقة تركيب (ويكأن) فيه، وإنما قال: "أخبرني شيخ من أهل البصرة، قال: سمعت أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك؟ ويلك. فقال: ويكأنه وراء البيت، ومعناه أما ترينه وراء البيت"^(٦). وقد استحسّن الرضي هذا المذهب الذي عزاه خطأ إلى الفراء، لكنه ادّعى أن لاما خافضة محذوفة قبل (إن)، وبها

(١) ينظر: الكتاب ١٥٤/٣ (الهامش) والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٣٦/٢ والتبيان للعكبري ١٨٠/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣١٢/٢.

(٣) ينظر: الخصائص ١٧٢/٣ والمحتسب ١٥٥/٢ وشرح المفصل ٧٨/٤.

(٤) المحتسب ١٥٥/٢.

(٥) ينظر: الخصائص ١٧٢/٣ والمحتسب ١٥٥/٢ وشرح المفصل ٧٨/٤.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣١٢/٢.

يُفسَّرُ فتح الهمزة ويقرب المعنى، لأنَّ المخاطب كان يدَّعي أنَّ الكافرين يفلحون، فقليل له: (ويك) أي (عجبا منك) فقال: لم تتعجب؟، فقليل له: لأنَّه لا يفلح الكافرون، ثمَّ حُذفت اللام من الأصل (ويك: لأنَّه...) ^(١). وما أخذ على الكسائي أنَّ اللفظ لا دلالة فيه على الخطاب يؤخذ على هذا المذهب أيضاً.

وكان الفراء قد قال في مبتدأ بحثه اللفظة: "ويكأنة في كلام العرب تقرير، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله" ^(٢)، وفهم بعض المتأخرين من هذا انه ذهب إلى إنَّ (ويكأن) بسيطة وليست مركبة ٣. وخير ما يلتزم في تأصيل اللفظة أنَّها مركبة من (وي) و (كأن) وفاقا للخليل وصحبه لبيان الدليل على بُعد المذاهب الأخرى.

٧٣- كَأَيْنَ

اختلف في تأصيل كَأَيْنَ في نحو قوله تعالى: ﴿وَكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿آل عمران: ١٤٦﴾، فذهب سيويه والجمهور إلى أنَّها مركبة من كاف التشبيه و (أي) الاستفهامية المنونة ثمَّ حصل بالتركيب لها معنى ثالث لم يكن حاصلًا لكل واحد منهما في حال الإفراد فصارت (كَأَيْنَ) بمعنى (كم) المستعملة في الخبر، وقيل بمعنى (رب)، إذ إنَّ (كَأَيْنَ) في استعمال العرب خبرية تدل على الكثير، وتمييزها يكثر جرَّه بمن كقوله تعالى ﴿وَكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ ﴿الحج: ٤٨﴾، ولذا رسم تنوينها

(١) ينظر: شرح الكافية ٨٣/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣١٢/٢.

(٣) ينظر: شرح المفصل ٧٨/٤ وخزانة الأدب ١٠١/٣ - ١٠٢.

نونا في القرآن لأنه لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية ولهذا الشبه جاز الوقف على (كأَيْنَ) بالنون^(١).

وعُزي إلى ابن عصفور أن كاف (كأَيْنَ) زائدة وليست للتشبيه كما في مذهب سيويه والجمهور لأنها لا يراد بها التشبيه وهي مع ذلك لازمة كلزوم ما الزائدة في (لاسيما) وغير متعلقة بشيء وكسائر حروف الجر الزوائد و (أي) مجرور بها^(٢).

وعُزي إلى ابن جني ذهابه إلى إنها مركبة من كاف التشبيه و (أي) الذي هو مصدر (أوى يأوي) إذا انضم واجتمع وأصله (أوي) فأعلت واوه بقلبها ياء لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون، وعورض هذا بأنه دعوى لا يقوم عليها دليل^(٣). وما أثر عن ابن جني يدفع عنه هذا المذهب المتكلف، اذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: "هي أي دخلت عليها كاف الجر"^(٤)، فعلى هذا هو سائر في ركب سيويه والجمهور.

وعُزي إلى ابن خروف إجازته مذهبا آخر في (كأَيْنَ) هو "أن تكون مركبة من كاف التشبيه التي هي اسم ومن (أَيْنَ) على وزن (فيعل) وإن لم يستعمل هذا مفردا بل مركباً مع كاف التشبيه وهو مبني على السكون من حيث

(١) ينظر: الكتاب ١٧١/٢ وتأويل مشكل القرآن ٥/٩ وإعراب القرآن للنحاس ٤١٠/١ والبغداديات ٣٩٣ والمحتسب ١٧٠/١ والكشف ٣٥٨/١ ومشكل إعراب القرآن ١٧٥/١ والنكت في تفسير سيويه ٣٢/١ والمحزر الوجيز ٣٢٧/٥ وشرح المفصل ١٣٤/٤ - ١٣٥ والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٥٤/١ والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/٤ وشرح الشافية للرضي ١٠٥/٢ وارتشاف الضرب ٣٨٥/١ والبحر المحيط ٧٢/٣ ومغني اللبيب ١٨٦/١ وتفسير ابن كثير ٤١٠/١ والتصريح ٢٨١/٢ وهمع الهوامع ٣٨٨/٤ وشرح الأشموني ٨٥/٤ - ٨٦ وفتح القدير ٣٥٨/١ والتحرير والتنوير ١١٦/٤.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب ٣٨٥/١ وهمع الهوامع ٣٨٨/٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٧٢/٢.

(٤) المحتسب ١٧٠/١.

استعمل في معنى (كم) " ^(١) أي إنَّ نون (كأَيْن) في هذا المذهب أصيلة هي لام (أَيْن) بوزن (فيعل) ك (سيّد وميّت)، وليس أصلها تنوين الجر بالكاف كما في مذهب الجمهور. وقراءة اللفظة بالوقف على الياء وحذف النون ^(٢) تردّ هذا المذهب الذي عدّ النون لاما لا يجوز حذفها البتة زيادة على ما فيه من حمل اللفظة على أصل لم يُنطق به.

وعزا أبو حيان إلى بعض أصحابه قوله: "يحتمل ان تكون بسيطة" فعلق به قائلا: " وهذا الذي كنت أذهب إليه قبل أن أقف على قول هذا القائل " ^(٣). ولا دليل على بساطة (كأَيْن) في هذا المذهب. ومذهب سيبويه والجمهور أولى بالاتباع لأن (أي) الاستفهامية فيه لما قطعت عن الإضافة وجب تنوينها، وجرّ ما بعدها بـ (من) الزائدة ^(٤) فكثرت استعمال التركيب (كأي من) وبه جاء التنزيل العزيز، ولما لزم التنوين وكثُر فيها أشبه النون الأصلية وعومل في الرسم والوقف معاملتها، وشبه أحكام العربية بعضها لبعض ليس بعزيز.

٧٤- كلا، كلتا

اختلف في (كلا) و (كلتا) في نحو قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿الإسراء: ٢٣﴾ وقوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ ﴿الكهف: ٣٣﴾ دلالة ووزنا، فأما الدلالة فالخلاف فيهما أمثليان لفظا ومعنى ام معنى لا لفظا؟. فذهب الكوفيون إلى إنهما مثليان لفظا ومعنى، وإنَّ أصلهما (كَل) (كَل).

(١) ارتشاف الضرب ٣٨٥/١.

(٢) ينظر: الحجة لابن خالويه ٤٤، ٣٤٨ والحجة للفارسي ٣٨٥/٢ والتبصرة لمكي ١٧٤ ومشكل إعراب القرآن ٣٥٧/١ والشوارد ٤٨ والنشر ٢٤٢/٢.

(٣) ارتشاف الضرب ٣٨٥/١ وينظر: البحر المحيط ٦٥/٣.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٧٤/٢ وظاهرة الشذوذ ١٩١.

فحذفت اللام وكسرت الفاء وزيدت الألف في (كلا) علامة للثنية وزيدت التاء والالف في (كلتا) علامتين للتأنيث والثنية. واستدلوا على ذلك بالسماع والقياس، فأما السماع فإن الشاعر لما قال^(١):

في كلت رجليها سلامى واحدة كلتاهما مقرونّة بزائدة
خاطب المفردة المؤنثة فزاد التاء وحدها على (كل) المخفف من (كلّ)
ولم يأت بألف الثنية لأن المخاطب مفرد مؤنث. وأما القياس فإن ألف (كلا)
و (كلتا) تنقلب ياء في النصب والجر إذا أضيفا إلى الضمير في حالتي النصب
والجر فهما كألف المثنى المنصوب والمجرور^(٢).

وذهب البصريون إلى إن (كلا) و (كلتا) مثنيان معنى لا لفظا وألف
(كلا) لام الكلمة وألف (كلتا) للتأنيث وليس ألفهما علامة للثنية وإنما هي
بمنزلة الألف في (رضا) و (ذكرى)، واستدلوا على ذلك بأمر أولهما: عودة
الضمير عليهما مفردا كما في قوله تعالى: (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا)، وقول
الاعشى^(٣):

كلا أخويكم كان فرعا دعامّة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
ولو كان (كلا) و (كلتا) مثنيين لفظا ومعنى لعاد عليهما الضمير مطابقا
فقليل: (آتا) و (كانا). وثانيها: كثرة إضافتهما إلى المثنى الظاهر ولو كانا مثنيين
حقيقيين لما جازت تلك الإضافة لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه. وثالثها: جواز
إمالة ألفهما كما في قراءة حمزة والكسائي وخلف لقوله تعالى (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ)،

(١) لم يعرف قائله. وهو في الإنصاف ٤٣٩/٢ وشرح الكافية ٢٨/١ وائتلاف النصرة ٥٥
والمقاصد ١٥٩/١ وخزانة الأدب ١٦٢/١.

(٢) ينظر معاني الفراء ١٤٢/٢ وجامع البيان ١٦٠/٥ والألمالي الشجرية ١٨٨/١ وأسرار
العربية ١٨٦ - ٢٨٧ والإنصاف ٤٣٩/٢ - ٤٤٤ ولسان العرب ٢٢٨/٢٠ وائتلاف النصرة
٥٥.

(٣) ديوانه ١٠٩.

و (أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) ^(١)، ولو كانت ألفهما علامة للتثنية لما جازت أمالتهما. ورابعها: إن ألفهما لو كانت علامة للمثنى لوجب قلبها ياء في حالتي النصب والجر إذا اضيفتا إلى الظاهر لأنه الاصل والمضمر فرعه. والخامس: إن في (كل) معنى ليس في (كلا وكلتا) فكل للإحاطة والشمول و (كلا وكلتا) لمعنى مخصوص لهذا يدل على أصالة كل منهما في وضعه ودلالته ^(٢). وعورضت حجج الكوفيين بأن (كلت) في قول الراجز أصله (كلتا) وحذفت ألفه ضرورة واجتزئت منها الفتحة لتدل عليها كما اجتزئت منها في قول الراجز ^(٣):

وصاني العجاج فيما وصني

فحذفت الالف في الفعل الثاني ونابت عنها الفتحة لأجل الوزن، ومثل هذا كثير في الشعر. أما قلب ألف (كلا وكلتا) ياء عند إضافتهما إلى المضمر في حالتي النصب والجر فليس قياسا على قلب ألف المثنى ياء في النصب والجر، وإنما فعل بهما ذلك لأمرين: الأول: إنهما لما كانا مفردين لفظا مثنيين معنى وهما يضافان إلى المضمر والظاهر معا روعي في إضافتهما الإفراد والتثنية معا، فثبتت ألفهما مع الظاهر مراعاة للفظ المفرد لأن الإفراد أصل والظاهر أصل فناسب كل صاحبه، وقلبت ألفهما ياء مع المضمر مراعاة لمعنى المثنى لان المثنى فرع والمضمر كذلك فناسب الفرع. والآخر إن ألفهما إنما ثبتت مع الظاهر وقلبت ياء مع المفرد لانهما مضافان وجوبا وما بعدهما مجرور بهما فأشبهها (إلى وعلى ولدى) هيئة وعملا، فلما ثبتت الألف مع الظاهر في (إلى زيد وعلى زيد ولدى زيد) ثبتت كذلك في (كلا الزيدين) و (كلتا الجنتين) ولما قلبت الألف ياء مع المضمر في (إليك، وعليك، ولديك) قلبت كذلك في

(١) ينظر النشر ٥٠/٢ واتحاف فضلاء البشر ٢٨٢.

(٢) ينظر: الكتاب ٤١٢/٣ - ٤١٤ والمقتضب ٢٤١/٣ وإعراب القرآن المنسوب ٨٠٠/٣ وليس في كلام العرب ١٤٢ والانصاف ٤٤٩/٢ واللباب ٣٣٠ والمتبع ٤١٠/٢ وائتلاف النصرة ٥٥-٥٦.

(٣) لرؤبة في لسان العرب ٢٢٨/٢٠.

(كليهما وكليهما) منصوبين أو مجرورين، وصح هذا القياس لأن قلب الألف ياء في (كليهما وكليهما) مخصوص بحالتي النصب والجرح دون حالة الرفع وكذلك (لديك) ونحوها إنما تستعمل في حالتي النصب والجرح ولا تستعمل في حالة الرفع^(١). وقد اختار معظم المتأخرين مذهب أهل البصرة بعد أن وجدوا كثرة الأدلة التي تعضده وتضعف مذهب الكوفيين^(٢).

وأما وزن (كلا) و (كلتا) فقد سبق عمّا قريب أن الكوفيين يرون أن وزنهما (فعا) و (فعتا) لأنّهما من (كُلّ) بزنة (فُعْل)، ولما حذفت لامه تخفيفاً صار (كُلّ) بزنة (فع) ولما زيدت في آخره ألف الثنية صار (كلا) وعند زيادة تاء التأنيث وألف الثنية صار (كلتا) وبعد كسر فائهما صار وزنهما (فعا) و (فعتا)، أما البصريون فسلفت الإشارة إلى إنّ (كلا) لديهم كـ (رضا) بوزن (فعل) و (كلتا) كـ (ذكرى) بوزن (فعلى) لكنّهم مختلفون في تقدير الأصل، أو اوي هو أم يائي؟ فأصلهما عند سيويه وجمهور البصريين^(٣) (كلو) و (كلوى) وأعلّت واو (كلو) بقلبها ألفاً لتحركها وفتح ما قبلها فصار (كلا)، " وأما (كلتا) فيدلك على تحريك عينها قولهم: رأيت كلا أخويك فـ (كلا) كـ

(١) ينظر: الكتاب ٤١٣/٣ والمنتقى لأبي الطيب اللغوي ٥٩ واسرار العربية ٢٨٧ - ٢٨٩ والإنصاف ٤٤٩٢.

(٢) ينظر: الاقتضاب ٣٤٣/٢ - ٣٤٤ والمرتل ٦٧ وشرح المفصل ٥٤/١ - ٥٥ وشرح الملوكي ٣٠٠ والإيضاح ٢١٢/١ والممتع في التصريف ٣٨٥/٨ وشرح الكافية ٢٨/١ ولسان العرب ٢٢٨/٢٠ وارتشاف الضرب ٢٥٧/١ ومغني اللبيب ٢٠٣/١ والتصريح ٨٠/١ والأشباه والنظائر ٢٠٨/٣ وجمع الهوامع ١٣٣/١ - ١٣٦ وشرح الاشموني ٤٥/١ وحاشية الصبان ٨٣/١.

(٣) ينظر الكتاب ٨٢/٢ - ٨٣ والمقتضب ٢٤١/٣ وإعراب القرآن المنسوب ٨٨/٣ والاصول ٢٤٢/٣ وسر صناعة الإعراب ١٩٨/١ والاقتضاب ٣٤٤/٣ والمرتل ٦٧ وشرح المفصل ٥٥/١ وشرح الملوكي ٣٠٠ والممتع في التصريف ٣٨٥/١ وشرح الرضي ٢٢١/١ و٧٠/٢ وشرح الكافية ٣٢/١.

(معا) واحد الأمعاء" ^(١)، وأصها (كلوى) محرّكة العين لثبوت تحريكها في (كلا)، وإنّما لم تعلّ لامها (الواو) بقلبها ألفا كما قلبت في (كلا) لئلا تحذف وجوبا في (كلای) لالتقاء الساكنين فيقع اللبس بين الصيغتين، لذا قلبت الواو تاء كما قلبت في (أخت) و (بنت) فصارت تاء كلتا بمنزلة الواو من شروى لأنها لام الكلمة لا تاء التأنيث وسكنت عين (كلتا) بعد قلب لامها تاء كما سكنت في (أخت) و (بنت) بعد قلب لامها تاء والدليل على إنّ أصل (كلا) و (كلتا) واو أنّ التاء أكثر ما تبدل من الواو ولم تقلب التاء من الياء إلا في (اثنتين) أصله (اثنيين)، وأنّ النسبة إلى (كلتا) تدلّ على الاصل اذ يقال: (كلويّ) فتحرك العين وتردّ التاء إلى أصلها، وليس في (كلتا) على وفق هذا المذهب جمع بين علامتي تأنيث لأنّ التاء ليست لمحض التأنيث بل فيها رائحة منه. ومن هنا قال سيبويه أيضا: "... وكذلك تاء أخت وبنت وثنيتين وكلتا لأنهنّ لحقن للتأنيث" ^(٢). أي إنّ واو (كلوى) إنّما أبدلت تاء في (كلتا) لأنّ في التاء علم التأنيث والألف في (كلتا) قد تصير مع الضمير ياء فتخرج من علم التأنيث فصار في إبدال الواو تاء تأكيدا للتأنيث ^(٣).

وعُزي إلى السيرافي أنّ الف (كلا) وتاء (كلتا) مبدلتان من ياء لا واو لسماع الإمالة فيهما، وأكثر ما يمال من الألفات ما كان أصله ياء ^(٤)، واستدلال سيبويه وصحبه على إنّ الواو أصل فيهما أقوى من دليل السيرافي، ثمّ إنّ إمالة الألف المتقلبة من واو ليس بعزيز كما في (الصلاة) إذ ثبت أنها من الصلوتين وهما العظمان الناتئان على جانبي العجز ^(٥).

(١) الكتاب ٣٦٤/٣ وينظر النكت في تفسير كتاب سيبويه ٧٩٧/٢.

(٢) الكتاب ٣١٧/٤.

(٣) التبصرة والتذكرة ٨١٠/٢.

(٤) ينظر: الباب ٦٣ وشرح الكافية ٣٢/١ والمتبع ٤١١/٢.

(٥) ينظر: جمهرة اللغة ٧٧/٣ وتهذيب اللغة ١٦٦/١٢.

وخالف أبو عمر الجرمي البصريين في (كلتا) فعدّها بوزن (فعتل)،
وعنده تأوُّها ملحقة للتأنيث والألف لام الكلمة كما كانت لاما في (كلا)^(١)،
وعورض رأي الجرمي بأنّ "تاء التأنيث لا تكون علامة الواحد إلا وقبلها
فتحة نحو طلحة وحمزة وقائمة وقاعدة، أو أن تكون قبلها ألف نحو سَعلاة
وعزهاة واللام في (كلتا) ساكنة كما ترى فهذا وجه. ووجه آخر إن علامة
التأنيث لا تكون ابداً وسطاً وانما تكون آخر لا محالة، وكلتا اسم مفرد يفيد
معنى الثنية بإجماع من البصريين فلا يجوز أن تكون علامة تأنيث ألفاً، وأيضا
فان (فعتل) مثال لا يوجد في كلامهم أصلاً فيجعل هذا عليه"^(٢). ولم ير
الدكتور اسماعيل أحمد عمايرة "مانعا من ان تكون (كلتا) من (كل)
باعتبارها اسم جمع نحو بقر، فلما أردنا ان نفرده قيل كلت في:
في كلت رجليها سلامى واحدة كلتاها مقرونة بزائدة
كما في بقرة من بقر وحمامة من حمام، وكما ثنيت بقرة فقبل بقرتان قيل
في الثنية: كلتا، وقد حذفت النون لأن التعبير بـ(كلتا) يلزم الإضافة وعلى
هذا يكون (كلا) صيغة المثنى المذكور قد جاءت في مرحلة لاحقة حيث اقتضى
القياس ان تذكر (كلتا) فقبل في تذكيرها (كلا) وقد شجع على هذا ان الكلمة
سقط مفردها المؤنث من الاستعمال أو كاد"^(٣).

(١) ينظر: التبصرة والتذكرة ٨١٠/٢ وسر صناعة الإعراب ١٦٧/١ - ١٦٨ والاقتضاب
٣٤٤/٢ والأمالي الشجرة ٧١/١ والمرتل ٦٧ واللباب ٦٧٣ والمتبع ٤١٠/٢ وشرح
المفصل ٥٥/١ وشرح الشافية للرضي ٢٢١/١ و٧٠/٢ وشرح الكافية وهمع الهوامع
١٣٦/١.

(٢) سر صناعة الإعراب ١٦٨/١ وينظر: التبصرة والتذكرة ٨١٠/٢ وشرح الشافية للرضي
٢٢١/١ وشرح المفصل ٥٥/١ و١٥/٦.

(٣) ظاهرة التأنيث ٦٠.

٧٥- لات

(لات) في نحو قوله تعالى ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص: ٣٠) اختلف علماء العربية قديما وحديثا في تأصيلها فذهب سيبويه والجمهور إلى إن أصلها (لا) النافية العاملة عمل ليس زيدت بعدها (ت) كما زيدت في (ثمت) و(ربت)، وحركت التاء بالفتح فرارا من التقاء الساكنين في (لات)، ولكن اختلف في نوع هذه التاء فذهب البصريون إلى إنها بمنزلة التاء الساكنة اللاحقة للأفعال نحو (ضربت وذهبت) ولذا جاز الوقف عليها بالتاء وعليه خط المصحف، وذهب الكوفيون إلى إنها بمنزلة التاء المتحركة اللاحقة للأسماء نحو (ضاربة وذاهبة) والوقف عليها بالهاء، ورجح مذهب البصريين لأن حمل الحرف على الفعل أقرب من حمله على الاسم في الزيادة والحذف والوقف.

وإنما استعملت (لات) مضمرا فيها الاسم في قوله تعالى (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) لأنها لم تتمكن تمكن (ليس) في الخطاب فقالوا: ليسوا وليسوا وليست ولستم ولستن، ولم يقولوا إلا (لات) في كل الأحوال. ومما استدلل به على إن تاء (لات) للتأنيث في هذا المذهب أن القراء وقفوا عليها بالتاء تارة وبالهاء أخرى على حد اختلاف النحويين في تأصيلها، وكسرها بعضهم كسرا مقيسا في الفرار من التقاء الساكنين^(١). وذهب أبو عبيد القاسم بن سلام إلى إن تاء (لات) متعلقة بما بعدها من أسماء الزمان وأصل (ولات حين) و (ولات

(١) ينظر: العين ٣٦٩/٨ والكتاب ٥٧/١ - ٥٨ ومعاني الفراء ٩٨/٣ ومجاز القرآن ١٧٦/٢ وتأويل مشكل القرآن ٥٢٩ وجامع البيان ١٢٤/٢٣ وسر صناعة الإعراب ١٨٠/١ وشرح اللمع ٩٣/١ والمخصص ١٩/١٦ والكشاف ٣٥٩/٣ ومجمع البيان ٤٦٤/٨ وشرح المفصل ١٠٩/١ والايضاح في شرح المفصل ٣٩٩/١ والممتع في التصريف ٢٧٣/١ وشرح الكافية ٢٧١/١ وشرح ابن الناظم ١٥١ وارتشاف الضرب ١١١/٢ والجنى الداني ٤٨٥ ومغني اللبيب ٢٥٣/١ وشرح ابن عقيل ٣١٩/١ وهمع الهوامع ١٢٦/١ والمطالع السعيدة ٩٢٦/١ وشرح الاشموني ٤٨٩.

الآن) عنده، (لا) ثمَّ يبدأ بعدها فيقال (تحين) و (تلاّن) مستدلاً بعدم ورود (لات) في كلام العرب منفردة عن أسماء الحين ذاكراً أنه وجد التاء في المصحف الامام متعلقة بـ (حين) لا مفردة عنها، ومشهداً بقول الشاعر^(١) :
العاطفون تحين ما من عاطفٍ والمطعمون زمان ما من مطعم
وبقول الآخر^(٢) :

وصلينا كما زعمتَ تلانا
ولم يلتق أبو عبيد مؤيداً غير ابن الطراوة كما ذكر المتأخرون^(٣)، إذ رده
ابن قتيبة مستدلاً بأن من العرب من يجر ما بعد (لات) على الإضافة كما في
قول الشاعر^(٤) :

طلبوا صلحنا ولات أوان
فهذا يفسد مذهبه لأن (لا) لا يضاف إليها ولا يخفض ما بعدها، وأما
استدلاله بـ (العاطفون تحين ما من عاطف) فأصله (العاطفونه) بالهاء ثمَّ
ابتدئ فقليل (حين) وفي الوصل صارت الهاء تاء، واما (وصلينا كما زعمت
تلانا) فيروى الظرف كثيراً بلا تاء (وصلينا كما زعمت الآن)، فلا شاهد له
فيه^(٥).

ورده الطبري قائلاً "... وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له:
الإمام التاء متصلة بـ (حين) فإن الذي جاءت به مصاحف المسلمين في

(١) ينظر: غريب الحديث ٢٤٩/٤ - ٢٥١ والغريب المصنف ١٨٥ - ١٨٦ وتأويل مشكل القرآن ٥٢٩ ومشكل إعراب القرآن ٦٢٣/٢.

(٢) لأبي وجزة في لسان العرب ١٩١/١٦، ٣٦١/٢٠.

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب ١١١/٢ والجنى الداني ٤٥٢ ومغني اللبيب ٢٥٣/١ وهمع الهوامع ١٢٦/١.

(٤) غير منسوب في لسان العرب ٣٥٧/١٠.

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٥٣٠ وتهذيب اللغة ٥٤٩/١٥ وسر صناعة الإعراب ١٨٥/١ والإنصاف ١١٠/١ والممتع في التصريف ٢٧٣/١ وخزانة الأدب ١٤٩/٢.

أمصارها هو الحجة على أهل الإسلام، والتاء في جميعها منفصلة عن حين^(١). ومثل هذا قول الزمخشري: "وأما قول أبي عبيد أن التاء داخله على حين فلا وجود له واستشهاده بأن التاء ملتزمة بـ (حين) في الإمام لا متشبث به، فكم وقعت أشياء خارجة عن قياس الخط"^(٢).

وكان فريق من المتأخرين قد نسب - خطأ - مذهب أبي عبيد القاسم بن سلام المذكور آنفاً إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي^(٣)، وربما كانت نسبة هذا الرأي إلى أبي عبيدة تحريفاً سوغه ما بين الكنيتين من تقارب لفظي.

وعزي إلى ابن الربيع ذهابه إلى إن (لات) أصلها (ليس) بكسر الياء فقلبت الياء ألفاً لتحركها وسبقها بفتح، ثم قلبت السين تاء فقالوا: (لات) كما قالوا: (النات) في (الناس)، وإنما لم تثبت الياء في اللفظة بعد أن ثبت إسكانها في (ليس) لئلا تلتبس بـ (ليت) التي للتمني فرُجع بها إلى الأصل المتحرك العين ومنه انشعبت^(٤). وعورض هذا المذهب لأن فيه جمعا بين إعلالين لا دليل عليهما إذ لا تقلب الياء الساكنة ألفاً ولا تقلب السين تاء إلا في لغات مرجوحة لا ينبغي القياس عليها ثم إن سماع كسر تاء (لات) يدل على إنها ليست لاما لفعل ماضٍ^(٥).

وعزي إلى أبي ذر الحثني ذهابه إلى إن (لات) فعل ماضٍ بمعنى (نقص) يقال: لات يليت ليتاً، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿الحجرات: ١٤﴾ أي لا ينقصكم، ثم

(١) جامع البيان ١٢٤/٢٣.

(٢) الكشف ٣٥٩/٣ وينظر: البيان ٣١٢/٢ ومغني اللبيب ٥٣/١ وهمع الهوامع ١٢٦/١.

(٣) ينظر: التبيان للعكبري ٢٠٩/٢ والبحر المحيط ٣٨٤/٧ ومغني اللبيب ٢٨١/١ والإتقان ١٧٢/١.

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب ١١١/٢ والجنى الداني ٤٥٢ ومغني اللبيب ٢٨٠/١ وشرح الأشموني ٤٨٩/١.

(٥) ينظر: مغني اللبيب ٢٣٥/١ وشرح الأشموني ٤٨٩/١ - ٤٩٠.

استعمل الفعل (لات) في الأحيان فُخَصَ بها مستغنيا عن فاعله كما استغنى (على) عن الفاعل بعد أن خُصَّ بخفض الأسماء بعده^(١). ورد هذا بأن (لات) لو كان فعلا لما كان لكسر تائه لدى بعض القراء وجه في العربية^(٢).

وفتحت الدراسات المقارنة بين الساميات سبيلا جديدا للمحدثين ليقولوا فيها غير ما قال القدماء لكن الملاحظ على أقوال المحدثين في (لات) أنها مبنية على الحدس والتخمين وهذا واضح من تكرار عبارات (ربما) و (أغلب الظن) فيها، ولذا لم تجتمع كلمتهم على رأي محدد في (لات) فقال برجستراسر: "لات مقصورة على نفي وجود الحين نحو (لات حين مناص) ويقابل العبارة في العبرية (he asef hammi kne lo) أي لات حين جمع المال، فلات هنا يقابلها (lo) المطابقة لـ (لا) بدون التاء"^(٣).

وقال جرجي زيدان "وقد تركبت (ايت) السريانية مع (لا) النافية فكونت (ليت) لنفي السكون المطلق مثل (ليس) وهي تذكرنا بالحرف المشبه بـ (ليس) أعنى به (لات)"^(٤).

وقال ابراهيم السامرائي: "وقد علل النحويون التاء في هذه الأداة فقال جماعة: إنها للتأنيث وقال آخرون: إنها للمبالغة، وفاتهم أنها مركبة ولم يفتنوا إلى تركيبها وهو لا يختلف عن ليس، وربما كانت (لا ايت) فصارت في العربية (لا ايت) ثم استفادت من النحت فصارت (لات)"^(٥).

وقال مهدي المخزومي: "وأكبر الظن أن لات هذه تعريب (لايت الآرامية) أي لا يوجد، و (ليت) الآرامية تقابل (ليس)، وقد انتقلت إلى العربية بسبب

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ١١١/٢ والجنى الداني ٤٥٢ ومغنى اللبيب ٢٨٠/١ وشرح الأشموني ٤٨٩/١.

(٢) ينظر: معني اللبيب ٢٣٥/١.

(٣) التطور النحوي ١٧٢.

(٤) الفلسفة اللغوية ١٠٧.

(٥) فقه اللغة المقارن ٦٩.

الاتصال الذي كان قائما بين العرب وغيرهم من الأقوام السامية كالعبريين والآراميين وغيرهم، ولكن العربية لم تألف مثل هذا الصوت المدغم (ai) فمالت إلى التخلص منه بصيرورته ألفا عربية فصارت لات^(١).

٧٦- لكنّ

اختلف في (لكنّ) مركبة أم بسيطة؟ فعُزي إلى البصريين مدرسة أن (لكنّ) و(لكنّ) بسيطتان لا تركيب فيهما خلا إنّ (لكنّ) مخففة من (لكنّ) المشددة^(٢). وذهب الكوفيون إلى إنهما مركبتان لكنهم مختلفون في سبيل تركيبهما، فذهب الفراء إلى إنّ (لكنّ) "إنما نصبت العرب بها اذا شددت نونها لأن أصلها: إن عبد الله قائم، فزيدت على (إن) لام وكاف فصارت جميعا حرفا واحداً"^(٣)، ويفهم من هذا أن (لكنّ) لديه أصلها (لكئنّ) وأشبعت فتحة اللام فصارت ألفا ثم سقطت همزة (إنّ) تخفيفها وألقيت كسرتها على الكاف التي قبلها بعد سلب فتحتها، وأما (لكنّ) المخففة فأصلها (لكنّ) وحذفت إحدى النونين تخفيفا، وعُزي إلى الفراء غير هذا المأثور عنه، فقليل: إنه ذهب إلى أن (لكنّ) مركبة من (لكنّ) ساكنة النون و (أنّ) المفتوحة المشددة فطُرحت همزة (أنّ) تخفيفا ثم نون (لكنّ) للاتقاء الساكنين فصارت لكنّ^(٤).

(١) ينظر: النحو العربي نقد وتوجيه ٢٦٢.

(٢) ينظر: رسالة الملائكة ١٩٣ شرح الكافية ٣٦٥/٢ وارتشاف الضرب ٢٨/٢ والجنى الداني ٦١٧ والفوائد الضيائية ٣٥١ وهمع الهوامع ١٣٣/١ وشرح الاشموني ٥٤٠/١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٤٦٥/١ - ٤٦٦.

(٤) ينظر: مغني اللبيب ٣٢٣/٢ وهمع الهوامع ١٥٠/٣.

وعُزِي إلى غير الفراء من الكوفيين إنه ذهب إلى إن (لكن) مركبة من (لا) و (إن) المؤكدة زيدت بينهما كاف التشبيه مكسورة ثم سقطت همزة (إن) تخفيفاً، وإنه استدل على مذهبه بقول الشاعر^(١):

يلوموني في حب ليلي عواذلي ولكنني من جها لعميد

فأدخل اللام في جواب (لكن) لوجود (إن) المؤكدة في تركيبها^(٢).

وعُزِي إلى بعض الكوفيين مذهب ثالث قيل إن السهيلي اختاره هو أن (لكن) مركبة من (لا) النافية و(كأن) البسيطة المشبهة بالفعل فطُرحت همزة (كأن) تخفيفاً ثم كُسرت الكاف التي هي أصل في هذا المذهب^(٣).

وأيد فريق من المتأخرين مذهب التركيب في (لكن) فقال ابن فارس: "مما يدل على إن النون في لكن بمنزلة (إن) الخفيفة والثقيلة أنك إذا ثقلت النون نصبت وإذا خففت رفعت بها"^(٤). وقال ابن يعيش واصفاً مذهب التركيب: "هو قول حسن لندرة البناء وعدم النظر ويؤيده دخول اللام في خبرها كما يدخل في خبر إن"^(٥). يريد أن (لكن) لو كانت بسيطة لكانت بوزن (فاعل) وهو بناء نادر.

وعارض فريق آخر من المتأخرين مذهب التركيب في (لكن) مؤيداً البصريين الذين عدوها بسيطة فقال المعري راداً مذهب الفراء: "هي دعوى لا تثبت وإن صح دخول اللام في خبر لكن فيجوز أن يكون شاذاً"^(٦). وقال العكبري واصفاً التركيب بأنه "ضعيف جداً لأن التركيب خلاف الأصل ثم هو في الحروف أبعد، ثم إن فيه أمرين آخرين يزيدانه بُعداً وهما زيادة الكاف

(١) البيت في الإنصاف ١٢٩/١ وصاحبه مجهول.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ٣٢٣/٢ وجمع الهوامع ١٥٠/١ وخزانة الأدب ٤١٨/١.

(٣) ينظر: شرح المفصل ٧٩/٨ وجمع الهوامع ١٥٠/٣.

(٤) الصاحبي ١٧١.

(٥) شرح المفصل ٧٩/٨.

(٦) رسالة الملائكة ١٩٣.

في وسط الكلمة وحذف الهمزة في مثل هذا يحتاج إلى دليل قطعي^(١). وقال الرضي رافضاً إيّاه: "لا يخفى أثر التكلف فيما قالوا، وهو نوع من علم الغيب وفيه نقل الحركة إلى المتحرك.... والأصل عدم التركيب"^(٢). وقال أبو حيان في مذهب التركيب: "لا ينبغي أن يحكى فضلاً عن أن ينظر"^(٣).

وأيدت الدراسات الحديثة فكرة التركيب التي نهض بها الكوفيون وإن اختلفت معهم في الأصول التي تركبت منها (لكن) فتبين لبرجستراسر أن "لكن" مركبة من (لا) و (كن) المقابلة لـ (Ken) العبرية و (Ken) الآرامية التي معناها هكذا فمعنى (لكن): ليس هكذا"^(٤)، وقريب من هذا قول جرجي زيدان: لكن "هي بقية أصل يقابل (أكن) العبرانية فقد من العربية ولم يزل محفوظاً فيها مركباً مع (لا) النافية أعني به (لكن)"^(٥).

وعزا إبراهيم السامرائي سبب الخلاف في تأصيل (لكن) قديماً إلى "أنهم لم يستكملوا أدوات البحث اللغوي في اللغة العربية وذلك يقتضيهما النظر في اللغات السامية الأخرى ليستطيعوا أن يقطعوا برأي علمي أصيل، ذلك أن النظر في العربية يهدي الباحث إلى القول بتركيب هذه المادة من (لا) و(كن) التي تعني في العبرية هكذا... وقول بعض الكوفيين بتركيبها من (لا) والأحرف الزائدة الأخرى أقرب إلى الصواب وأهدى إلى الطريق الذي توصل إليه الفطنة والنظر السديد"^(٦).

(١) الباب ١٩٣/٢.

(٢) شرح الكافية ١٥٧/٢.

(٣) ارتشاف الضرب ٦٤٦/٢.

(٤) التطور النحوي ١١٩.

(٥) الفلسفة اللغوية ٧٦.

(٦) فقه اللغة المقارن ٦٧ ٦٧ وينظر: معاني النحو ٣٣٣/١ والدراسات اللغوية عند العرب ٤٠٣ ودراسات في فقه اللغة ٥٨.

٧٧- لعلّ

ذهب الكوفيون إلى أن (لعل) بسيطة لا زيادة فيها، ولامها الأولى أصلية وحجتهم في ذلك أنها حرف، وأحرف الحروف كلها أصلية لأن حروف الزيادة المجموعة في (سألتمونيها) تختصّ بالأسماء والأفعال ولا سبيل لها في الحروف فالألف في الأسماء والأفعال أما زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها في (ما) و(يا) و(لا) بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية، فدل هذا على إن لام (لعلّ) الأولى أصلية^(١). وذهب البصريون إلى إن (لعلّ) أصلها (علّ) وزيدت قبلها لام الابتداء، واستدلوا على زيادة اللام بالسمع الصالح كقول الشاعر^(٢):

ولست بلوأم على الأمر بعدما يفوت ولكن علّ أن أتقدما
وقول الآخر^(٣):

لك الخير علّنا بها، علّ ساعة تمرّ وسهواء من الليل يذهب
وإسقاط اللام في الكلام ينبئ بزيادتها^(٤).

ورجح الأنباري والزيدي وغيرهما مذهب الكوفيين لأنّ لام (لعلّ) إنّما حذفت "كثيرا في أشعارهم لكثرتها في استعمالهم ولهذا تلعبت العرب بهذه الكلمة فقالوا: لعلّ، ولعلن ولعن... ولغن... ورعن، وعنّ، وغنّ، ولغلّ، وغلّ"^(٥)، فلما كثرت في كلامهم استثقل فيها اجتماع ثلاث لامات فحذفوا إحداهن تارة وأبدلوها راء تارة أخرى ونونا تارة ثالثة، وكلّ ذلك طلبا

(١) ينظر: الإنصاف ٢١٨/١ وشرح الكافية ٦٤/٢ ائتلاف النصرة ١٧٣ وشرح التصريح

٢٥٢/٢ وهم الهوامع ١٥٣/٢ وحاشية الصبان ١٧٧/٣.

(٢) البيت لنافع سعد الطائي في الإنصاف ٢١٩/١ وشرح المفصل ٨٧/٨.

(٣) البيت للعجير السلولي في الإنصاف ٢٢٠/١.

(٤) ينظر: الكتاب ٣٣٢/٣ والمقتضب ٧٣/٣ والإنصاف ٢١٨/١ وائتلاف النصرة ١٧٣.

(٥) الانصاف ٢٤٤/١-٢٢٥ وينظر: ائتلاف النصرة ١٧٣ وشرح التصريح ٢٥٢/٢ وحاشية

الصبان ١٧٧/٣.

للخفة، وإنما كانت اللام الأولى أولى بالحذف لأن حذف العين يلزم منه أن تكون أصول اللفظة أمثالا متوالية، وهذا مستقبح، وحذف إحدى المدغمتين لا يزول معه الثقل إذ يبقى التقدير (لعل) ثقيلًا لذا حذفوا اللام المفردة وأبقوا المدغمتين لأن في الإدغام ضرباً من التخفيف أيضاً.

٧٨- ليس

اختلف العلماء في تأصيل (ليس) على مذاهب كثيرة، إذ ذهب الخليل إلى إنها مركبة من (لا) النافية والفعل (أيس) وأصلها (لا أيس) فطرحت الهمزة وألزقت اللام بالياء، ودليله قول العرب: "ائتني به من حيث أيس وليس ومعناه: من حيث هو ولا هو"^(١). وعزي هذا المذهب إلى الفراء^(٢). وذهب سيبويه والجمهور إلى أن (ليس) فعل ماضٍ جامد لم يشتق منه لفظ آخر وأصله (ليس) بوزن (فرح) فحذفت كسرة الياء تخفيفاً. ومثله في التسكين (صيد البعير) أصله (صيد)، و (علم ذلك) أصله (علم) وإنما حذفت الكسرة لأن القياس يستدعي أن يصير ليس لاس، لأن ياء متحركة مسبوقة بفتح، ولما لم يشتق منه لفظ آخر جعلوا إعلاله حذف الحركة فحسب، لينبئ خروجه عن القياس في هذا النوع باختلافه عما يجري فيه الإعلال المقيس هذا، وذلك الاختلاف هو عدم تصرفه، وإنما لم يتصرف منه فعل آخر لأنه ينفي به المستقبل والحال والماضي فلم يحتج فيه إلى التصرف، واستدل على فعلية (ليس) باقترانه بالضمائر، فيقال: (لست ولستم ولستن) ونحو هذا، واستدل على كسر عينه بامتناع تقدير الضم والفتح فيها، وإنما الضم ممتنع في عين (ليس) لأنه لم يسمع في ذوات الياء (فعل) أما امتناع فتحها فيدل عليه أن ما كانت عينه مفتوحة لم يحز فيه التسكين لخفة الفتحة فلا يسكن نحو: ضرب

(١) العين ٣٠٠/٧.

(٢) ينظر: لسان العرب ٤٢/١٠.

وقتل وغيرهما كما يسكن كرم زيد وعلم بكر فيقال: كرم وعلم، وإنما جاز حذف الضمة والكسرة لثقلهما^(١).

ونسب المرادي إلى ابن السراج ذهابه إلى إنها حرف ك (ما) فلا يسأل عن تصرفها وإسكان عينها، ونسب أبو حيان هذا إلى أبي بكر بن شقير وأبي علي الفارسي وهو مذهب مرجوح عند أبي حيان والمرادي لأن الحروف لا سبيل لها في الضمائر^(٢)، وما أثر عن ابن السراج يدفع عنه هذا المذهب المرجوح اذ صرح ابن السراج بموافقة سيويه في موضعين من كتابه الأصول دون إشارة إلى أي مذهب آخر^(٣). وأما نسبته إلى الفارسي فلا دليل عليها إذ لم يعرف ابن جني شيخه سائرا في مذهب آخر غير مذهب سيويه^(٤).

وأيد المحدثون مذهب الخليل، قائلين: إن (أيس) من أفعال الكينونة في العربية القديمة وما زال له نظائر في اللغات الجزرية وهو الفعل الدال على الوجود لكنه انقرض ولم يعد له وجود إلا مركبا مع (لا) في الأداة (ليس). وتحصل معنى النفي في (ليس) من (لا) النافية التي ركبت مع الفعل (أيس) فصارتا جميعا (ليس)^(٥).

لكن المحدثين اضطربوا في تلمس الأصل المهجور الذي اشتق منه (ليس)، فبرجستراسر حاول الاهتداء إليه من الجزريات قائلا: "اشتقت العربية من (لا) أدوات أخرى للنفي لا توجد في سائر اللغات السامية إلا (ليس) فيقابلها

(١) ينظر: الكتاب ٣٤٣/٤ - ٣٤٤ والمقتضب ٨٧/٤ والأصول ٨٢/١ و٢٩٠/٢ والمنصف ٢٥٨/١ - ٢٥٩ والصحاح ٩٧٣/٢ والبحر المحيط ٣٣٨/١ والجني الداني ٤٥٩ ومغني اللبيب ٢٢٧/١ ومشور الفوائد ٢٥ - ٢٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣٣٨/١ والجني الداني ٤٥٩.

(٣) ينظر: الأصول ٨٢/١، ٢٩٠/٢.

(٤) ينظر: المنصف ٢٥٨/١ - ٢٥٩.

(٥) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٥٧ والفلسفة اللغوية ٤٦ وأبو عثمان المازني ٢٣٢ والأفعال غير المتصرفة ٢٤، ٣٣ - ٣٤.

في الآرامية (layt) وهي مركبة من (لا) واسم معناه الوجود يحتمل ان يكون لفظه القديم yitay أو قريبا من ذلك، وهو yes في العبرية و itay في الآرامية العتيقة، ويقاربها في الأكديّة فعل وهو isu أي يملك الشيء وهو له، فمعنى layt لا يوجد وهذا هو عين معنى (ليس) الأصلي^(١).

وذهب الدكتور ابراهيم السامرائي إلى إن لفظة (شيء) في العربية الدالة على الوجود مقلوبة من كلمة (أيش) السامية ولفظة (أيش) موجودة في العربية الحاضرة لكنها تحجّرت في العربية في جمل محدودة وقد أبدلت سينا ولم تعرف الا مركبة مع (لا) فكأنّ (ليس) أصلها (لا أيش) ومعناها (لا شيء) ثم قوى عليها التركيب على طريق النحت فصارت (ليس)^(٢). وخلص الدكتور محمد حسين آل ياسين إلى ان "ليس سامية قديمة: ويقابلها في العبرية (يش) و (اويش) أي يوجد ولا يوجد، وهو المعنى المقصود في قول العرب"^(٣).

٧٩- المدينة

اختلف في تأصيل (المدينة) في نحو قوله تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ﴿الأعراف: ١٢٣﴾ على مذهبين: الأول؛ إنها فعلية من مدن بالمكان إذا أقام فيه وهو مذهب الخليل وسيويه، والآخر: إنها (مفيلة) من دان يدين إذا ملك أو حكم وأصلها (مديونة) بزنة (مفعولة) فنقلت ضمة الياء إلى الدال الساكنة قبلها لأن الصحيح أولى بالحركة من المعتل وبعد النقل قلبت الضمة كسرة لأجل الياء فصارت (مديونة) فسقطت الياء التي هي عين الكلمة لالتقاء الساكنين ثم قلبت واو (مفعول) ياء لأجل الكسرة قبلها فصارت (مدينة)

(١) التطور النحوي ١٦٩.

(٢) ينظر: النحو العربي. نقد وبناء ١٧٧.

(٣) الدراسات اللغوية عند العرب ٤٣.

ومثلها في القلب والاعلال (معيشة) بزنة (مفيلة) وهذا مذهب الأخفش الذي يحذف عين اسم المفعول من مصدر الأجوف وغيره يحذف واو (مفعول) فيزن نحو (مدينة) بـ (مفعلة) إن أخرجت من (دان)^(١).

ورد مذهب الأخفش من جانبيين، الأول بعد المناسبة بين المدينة والحكم أو الملك، والثاني إن الاشتقاق يدل على إن المدينة من (مدن)، إذ جمعت على (مدن ومدائن) ولو كانت ياؤها أصلية لكان همزها في (مدائن) بعيدا وكان سقوطها في (مدن) أبعد. وقد كثر في العربية تكسير (فعلية) على (فعائل) وسمع تكسيرها على (فعل) كقوله تعالى: ﴿صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى: ١٩). ولم يجد رأي الأخفش قبولا لدى المحدثين إلا برجستراسر الذي قال في (مدينة): قيل هي "في العربية من (مدن) وجمعها (مدن) وهي في الأصل (مفعلة) من (دان يدين) أي حكم ومعناها الإيالة التابعة لمحكمة واحدة ونجدها في الآرامية على هذا المعنى"^(٢).

٨٠- المسيح

اختلف في المسيح عربي أم أعجمي؟ والذاهبون إلى أنه عربي مختلفون في تقدير اشتقاقه وزنته ومعناه، فذهب الكثيرون إلى أنه (فعل) من المسح، لكنهم مختلفون في تقدير معناه إذ روي عن ابن عباس قوله: "إنما سمي عيسى مسيحا لأنه كان لا يسمح بيده ذا عاهة إلا برأ"^(٣). فعلى هذا التقدير يكون المسيح (فعل) بمعنى فاعل. وقيل إنما هو (فعل) بمعنى مفعول، فكأن الله عز

(١) ينظر الصحاح ٢٢٠١/٦ ومشكل إعراب القرآن ٢٨٣/٨ ورسالة الملائكة ١٧٧ - ١٧٨٧ والمفردات ٢٦٥ ولسان العرب ٢٨٨/١٧ - ٢٨٩ وشرح الجاربردي ٢٨٩/١ وعمدة القارئ ٨٣/١.

(٢) التطور النحوي ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٩٧/١ وتهذيب اللغة ٣٤٨/٤ والفائق ٣٦٦/٣ والنهاية ٣٢٦/٤ ولسان العرب ١١/١٣.

وجل سماه بذلك لأنه ممسوح من الذنوب والأدناس التي تكون في
الآدميين^(١). وثمة معان أخرى فسر بها اللغويون اشتقاق المسيح من المسح، تارة
يكون فيها اللفظ بزنة (فعل) بمعنى فاعل كقولهم: المسيح كان يمسح الأرض
أي يقطعها، وتارة يكون فيها المسيح بمعنى المفعول فكأنه ممسوحا بالبركة أو أنه
كان أمسح الرجل أي ليس له أخصص أو أنه خرج من بطن أمه ممسوحا
بالأرض أو كان عليه مسحة من جمال^(٢).

وذهب فريق من العلماء إلى أن المسيح (مَفْعَل) من ساح يسيح سحاً
وهو اسم مفعول من السيح في الأرض أي الذهاب فيها وأصله (مَسِيح) كـ
(مبيوع) استقلت الضمة على الياء فنقلت إلى العين الساكنة قبلها لأنها أولى
بها من الياء فالتقى ساكنان في (مَسِيح) فحذف أحدهما على حد الخلاف بين
الخليل وسيبويه من جانب والأخفش من جانب آخر، وعلبت ضمة السين
كسرة لأجل الياء^(٣).

وكان فريق آخر من علماء العربية قد ذهب إلى أن (المسيح) اسم عبراني
وهو في التوراة (مشيح) فصار مسيحاً في العربية كما صار (موشا) النبي
(موسى)^(٤)، وفسر الأستاذ داود الجلبى (مشيحاً) في العبرانية بأنهم "يريدون
به المسيح بالزيت وكانت عادة بني إسرائيل أن يمسحوا من يملكونه عليهم
بالزيت"^(٥) فكأنه أنس بعجمة المسيح في العربية. لكن الدكتور إبراهيم

(١) ينظر: مجمع البيان ٨٠/٣ و ٢٩٩/٥ ولسان العرب ٤٣١/٣.

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٩٣/١ والمفردات ٤٦٨ وزاد المسير ٣٨٩/١
ولسان العرب ٤٣١/٣ - ٤٣٢ والبحر المحيط ٤٦٠/٢ وعمدة القاري ٢٥/١٦.

(٣) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٩٣/١ والمفردات ٤٦٨ ولسان العرب ٤٣٢/٣
وعمدة القاري ٢٥/١٦.

(٤) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٩٣/١ والمفردات ٤٦٨ ومجمع البيان ٢٩٩/٥
والبحر المحيط ٤٦٠/٢.

(٥) دراسات في اللغتين السريانية والعربية ٩٢ وينظر: غرائب اللغة العربية ٢٠٦ والألفاظ
السريانية ١٦٧ ومعجمات عربية ١٩.

السامرائي صحح عروبه قائلاً: "صحيح أن المسيح يقابل مشيحا السريانية ولكن هذا لا يعني أن هذا من ذاك، ذلك أن الأصل (مسح) في العربية هو نفسه (مشح) في السريانية وهو بهذا من المشترك السامي"^(١)، وإخراج اللفظ على أنه وفاق بين العربية والعبرية هو الملتزم لأن الأصل (مسح) من السامي المشترك وليس لإحدى الساميات فضل مزية فيه على الأخريات ودلالته في العربية لا تختلف عما جاء في غيرها من الساميات وقد تصرفت العربية في هذا الأصل على نحو يكشف عن أصالته فيها فأوردت له معاني كثيرة غير دلالاته على السيد المسيح، فهو يعني سبائك الفضة والمنديل الأخضر والذراع والكثير الجماع والدرهم الأطلس وغيرها^(٢).

٨١ - مقاليد

اختلفوا في الجمع (مقاليد) في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿الزمر: ٦٣﴾ وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿الشورى: ١٢﴾. أهو لفظ عربي بمعنى الجمع لا واحد له؟ أم هو جمع تكسير له واحد من لفظه؟ أم هو لفظ أعجمي فلا يسأل عن مفردة؟ فاختار الزمخشري أن يكون "مقاليد لا واحد لها من لفظها"^(٣). ووافقه على هذا الرأي النيسابوري والسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) في قوله: "مقاليد... لا واحد لها من لفظها كأساطير وأخواتها"^(٤).

وأما الذاهبون إلى إنه جمع تكسير عربي فمختلفون كثيرا في تحديد الاسم المفرد منه على ثلاثة أقوال:

(١) دراسات في اللغتين السريانية والعربية ٩٢.

(٢) ينظر: المقائيس ٣٢٢/٥ وتهذيب اللغة ٣٥٠/٤.

(٣) الكشف ١٤٣/٤، وينظر: تفسير النيسابوري ١٣/٢٤.

(٤) الدر المصون ٢١/٦.

الأول: ذهب الخليل إلى أن (مقاليد) جمع (مقلاد) كـ (مفتاح مفاتيح) وتعني الخزائن، وهذا المفهوم من قوله: " المقلاد: الخزانة ويجمع مقاليد"^(١). وهذا ما اختاره ابن فارس في قوله: "أما مقاليد فيقال هي الخزائن... ولعلها سميت بذلك؛ لأنها تحصن الأشياء أي تحفظها وتحوزها"^(٢).

الثاني: ذهب أبو عبيدة والأخفش إلى أن واحد (مقاليد): (مقلد)^(٣) مثل (منديل مناديل). ووافقهم على هذا الرأي القرطبي في قوله: "واحداه مقلد، وقيل: مقلاد وأكثر ما يستعمل فيه إقليد"^(٤).

الثالث: رأى الجوهري أن المقاليد مفردا (المقلد) على وزن (المنجل) وتعني المفاتيح إذ قال: "المقلد: مفتاح كالمنجل"^(٥).

وهذه الأقوال الثلاثة اعتمد أصحابها فيها على القياس إذ إن (مفاعيل) يطرد في (مفعال) اسما وصفة، قال سيبويه: "أما ما كان (مفعالا) فإنه يكسر على مثال مفاعيل كالأسماء... وذلك قولك: مكثار ومكاثير، ومهذار ومهاذير، ومقلات ومقاليت"^(٦).

على حين رأى أكثر المفسرين وأهل التحقيق في كلمات القرآن أن (مقاليد) ليست عربية الأصل وإنما عربية، فقال النيسابوري (ت ٧٢٨هـ): "المقاليد غير معروف في لغة العرب"^(٧). وأكد هذا شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) في قوله: "مقاليد لغة في إقليد وهو مُعَرَّب"^(٨). ويرى الدكتور محمد

(١) العين ٥ / ٥٢٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢٠/٥.

(٣) ينظر: مجاز القرآن ٢ / ١٩١، وإعراب القرآن (الأخفش) ٦٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/١٥.

(٥) الصحاح (قلد)، وينظر: لسان العرب (قلد).

(٦) كتاب سيبويه: ٦٤٠/٣.

(٧) تفسير تفسير النيسابوري ١٣/٢٤، وينظر: نشوء اللغة ونموها واكتمالها (انستاس

الكرملي): ٩٥.

(٨) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل (الخفاجي): ٢٧٢.

التوجي أن مقاليد كلمة فارسية تعني مفاتيح، ولم تستعملها العرب مفردة إلا نادراً، وهو معرب (كليد) أي: مفتاح^(١) ورأى الدكتور محمد المبارك أن بعض الألفاظ الدخيلة قد يخفى أصلها لالتحاقها بأصل عربي لمشابهة لفظية ومنها "مقاليد بمعنى مفاتيح ومفردها (إقليد) وأصلها يوناني، وقد يظن الناظر من غير بحث أنها عربية من مادة (ق ل د) وهو ظن خاطئ يكشف عنه البحث الاشتقاقي التاريخي"^(٢).

ويبدو أن اللفظة (مقاليد) عربية من الأصل العربي (قلد) الذي انشعب منه مشتقات كثيرة ذات دلالات متعددة منها الآلات كالقلادة والمقلاد وأصل "القلد القتل، يقال قلدت الحبل فهو قليد ومقلود والقلادة المفتولة التي تجعل في العنق من خيط وفضة وغيرهما وبها شبه كل ما يتطوق وكل ما يحيط بشيء يقال تقلد سيفه تشبيهاً "بالقلادة، كقوله: توشح به تشبيهاً "بالوشاح، وقلدته سيفاً " يقال تارة إذا وشحته به وتارة إذا ضربت عنقه. وقلدته عملاً ألزمته وقلدته هجاء ألزمته، وقوله: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي ما يحيط بها، وقيل خزائنها، وقيل مفاتيحها والإشارة بكلها إلى معني واحد، وهو قدرته تعالى عليها وحفظه لها"^(٣) ويبدو من النظائر الاشتقاقية للجذر (قلد) في باب الاشتقاق الأكبر في التعبير القرآني وهما (قلم وقلأ) أن المراد بالقلد التحديد والاحاطة والتمييز فالمراد بالمقاليد هي حدود السموات والأرض أو ما عبر عنه التعبير القرآني بالأقطار في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ﴿الرحمن: ٣٣﴾ لأن النظير (قلم) يدل على القص والتحديد قال الراغب "أصل القلم القص من الشيء الصلب كالظفر وكعب الرمح والقصب، ويقال للمقلوم قلم. كما يقال للمنقوض نقض. وخص ذلك بما

(١) ينظر: معجم المعربات الفارسية (د. محمد التوجي): ٧٠.

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية: ٨٢ - ٨٣.

(٣) المفردات (قلد).

يكتب به وبالقدح الذي يضرب به وجمعه أقلام.... والاقليم واحد الأقاليم السبعة وذلك أن الدنيا مقسومة على سبعة أسهم على تقدير أصحاب الهيئة^(١). والمعنى قريب منهما في النظر (قلى)، قال الراغب: "القلى شدة البغض، يقال: قلاه يقليه ويقلوه، قال: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ﴿الضحى: ٣﴾ وقال: (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) ﴿الشعراء: ١٦٨﴾ فمن جعله من الواو فهو من القلو أي الرمي من قولهم قَلَّتِ الناقة براكبها قلوًا "وقلوت بالقلّة فكأن المقلو هو الذي يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله، ومن جعله من الياء فمن قليت البسر والسويق على المقلاة"^(٢) وفي كلا الاشتقاقين يلحظ العزل والتحديد والانقطاع وكذا المحصل من الجذر (قلد) هو تحديد معالم السموات والأرض وبيان حدودهما ثم يكون مآل ذلك كله إلى الله تعالى فالتعبير عن الحدود بالمقالييد تعبير عربي مفهوم في لغة العرب. ومن استعمال لفظة (مقالييد) للدلالة على الجمع في اللغة قول الشاعر:^(٣)

لولا أبوك ولولا قبله عُمَرُ أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَعْدُ بِالْمَقَالِيدِ

٨٢- مَلَكٌ

لما ظهرت الهمزة في جمع التكسير (ملائكة)، اختلف علماء العربية في أمرها، أصلية هي في بناء المفرد (ملك) أم زائدة؟ ومن ذهبوا إلى أصلتها أجمعوا على وجودها في المفرد (ملك) كما اجمعوا على أنها حذفت من المفرد تخفيفاً، لكنهم مختلفون في تقدير ذلك الحذف، ومن ثم اختلفوا في أصل اشتقاق (ملك) ووزنه، واختلفوا تبعاً لهذا في زنة الجمع (ملائكة). ولهم في المفرد (ملك) وجمعه (ملائكة) خمسة مذاهب تجمعها ثلاث زنات هي:

(١) المفردات (قلد).

(٢) المفردات (قلى).

(٣) لابي العطاء السندي واسمه (مرزوق) وقيل: (افلح) بن يسار، وهو من مخضرمي الدولتين العباسية والأموية، والبيت من شواهد ابن عقيل ٢٤٨/١.

– مَفْعَل مَفَاعِلَة

ذهب الخليل وسيبويه إلى أن (مَلِك) أصله (مَلَأَك) بوزن (مَفْعَل) ثم اجتمع أكثرهم على ترك الهمز في (ملك) وأصله الهمزة، كما قال الشاعر:

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأَكِ تَحَدَّرَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(١)

ثم أجمع أكثرهم على ترك الهمزة فيه فقالوا: (ملك) وهو مشتق من لَأَك فلان فلانا يَلَأُكُهُ لَأُكًا وَلُؤُوكَةً ومَلَأُكَةً إذا أرسله، فيكون (ملَأَك) على (مفعِل) بمعنى (مفعول) كـ (مركب) بمعنى (مركوب) و (مَشْرَب) بمعنى (مشروب). فكان (الملك) سمي بذلك لأنه مرسل. وإنما حذفت همزته تخفيفاً وألقيت حركتها على الفاء فقالوا: (ملك) كما قالوا في (مَسْأَلَة): (مَسْأَلَة) وفي (حَوَابَة): (حَوَابَة)، ثم التزم تخفيف الهمزة فيه إلا في الشعر. فعلى هذا يكون (ملك) في هذا المذهب بزنة (مفعِل) لان الهمزة كانت عينا وفي الجمع ردت إلى أصلها فقالوا: (ملائك) على وزن (مفاعل) ثم زيدت الهاء في (ملائكة) لتأنيث الجمع، ومن ثم تكون الألفاظ: (مَأَلَكَة وأَلُوكَة) وغيرها مما سبقت الهمزة فيها اللام مقلوبة، والأصل (مَلَأُكَة وَلُؤُوكَة).

والى هذا ذهب البصريون جميعهم، بل أكثر علماء العربية قدماء ومتأخرين ناسبين هذا المذهب إلى الخليل وسيبويه مفسرين إياه على وفق ما سبق^(٢). لكن فريقاً من المتأخرين نسب المذهب إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى

(١) الكتاب ٣٧٩/٤ – ٣٨٠.

(٢) ينظر: المفضليات ٣٩٤ ومجاز القرآن ٣٥/١ والغريب المصنف ٥٥٠ وإصلاح المنطق ٧٠ و١٥٩ والجمل ٦٠ ومعاني القرآن وإعرابه ١١٢/١ والأصول ٢٩٣/٣ والاشتقاق (ابن دريد) ٢٦، واشتقاق أسماء الله ٦٤-٦٥ وليس في كلام العرب ١٢ والخصائص ٦٤/١ و٧٦/٢ والمحاسب ١٤٤/١ ١٠٢/٢ ١٠٤- والصحاح ١٦١١/٤ ورسالة الملائكة ٦ ونزهة الطرف ٤٠ والأمالى الشجرية ٢٩٢/٢ والبيان ٧٠/١ وشرح الرضي ٣٤٧/٢ ولسان العرب ٢٧٣/١٢ وشرح الجاربردى ٢٠٩ وشرح نقره كاره ١٤ والمقاصد النحوية ٥٣٢/٤ والمزهر ٢٥٢/٢.

التميمي، ونسبه آخرون إلى أبي عبيد القاسم بن سلام بعد أن وجدوهما قائلين به من دون إشارة إلى الخليل وسيبويه^(١).

وثمة مذهب آخر في اشتقاق (ملك) قريب من هذا، ذكره فريق من العلماء من دون نسبة إلى أحد، وفيه ذهب إلى أن في أصل (ملك) "تكون الفاء لاما والعين واوا من لأك الشيء أداره في فيه، وصاحب الرسالة يُديرها في فيه فهو (مَفْعَل) من ذلك مثل (مَعَاد) ثم حذفوا العين تخفيفاً، فعلى هذا يكون وزنه (مفلا) و (ملائكة) على القول (مفاعلة)، والهمزة أبدلت من واو كما أبدلت في مصائب"^(٢).

– (معل معافلة)

عُزي إلى الكسائي أنه ذهب إلى أن (ملك) مشتق من ألك فلان فلانا يألكه ألكاً ومألكة وألوكة إذا أرسله، ورأى أن هذه المادة مهموزة الفاء في الأصل لا مهموزة العين كما في المذهب السابق، يدل على ذلك كثرة جريانها في كلام العرب بهذه الهيئة كقول الشاعر^(٣):

وْغُلَامٍ أَرْسَلْتَهُ أُمُّهُ بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا مَا سَأَلَ
أَوْ نَهَتْهُ فَأَتَاهُ رِزْقُهُ فَاشْتَوَى لَيْلَةً رِيحٍ وَاجْتَمَلَ
وقول الآخر^(٤):

أَبْلَغَ النُّعْمَانِ عَنِّي مَأْلُكاً أَنَّنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَارِي

(١) ينظر: جامع البيان ١٩٨/١ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٦٠/٢ ومشكل إعراب القرآن ٨٦/١ ومجمع البيان ١٥٩/١ والتبيان للعكبري ٢٨/١ والجامع لأحكام القرآن ٦٢/١ والبحر المحيط ١٣٧/١.

(٢) البحر المحيط ١٣٨/١ وينظر: مجمع البيان ١٥٩/١ والتبيان للعكبري ٢٨/١.

(٣) للبيد بن ربيعة في ديوانه ٩١ وينظر: المعاني الكبير ٩٩.

(٤) لعدي بن زيد في سجن النعمان بن المنذر يخاطبه ويأمل عفو، ينظر: الشعر والشعراء ٤١.

ويدلّ على ذلك أيضا أنّ الرسالة إنما سمّيت (ألوكة) و (مألّكة) لأنها تلاك في الفمّ من قولهم: ألك الفرسُ اللّجام يألكه، فعلى هذا يكون أصل (ملك): (مألّك) ثمّ قلبت الهمزة إلى موضع اللام فصار (ملأك) بوزن (معفل) ثمّ حذفت الهمزة بأنّ ألقيت حركتها على اللام وحذفت، وفي الجمع (ملائكة) رُدّت الهمزة إلى أصلها فيكون وزن (ملك): (معل) ووزن (ملائكة): (معافلة) لأنّ الهمزة فاء واللام عين. وقد نسب علماء كثر هذا المذهب إلى الكسائيّ مفسرين إياه بمثل ما سبق ذكره ^(١)، وذكره آخرون ولم ينسبوه إليه ^(٢)، واختاره مكي القيسي والانباري مستدلين بالأدلة السابقة ^(٣).

– (فعل فعائلة)

عُزي إلى ابن كيسان أنّه يرى أنّ (ملك) مشتقّ من الملّك لأنه مالّك للأمر التي جعلها الله إليه، وعنده ميم (ملك) أصله، وأصله (ملأك) بوزن (فعأل) ك (شمال) وحذفت الهمزة الزائدة في المفرد تخفيفا، وفي الجمع رُدّت إلى أصلها، فعلى هذا يكون وزن (ملك): (فعل) ووزن (ملائكة): (فعائلة) وفتحت اللام في المفرد (ملّك) وكسرت في (ملّك) فرقا بين البشري والروحاني ^(٤). وعورض هذا الرأي بأنّه "اشتقاق بعيد، وفعل قليل لا يُرتكب مثله إلا لظهور الاشتقاق كما في شمال" ^(٥).

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن ٢٣ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٦١/٢ والصحاح: ١٦١١/٤ ومجمع البيان ١٥٩/١ وشرح الشافية للرضي ٣٤٧/٢ ولسان العرب ٢٧٣/١٢ وشرح الجاربردي ٢٠٩ وشرح نقرة كار ١٤٥ وشرح المراح ١٧٨ وعمدة القاري ٤/١ وارشاد الساري ١٣٩.

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٢٦٧/٢ والمفردات ٢١ والامالي الشجرية ٢٩٢/٢ والتبيان للعكبري ٢٧/١.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٨٦/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٧٠/١.

(٤) التبيان للعكبري ٢٨/١.

(٥) شرح الشافية للرضي ٣٤٧/٢.

وثمة مذهب آخر قريب من هذا، ذكره العكبري ولم ينسبه إلى أحد وإنما قال: "وقال آخرون: "مَلَكٌ فَعَلَ من المَلِكِ وهو القوة فالميم أصل ولا حذف فيه لكنه جُمع على (فعائلة) شاذاً"^(١). واختار أبو حيان هذا المذهب ناسباً إياه إلى أبي عبيد فقال: الملك ميمه أصله وهو فَعَلَ من الملك وهو القوة ولا حذف فيه وجمع على (فعائلة) شذوذاً قاله أبو عبيد، وكأنهم توهموا أنه (ملاك) على (فعال) وقد جمعوا (فعالا) المذكر والمؤنث على (فعائل) قليلاً"^(٢).

وإخراج الجمع (ملائكة) على الشذوذ مردود على الرغم مما فيه من مراعاة لظاهر اللفظ، أما نسبة هذا القول إلى أبي عبيد فتخالف ما أثر عنه في كتابه الغريب المصنّف من مشايعة لمذهب البصريين في الزنة الأولى. ويمكن القول: إن دعوى اشتقاق (ملك) و (ملائكة) من المَلِكِ مردودة لأن مناسبة الاشتقاق لا تعضدها لعدم الوفاق بين معنى (المَلِكِ والملائكة) وبين معنى (المَلِكِ)، زيادة على ما فيها من حمل على القليل في قول ابن كيسان والشاذ في القول الآخر.

والتأمل في جريان مشتقات (الأَلَك) و(الَلَأَك) الواردة في الزنتين الأولى والثانية لا يبين فضل مزية لإحدهما على الأخرى فكلتاهما لغةً فصيحة وردت عن العرب في أشعارهم، وحظهما من التصرف في كتب اللغة كحظ مشتقات (الجذب والجبذ) اللتين عدّهما أكثر الصرفين لغتين كل أصل بنفسها، وليست إحداهما منشعبة من الأخرى^(٣). ولكن الجمع (ملائكة) سبقت اللام فيه الهمزة، ويمكن الاكتفاء به في ترجيح أصالة (الأَلَك) وانشعاب (أَلَك) منه لأن الجمع يردّ الأشياء إلى أصولها. ويمكن تلمس دليل آخر يعضد هذا التوجيه هو أن أكثر العلماء ذاهبون إلى أن معنى (مَلِك) إنما هو من الرسالة يدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) التبيان للعكبري ٢٨/١.

(٢) البحر المحيط ١٣٧/١.

(٣) ينظر: الخصائص ٧/٢ والمنصف ٩٥/٢ ورسالة الملائكة ٦.

جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنَى وَثُلَاثَ وَرَبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴿فاطر: ١﴾، وإنما سُمِّيت رسالة لأنها تؤلِّك في
 الفم أو تُلأك فيه على وفق الاختلاف في تقدير الأصل في كلتا الزنيتين،
 والظاهر الشائع في كتب اللغة أن أصل هذه المادة أجوف واوى، إذ قالوا: لأك
 اللقمة يلوكها إذا أدارها في فيه، ولاك الفرس اللجام يلوكه مثله^(١) ويبدو أن
 لأك المهموز أصله لأك الأجوف فقلبت الألف همزة كما قلبت في قراءة من قرأ
 (ولا الضالين)^(٢)، وقراءة من قرأ (ولا جان)^(٣)، ثم كثر الهمز فيه حتى ظن
 أنه الأصل فقال ابن جني "ينبغي أن يعلم أن أصل تركيب (ملك) على أن
 الفاء لام والعين همزة واللام كاف لأن هذا هو الأصل وعليه تصرف
 الفعل"^(٤). ويبدو أن ابن جني إنما قطع بأصالة (لأك) مستدلاً بكثرة تصرفه
 لأنه أراد (اللوك) فهذا كثير شائع، أما (اللأك) فليس حظّه من التصرف بأكثر
 من (الأك)، لكن اتفاق (الأك) مع الأصل الشائع (اللوك) في رتبة
 الأصوات الأصول تكشف عن فضل مزبة لـ (لأك) على (أك) إذ هو مقلوب
 منه قياساً على الأصل (اللوك)، فهذا دليل آخر يعضد أصالة (لأك) وانشعاب
 (أك) منه. ومن هنا تكون الزنة الأولى (مفل مفاعلة) هي الراجعة في هذه
 اللفظة، سواء أكان المفرد (مَلَك) مهموز العين كما في مذهب الخليل وسيبويه
 أم قلبت عينه (الألف) عن الواو كما في المذهب الآخر في الزنة نفسها.
 والراجح من هذين المذهبين أن يكون الملك مفعلاً من اللوك وأصله
 (مَلُوك) فنقلت فتحة الواو إلى اللام لأن الصحيح أولى بالحركة من المعتل ثم
 قلبت الواو ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها فصار (ملاك)، ولما كثر
 الهمز فيما اشتق من اللوك همزوا عين ملاك فقالوا: ملاك، ثم استثقلوها في

(١) ينظر اساس البلاغة ٥٧٥ ولسان العرب ٣٧٣/١٢.

(٢) ينظر: إعراب ثلاثين سورة ٤٥ والكشاف ١٢/١ والمقرب ٥١٩.

(٣) ينظر: المختصر ١٤٩ والجامع لأحكام القرآن ١٨١/١٧ والبحر المحيط ١٩٥/٨.

(٤) المنصف ١٠٢/٢.

وسطه فحذفوها منه، فقالوا فيه: ملك، ثم ظهرت تلك الهمزة في الجمع ملائكة لأن الجمع يردّ الأشياء إلى أصولها، أو أنهم حذفوا ألف (ملاك) بعد قلبها من الواو مستغنين عنها بالفتحة قلبها ولم يهمزوها ليسوغ لهم الحذف، في المفرد (ملك) كما في قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ﴿الأنعام: ٥٩﴾ إذ أصل مفاتيح مفاتيح، فسقطت الياء استغناء عنها بالكسرة قلبها. وفي الجمع ردّ المحذوف إلى أصله (الواو) فصار (ملاوكة) ثم قلبت الواو همزة وإن لم تكن زائدة في المفرد فقليل (ملائكة) كما قيل (مصائب) و (معاش).

ومّا يعضد كون عين ملك ألفا أنه في العبرية (malak) وفي الآرامية (malako)^(١). أما معنى الإرسال في الملائكة فيمكن إدراكه من وجهين الأول أن جميعهم رسل الله إلى ما يرسلهم إليه من تدبير الأمور والآخر: أن معنى الإرسال في الملائكة أجمعين جاء تغليبا لأسماء عظمائهم وساداتهم الذين عرفوا بأنهم رسل وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (عليهم السلام)^(٢).

٨٣- موسى

اختلف في موسى النبي أعربي اسم أعجمي؟، والذاهبون إلى أنه عربي مختلفون في وزنه وأصل اشتقاقه. والخلاف في لفظة موسى النبي جاء مقرونا في الكتب بالخلاف مع (موسى) الآلة، ثم إنه جاء مدرسيا في بعض المظان. فالزجاج نقل مذهب أصحابه البصريين في (موسى) نبيا فقال: "قال جميع البصريين في اسم موسى وعيسى إنهما أعجميان"^(٣). ونقل الرضي مذهبهم في (موسى) الآلة وهو يشرح قول ابن الحاجب "موسى مفعّل من أوسيت أي حلقت والكوفيون فعلى من ماس"^(٤) فقال الرضي: "موسى التي هي موسى

(١) التطور النحوي ٢٢٧.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن ١/١٤٨.

(٣) ما ينصرف وما لا ينصرف ٣١.

(٤) شرح الشافية للرضي ٢/٣٤٤.

الحديد عند البصريين من أوسيت أي حلقت وهذا اشتقاق ظاهر، وهو مؤنث سماعي كالقدر والنار والدار"^(١) أي أن ألف موسى ليست للتأنيث وإنما هي لام الكلمة ومن هنا قال الرضي: موسى الحديد مؤنث سماعي.

وقد ورد في الكتاب ما يدل على أن سيبويه وبعض شيوخه ذاهبون إلى عجمة (موسى) النبي، إذ قال سيبويه: "وأما موسى وعيسى فإنهما أعجميان لا ينصرفان في المعرفة، وينصرفان في النكرة، أخبرني بذلك من أثق به"^(٢). لكن سيبويه سرعان ما يورد قولاً يفهم منه نقضه لهذا الذي قدمه، فيقول: "وموسى مفعّل وعيسى فعلى والياء فيه ملحقة ببنات الأربعة بمنزلة ياء معزى"^(٣)، فالأسماء الأعجمية لا يدخلها الاشتقاق ولا يعرف لها أصل في العربية بموجبه يصح الحكم على ألفاتها بأنها لإلحاقها ببنات الأربعة من الكلم العربي. فهل يعني هذا أن قوله هذا نقض ذاك؟ وهل يعني هذا أنه مضطرب في تأصيل (موسى) النبي بين العجمة والعروبة؟ أما موسى الحديد فقوله فيها واضح كل الوضوح: "وموسى الحديد مفعّل ولو سميت بها رجلاً لم تصرفها لأنها مؤنثة بمنزلة معزى إلا أن الياء في موسى من نفس الكلمة"^(٤) فهو هنا عد ألف (موسى) الحديد لاما للكلمة لأنه (مفعّل) من (أوسيت) وليست ألفه للإلحاق كألف موسى النبي. ثم إن في قوله الأخير دليلاً على نقضه مذهب عجمة (موسى) الذي قدمه أولاً وهو أن موسى الحديد يجوز أن يسمى بها رجلاً عندئذ تمنع الصرف العلمية والتأنيث المعنوي.

وربما تنبه خالفو سيبويه على أن كلام سيبويه أوله لا يشبه آخره. فنأوا عن الخوض في اشتقاق (موسى) النبي مكتفين بعرض مذاهبهم في (موسى) الحديد، فالبصريون كالأخفش والزجاج وابن السراج رأوه (مفعلاً) من

(١) نفسه ٣٤٧/٢

(٢) الكتاب ٢١٣/٣.

(٣) نفسه.

(٤) الكتاب ٢١٣/٣.

(أوسيت) لأن الميم أكثر ما تزداد أولا وإن (مفعلا) أكثر من (فعلى) وأنه يصرف معرفة ويمنع الصرف نكرة وفُعلَى تمنع الصرف في كلتا الحالين ^(١). أما الكوفيون فيبدو أنهم مجمعون على أن موسى الحديد فعلى من ماس يمس ميسا إذا تبختر وفسر مذهبهم في موسى الحديد بأن الأصل (ميسى) وقلبت الياء واوا لسكونها وسبقها بضم، أي أنهم عدوا موسى الآلة مؤنثة لزيادة الألف في آخرها في (فعلى) من (الميس) لا (مفعل) من (أوسيت) ولذا منع الصرف في كلتا الحالين ^(٢). وسار كثير من المتأخرين ^(٣) في هذا السبيل مكتفين بعرض اختلاف العلماء في (موسى) الحديد، دون النظر إلى (موسى) النبي فكأنهم في أمره أمام سبيلين، أما الوقوف به عند قول سيبويه – أولا- موسى أعجمي أو النأي عن الخوض في اشتقاقه لأن سيبويه نفسه لم يستقر فيه على حال واحدة. لكن الرضي الأستريادي عزا إلى أبي عمر ابن العلاء ذهابه إلى أن (موسى) النبي (مُفعل) من أوسيت جريا على مذهب أصحابه في اشتقاق موسى الحديد، وعزا إلى الكسائي أنه (فعلى) من الميس جريا على مذهب أصحابه في اشتقاق الآلة، إذ قال الرضي: "وأما موسى اسم الرجل فقال أبو عمر بن العلاء: هو أيضا مفعل بدليل انصرافه بعد التنكير وفعل لا ينصرف على كل حال... وقال الكسائي هو فعلى فينبغي أن يكون ألفه للإحق بجخدب وإلا وجب منع صرفه بعد التنكير" ^(٤)

(١) ينظر: ما ينصرف وما لا ينصرف ٣١ والأصول ٣٥١/٣.

(٢) ينظر: المذكر والمؤنث للفراء ٨٦ وإصلاح المنطق ٣٥٩ وأدب الكاتب ٢٨٦ وشرح الشافية للرضي ٣٤٤/٢.

(٣) ينظر: لحن العوام ٧٩ والصحاح ٩٨٠/٣ ومشكل إعراب القرآن ٩٤/١ والمخصص ١٩٥/١٥ والاقتضاب ١٣٠/٢ - ١٣٢ والحلل ٣١٠ والممتع في التصريف ٧٩، ٢٨٠/١ وشرح الشافية للرضي ٣٤٤/٢ والبيان للعكبري ٢١/١ وشرح الجاربردي ٢٠٩ وعمدة القاري ٥٠٩/٢ والمزهر ٥٣/٢ وحاشية الخضري ١٠٤/٢.

(٤) شرح الشافية للرضي ٣٤٨/٢ - ٣٤٩.

لكن الرضيّ لما عرض حجة أبي عمر بن العلاء على مذهبه المذكور آنفاً قال: " وقال أيضا - ريد أبا عمرو- إن مفعلاً أكثر من (فعل) فحمل الأعجمي على الأكثر أولى. وهو ممنوع لأنّ فعله يجيء مؤنثاً لكل أفعل التفضيل ومفعول لا يجيء إلا من باب أفعل يفعل فهو عنده لا ينصرف (علماً للعجمة والعلمية وينصرف) ^(١) بعد التنكير كعيسى ^(٢) وفي هذا النص خلط جديد، فالرضي نقل عن أبي عمرو بن العلاء أولاً أنّه ذاهب إلى أن (موسى) الرجل اشتقاقه كاشتقاق (موسى) الحديد، فهو عربي إذن ولا مسوغ بعد هذا أن يحتج له بأن حمل الأعجمي على الكثير أولى لأن أبا عمرو لم يقل: موسى أعجمي. وما يعقد هذا الخلط والاضطراب أن محققي شرح الشافية لما لم يتنبهوا على الخلط الواضح في قول الرضي محتجاً لمذهب أبي عمرو زادوا عبارة (موسى لا ينصرف علماً للعجمة والعلمية) في مذهب أبي عمرو وليس هذا مقصد الرجل إن رام إخراج موسى علماً من أصل عربي لأنه يكون ممتنعاً من الإجراء - حيثئذ - للعلمية والتأنيث المعنوي لأنه مسمى بآلة عربية مؤنثة تأنيثاً سماعياً.

وصفة القول في حقيقة موسى النبي أن القدماء لم يكونوا من أمر تأصيله على سبيل بين فهم إن قالوا بعجمته سرعان ما ربطوا بين اشتقاقه واشتقاق الآلة العربية وسار معهم في هذا فريق من المتأخرين لكن فريقاً آخر منهم فصلوا بين اشتقاق اسم النبي واسم الآلة قائلين إن العرب لم تسم أبناءها في زمن الجاهلية ب(موسى) وإنما حدث ذلك في زمن الإسلام فإذا سموا به فإنما يعنون موسى النبي لا موسى الحديد ولذا ذهبوا إلى أن موسى النبي اسم أعجمي عبراني وأصله في العبرانية (موشا) مركب من كلمتين (مو) وتعني الماء و(شا) وهو الشجر ولما عرب أبدلت الشين سينا وسمي بذلك لأنه

(١) زيادة وضعها المحققون

(٢) شرح الشافية للرضي ٣٤٨/٢.

وجد في تابوت يعوم بين الشجر والماء قرب بيت فرعون فسمي موسى نسبة إلى المكان الذي وجد فيه وعلى هذا فريق من المفسرين واللغويين^(١). وعزي هذا التوجيه إلى الليث بن المظفر^(٢)، وجاء في القاموس المحيط أن هذا المذهب مذكور في التوراة فموسى " في التوراة (مشيتهو) أي وجد في الماء"^(٣).

وفي تحقيقه لكتاب المعرب أورد أحمد محمد شاكر رأيا للفيلسوف الأوربي فرويد مفاده "أن موسى عليه السلام لم يكن عبريا وأنه كان مصرياً وأن كلمة (موسى) في رأيه معناها الطفل أو العبد"^(٤). وهذا مردود إذ " اعتاد هؤلاء الفلاسفة على الجزم بما لم يقيم عليه دليل وشبه دليل فجزم بأن موسى عليه السلام كان مصرياً وخالف كل ما ثبت في التاريخ من غير شك. بل لو صح ما ظنه من أن الكلمة مصرية أفيقول هذا: إن الشخص مصري"^(٥).

ونقل أحمد محمد شاكر عن محمد أبي السعود رأيه أن الكلمة عبرية وأنها اسم مفعول من الفعل (مشاه) أي انتشل^(٦). فكأن في هذا سييلاً آخر في إخراج (موسى) من العبرية غير السبيل الذي اهتدى إليه علماء العربية السابقون الذين عدوا (موسى) مركباً من (مو) و(شا) إذ ذهب أبو السعود إلى أن الاسم ليس مركباً في العبرية بل هو اسم مفعول فيها معناه في العبرية (منتشل) وفي هذا عضد لمذهب عجمة (موسى) إذ اللفظ بعيد في العبرية عن معنى موسى الحديد.

(١) ينظر: جامع البيان ٢٢٢/١ وإعراب ثلاثين سورة ٧٣ وتهذيب اللغة ١٢٠/١٣ ومجمع البيان ٣٤٠/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٨٢/١ والمعرّب ٣٠٢ والبحر المحيط ١٩٥/١ - ١٩٦ والمجيد في إعراب القرآن ٢٢٦ والأشباه والنظائر ٢٣٦/٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٢٠/١٣ ولسان العرب ٢٣١/٢٠.

(٣) القاموس المحيط ١٤٨/٢.

(٤) المعرب ٣٠٢ (الهامش).

(٥) نفسه.

(٦) المعرب ٣٠٢ (الهامش).

٨٤- المهيمن

اختلف العلماء في (المهيمن) في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر: ٢٣) أصلاً وزنة، وكانت لهم فيه عدة مذاهب تجمعها زنات مخرجة من أصول كثيرة، تلك الزنات هي:

١- مُفَعِّل:

ذهب ابن قتيبة إلى ان (مهيمنا) بزنة (مُفَعِّل) وهو بناء صُغِرَ عليه (مؤمن) وأصل المصغر عنده (مؤمن) فقلبت الهمزة هاء لثقلها في الوسط، فصار (مهيمن) بزنة (مُفَعِّل) واستدل على مذهبه بكثرة قلب الهمزة هاء وإن خفت نحو هيّاك أي إياك وهرحت الدابة أي أرحتها^(١).

ولم يجد رأي ابن قتيبة هذا قبولا لدى العلماء إلا الانباري الذي نقله من دون نسبة إلى صاحبه^(٢). إذ أنكره تابعوه مستدلّين بأن (المهيمن) اسم من أسماء الله الحسنى ولا سبيل للتصغير فيها، ورووا عن المبرد قوله: "بلغني أن ابن قتيبة قال: إن مهيمنا تصغير مؤمن والهاء بدل من الهمزة، فوجهت إليه أن اتق الله فإن هذا خطأ يوجب الكفر على من تعمدّه وإنما هو مثل مسيطر"^(٣).

وكان النحاس قد فسّر مذهب المبرد في (مهيمن) موثقاً نقله عنه فقال: حكى لنا علي بن سليمان عن أبي العباس قال: الأصل (مؤمن) وليس في أسماء الله شيء مصغر وإنما هو مثل مسيطر أبدل من الهمزة هاء لأن الهاء أخف^(٤).

ويفهم مما سبق أن المبرد يرى أن أصل (مهيمن) هو (مؤمن) وهو اسم فاعل فعله (أيمن) ملحقا بـ(دحرج) بزيادة ياء ثانية في فعل (الأمن) فقلبت

(١) ينظر: أدب الكاتب ٦٠٩ وتفسير غريب القرآن ١١-١٢.

(٢) ينظر: البيان ٢٩٤/١.

(٣) الاشباه والنظائر ١٦٥/٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٧/٣ وينظر: تفيير تفسير غريب القرآن ١١.

الهمزة هاء تخفيفا فصار (مهيمن) بزنة (مفعِل) اسم فاعل. وقد استحسن فريق من العلماء مذهب المبرد هذا^(١). لكن المعري لما لم يسمع (أيمن يؤيمن) ملحقا بـ (دحرج يدحرج) بزيادة ياء ثانية على فعل الأمن ولم تذكره كتب اللغة أنكر إخراج (مهيمن) على هذا السبيل ودعا إلى إخراجِه من "همن" وهذا فعل ممت وإن كان كذلك فليس يجب أن يخرج من كلام العرب لأن اللغة واسعة جدا ولا يمكن أن يدعى حصولها في الكتب عن آخرها وقد تكون الكلمة حقيقية في اللفظ ولم ينطقوا بها فيما اشتهر من الكلام... وهمن من الباب المتوسط من أبواب الثلاثي ولم يذكره أحد من المتقدمين فيما أعلم، وقد كان في أصحاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) امرأة يقال لها: (هيمنة)، وقد كانت فيمن هاجر إلى الحبشة وهذه من الهمن لا محالة، وموضع يعرف بـ (همانية) وهو من الهمن أيضا^(٢).

ويفهم من هذا أن المعري عدّ (مهيمننا): (مُفعِلا) اسم فاعل من (هيمن يهيمن) الملحق بـ (دحرج يدحرج) بزيادة ياء ثانية على الفعل المهجور (همن) متلمسا لهذا الأصل أثرا مستعملا في الكلام العربي لثلا يوسم مذهبه بأنه وقع فيما هرب منه بعد إنكاره مذهب المبرد الذي أخرجه على الأصل غير المسموع (أيمن يؤيمن). وتابع أبو حيان المعري في اشتقاق مهيمن فذكر أنه اسم فاعل من (هيمن) الملحق ببناء الرباعي المجرد (فعِل) منظرا (هيمن) بـ (سيطر وييطر)^(٣).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٧٩/٣ واشتقاق أسماء الله ٣٩٥ - ٣٩٦ والكشاف ٨٧/٤ وجمع البيان ١١٠/٦ والتبيان للعكبري ٢١٧/١ ولسان العرب ٣٤٦/١٧ وتاج العروس ٣٦٧/٩.

(٢) رسالة الملائكة ٢٣٤ - ٢٣٥ وينظر: معجم البلدان ٤١٠/٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٤٨٦/٣.

٢- مُفعّل:

ذهب ابن بري إلى إنّ (هيمن) أصل بنفسه ووزنه (فعلل) ومصدره الهيمنة من باب الفعللة ورفض انشعاب (هيمن) من (أمن) لأن الهمزة الثانية في (أمن) ساكنة مفتوح ما قبلها فيكون قلبها ياء في (أيمن) في غاية الشذوذ، والقياس فيها أن تقلب ألفا لا غير. ورفض - أيضا - انشعاب (هيمن) من (همن) لأن (همن) أصل مهجور فلا يدعى إلحاقه ببناء المجرد (فعلل) بزيادة فيه. وعنده (مهيمن) اسم فاعل من باب الفعللة ووزنه (مُفعّل) كـ (مدحرج)^(١).

ولا شك في حسن هذا المذهب وعدم تكلفه ولا يدخل عليه إلا قول الصرفيين: (هيمن) ونحوه " لا يمكن عدّها رباعية لأنّ من حروفها الياء، والياء والواو لا يكونان أصلا في فعل رباعي الأصل إلا في التضعيف"^(٢) ولما عرض العيني مذاهب العلماء في (مهيمن) قال: " والحق إنّ أصل بنفسه وليس مبدلا من شيء وأصل الهيمنة الحفظ والمراقبة يقال: هيمن فلان إذا صار رقبيا عليه"^(٣)، وقول العيني هذا هو حاصل كلام ابن بري في (مهيمن)^(٤).

٣- مؤفعل - مهفعل

ذهب الأزهري إلى إنّ أصل (مهيمن) هو (مؤأمن) بهمزتين، كأنه اسم فاعل من باب الإفعال والهمزة الأولى هي همزة (الإفعال)، وإنما ثبتت في اسم الفاعل مراعاة للقياس المتروك فيها، وكان القياس فيها يقضي أن تثبت في مضارع الإفعال واسم فاعله واسم مفعوله فيقال: أكرم يؤكرم إكراما فهو مؤكرم ومؤكرم، وإنما ترك القياس فقليل: يُكرم ومُكرم ومُكرم لئلا تجتمع

(١) ينظر: لسان العرب ١١٦/١٦.

(٢) المنصف ٣٥/١.

(٣) عمدة القارئ ١٩٧/٤.

(٤) ينظر: لسان العرب ١١٦/١٦.

همزتان في أول المضارع المسند إلى ضمير المتكلم: أَكْرِمُ، واتبع حذفها في كل المواضع اطراد للباب، وقد استعملها الراجز على القياس المتروك فقال^(١):
فأَنَّهُ أَهْلٌ لَّأَن يُؤَكْرَمَا

وقال أيضا^(٢):

وصاليات كَكَمَا يُؤَثِّفِين

فعلى هذا يكون أصل (مُهِيمَن) هو (مُؤَامَن) بزنة (مُؤَفَعَل) وقلبت الهمزة الأصلية (الثانية) ياء كراهية لاجتماع همزتين، وقلبت الهمزة الأولى (همزة الإفعال) هاء لقرب مخرجها من الهاء كما قلبت في هرقت الماء وهرحت الدابة وهياك. وقد أشار فريق من العلماء إلى هذا المذهب ناسبين إياه إلى الأزهري وهم فيه بين مؤيد ومنكر. قائلين إن وزن (مُهِيمَن) على وفقه (مُهْفَعَل) أما من (الأَمَن) فيكون الأصل (مُؤَامَن) وجرى له ما سبق، أو من (اليَمَن) فيكون الأصل (مُؤَيَمَن) ثم (مُهِيمَن)، ولكن لما لم يسمع جريان مشتقات اليمَن في باب الإفعال بطل حمل مُهِيمَن على هذا الوجه^(٣). ومن منكري هذا المذهب أبو حيان الذي قال: "وهذا تكلف لا حاجة إليه... فالهمزة في (مُؤَمَن) اسم فاعل من (أَمَن) قد سقطت كراهية اجتماع الهمزتين فلا يدعى أنها أقرت وأبدل منها"^(٤).

٤- مفعَلن:

جوز المعري في (مُهِيمَن) زنات أخرى غير ما سبق منها (مفعَلن) اذ فسر (مُهِيمَن) على وفقها بـ "إنَّ مُهِيمَنَا يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ (مفعَلنَا) ويكون من الهيم كأن الإنسان من خوفه الله يهيم في الأرض وهذا مناسب لقولهم: اله لأنه من

(١) الرجز في المنصف/١٩٢ وشرح الجاردي ٥٨.

(٢) الرجز في الكتاب ٢٧٩/٤ لخطام المجاشعي.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ٣٣٢/٦ - ٣٣٣ رسالة الملائكة ٢٥٩ ومجمع البيان ١١٠٦/٦.

(٤) البحر المحيط ٤٨٦/٣.

الوله أو يأله الإنسان فيه أي يحار" ^(١) وقلّة بناء (مفعّلن) اسما وصفة تشهد بضعف هذا الوجه لأن الحمل على القليل لا يسلم به أن وجد سبيل غيره فضلا عن تعسف أخراج (مهيمن) من معنى الهيم في الأرض.

٥- مفيعن

جوز المعري - أيضا- في (مهيمن) أن يكون أصله (مهيمي) بزنة (مفيعل) من (الهمي) ولما نون حذفت لامة (الياء) وقوي التنوين فصار نونا عوضا عن اللام المحذوفة فصار (مهيمن) لأن اللام محذوفة ولا شك في تكلف هذا الوجه وضعفه الظاهر، وقد تنبه المعري نفسه على ضعف إخراج (مهيمن) على أنه (مفيعن) من (الهمي) فأنكره من وجهين، الأول: إنهم لم ينطقوا بالهميمي فيدعى فيه حذف اللام وصيرورة التنوين نونا، والآخر إن صيرورة التنوين نونا شيء مقصور على ضرورة الشعر والقوافي ولا يجوز وقوعه في الكلام المشثور ^(٢).

وإنما لم يلتفت أكثر القدماء إلى مذهب الإلحاق في (هيمن) لأنه " ليس في الكلام (همن) حتى تكون الهاء أصلا " ^(٣) فلم يثبت لديهم ثلاثي مجرد لـ (هيمن) لتزاد فيه ياء الإلحاق كما ثبت (سطر وبطر) أصلين لـ (سيطر وبيطر)، ولذا لم يجدوا بأسا في اشتقاق المهيمن من (الأمن والأمانة) لإجماع المفسرين على أن المهيمن بمعنى: الشهيد، الشاهد، الأمين، المؤمن، الرقيب، الحافظ، المسيطر، ومعنى الأمن ظاهر في هذه المفردات ^(٤).

ويبقى القول: إن هاء (مهيمن) مبدلة من همزة الأمن أو الإيمان بلا برهان لما يأتي:

(١) رسالة الملائكة ٢٦٩.

(٢) ينظر: رسالة الملائكة ٢٦٩.

(٣) التبيان للعكبري ٣١٧/١.

(٤) ينظر: تفسير غريب القرآن ١١ والكشاف ٨٧/٤ والبحر المحيط ٤٨٦/٣.

- المبدل فرع من المبدل منه لا يغني عنه بل هو أقل استعمالاً منه، إذ الكثير (إيّاك) والقليل (هَيّاك) ولا يثبت هذا الأمر في (مؤيّن) و (مهيمن) إذ استغنى بالفرع عن الأصل ولم يكد الأصل يُسمع.

- لو كان (مؤيّن) أصلاً لورد استعماله في القرآن الكريم لأنه لا يترك الأصل الشائع ويستعمل القليل المنشعب منه.

- لو كان (المهيمن) ك (المؤمن) كلاهما من (الإيمان) لاكتفي بأحدهما في الدلالة على هذا المعنى وكان استعمال الآخر لغواً في قوله تعالى "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ الحشر: ٢٣"، فعلى هذا يكون القول بأصالة (هيمن) اشتقاقاً ومعنى هو خير ما يلتزم في تأصيل (مهيمن).

٨٥- الناس والأناس

اختلفوا في تأصيل الناس في قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} ﴿البقرة: ٨﴾ و(الأناس) في قوله تعالى: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} ﴿البقرة: ٦٠﴾ على مذهبين:

الأول: يرى أصحابه أن (أناس) بمعنى (ناس) وأنهما معا مشتقان من الجذر (أنس) فحذفت الهمزة من الناس وبقيت في الأناس، وهذا ما أكده سيبويه بقوله: "والأصل في الناس الأناس مخففاً فجعلوا الألف واللام عوضاً من الهمزة"^(١). وتابعه على هذا الرأي ابن دريد (ت ٣٢١هـ) واستدل على ذلك بقوله: " (أناس) الألف فيه أصلية ثم زيدت عليه اللام التي تزداد مع

(١) كتاب سيبويه: ٣/٣٧٩، وينظر: الخصائص ٢/٢٨٥ واللباب في علل البناء والأعراب (العكبري) ٣٦٢.

الألف للتعريف... فلما زادهما على (أناس) صار الاسم (الأناس) ثم كثرت في الكلام فكانت الهمزة واسطة فاستثقلوها فتركوها وصار الباقي (الناس) بتحريك اللام بالضممة، فلما تحركت اللام والنون ادغموا اللام في النون فقالوا: (الناس)، فلما طرحوا الألف واللام ابتدأوا الاسم فقالوا: قال ناس من الناس^(١). ووافقهم على هذا الرأي ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)؛ الذي يرى أن (ناس) أصله (أناس) وقد حذفت همزتها إذ قال: "فمن حذف الهمزة فاء: حذفها في (أناس)، قالوا فيه: (ناس) وزنه عال... وإنما كثر حذف فائه إذا دخل عليه الألف واللام"^(٢). فالأناس هو الأصل الذي منه ينشعب (الناس) بحذف الهمزة تخفيفاً ف (الناس) على وزن (العال) من الإنس، وجعلت الألف واللام فيه عوضاً من الهمزة المحذوفة فلا يكاد يستعمل (الناس) إلا بهما، فإن جرد منهما ردت همزته المحذوفة كما في قوله تعالى ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿البقرة: ٦٠﴾، ولا يقال فيه (الأناس) فيجمع بين التعريف والهمز إلا في ضرورة الشعر كقول ذي جدن الحميري^(٣):

إِنَّ الْمَنَائِيَا يَطْلَعُ ————— نَ عَلَى الْأُنَاسِ الْآمِنِينَ
فَيَدَعُهُمْ شَتَّى وَقَدْ كَانُوا جَمِيعاً وَافِرِينَ^(٤)

(١) الاشتقاق (ابن دريد) ٣١١.

(٢) الأمالي الشجرية ٢/ ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) ينظر: مجالس العلماء ٥٧، والخصائص ١٥١/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٢، والجنى الداني ٢٠٠، والخزانة ٢/ ٢٨٠.

(٤) ينظر: العين ٣٠٣/٧ والكتاب ١٩٦/٢ والمقتضب ٣٣/١ وجامع البيان ٩٠/١ ومجالس العلماء ٥٦ وسر صناعة الإعراب ١٣٨/١ ومشكل إعراب القرآن ٧٧/١ وشرح اللمع ٦٤٥/٢ والمخصص ١٧/١ ونزهة الطرف ٤٠ والبيان في غريب إعراب القرآن ٥٥٠/٢

الآخر: يرى أصحابه أنّ ثمة فرقا بين (أناس) و(الناس) وأساس هذا الفرق هو اختلاف اللفظتين في الاشتقاق فالناس من (نوس) والأناس من (أنس)، وعزي هذا المذهب إلى الكسائي (ت ١٨٩هـ) الذي يرى أنّ الناس لغة مفردة وهو اسم تام وألفه منقلبة عن واو. إذ قال: "ناس وأناس هما لغتان ليست أحدهما أولى من الأخرى، يدلُّ على ذلك أنّ العرب تصغر ناساً نويساً، ولو كان ذلك الأصل لقالوا: أنيس" ^(١). وقال ابن الشجري: "قال سلمة بن عاصم وكان من أصحاب الفراء: الأشبّه في القياس أن يكون كلُّ واحد منها أصلاً بنفسه، فأناس من الأنس و(ناس) من النوس؛ لقولهم في تحقير (ناس): نويس، كبويب في تحقير باب" ^(٢).

و(ناس) في هذا المذهب على وزن (فعل) وأصله نوس فأعل بقلب واوه ألفا وفي المذهب السابق على وزن (عال) لأنه من الأصل (أناس) على وزن (فعال) فحذفت فاؤه (الهمزة)، وفي كلا القولين (الأناس) على وزن (فُعال) وهو ليس من أبنية جموع التكسير ولا واحد له من لفظه؛ ولذا اختلفوا فيه جمع هو أم اسم جمع؟ ^(٣). فذهب المبرد إلى أنّ (أناس) اسم جمع، وليس بجمع تكسير ^(٤). وهو الرأي الذي ذهب إليه الزمخشري في قوله: "الأناس اسم جمع غير تكسير... ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير، والضمّة بدل من الكسرة، كما أبدلت في نحو (سُكاري)، و(غِياري) من الفتحة" ^(٥). فالزمخشري يرى أنّ (أناس) إن كان أصلها (فُعال) لا تعدُّ جمعاً؛ لأن هذا

ومجمع البيان ٩٨/١ والتبيان للعكبري ١٦/١، ٢٩٨/٢ والمتبع ٧٢٧/٢ وشرح المفصل ٩/٢ و١٢١/٥ وشرح الملوكي ٣٦٣ والمجيد في إعراب القرآن ٧٠ والأشباه والنظائر ١٤٢/١.

(١) معاني القرآن (الكسائي) د. عيسى شحاتة: ٦٢.

(٢) الأمالي الشجرية ٣٣/١.

(٣) ينظر: الكتاب ٣٧٩/٣.

(٤) ينظر: المقتضب ٣٣/١.

(٥) الكشف ١٦٩/٢.

الوزن لم يذكر ضمن أوزان جموع التكسير. أما إن قيل إن الأصل في (أناس) الكسر وإن الضمة بدلٌ منها فقد زالت العلة وعُدَّت (أناس) جمعاً؛ لأن (فِعال) وزن مطّرد في أوزان جموع التكسير. بيد أن هذا الرأي لم يسلم من النقد فقد انبرى أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) للردّ على الزمخشري قائلاً: "لا يجوز ما قال لوجهين: أحدهما إنه لم ينطق بـ (أناس) بكسر الهمزة، فيكون جمع تكسير، حتى تكون الضمة بدلاً من الكسرة، بخلاف (سُكاري)، و(عُجالي) فإن القياس فيه (فَعَالِي) بفتح فاء الكلمة وهو مسموع فيهما. وثانيهما أن (سُكاري)، و(عُجالي) وما ورد من نحوهما ليست الضمة فيه بدلاً من الفتحة بل نصّ سيبويه في كتابه على أنه جمع تكسير أصل، كما أن (فَعَالِي) جمع تكسير أصل"^(١).

فأبو حيان الأندلسي يرى أن العرب لم ينطقوا (أناس) بكسر الهمزة، فيكون جمع تكسير، حتى تكون الضمة بدلاً منها في حين أنهم نطقوا (سُكاري) و(عُجالي) بفتح الفاء وضمها. ولذا منع كون اللفظة جمعاً.

في حين نرى أن سيبويه عدّ وزن (فَعَال) من أبنية الجموع إذ قال في جمع "ربى: رَبَاب، حذفوا الألف وبنوه على هذا البناء"^(٢). وقال أيضاً: "تَوَامٌ وتَوَامٌ، كأنهم كَسَرُوا عليه تَتَمُّ، كما قالوا: ظُفْرٌ وظُفُور، ورُخَلٌ ورُخَال"^(٣). فضلاً عن هذا أن ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ذكر ألفاظاً سمعت عن العرب مجموعة على (فَعَال) إذ قال: "ليس في كلام العرب شيء جمع على (فَعَال) إلا نحو عشرة أحرف: عُرَاق جمع عرق، ورُخَال جمع رُخَل ورُبَاب جمع رُبى..."^(٤). وفي هذا دليل على أن العرب استعملوا وزن (فَعَال) للدلالة على الجمع، وهذا ما ذكره ابن عصفور إذ قال: "وباب (فَعَال) أن يكون جمعاً لـ

(١) البحر المحيط ٤/٤٠٩.

(٢) كتاب سيبويه: ٣ / ٦٠٩.

(٣) المصدر نفسه ٣/٦١٧.

(٤) ليس في كلام العرب: ١٥١.

(فَعَلَ) و(فَعُلَ) ك(رَخَلَ وَرُخَالَ)، و(ظَرَّ وَظُورًا) ^(١). وعلى هذا فإنَّ (أناس) تعدُّ جمعاً وإنَّ لم يكن لها مفرد من لفظها فقد "قد جاء في المجموع ما هو على غير لفظ واحده المنطوق به... ومنه (فَعَال) ^(٢)".

وأما الناس فاختلفوا فيه كثيرا إذ أثر عن الكوفيين مذهبان في تأصيل (ناس) فعزى إلى الفراء منهم موافقته البصريين في أنه منقوص من (أناس) وأن وزنه (عال) ^(٣)، وعزى إلى الكسائي أن أصله (نوس) بوزن (فعل) وأعلت عينه بقلبها ألفا فصار (ناس)، والنوس في اللغة الحركة، يقال: ناس ينوس نوساً، إذا تحرك والنوس تذبذب الشيء في الهواء، ومنه نوس القرط في الأذن، فكأنما هم (ناس) لكثرة حركتهم، ودليل الكسائي على مذهبه هذا تصغير (ناس) على (نويس) ولو كان على (فعال) من الإنس لردت الهمزة المحذوفة في التصغير فقليل: (أُنَيْسٌ وَأُنَيْسٌ) ^(٤). ونسب ابن الشجري هذا المذهب إلى سلمة بن عاصم ^(٥). وعزى إلى أبي عمر الشيباني أنه مشتق من (الإيناس) فحذفت الهمزة والياء فقليل (الناس) بزنة (العال) ^(٦) وعزى إلى أبي بكر بن الانباري أن (ناس) بزنة (فلع) من (النسيان) وأصله (نسي) فقدمت

(١) شرح جمل الزجاجي ٥٤٢/٢.

(٢) المصدر نفسه ٥٤٢/٢.

(٣) ينظر: الأمالي الشجرية ١٢٤/١ وشرح الملوكي ٣٦٢ وشرح المفصل ١٢١/٥ وارتشاف الضرب ١٢٤/١.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٦٢/٣ والفروق اللغوية ٢٢٧ وشرح ابن الجبان ٨٨ - ٨٩ وشرح الملوكي ٣٦٣ والتبيان للعكبري ١٦/١ وارتشاف الضرب ١٢٤/١ والبحر المحيط ٤٠٨/٤.

(٥) الأمالي الشجرية ١٢٥/١.

(٦) ينظر: ارتشاف الضرب ١٨٥/١ وتذكرة النحاة ٦٦٩.

اللام إلى موضع العين فصار (نيس) ثم أعلت العين بقلبها ألفا فصار (ناس)^(١).

والأظهر ما قاله سيويوه في عده (أناس) جمعاً حقيقاً وإن لم يكن له مفرد من لفظه. أي إن (الأناس) اسم جمع على (فُعال) من الإنس سموا كذلك لأنس بعضهم ببعض والإنس هم الجماعة البشرية التي يأنس بعضهم ببعض^(٢) وهو بهذه الدلالة يختلف عن الناس الذين هم مطلق البشرية التي دبت فوق الأرض لأن أصل الناس من النوس وهو الحركة الظاهرة^(٣). وأغرب كثيراً من رأى أن الناس منشعب من الأناس بحذف الهمزة^(٤) لأن بين الأناس والناس فرقاً واضحاً في التعبير القرآني يفصح عن أن الأناس بعض الناس كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ ﴿الإسراء: ٧١﴾.

٨٦- النبي

اختلف في تأصيل (النبي) في نحو قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿آل عمران: ١٤٦﴾، فالجمهور على انه (فعل) من (النبا) الذي هو الخبر وأصله (نبيء) وتركت العرب همزه لا على طريق التخفيف بل على طريق الإبدال، والفرق بين التخفيف والإبدال أن ما ترك همزه تخفيفاً قد يهمز تارة ويخفف أخرى أما ما ترك همزه إبدالاً تاماً فهو قياس مطرد ولا يجوز تعديده والرجوع إلى الأصل المبدل منه إلا ما ندر، ولذا

(١) ينظر: إعراب ثلاثين سورة ٢٣٨ ودقائق التصريف ٢٩٦ - ٢٩٧ ومشكل إعراب القرآن

٨٥٦/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ٥٣/١ والبحر المحيط ٥٢/١.

(٢) ينظر: الصحاح ٥٨ والمفردات ٩٤.

(٣) هذا رأي الكوفيين كما في جامع البيان ١٤٨/٢٧ و٩٠/١ ومجالس العلماء ٥٦ وسر

الصناعة ١٣٨/١.

(٤) هذا رأي البصريين كما في العين ٣٠٣/٧ والكتاب ١٩٦/٢ والمقتضب ٣٣/١.

كان (النبيّ) في هذا المذهب (فعليل) بمعنى (فاعل) لأنه مخبر ومبلغ، يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٥٤). ولامه همزة أبدلت ياء وأدغمت فيها الياء قبلها، وصار أمر تحقيقها لدى قوم من أهل الحجاز قليلا رديئا، وعليه خرّجت قراءة ناس من أهل المدينة (نبيئ)^(١) بالهمز، ولذا قوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قول بعض الأعراب له: "يانبيّ الله" بالهمز قائلًا: "لست نبيئ الله"^(٢)، وفي القراءة المرجوحة (نبيء) وقول الأعرابي مخاطبا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا نبيء الله) دليل على الأصل المهموز، ومما يدلّ عليه أيضا قول العباس بن مرداس^(٣):

يا خاتم النبأ أنك مرسلٌ بالحقّ كلّ هدى السبيل هداكا
فجمع نبيّ على بناء كما جمع كريم على كرماء وعظيم على عظماء ولو
كانت لام (نبي) ك (لام) (وصي وقوي وولي) لما جاز جمعه على فعلاء، ثم
إن إمالة الهمزة بالإبدال حيناً وبالحذف حيناً آخر وارد عن العرب كقولهم:
خطية وبرية وسل وخذ وغير هذا كثير شائع^(٤).

وعزي إلى أبي عمرو بن العلاء مخالفته الجمهور وذهابه إلى إن النبي إنما
هو (فعليل) من (النبوة) بمعنى الرفعة، وسمي نبياً لرفعة محله من سائر الناس،
يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧). وقول أوس بن حجر
في ممدوحه^(٥):

على الأروع السَّقْبِ لو أنه يقومُ على ذروة الصَّاقِبِ
لأصبحَ رَتمًا دِقاقِ الحصى مكانَ النبيِّ مِنَ الكائبِ

(١) ينظر: البحر المحيط ٢٢٠/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١٢٠/٣.

(٣) ديوانه ٩٥.

(٤) ينظر: العين ٢١٢/٤ والكتاب ١٧٠/٣ و٥٥٥.

(٥) ديوانه ٢٧ والبيت في الكامل ٢٠/٣.

ودليله على ذلك أنه ليس كل منبئ رفيع القدر والمحل ولذلك قال عليه الصلاة والسلام - لمن قال: يانبي الله - : لست بنبي الله ولكني نبي الله، لما رأى أن الرجل خاطبه بالهمز لبغض منه. وعورض مذهبه بأن النبي لو كان من أصل مهموز لكان المأثور عن العرب من قراءة بعض أهل المدينة وقول ابن مرداس لحناً وإذا كان مهموزاً ثم ترك همزه ليس بلحن^(١).

٨٧- نسوة ونساء

اختلف في تأصيل اللفظتين: (نسوة ونساء) في نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿يوسف: ٣٠﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿الأحزاب: ٣٠﴾ ومجمل ما قيل في تأصيل اللفظتين يندرج في قولين.

الأول: إن (نسوة ونساء) جمعا تكسير ليس لهما مفرد من لفظهما، وكل اسم دل على معنى الجمع، وجاء على وزن خاص بأوزان جموع التكسير أو مشهور فيه، فوزنه أو جب أن يكون من الجموع، ويقدر له واحد وإن لم يستعمل. ولكل من (نسوة) و(نساء) وزنهما أو جب أن يكونا جمعين؛ لأن (فعال) وزن مشهور في الجموع^(٢)، وهذا قول الخليل: "نساء ليس لها مفرد من لفظها"^(٣).

(١) ينظر: المقتضب ١٦٢/١ والكامل ٢٠/٣ وجامع البيان ٣١٦/١ ومعاني القرآن وإعرابه ١٤٥/١ والحجة للفارسي ٧١/٢ - ٧٢ ودقائق التصريف ٥٣١ والمفردات ٤٨٢ والمصباح المنير ٥٩١.

(٢) ينظر: الممتع في التصريف ٨٣/٣، وشرح الكافية الشافية ٢٥٤/٢.

(٣) العين ٣٠٥/٧، وينظر: الصحاح (نساء) والمصباح المنير ٦٠٤/٢.

واختاره آخرون ^(١). والنسوة على وزن (فَعْلَة) وذكر سيبويه أنه من أوزان جموع التكسير القياسية التي تفيد القلة البناء "فَعْلَة نحو: غِلْمة وصِبية وفَتية" ^(٢). ولذا ذهب إلى إن (نسوة) جمع ليس له واحد من لفظه فقال: "وليس نسوة بجمع كسر له واحد" ^(٣)؛ وشايع المبرد سيبويه فرأى أن (نسوة) لا تعدُّ جمعاً بل اسم جمع لأنها ليس لها مفرد من لفظها ^(٤).

الآخر: أن يكون (نسوة ونساء) اسمين مفردين دالّين على الجمع وليسا جمعي تكسير وإن جآ على أحد أوزان التكسير لعدم سماع مفرد لهما، ولذا رأى بعض شراح شافية ابن الحاجب أن الاسم الذي يدلُّ على أكثر من اثنين "إن لم يكن له مفرد من لفظه أو كان وليس على قياس فليس بجمع ك (نساء)" ^(٥). لكن حدَّ اسم الجمع عندهم يضعف هذا الوجه لأن اللفظين على أبنية جموع التكسير المعروفة واشترطوا في أسماء الجموع ألا تكون من أوزان جموع التكسير، فقال الرضي: "إن أسماء الجموع هي المفيدة لمعنى الجمع مخالفة لأوزان الجموع الخاصة بالجمع والمشهورة فيه، ونحو... نسوة مشهور فيه، فوزنها أوجب أن تكون من الجموع، فيقدر لها واحد وإن لم يستعمل" ^(٦). فالرضي يرى أن مجيء (نسوة) على وزن (فَعْلَة) كان مسوغاً لعلها جمعاً وإن لم يكن لها مفرد من لفظها.

(١) ينظر: فقه اللغة وسر العربية ٢٥٠، والمزهر ١٧٨/٢ وشرح الشافية للرضي ٣٦٧/٣ شرح ابن الناظم ٢٤، وجمع الهوامع ٣/٣٧٥ وشذا العرف ١٤٧، والنحو الوافي ٤/٦٢٦، والمهذب في علم التصريف ٢٠٥.

(٢) كتاب سيبويه: ٣/٤٩٠ ودقائق التصريف ٣٠٦.

(٣) كتاب سيبويه ٣/٣٧٩.

(٤) المقتضب ٥٦١/٢.

(٥) النجم الثاقب شرح شافية ابن الحاجب ٨١٨/٢.

(٦) شرح الشافية للرضي ٣/٣٦٧.

ويبدو أن كلا اللفظتين مشتقة من أصل مهجور هو (نسو) بدليل ظهور الواو في النسوة. وتمحّل كثيرا من أخرجهما من الأصل المتداول (نساء) الذي ساقوا له معنيين الأول: التأخر في الوقت، ومنه نسات الشيء: أخرته، وأنساته بعته بتأخير، ونست المرأة إذا تأخر وقت حيضها فرجي حملها^(١). والآخر الزيادة، ومنه نسات اللبن إذا جعلت فيه الماء تكثره به^(٢)، ونسات الإبل في ضمئها زدتها يوماً أو يومين^(٣). ولا دليل على حمل النسوة والنساء على هذين المعنيين المشتقين من الجذر (نساء). وأغرب كثيرا من رأى أن مفرد النساء (نساء) بفتح النون أو ضمها حملا على كلب كلاب أو رمح رماح^(٤) لأن هذا قول ركن فيه إلى القياس ولم يعتد فيه بسماع، فضلا عن بعد الاشتقاق الذي هو صريح بأن لام النساء أصلها واو لا همزة بدليل ظهورها في الجمعين الآخرين النسوة والنسوان. ولم يعد مقنعا أن يقال إن الفرق بين (نساء) و(نسوة) هو إن (نساء) تدل على الكثرة، وإن (نسوة) تدل على القلة^(٥). ومن هنا رأى البحث أن النساء جمع (نسوة) فالجمع فعال يطرد في أسماء وصفات على أوزان مختلفة منها (فعللة) بكسر الفاء اسما ك(ذئبة ذئاب) وكذا القياس في (نسوة نساء) أما موجب جمع القلة (نسوة) على نساء فهو إن (فعللة) مكسور الفاء لما كان جمعا خالصا للذكور كالفتية والصبية والعلية كان مجيء نسوة على هذا الوزن موجبا لحمل الجمع (نسوة) على النظائر ولذا ورد فعل القول مذكرا مع النسوة في قوله تعالى: «وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»

(١) ينظر: جمهرة اللغة (نساء): ٢ / ٤٩٣.

(٢) ينظر: الصحاح (نساء): ٦ / ٢٥٠٨.

(٣) ينظر: المفردات: ٥١٤.

(٤) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان أمرئ القيس، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة

بابل، الدكتور صباح عباس السالم، ٥٤.

(٥) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٢٧١.

﴿يوسف: ٣٠﴾ مراعاة لتذكير البناء (فعللة) ولم يراع تأنيث اللفظ. وما جاء على فعلة دالا على الجمع أما أن يكون له واحد من لفظه فهو جمع تكسير كصبية وفتية وإخوة وجيرة وعليه أو لم يسمع له واحد من لفظه فهو اسم جمع كالملة والفرقة والشيعا والعتره والجنة والنسوة ولذا جاز تكسير أمثلة هذا البناء الدالة على أسماء المجموع فقليل (شيع وملل وفرق وعتر) ومن ثم يكون النساء جمعا مقيسا في النسوة وأصله (نساء) بكسر النون وفتح السين قياسا على النظائر (شيع وفرق) ثم مدّ الصائت القصير في عين الأصل وهو الفتحة فصار (نساء) كما مد مفاتيح فصار مفاتيح.

٨٨- النصارى

لا خلاف بينهم في اشتقاق النصارى في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِّينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿البقرة: ٦٢﴾ من الجذر (نصر) ولكنهم اختلفوا كثيرا في المعنى الذي اشتق منه اللفظ وفي تقدير الاسم المفرد منه. فأما المعاني المحتملة لاشتقاق لفظ النصارى من (نصر) فعلى الرغم من كثرتها يمكن جمعها في قولين ^(١):

الأول: إن النصارى سموا كذلك لنصرة بعضهم بعضا، أو لنصرتهم المسيح أو لنصرتهم الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ

(١) التبيان للطوسي / ٢١٤ ومجمع البيان / ٢٢١/١ والبحر المديد / ١١٥/١ والتحرير والتنوير / ٥٣١/١ والكشف والبيان / ٢٠٢/١ النكت والعيون / ١٣٢/١ وروح البيان / ٢٧٩/١ ومعالم التنزيل / ١٣٤/١ وإرشاد العقل السليم / ١٠٨/١ وتفسير الرازي / ٥٣٦/٣ وتفسير اللباب / ١٣٥/٢ وفتح القدير / ١١٠/١ وزاد المسير / ٧٣/٢ ونظم الدرر / ٥٨٨/٧ والدر المصون / ٤٠٦/١ وأنوار التنزيل / ٨٤/١.

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴿١﴾.

الآخر: إنهم سموا بذلك لأنهم نزلوا ارضا يقال لها: ناصرة. وكان ينزلها عيسى فنسب اليها، فقليل عيسى الناصري، ثم نسب اصحابه اليه فقليل النصارى، وهذا الوجه منقول عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، ففي معاني الاخبار للصدوق، عن الحسن ابن فضال ^(٢) قال: "قلت للرضا (عليه السلام) لم سُمي النصارى نصارى قال: لأنهم كانوا من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم وعيسى بعد رجوعهما من مصر" ^(٣). وهو قول ابن عباس، وقتادة، وابن جريج ^(٤).

وأما اختلافهم في تقدير مفرد النصارى فذكروا فيه خمسة أوجه:
الأول: مذهب الخليل وسيبويه ^(٥) وهو أن يكون المفرد (نصران) وهو صفة للمذكر فيكسر جوازا على نصارى ومثله نشوان نشاوى وندمان ندامى. ويقال للمؤنث نصرى ونصرانة كما يقال لمؤنث سكران: (سكرى وسكرانه) وسمع الوصف المذكور في قول الشاعر ^(٦):
يظل إذا دار العشى مُحَنَفًا ويضحى لديها وهو نصران شامسُ

(١) ينظر: التبيان للطوسي ٢١٤/١ والكشاف ١٧٤/١ ومجمع البيان ٢٢١/١.

(٢) هو "الحسن علي بن فضال، كوفي يكنى أبا محمد. ابن عمرو ابن أيمن مولى تيم الله. من أصحاب الإمامين الرضا والجواد مات سنة أربع وعشرين ومائتين وابنه علي بن الحسن بن فضال من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري". معجم رجال الحديث ٤١/٦ - ٤٢.

(٣) عيون أخبار الرضا ٨٥/١ وينظر: علل الشرائع ١١٦/١.

(٤) جامع البيان ١٤٣/٢ - ١٤٥ والتحرير والتنوير ٥٣١/١.

(٥) ينظر: العين ١٠٨/٧ والكتاب ٢٥٥/٣ و ٤١١/٣.

(٦) من شواهد ابن الأنباري في الأضداد ١٥٥ والقرطبي في تفسيره ٣٦٩/١. والبيت في صفة الحرباء وقوله: "شامس"، يريد مستقبل الشمس، قبل المشرق كأنه نصراني.

والنصران هو الممتلى نصرًا كما أن الغضبان هو الممتلى غضبًا. وقد سمع في الانثى نصرانة قال الشاعر^(١):

فَكَلَّتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحْنَفِ
وعد سيويه الياء في (نصراني) للمبالغة كالتي في أحمرى^(٢) وليست الياء للنسبة كقولهم لذي اللحية: لحياني، ورقابي لذي الرقبة^(٣). وهي ليست للمفرد كما في القول الخامس الآتي.

وحكم ابن عادل بشذوذ بعض الجموع في القرآن الكريم ومنها هذا الجمع فقال: "وقال جاءت جموع على غير ما يستعمل واحدًا، وقياسه النصارىون"^(٤).

الثاني: أن يكون المفرد (ناصر) إذ سمع في جمعهم أنصار بمعنى النصارى قال الشاعر^(٥):

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا
شَمَرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارًا
كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارًا...

فكما إن الأنصار مفردهم (ناصر) ك(صاحب أصحاب) و(شاهد أشهاد) كذلك كان (ناصر) مفردًا لما في معنى الأنصار وهو النصارى كما كان (صاحب) جمعًا للصحبان أيضًا.

(١) لأبي الأخضر الحماني كما في المحرر الوجيز ١٣٦/١.

(٢) الكشف ٥٣١/١.

(٣) الكشف والبيان ٢٠٢/١ ومدارك التنزيل ٩٥/١.

(٤) تفسير اللباب ١٣٥/٢.

(٥) لم أقف على صاحب الرجز، والأبيات في معاني القرآن للفراء ٤٤/١ والأمالى الشجرية ٣٧١، ٧٩ / ١. النكت والعيون ١٣٢/١ وتفسير الرازي ٥٣٦/٣.

الثالث: مذهب الزجاج أن يكون المفرد (نصريّ) وهو مثل بعير مهريّ ومهاريّ وبعير حبري وإبل حباري^(١). ووصف هذا الوجه بالمشهور^(٢) ويبدو أن المراد بشهرة (نصريّ) مفرد للنصارى هو سماع تكسير ما ختم بياء مشددة قبلها ثلاثة أحرف على فعالى كنشمي نشامى وإن كان القياس أن يكسر هذا على فعالى بياء مشددة ككرسى كراسي وذرية ذراري ودري دراري لكن سمع تخفيف منتهى الجموع المختوم بياء مفردة بقلبها ألفا كصحاري وصحارى وأما المختوم بياء مشددة فلم يسمع تخفيفها ألفا وبذا يبعد أن يكون أصل النصارى (النصارى) ثم خفف إلى النصارى. لأن التخفيف يستدعي أولاً حذف إحدى ياءيه وقلب الكسرة فتحة للتخفيف فقلب الياء ألفاً^(٣).

الرابع: أن يكون المفرد "(ناصريّ)" نسبة إلى الناصرة وهي قرية نشأت فيها مريم أم المسيح عليهما السلام وقد خرجت مريم من الناصرة قاصدة بيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم ولذلك كان بنو إسرائيل يدعونه يشوع الناصري أو النصري فهذا وجه تسمية أتباعه بالنصارى^(٤).

الخامس: أن يكون واحد النصارى (نصرانيّ)^(٥) ورأى الطبري "أن المستفيض من كلام العرب في واحد "النصارى نصراني". وقد حكى عنهم سماعاً "نصران" بطرح الياء"^(٦). والياء في آخره للفرق بين الواحد والجمع كزنج وزنجي، وروم ورومي، وليست للمبالغة كما في قول سيويه المذكور أنفا فكأن النصارى جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء المشددة كالجن والجنى والإنس وإنسي، ولما كان مفرد النصارى لا يستعمل في الكلام إلا بياء نسب

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٥/١.

(٢) التبيان للطوسي ٢١٤/١ ومجمع البيان ٢٢١/١.

(٣) روح المعاني ٢٧٩/١.

(٤) التحرير والتنوير ٥٣١/١.

(٥) النكت والعيون ١٣٢/١ الجامع لأحكام القرآن ٤٣٢/١ وروح المعاني ٢٧٩/١.

(٦) جامع البيان ١٤٤/٢.

فيقال: رجل نصراني وامرأة نصرانية دل هذا السماع على قوة هذا المذهب وضعف سائر الأقوال.

٨٩- نعم وبئس

اختلف في (نعم وبئس)؛ اسمان مبتدآن هما أم فعلان ماضيان؟ فذهب الكوفيون إلى إنهما اسمان يعربان مبتدأ مستدلين على اسميتهما بأمور أولها: دخول حرف الجر عليهما كما في قول حسان بن ثابت^(١). أَلَسْتُ بِنَعَمِ الْجَارِ يُؤَلِّفُ بَيْتَهُ أَخَا قِلَّةٍ أَوْ مُعَدِّمَ الْمَالِ مُصْرَمًا وثانيها: دخول أحرف النداء عليهما كقولهم في الدعاء: يا نعم المولى يا نعم النصير. وثالثها: عدم اقترانهما بأحد الأزمنة الثلاثة، ولو كانا فعلين لاقتربا بأحدهما. ورابعها: إنهما غير متصرفين والتصرف من خصائص الأفعال. وخامسها: إن لام الابتداء تدخل عليهما وهي لا تدخل على الفعل الماضي، والسادس: إن نعم سُمع فيه: نعيم الرجل زيد وليس في أبنية الأفعال (فَعِيل) البتة^(٢).

وذهب البصريون والكسائي إلى إنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان. ودليلهم على ذلك: إنهما يضمرون فيهما فيقال: نعم رجلا زيد، وبئس غلاما غلامك، ولا يضمرون إلا في الفعل، وإنهما يتصل بهما ضمير المرفوع كما يتصل بالمتصرف فيقال: نعمتا رجلين ونعموا رجالا، كما يقال: ضربا وضربوا. وإن تاء التأنيث الساكنة تتصل بهما فيقال: نعمت المرأة هند، وبئست الجارية

(١) الإنصاف ٩٧/١ وشرح المفصل ١٢٧/٧ وائتلاف النصرة ١١٥.

(٢) ينظر: الأمالي الشجرية ١٤٧/٢ والإنصاف ٩٧/١-٩٩ وأسرار العربية ٤٧ والتبيين ٢٧٤ وشرح المفصل ١٢٧/٧-١٢٨ وشرح الكافية ٢٨٩/٢ وشرح قطر الندى ٢٧ وشرح ابن عقيل ١٢٧/٢ وائتلاف النصرة ١١٥-١١٦ وشرح التصريح ١١٧/٢ وشرح الاشموني ١٩٢/٤ وحاشية الصبان ٢٣/٣.

جاريتك، كما يقال: قامت هند وقعدت. وإنهما مبنيان على الفتح، ولو كانا اسمين لما كان لبنائهما هذا وجه وإنما هما كالأفعال الماضية في البناء^(١).

أما جوابهم عن أدلة الكوفيين، فإن دخول حروف الجر والنداء عليهما ليس بحجة على اسميتهما وهذه الحروف واقعة على أسماء محذوفة تقديرها حكاية الجمل، ولم يتصرفا "لأنهما تضمنا ما ليس لهما في الأصل وذلك إنهما نقلًا من الخبر إلى نفس المدح والذم، والأصل في إفادة المعاني إنما هي الحروف خرجت عن بابها ومنعت التصرف كليس وعسى"^(٢).

ودخلت عليهما اللام في خبر (أن) لأنهما أشبها الأسماء بنقلهما من معنى الماضي إلى الحال وبدخول حروف الجر والنداء عليهما في الظاهر. وأما قولهم: نعيم الرجل، فرواية شاذة تفرد بذكرها قطرب. وإن صحت فليست حجة على اسمية (نعيم)، لأن الأصل (نعم) فأشبهت الكسرة فصارت ياء^(٣). ورجح محمد محي الدين عبد الحميد مذهب البصريين بعد أن وجد قوة أدلتهم على فعلية (نعيم وبئس) وضعف أدلة الكوفيين على اسميتهما ولا سيما اقترانها بحرف الخفض، فقد ثبت عن العرب إدخالهم إيها على الأفعال كقول الراجز^(٤):

والله ما زيد بنام صاحبه ولا مخالط الليان جانبه

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤٤٠ والألمالي الشجرية ٢/١٤٧ والإنصاف ١/١٠٤-١١٢ وشرح المفصل ٧/١٢٧ وائتلاف النصرة ١١٦-١١٨.

(٢) شرح المفصل ٧/١٢٧.

(٣) ينظر: الإنصاف ١/١١٠-١٢٣ وشرح المفصل ٧/١٢٧-١٢٩ وائتلاف النصرة ١١٥-١١٨.

(٤) لم يعرف قائله وهو في الكامل ٣٠٠ والمحكم ١٠/٥٢٤ ولسان العرب (نوم) وخزانة الأدب ٩/٣٨٩.

وعلى الأدوات كقولهم: عجبت من أن تلعب، والفريقان متفقان على إن هذا الظاهر غير مرضي، وأن الحروف الخافضة هذه لا بد أن تكون داخلية على اسم محذوف، ولذا ساغ دخولها على (نعم وبئس) على التقدير^(١). ولا خلاف بين القدماء في إن (نعم) و (بئس) مشتقان من النعيم والبؤس، وقد فسر أحمد سليمان ياقوت هذا الاشتقاق فقال متسائلا: "أليست هذه المادة الثلاثية دالة على الترف وسعة العيش والرخاء؟ بلى هي كذلك، فليس غريبا أن يؤخذ منها معنى المدح والإطراء في عصر من العصور، وإذا انتقلنا إلى نقيضها (بئس) وجدنا فكرة الاشتقاق التاريخي متحققة أيضا فالمادة الثلاثية تشير إلى الضنك والضيق والبؤس والفقر وما إلى ذلك، فيرجح أنها في عصر من العصور استعملت في معنى مقارب لهذه المعاني وهو الذم ثم استمر هذا المعنى مستعملا إلى الآن"^(٢).

٩٠ - هاؤم

اختلف في تأصيل (هاؤم) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ﴾ (الحاقة: ١٩) فذهب الجمهور إلى إن (هاء) في كلام العرب تستعمل عند المناولة تقول: هاء يا رجل، بمعنى (خذ) أو (تناول)، ويقال: هاء يا امرأة، وللثنين: (هاؤما)، وللرجال (هاؤم)، وللنساء: هاؤن. وأشار العلماء إلى إن هذه هي اللغة وبها جاء القرآن، وثمة لغات كثيرة غيرها منها (ها) ك (دع)، إذ يقال فيها: (ها وهئي وهأ وهئوا وهأن) كما يقال: (دع ودعي ودعا ودعوا ودعن). و(ها) ك (خف)، يقال منها: (ها وهئي وهأ وهئوا وهأن) ك (خف وخافي وخافا وخافوا وخفن).

(١) ينظر: الإنصاف ٩٨/١ (الهامش).

(٢) الأفعال غير المتصرفة ٢٤.

و(هاء) ك (ناد)، يقال منها: (هاء وهائي وهائيا وهاؤوا وهائين) ك(ناد ونادي وناديا ونادوا ونادين)^(١).

وذكر أبو حيان رأيا آخر في تأصيل (هاؤم) ذهب فيه إلى إن أصله (هاك) والهمزة فيه بدل من كاف، ثم ذكر ما يضعف هذا الرأي وهو إن الهمزة عزّ إبدالها من الكاف.

ويمضي أبو حيان في استقصاء مذاهب العلماء في هذه المسألة فذكر أن أحدهم ذهب إلى إن (هاؤم) كلمة لم يعرف لها اشتقاق وضعت لإجابة الداعي عند الفرح والنشاط، ثم ردّ هذا المذهب لأن كلام العرب يكون الاشتقاق أصلا فيه والجمود فرعا عليه ولا مسوغ لترك الأصل مع وجود سبيل صالح إليه. وعزا إلى آخر أن (هاؤم) مركبة وأصلها (هاء أموا) ثم نقله التخفيف والاستعمال إلى (هاؤم) و(هاؤما وهاؤن) وغير هذا، ثم يصف هذا بأنه تكلف لا يقوم عليه دليل وأن البساطة أصل والتركيب فرع والالتزام بالأصل أولى إن علم إليه سبيل^(٢).

٩١- هاتوا

اختلف في تأصيل (هاتوا) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿البقرة: ١١١﴾ على مذاهب كثيرة، أولها وأكثرها شيوعاً أنه فعل أمر من باب المفاعلة وكان يقال منه: هاتي يهاتي هات مهاتاة ك (رامي يرامي رام مراماة)، ولما أسند إلى ضمير الجماعة (الواو) سقطت ألفه فقليل (هاتوا) ك (راموا) ثم

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢١٧/٥ وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ١٨٥/١ - ١٨٦ والصحاح ٨٤/١ - ٨٥ وشرح المفصل ٤٤/٤ وشرح الكافية ٧٠/٢ ولسان العرب ١٨٢/١ - ١٨٣ و٣٧٢/٢ والبحر المحيط ٣١٩/٨ وهمع الهوامع ٨٣/٢ والافعال غير المتصرفة ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣١٩/٨.

ضمّ ما قبل الواو^(١). فكأنه في الأصل مشتقّ من (هتي) ك (رمي)، ولذا وضعه ابن منظور والفيروز أبادي في باب الواو والياء فصل الهاء^(٢)، وأشار بعضهم إلى ان (المهاتاة) أصل كان مستعملاً ثم أميتت جميع مشتقاته إلا فعل الأمر، إذ بقي قولهم فيه: (هات) للواحد و(هاتي) للواحدة و (هاتيا) للمثنى بنوعيه و(هاتوا) لجمع الذكور و(هاتين) لجماعة الإناث. وأشار آخرون إلى استعمال بعض تصارييف هذا الأصل المهجور في كلام العرب كالمضارع (يهاتي) في قول الراجز^(٣):

والله ما يُعطي وما يُهاتي

والمذهب الثاني استحدثه الزمخشري وتابعه فيه ابن يعيش وهو أن (هات) اسم فعل أمر بمعنى (أعطني) أو (ناولني) وهو في الأصل (هيت) ولما قلبت الياء ألفاً حرّكت التاء بالكسر تخلّصاً من التقاء الساكنين^(٤)، وردّ مذهب الزمخشري هذا بأن (هات) فعل لا اسم فعل بدليل اتصال ضمائر الرفع البارزة به كقوله تعالى (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) وقول امرئ القيس^(٥):

إذا قلت هاتي نوليّني تمايلت عليّ هُضيم الكشح رياء المخلخل

وربما اتصلت به (هاء) المفعول أيضاً فيقال: هاته وهاتيه وهاتياه^(٦).

والمذهب الثالث قيل فيه: إن (هات) فعل أمر من باب الإفعال وهو في الأصل مبني على (أتى) بزيادة ألف (أفعل) فيه فكأنه (أتى) ثم قلبت الهمزة الثانية ألفاً والهمزة الأولى هاء وسقطت لامه عند بنائه للأمر فصار (هات) بزنة (هفع) أو (أفع) على الأصل، واستدلّ على هذا المذهب بأن قلب الهمزة

(١) ينظر: لسان العرب ٢٢٧/٢٠ والقاموس المحيط ٤٠٥/٤.

(٢) الرجز في لسان العرب ٢٢٧/٢٠ من دون عزو.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال ٥٦.

(٤) ينظر: المفصل ١١٣ والكشاف ٣٠٥/١ وشرح المفصل ٣٠/٢.

(٥) شرح القصائد السبع ٥٦.

(٦) ينظر: شرح شذور الذهب ٢٨ - ٢٩.

هاء ليس بعزیز، اذ قالوا: (لهنك) والأصل (لأنك) وقالوا (هرحت الدابة) أي أرحتها وقالوا (هرقت الماء) أي (أرقتة). ورد هذا المذهب بأن الأصل عدم الإبدال، ثم إن إبدال همزتين في لفظ واحد بعيد ولم يرد نظير له، فضلاً عن ذلك إن هذا المذهب يفهم منه أن (هات) كـ (أئت) كلاهما أمر من الإتيان ولكن النظر في معنيهما ينبئ باختلافهما فيه فـ (هات) بمعنى (أحضره) و (أئت) بمعنى (احضر)^(١).

وثمة مذاهب أخرى في (هاتوا) لم تلق الشيوع والتأييد وهي إنه فعل مركب من هاء التنبيه و (أتى) وألزمت الهمزة التخفيف بقلبها ألفاً، وعورض هذا بأن التركيب فرع لا ينبغي الذهاب إليه وترك الأصل إلا بدليل بين. أو إنه فعل ثلاثي جامد لم يستعمل منه إلا الأمر، وردّ بسماع ماضيه ومضارعه ومصدره في كلام العرب. أو إنه صوت بمنزلة الهاء في (احضره) ورد بعدم وجود الدليل عليه^(٢).

٩٢- هَلُمَّ

وردت اللفظة في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٥٠﴾. بلغة أهل الحجاز من دون إسناد إلى الضمائر، إذ يستعملها الحجازيون بهذه الهيئة لكلا الجنسين

(١) ينظر: الكشف ٣٠٥/١ والبيان للعكبري ٩/١ شرح المفصل ٣٠/٤ ولسان العرب ٢٢٧/٢٠.

(٢) ينظر: البيان للعكبري ٩/١ ولسان العرب ٢٢٧/٢٠ - ٢٢٨ والمجيد ٣٦٧ والقاموس ٤٠٥/٤ وهمع الهوامع ٨٢/١.

وكلّ المعدودات أما أهل تميم فيسندونها إلى الضمائر الدالة على نوع المخاطب جنساً وعدداً فيقولون: هَلُمَّ وهَلُمَّا وهَلُمُوا وهَلُمِّي وهَلُمَّمَن^(١).

وقد أجمع العلماء على إنها مركبة لكنهم يختلفون في طريقة هذا التركيب فذهب الخليل والبصريون إلى إنها فعل ركّب من صوت حرف الهاء الذي يفيد التنبيه، وفعل الامر (لَمْ) بمعنى اقرب أو اجمع من قولهم: لَمْ الله شعثك، أي؛ جمعه وقرب بعضه إلى بعض، فـ "كانها (لَمْ) أدخلت عليها الهاء كما أدخلت (ها) على (ذا)"^(٢). وكان أصلها (ها المم) فاستغني عن ألف (ها) بالفتحة لكثرة الاستعمال، وقيل حذفت الألف لالتقاء الساكنين (ألف ها) ولام (المم)، وسقطت همزة الوصل لعدم الاحتياج إليها بعد تحريك فاء الفعل بضمة العين تحقيقاً لإدغام الميمين، وحرك آخر المدغمين بالفتح تخلصاً من التقاء الساكنين كما حرك في (مُدّ وردّ)، وقيل: إنما حرك بالفتح لأجل التركيب كما حرك في خمسة عشر وبابه، وإنما استعملت (هَلَمْ) في لغة أهل الحجاز التي استعملها التنزيل العزيز دون ضمائر تدلّ على نوع المخاطب لأنها اسم فعل أمر كـ (صه وحيهل)، وهذه الحروف التي للأمر وليست بأفعال حقيقية لا تسند إلى الضمائر^(٣).

وخالف الفراء الخليل والبصريين في طريقة تركيبها فذهب إلى انها مركبة من (هل) التي للحث والزجر كما في (حيهل) بمعنى اقبل والفعل (أَمْ) بمعنى

(١) ينظر: الكتاب ٥٢٩/٣ والمقتضب ٢٥/٣ وشرح كتاب سيويه للسيرا في ١٨٤/١ وجامع البيان ٨٠/٨ والإنصاف ٢١٤/١ وشرح الشافية للرضي ٧٣/٢.

(٢) الكتاب ٣٣٢/٣.

(٣) ينظر: الكتاب ٣٣٢/٣ و٥٢٩ وتأويل مشكل القرآن ٥٥٧ والمقتضب ٢٥/٣ والأصول ١٤٦/١ وإعراب القرآن للنحاس ٦٢٨/٢ والخصائص ٣٧/٣ - ٣٨ ومشكل إعراب القرآن ٥٧٥/٢ والمفردات ٥٤٥ والمفصل ١٥٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٤٨/١ والبيان للعكبري ٢٦٤/١ وشرح المفصل ٤١/٤ - ٤٢ ولسان العرب ٥٤٧/١٨ وارتشاف الضرب ٢٠٩/٣ والبحر المحيط ٢٣٥/٤ و٢٢٠/٧ وشرح التصريح ٤٠٢/٢ وهمع الهوامع ٢٧٠/٥.

اقصد واعجل^(١). وأصل التركيب لديه (هل اؤمم) فاستغني عن همزة الوصل بعد تحريك فاء الفعل بضممة عينه لأجل الإدغام وحرك آخر المدغمين بالفتح فصار التركيب (هل أم) ثم حذفت الهمزة طلباً للخفة بعد القاء ضميتها على اللام قبلها فصار (هلم) والتقدير قبل التركيب والحذف: هل لك في كذا؟ أم: أي اقصد وتعال^(٢)، وعزا صاحب الإنصاف مذهب الفراء إلى الكوفيين مدرسة^(٣). بيد إن الرضي نقل عنهم إجماعهم على أن (هلم) أصله (هلا أم) و(هلا) كلمة يطلب بها الحث على الاستعجال في القيام بالفعل فغيرت إلى (هل) لتحقيق التركيب بأن حذف منها اللام الثانية والالف، ثم حذفت همزة (أم) بعد إلقاء ضميتها على اللام فصار (هلم)^(٤). وفي هذا دليل على إن الكوفيين لهم مذهبان في هذه اللفظة.

ووصف مذهب الكوفيين بأنهما بعيدان لأن لفظ (هلم) أمر و (هل) إن كانت استفهاماً فلا معنى لدخوله على الأمر وإن كانت بمعنى (قد) فلا تدخل على الأمر وإن كانت اسماً للزجر والحث فتلك مبنية على الفتح لا معنى لها هاهنا. ورجح مذهب البصريين لسماع الأصل (هالم) منطوقاً به عند بعض العرب^(٥).

ومما يرجح مذهب البصريين مناسبة الاشتقاق فيه، إذ إن معنى (هلم) الوارد في التنزيل العزيز أبين في (اللم) أي الاجتماع منه في (الأم) أي القصد، فقله تعالى ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ معناه:

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٠٣/١ وتأويل مشكل القرآن ٤٢١ والخصائص ٣٨/٣ والصاحبي ١٤٦ وشرح الكافية ٧٢/٢.

(٢) الصاحبي ١٤٦ وينظر المفردات ٥٤٥.

(٣) ينظر: الإنصاف ٢١٤/١.

(٤) ينظر: شرح الشافية للرضي ٧٣/٢.

(٥) ينظر: البيان ٣٤٨/١ والبيان للعكبري ٢٦٤/١ وتوضيح المقاصد ١١٩/٦ وإرشاد الساري ٢٧/٥ وجمع الهوامع ١٢٦/٥.

اجمعوا شهداكم، وقوله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿الأحزاب: ١٨﴾ معناه: تعالوا إلينا واجتمعوا معنا في القعود عن الجهاد ولا يستدعي القعود عن الحرب جهدا بينا من أصحابه وإنما يحصل من دون جهد أو عناء، ومعنى الجمع مناسب للقاعدين والمعوقين، ولو أخرج اللفظ (هلم) من معنى (الأم) لفهم منه أنهم يجهدون انفسهم تحقيقا للقعود لأن الأم يستدعي جهدا من أصحابه، كأن تسرع طائفة منهم إلى أخرى ويعجل أحدهم قاصدا الآخر، وأمرهم في القعود عن القتال لا ينبئ بهذا الجهد لأنهم معوقون قاعدون فهذه مناسبة الاشتقاق تعضد مذهب البصريين. ويمكن عضده أيضا بيسر استحصال (هلم) من التركيب (ها الم) وعسر استحصاله من التركيبين (هل او مم) و (هلا او مم) فالتركيب الأول ليس فيه إلا حذف الزائدين وهما ألف (ها) وهمزة الوصل وقد شاع في العربية حذفهما ولا سيما همزة الوصل التي لا أثر صوتي لها في درج الكلام أما (ها) فأن التنبيه بها يستحصل بحرف الهاء وحده وأما ألفها فلاجل مد الصوت بالهاء تحقيقا للتنبيه، ويمكن الاستغناء عن هذا المد عند وصل الأداة (ها) بلفظ المنبه ولا سيما إن كان اللفظ ثقيلا كفعل الامر من (اللم) الذي يستثقل في آخره التضعيف، وقد حذفت ألف (ها) كتباً لا صوتاً مع الإشارة كـ (هذا وهؤلاء) فلا غرو من أن تحذف كتباً وصوتاً في هذا الموضع. أما التركيبان الثاني والثالث ففيهما دعوى حذف فاء الفعل (أم) والقول بكمال (هلم) أحسن من القول بنقصانه.

٩٣- وجهة

اختلف في تأصيل (وجهة) في قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَْبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿البقرة: ١٤٨﴾. إذ ذهب سيبويه إلى أن (وجهة) مصدر للثلاثي غير المسموع (وجه يجه) كـ (وعد يعد)، واستعمل المصدر شاذاً والقياس يقتضي

حذف فائه وتعويضها بتاء فيقال: (جهة) وأصله (وجه) كما قالوا: (عدة) و (زنة) في (وزن) لكنهم جمعوا بين العوض والمعوض منه " وأتموا فقالوا وجهة في جهة" ^(١).

ولم يصرح سيويه بشذوذ (جهة) مصدرا في بحثه اللفظة لكن ذلك يدرك بطريقتين: الأول: قوله في مبتدأ بحثه المسألة: " فأما فعلة إذا كانت مصدراً فإنهم يحذفون الواو كما يحذفونها من فعلها لأن الكسر يستثقل في الواو فاطرد ذلك في المصدر، وشبهه بالفعل إذ كان الفعل تذهب الواو منه" ^(٢)، فقوله: " اطرّد ذلك في المصدر " خير دليل على إنّ ما جاء مخالفا للحذف والتعويض في نحو: (عدة) و (زنة) أصلهما (وعد) و (وزن) يعدّ شاذّا. والآخر: تعاقب العلماء بعد سيويه على تفسير هذا المذهب - وان لم ينسبه بعضهم إليه - بأنّ (وجهة) مصدر استعمل شاذّا، لأنّه جاء على محذوف الفاء لكنّها حذفت في الفعل وثبتت في المصدر ومن هنا وقع الشذوذ ^(٣).

لكن محقق كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب لما لم يتأمّل كلام سيويه المذكور آنفا قال: " لم أعثر على نص سيويه الذي يفيد شذوذها" ^(٤). فكأنّ في قوله هذا ردّا على أبي حيان الذي قال في (وجهة): " الظاهر من كلام سيويه أنّه مصدر جاء شاذّا" ^(٥).

واستحسن أبو عثمان المازني مذهب سيويه هذا ولم ير بأسا في حمل (وجهة) على الشذوذ، ف " ربّ حرف، يجيء على الأصل ويكون مجرى بابه

(١) الكتاب ٣٣٧/٤.

(٢) الكتاب ٣٣٦/٤ - ٣٣٧.

(٣) ينظر: الاصول ٢٧٦/٣ والمنصف ٢٠٠ /١ ومجمع البيان ٣٢/٢ والمحزر الوجيز ٤٥٠/١ والأمالى الشجرية ٧٨/١ والتبيان للعكبري ٦٨/١ وشرح الملوكي ٣٤١ وارتشاف الضرب ١١٧/١.

(٤) ارتشاف الضرب ١١٧ /١ (هامش ٢).

(٥) ارتشاف الضرب ١١٧/١.

غير ذلك" ^(١). ثم إنه عضد هذا المذهب بذكره أمثله كثيرة استعملت خارجة عن بابها المقيس كقول العرب: (رجاء بن حيوة و (ضيون) والقياس: (حية و (ضين)، وقولهم: (لححت عينه والقياس (لحت) بالإدغام ^(٢). ولما وجد المتأخرون المازني معتداً بهذا المذهب نسبوه إليه ولم يتنبهوا على سبق سيبويه إليه ^(٣).

وخالف المبرد سيبويه والمازني فعَدَّ (وجهة) اسماً لا مصدراً فقال: "ولو بنيت اسماً على (فِعْلة) غير مصدر لم تحذف منه شيئاً نحو قولك: (وجهة) لأنه يقع فيه فعلٌ يفعل، وإن كان في معنى المصادر" ^(٤). وإنما أخرج المبرد (وجهة) إلى الأسماء فرارا من الشذوذ الذي وُسِمَ به مذهب سيبويه والمازني اللذين أخرجوا اللفظ إلى المصادر إخراجاً شاذاً. وقد أشار فريقٌ من العلماء إلى هذا المذهب مفسرين (وجهة) بأنه اسم للمكان المتوجه إليه وبناء (فعله) مسموع في الأسماء ك (ولدة) ^(٥).

وربما يكون الفراء في قوله: "العرب تقول هذا أمرٌ ليس له (وجهة) وليس له (وجهة) وليس له وجه" ^(٦) رائد هذا المذهب، إذ يفهم منه أنه يرى أن (وجهة ووجه وجهة) أسماء يتوجه إليها.

واختار الفارسي هذا المذهب ولم ينسبه إلى أحد راداً المذهب الآخر الذي نسبته إلى المازني فقال: "وجهة إنما صحَّ من حيث كان اسماً للمتوجه إليه

(١) المنصف ٢٠٠/١.

(٢) ينظر: المنصف ٢٠٠/١ - ٢٠١.

(٣) ينظر: الحجة ١٨٧/٢ والمنصف ٢٠٠/١ وشرح الملوكي ٣٤١ وتوضيح المقاصد ٩٧/٦.

(٤) المقتضب ٨٩/١.

(٥) ينظر: الاصول ٢٦٧/٣ والحجة ٨٧/٢ والمنصف ٢٠٠/١ - ٢٠١ ومجمع البيان ٣٢/٢

والبيان ١٢٧/١ وشرح الملوكي ٣٤١ وارتشاف الضرب ١١٧/١ والبحر المحيط ٤١٩/١

وشرح الأشموني ٣٤٢/٤ وتوضيح المقاصد ٩٧/٦.

(٦) معاني القرآن للفراء ٩٠/١.

لا كما رآه أبو عثمان المازني من إنه مصدر جاء على الأصل. وما شبهه به من ضيئون وحيوة... لا يُشبه هذا لأن ذلك ليس بشيء منه جاريا على فعل كالمصادر" (١).

ورد الفارسي هذا فيه نظر لأنه أخذ على المازني حمله (وجهة) المصدر الشاذ على الشذوذ في (ضيون، وحيوة) وغيرهما من الأسماء التي لم تعرف لها أفعال، والمصادر لها أفعال تجري عليها، لكنه لم يدننا على الفعل الذي جرى عليه المصدر (وجهة) فينأى عن الشذوذ في جريه عليه، وربما يكون في عدم سماع فعل ثلاثي من هذه المادة دليل على عضد مذهب سيبويه والمازني لا رده كما فعل الفارسي لأن الذي سوغ شذوذ (وجهة) في المصادر هو عدم جريه على فعل مسموع كما جرى (عدة) على (يعد) في الحذف، إذ لم يسمع (وجه يجه) ك(وعد يعد)، لذا كان إثبات واو المصدر (وجهة) منبئا بالفرق بينه وبين بنات بابه آلثائي جرين على أفعالهن المسموعة فحذفت منها الفاء وعوضت بتاء في الآخر. ومما يدفع المذهب الذي اختاره الفارسي ندرة (فعله) اسما معتل الفاء إذ لم يذكروا نظيرا له إلا (ولدة) وهو جمع (ولد) وليس مفردا والحمل على النادر مرفوض اتفاقا.

وثمة مذاهب أخرى ذكرها العلماء في تأصيل (وجهة)، إذ ذهب الطبري إلى إنها مثل القعدة والمشية.... وتأويلها متوجه، أي يتوجه إليها في الصلاة" (٢). أي إنه أخرجها على مصادر الهيئة المقيسة على وزن (فعلة). ولا شك في حسن هذا التفسير إذ إن هيئة "المولّى وجهه" في الآية الكريمة يمكن إدراكها عند قراءتها أول مرة وعند التأمل فيها تتضح تلك الهيئة أيما اتّضح. وقال ابن عطية: إنما "سلمت الواو من وجهة ولم تحذف كعدة وزنة لأن وجهة ظرف وتلك مصادر فسلمت للفرق" (٣). وإخراج (وجهة) إلى الظروف

(١) الحجة ١٨٧/٢ وينظر: مجمع البان ٣٢/٢.

(٢) جامع البيان ٢٨/٢.

(٣) التبيان للعكبري ٦٨/١.

غير موجّه لان الظرف يدل على زمان أو مكان معينين وليس في (وجهة) دلالة على التعيين الذي يستدعيه الظرف.

اما العكبري فعده (وجهة) مصدراً محذوف الزوائد وأصله التوجّه أو الاتجاه، قال " الوجهة مصدر في معنى التوجّه إليه كالحلق بمعنى المخلوق وهي مصدر محذوف الزوائد لأنّ الفعل توجّه أو اتجه والمصدر المتوجّه أو الاتجاه ولم يستعمل منه وجّه كوعده^(١). ومّا يرد هذه الدعوى أنّ كثيراً من المصادر التي لم تُعرف لها أفعال ثلاثية كـ (الرّجولة) و (الأمومة) و (البُنة) لم يقل أحد إنّها محذوفة الزوائد وأصلها مصادر أفعالها مزيدة وإنّما استدلوا بهذا على أصالة المصدر وانشعب الفعل منه لوجود مصادر لا أفعال لها وعدم وجود فعل لا مصدر له^(٢).

ووجد الدكتور إبراهيم السامرائي فرقاً في الدلالة بين (وجهة) و (جهة) فلم يرتض " مقالة الصرفين بأن الواو حذفت وعوض منها في الآخر وذلك لأنّ التاء في هذه الكلمات تفيد التأنيث الذي قد ينصرف إلى القلة والوحدة في ألفاظ كثيرة " ^(٣).

٩٤- وزير

اختلف في واو (وزير) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وِزيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ طه: ٢٩-٣٢. أصلية هي أم منقلبة عن همزة (الأزر). فالكثيرون على إنّها واو أصلية وإن الوزير (فعل) من (وزر)، ولكن لما تعددت المعاني التي دلّت عليها هذه المادة في التنزيل العزيز، تعددت كذلك أقوال العلماء الذاهبين إلى أصالة تلك الواو في حمل اللفظ على واحد من تلك المعاني، فاختلفوا أمن (الوزر) بمعنى الملجأ

(١) التبيان للعكبري ٦٨/١.

(٢) ينظر: الإيضاح في علل النحو ٥٨.

(٣) الفعل زمانه وأبنيته ١١٣.

هو أم من الوزر بمعنى الثقل؟^(١) فعُزِي إلى ثعلب قوله: "الوزير في اللغة اشتقاقه من الوزر، والوزر: الجبل الذي يُعْتَصَم به لِيُنْجَى من الهلاك، وكذلك وزير الخليفة معناه الذي يعتمد على رأيه في أموره"^(٢). أو "لأن صاحبه قد سَلِمَ إليه أموره فلجأ إليه واعتمد عليه"^(٣). أي انه اشتق الوزير من المعنى المجازي (الوزر) بفتحين لأن المعنى الحقيقي له: الجبل المانع أو الملجأ، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ ﴿القيامة: ١١-١٢﴾^(٤).

وقال ابن دريد: "الوزر الثقل... وسمي الوزير وزيرا لأنه يحمل وزر صاحبه عنه، وجمع وزر أوزار"^(٥) أي؛ إنه أخرج اللفظ على معنى آخر دل عليه الأصل (وزر) وهو معنى الحمل الثقيل. ويبدو أن هذا المعنى هو الراجح في اشتقاق الوزير لجريان معنى (الوزر) في المجاز إذ سمي الإثم والكاره والسلاح وغير هذا مما يفيد الثقل بالوزر^(٦)، وبه فُسر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٦٤﴾ أي؛ لا تحمل حاملة حمل أخرى، وقال الأخفش: "لا تأثم آثمةً بِإِثْمِ أُخْرَى"^(٧).

وعُزِي إلى الأصمعي ذهابه إلى أن فاء الوزير أصلها همزة وأنه مشتق من الأزر أي القوة، وأصله (أزير) فقلبت الهمزة واوا، فكأن الوزير يشد به

(١) ينظر: الصحاح (وزر).

(٢) لسان العرب (وزر).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥٥٦/٣.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥٥٦/٣ والصحاح (وزر).

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥٥٦/٣ والصحاح (وزر).

(٦) ينظر: جمهرة اللغة ٢ / ٣٢٨ والصحاح (وزر) ولسان العرب (وزر).

(٧) الصحاح (وزر).

الأزر، وقد بان هذا المعنى في تنمة التعبير القرآني (اشدُّدْ بِهِ أَزْرِي) فورود (أزري) مهموزا ينبئ بأنه الأصل^(١).

واستحسن الزمخشري مذهب الأصمعي قائلا: "قلبت همزة (أزير) واوا، ووجه قلبها أن فعلا جاء في معنى مُفاعل مجيئا صالحا كقولهم: عشير وجليس و خليل وصديق ونديم، فلما قلبت في أخيه قلبت فيه، وحمل الشيء على نظيره ليس بعزير"^(٢). أي؛ إن الوزير (فعل) بمعنى (مفاعل) من الأزر، ولما سمع (مفاعل) من الأزر مخففا إلى الواو فقليل: (موازر) حمل الوزير عليه في تخفيف همزته بقلبها واوا.

ويمكن القول: إن ما سمع مهموزا من هذه المادة هو من الأزر سواء أكان (مفاعل) أم غيره، وأن ما سمع منها بالواو فهو من الوزر، فعلى هذا لا دليل في قولهم: (موازر) - من دون همز - على أن واو الوزير كانت همزة وقلبت واوا حملا على قلبها واوا في (مفاعل) من الأزر لبيان الدليل على أصالة الواو في (موازر)، فضلا عما في قياس (فعل) على (مفاعل) من بعد كبير ودعوى لا يقوم عليها دليل ثابت. ثم إن القول: إن الوزير أصله من الأزر مستبعد لأن أحدا لم يقرأ بالهمز ولو كان أصلا لكان مقروءاً به. ويبدو أن الأصمعي ما كان ليذهب إلى إن واو الوزير منقلبة من همزة لولا إدراكه اشتراك مشتقات الأصلين (أزر) و (وزر) في الدلالة على المعاني نفسها ولا سيما في باب المفاعلة اذ يقال فيه: آزره ووازره كلاهما بمعنى، فيمكن القول: إن الأصل كان واويا ثم خص المهموز بمعاني القوة، ولذا ظهر أدنى فرق بين دلالة اللفظين المجردين (الوزر) و (الأزر)، وأما غلبة الهمز في باب المفاعلة فلأن الواو في هذا الباب تزداد ثقلا لاجتماعها مع الضمة والالف في (يوازر،

(١) ينظر: جمهرة اللغة ٣٢٨/٢ والكشاف ٥٣٥/٢ ولسان العرب (وزر).

(٢) الكشاف ٥٣٥/٢ وينظر: الروض الأنف ٢٣٥/١.

موازر، موازر، موازرة) ولذا التزم همزها طلباً للخفة حتى كان اظهر الواو في (المفاعلة) لغة عامية^(١).

٩٥- يأتل

اختلف في تأصيل (يأتل) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢). فقيل: هو يفتعل من ألوت في الأمر إذا قصرت فيه، وأصله (يأتلو) فقلبت الواو ياء لتحركها وسبقها بفتح ثم سقطت لأجل الجزم وبقيت الكسرة دالة عليها. وفُسر معنى الآية وفق هذا بأن المراد: لا يقصر أولو الفضل منكم في الدوام عليه. وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ (آل عمران: ١١٨) مشتق من "ألا في الأمر يألو، إذا قصر فيه، ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم: لا ألوك نصحاً، ولا ألوك جهداً، على التضمين. والمعنى: لا أمنعك نصحاً ولا أنقصكه"^(٢).

وقيل: بل (يأتل) يفتعل من آليت بزنة أفعلت إذا حلفت وأصله (يأتلي) فسقطت لامه لأجل الجزم، واستدل من ذهب إلى هذا الوجه بمناسبة نزول الآية إذ قيل: "نزل ذلك في أبي بكر، وكان قد حلف على مسطح من الغلال ليزوين فضله عن السائلين. وردّ هذا بعضهم بأن افتعل قلما يبنى من أفعل إنما يبنى من فعل وذلك مثل كسبت واكتسبت وصنعت واصطنعت ورأيت وارتأيت"^(٣).

ويبدو أن القول الثاني هو الراجح لمناسبة الاشتقاق ووضوح المعنى فالإيلاء: الحلف، وظاهر كلام أهل اللغة أنه الحلف مطلقاً: يقال آلى يولي

(١) ينظر: الصحاح ٨٤٥/٢.

(٢) الكشاف ٢٢٦/٣.

(٣) المفردات ٢٢ وينظر: تفسير غريب القرآن ٣٠٢ ولسان العرب ٤٢/١٨ - ٤٣.

إيلاء وتألّي يتألّي تألّيا وائتلى يأتلي ائتلاء والاسم الألوّة والأليّة كلاهما بالتشديد وهو واوى، فالألوّة فُعولة والأليّة فُعيلة. وقال الراغب: "الإيلاء حلف يقتضي التقصير في المحلوف عليه مشتق من الألو وهو التقصير"^(١). أي إنه واشج بين معنى التقصير والحلف فجمعهما للفعل يأتل في الآية فالمحصل من كلام الراغب أن الإيلاء حلف على الامتناع والترك؛ لأن التقصير لا يتحقق بغير معنى الترك؛ وهو الذي يشهد به أصل الاشتقاق من الألو.

٩٦- يأجوج ومأجوج

اختلفوا في تأصيل (يأجوج ومأجوج) في قوله تعالى: قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ الكهف: ٩٤. وأعان اختلاف القراء في قراءتهما على اتساع هذا الخلاف في تأصيل اللفظين فمنهم من همزهما ومنهم من ترك الهمز ولذا اختلفت أقوال الصرفيين فيهما على فريقين:

الأول: رأى أن اللفظين أعجميان، وأنهما مُنعا الصرف للعلمية والعجمة وعلى هذا جمهرة من المفسرين واللغويين^(٢). قال الفارسي في وصف الأقوال الكثيرة التي قيلت في إخراج اللفظين على العربية: "إن جعلتهما من العجمي فهذه التمثيلات لا تصحّ فيهما وإنما يمثل بهذه التمثيلات في العربية وليعلم انها لو كانت عربية لكانت على ما يذكر"^(٣).

الآخر: رأى أن اللفظين عربيان، وفي تأصيلهما عربيا خلاف أيضا لوجود عدة سبل في العربية كلها صالحة لاشتقاقهما، ويمكن جمع ما قيل في تأصيل اللفظين في العربية في ثلاث زنات:

(١) المفردات ٢٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٥٧٣/٣ والبحر المحيط ٢٥٥/٧ والدر المصون ٥٤٥/٧ وتفسير

الباب ٥٦٣/١٢ وبحر العلوم ٣٦٢/٢ والكشف والبيان ١٩٣/٦ ومعالم التنزيل ٢١٤/٣.

(٣) الحجة للقراء السبعة: ١٧٣/٥.

الأولى: يَأْجُوج ومَأْجُوج على وزن (فعلول) وعلى هذا سيبويه في قوله: "يَأْجُوج ومَأْجُوج عريان على وزن (فعلول) من (يَأْجُج) و (مَأْجُج) على وزن (فعلل)" ^(١) والفعْلان ملحقان بالرباعي وهمزتهما أصلية فيجوز تخفيفها في قراءة من سهّل الهمزة في الاسمين.

الثانية: يَأْجُوج ومَأْجُوج على وزن (يفْعول ومفعول) وكلاهما من الجذر (أَجَج) والهمزة أصلية فيكون (يَأْجُوج) على زنة (يفْعول) ومَأْجُوج على زنة (مفعول). ومن معاني الجذر (أَجَج) قالوا: هما الأَجَّة بالشدّيد وهي الاختلاط والاضطراب. أو من الأَج وهو سرعة العدو أو من أَجِيج النار وهو التهابها، أو من أَج الماء يئْج أَجُوجاً وأَجَاجاً إذا كان مالِحاً ^(٢). فعلى هذا الاشتقاق يكون الجذر واحداً والاسمين على وزنين مختلفين.

واختار الاخفش عربيتهما سواء قرئاً بالهمز أم بتركه وعنده يَأْجُوج ومَأْجُوج المهموزان مشتقان من أَجِيج النار أي صوت لبيها وإنهما على وزن (يفْعول) و(مفعول)، وأما ياجوج وماجوج المخففان فعلى وزن (فاعول) من ييجت الشيء في فمي ومجته على الإبدال، إذ قال: " {يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ} ﴿بالهمز﴾ وجعل الألف من الأصل وجعل "يَأْجُوج" من "يَفْعُول" و"مَأْجُوج" ﴿من﴾ "مَفْعُول" والذي لا يهمز يجعل الألفين فيهما زائدتين ويعجلهما من فعل مختلف ويجعل "يَأْجُوج" من "يَجَجْتُ" ومَأْجُوج من "مَجَجْتُ" ^(٣).

الزنة الثالثة: يَأْجُوج ومَأْجُوج على وزن (فاعول) والاسمان من جذرين مختلفين هما (ييجج ومجج) لكن الاسمين على وزن واحد هو (فاعول) فيكون

(١) الكتاب ١٣١/٤ وأدب الكاتب ٦٢٥ والإيضاح في شرح المفصل ٣٧٧/٢.

(٢) ينظر: لسان العرب (أَجَج).

(٣) معاني القرآن ٤٣٣/٢. وينظر: جامع البيان ١٠٣/١٨ ومشكل إعراب القرآن ٤٤٧/١-٤٤٨ ومعاني القرآن وإعرابه ٣١٠/٣ والتفسير الوسيط ١٦٦/٣ والكشاف ٦٩٦/٢ وتفسير الرازي ٤٩٩/٢١ والجامع لأحكام القرآن ٥٥/١١ وتفسير اللباب ٥٦٣/١٢ والتحرير والتنوير ٣٤/١٦ وروح المعاني ٧٩٨/٥.

يأجوج (فاعول) من (ييج) و(مأجوج) فاعول) من (ميج) وأصل الاسمين بلا همز والهمزة فيمن قرأ بالهمز منقلبة عن ألف كما في قراءة (ولا الضالين) و(الجان) وهي لغة عن بعض أن يهمزوا الألف" فالكلمتان على هذا من أصلين وليس من أصل واحد كما كان كذلك فيمن همزهما واجاز ان يكون أصلهما الهمز وخُففا بقلبهما الفاء كراس فيكون وزنهما كما تقدم في الهمز"^(١).

وقد ذهب فريق من العلماء الى ان يأجوج ومأجوج عربيان ان قرئوا بالهمز واعجميان ان قرئوا بتركه لسهولة اشتقاقهما من الاجيج وتكلف اشتقاقهما من اليج والمجّ في قول الاخفش السابق^(٢).

ورأى بعضهم الآخر أن (يأجج)^(٣) اسم مكان والياء في اوله اصلية فلو كانت الياء زائدة لكان من أجّ يئجّ وكان يجب الادغام فلما لم يدغموا دل على ان الجيم الاخيرة زائدة للإلحاق ولكن قد تصبح الياء زائدة عند كسر الجيم ويكون اظهار التضعيف شاذاً^(٤).

ويبدو أن يأجوج ومأجوج كناية لا حقيقة فكما إن (أبو لهب) كناية لعبد العزى وهي كناية تحقير كأنه مربّ للنار ومعاشر لها فكذا يأجوج ومأجوج مشتقان من الأج بمعنى اشتعال النار وشدة سعيها والياء والميم زائدتان في أولهما لعدم سماع (ييج) و(يأجج) في اشتقاق (يأجوج) أما مأجوج فعلى الرغم من سماع الجذر (ميج) يبعد اشتقاقه منه ومن ثم الحكم بأصالة ميمه لأن المج من "مَجَّ الرجل الشراب من فيه، إذا رمى به. وانمَجَّتْ نُقْطَةٌ من القَلَمِ: ترشَّشت. وشيخُ ماجٍ: يَمِجُّ ريقه ولا يستطيع حبسه من كبره. يقال:

(١) الحجة للقراء السبعة ١٧٣/٥، وينظر: المعرب: ٣١٧ و ٣٥٦.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٤٤٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٥٥/١١.

(٣) بطن يأجج هو مهموز بكسر الجيم الاولى: مكان على ثلاثة أميال من مكة وكان من

منازل عبد الله بن الزبير. ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر: ٢٩١/٥.

(٤) ينظر: شرح المفصل ٩ / ١٤٨ - ١٤٩ وشرح الشافية للرضي ٣٨٦/٢ والمزهر ٨/٢-٩.

أَحْمَقُ مَاجٍ، لِلَّذِي يَسِيلُ لُعَابُهُ. وَالْمَاجُ: الناقة التي تَكْبُرُ حَتَّى تَمُجَّ الْمَاءَ مِنْ حَلَقِهَا. وَالْمُجَاجَةُ وَالْمُجَاجُ: الرِيقُ الَّذِي تَمُجُّهُ مِنْ فَيْكٍ^(١).

ويجوز أن يكون مأجوج مشتقا من الموج ففي قراءة الجمهور: يا جوج وماجوج بدون همز، وأما قراءة عاصم فهي بالهمزة الساكنة فيهما. ويؤيد الاشتقاق من ماج قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) الكهف: ٩٩ وذلك حين يخرجون من السد. وصفوة القول من هذا: إن جميع ما ذكر في اشتقاقهما مناسب لحالهم، وهو تعبير يصدق على كل قوم أشرار ومصدّق للباطل فكل من أجيح النار وموج البحر معنيان ملائمان لاشتقاق اللفظين.

٩٧ - الْيَتَامَى

اختلف في أصل الجمع (اليتامى) ومفرده في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ) ﴿البقرة: ٨٣﴾. فذهب الجمهور إلى إنه جمع بزنة (فعالي) ومفرده (يتيم) بزنة (فعليل) صفة، وإنما كسر على هذا الوزن شذوذاً إذ لا سبيل لـ (فعليل) في فعالي. وكذا شذّ تكسير المفرد (يتيم) على أيتام في القلة.

ولم يرتض فريق من العلماء اخراج (يتامى) على الجمع الشاذ فأثر عنهم رأيان حاولوا فيهما توجيه اللفظ على القياس الشائع • فذهب الفارسي إلى أن (يتامى) أصله (يتائم) بزنه (فعائل) وهو جمع مقيس في (فعليل) اسماً لا صفة ولذا عدّ الفارسي (يتيماً) صفة مستعمله استعمال الاسماء ليسوع له تكسير اللفظ على (فعائل) ولما استثقلت الهمزة في وسط (يتائم) قلبت إلى

(١) الصحاح (مبج).

موضع اللام وخففت بقلبها ألفاً فصار (يتامى) بزنه (فعالى) مقلوبا من (فعائل)، واستحسن الزمخشري هذا الوجه فجوز في (يتيم) " أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس، فيقال: يتائم ثم يتامى على القلب"^(١). أي إن لفظة اليتيم صفة مختصة اختصاصا أنزلها منزلة الأسماء ومثلها في الصفات، وانما هي صفة مختصة اختصاصا أنزلها منزلة الأسماء ومثلها في الاختصاص (فارس وصاحب) اللذان كسرا على فعلان فقيل فيهما (فرسان وصحبان) على الرغم من أن (فعالان) بناء لا سبيل للصفات فيه^(٢). وكذلك (يتيم) لما خصص استعماله كسر على (فعائل) وهو بناء لا سبيل للصفات فيه أيضا.

وأنكر الرضي هذا الوجه لثبوت شذوذه من جانبين الأول: تكسير (فعيل) صفة لمذكر على فعائل لأن دلالة (اليتيم) على الاسمية ليست بيّنة البتة، والثاني: إبدال الياء ألفا في (يتامى) المقلوب من (يتائم) شاذ في مثله نحو (معايا) جمع (معى)^(٣).

ويمكن القول: إن هذين المغمزين لا يلزمان الفارسي والزمخشري لقوة حجتهما في تفسير دلالة (اليتيم) على الاسمية، أما شذوذ قلب الياء ألفا في (معايا) فبعيد عما جرى في (يتامى) لأن في (معايا) ياءين فشذ قلب الأخيرة ألفا لأن القياس يستدعي حذفها وليس في (يتامى) إلا ياء واحدة فخففت بقلبها ألفا لأنها طرف، ومثلها في التخفيف قول العرب: صحارٍ وصحاري.

وذهب ابن جني إلى أن (يتامى) جمع الجمع المهجور (يتمى) وهذا جمع (يتيم)، وإنما كسر أولا على (يتمى) بزنة (فعلى) لأن اليتيم من وادي الآفات والأوجاع و (فعيل) إن دل على آفة أو وجع أو داء يكون تكسيره على

(١) الكشف ٤٩٤/١ وينظر: لسان العرب ١٣٢/١٦ وارتشاف الضرب ٢٠٩/١.

(٢) ينظر: شرح الشافية للرضي ١٥٢/٢.

(٣) ينظر: شرح الشافية للرضي ١٤٦/٢ - ١٤٨.

(فعلى) مقيسا كـ (جريح جرحى، مريض ومرضى) وقد سُمع تكسير (فعلى) على (فعالى) كقول الراجز^(١):

فَظَلَّ لَحْمًا تَرَبَّ الْأَوْصَالِ وَسَطَ الْقَتَالِ كَالْهَشِيمِ الْبَالِي
فكسر (قتلى) على قتالى فكذلك يكون (يتمى يتامى) وعلى هذا الوجه لا قلب في (يتامى)^(٢). واستحسن الزمخشري هذا الوجه أيضا فجوز في (يتيم) " أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتيم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع على (فعالى) كأسارى"^(٣).

لكن الرضي أنكره لتكلف استحصال الدلالة على الداء والوجع من معنى (اليتيم) وعدم سماع (يتيم) مكسرا على (فعلى)^(٤). واتباع مذهب الفارسي في هذه اللفظة أولى من الأخذ بقول ابن جني الذي أخرج هذه اللفظة وقبلها (أيامى) على باب جمع الجمع ذاكرا جموعا للمفردين (أيم ويتيم) لم يثبت استعمالها هما (أيمى ويتمى).

٩٨- يَتَسَنَّهُ

اختلف في تأصيل (يَتَسَنَّهُ) الوارد في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾ على أربعة مذاهب عرف أصحابها وهم:

(١) لمنظور بن مرثد كما في لسان العرب (قتل) وتاج العروس (قتل).

(٢) المحتسب ٢٠٠/١ لسان العرب ٣٠٥/١٤.

(٣) الكشف ٤٩٤/١.

(٤) ينظر: شرح الشافية للرضي ١٤٦/٢.

- الفراء: وذهب إلى أنه (يتفعّل) من (سنه) إذ يقال من هذا الأصل: سنة أصلها (سنه) بدليل تصغيرها على (سُنِيَه) وجمعها على (سنهات) وهي لغة الحجازيين فيها، يقولون أيضا سانهت النخلة إذا حملت سنة ولم تحمل أخرى وأسنت مثله. فعلى هذا تكون هاء (يَتَسَنَّهُ) لام الكلمة، ولا يجوز حذفها من اللفظ لأنها أصلية ويكون معنى (لم يَتَسَنَّهُ): لم تغيّر السنون ^(١)، وهو اختيار الأخفش والزمخشري وابن عطية والانباري والعكبري وأبي حيان ^(٢).

- أبو عمر الشيباني (ت ٢١٦هـ)؛ وذهب إلى إنه (يتفعّه) من (سنن)، إذ سُمع منه قوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦- ٢٨﴾، أي متغير فعلى هذا يكون أصل الفعل (يتسنن) وأبدل ثالث الأمثال ألفا كما أبدل في (دسّأها) أصله (دسّسها) وعند الجزم حذفت الألف فصار (يتسنن) بزنة (يتفع) ثم زيدت الهاء في الوقف فقليل (يَتَسَنَّهُ) كما قيل: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَدَاهُمْ أَقْدَهُ الْأَنْعَامِ: ٩٠) ^(٣). وهذا هو اختيار الصميري وابن عصفور ^(٤)، لكن الزجاج أنكره لبعد المناسبة بين (يَتَسَنَّهُ) و(مسنون) الذي معناه "مصبوب على سنة الطريق" ^(٥).

- المبرد؛ وذهب إلى إنه (يتفعّه) من (سنو) إذ يقال منه: (سنة) وأصلها (سنوة) بدليل التصغير (سُنِيَّة) والجمع (سنوات)، وهذه هي اللغة الشائعة

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٧٢/١.

(٢) ينظر معاني القرآن للأخفش ١٨٢/١، الكشف ٣٩٠/١ والمحرم الوجيز ٢١٣/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٧١/١ والبيان للعكبري ٢٠٩/١ والبحر المحيط ٢٨٥/٢.

(٣) ينظر: إصلاح المنطق ٣٠١- ٣٢٠ وتفسير غريب القرآن ٩٤- ٩٥ وإعراب القرآن المنسوب ٩٥، ولسان العرب ٣٩٧/١٧.

(٤) ينظر: التبصرة والتذكرة ٨٣٤/٢- ٨٣٥ والممتع في التصريف ٣٧٢- ٣٧٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٤٣/١.

يقال فيها أيضا: سانيت وأسنيت بإبدال الواو ياء، فعلى هذا يكون أصل الفعل (يتسنو) فأبدلت الواو ألفا لتحركها وسبقها بفتح ثم حذفت الألف لأجل الجزم وزيدت هاء الوقف على الفعل فقليل: (يسنّه) بزنة (يتفعّه) من (سنو)، وقراءة من قرأ (يتسنّ)^(١) من دون هاء تعضد هذا المذهب^(٢) الذي اختاره الزجاج أيضا^(٣).

- النقاش (ت ٣١٥هـ)، وذهب إلى إنه بزنة (يتعلّف) من (أسن) إذ يقال من هذا الأصل ماء آسن، وهو مناسب لأخذ (يتسنّه) منه، فعلى هذا يكون الأصل: (يتأسن) بزنة (يتفعّل) وأخرت الفاء (الهمزة) بعد اللام (النون) فصار (يتسنأ) ثم قلبت الهمزة هاء لاستثقالها طرفا، ولأنها من مخرج الهاء قليل (يتسنّه) بزنة (يتعلّف)، وعورض هذا بأن دعوى القلب المكاني لا يقوم عليها دليل والأولى عدم الالتزام بها^(٤).

والراجع من هذه المذاهب الأول إذ ليس فيه دعوى إبدال ولا قلب واللفظ فيه مخرج على أصل مسموع هو (سنه) يؤدي معنى التغيير.

٩٩ - اليهود

اختلفوا في تأصيل اليهود في نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ البقرة: ١١٣. عربي أم أعجمي؟، والذاهبون إلى إنه عربي مختلفون في اشتقاقه من الأصليين (هود) أم (هيد)، والذاهبون إلى إنه من الأصل (هود) مختلفون في معناه.

(١) ينظر: تحاف فضلاء البشر ١٦٢ وغيث النفع ٥٥.

(٢) ينظر: المقتضب ٢٤١/٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٤٣/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢٨٥/٢ والمجيد في إعراب القرآن ٦٤٧.

فأما القائلون بعجمة اللفظ فرأيهم حاضر بقوة في كتب التفسير القديمة فقيل: سموا يهوداً نسبة ليهوداً بالذال المعجمة وهو ابن يعقوب عليه الصلاة والسلام، فغيرته العرب بالذال المهملة، جرياً على عاداتها في التلاعب بالأسماء الأعجمية، فعرب ونسب الواحد إليه، فقيل يهودي، ثم حذف الياء في الجمع، فقيل يهود. وكل جمع منسوب إلى جنس، فهو بإسقاط ياء النسب؛ كقولهم في (زنجي): (زنج)، وفي (رومي): (روم)^(١). وأقدم إشارة إلى هذا المذهب وجدتها منسوبة إلى الإمام الصادق (عليه السلام) في كتاب عيون أخبار الرضا للصدوق ففي الرواية: "أن اليهود سموا باليهود لأنهم من ولد يهود ابن يعقوب"^(٢).

وأما القائلون بعروبة اللفظ فاختلفوا في اشتقاقه من الأصلين الأجوفين: الأول: هاد يهود، فيكون وزن اليهود (يفعل) وهو في الأصل فعل مضارع سمي به كما قالوا: (يعرب ويزيد ويعمر) وغيرها، واختلفوا في مدلول اللفظ من هذا الأصل على ثلاثة أقوال هي:

١- إن (هاد يهود) معناه: تاب؛ قال الشاعر^(٣).

... إني امرؤ من حبه هائد

أي: تائب، ومنه اشتق اليهود، لأنهم تابوا عن عبادة العجل، وقالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ ﴿الأعراف: ١٥٦﴾ أي: تَبَّنا ورجعنا، وعزي هذا الوجه إلى ابن عباس وابن جريج^(٤).

(١) ينظر: النكت والعيون ١٣١/١ والمحزر الوجيز ١٢٦/١ والجامع لأحكام القرآن ٤٣٢/١ وإرشاد العقل السليم ١٠٨/١ والدر المصون ٤٠٥/١ وأنوار التنزيل ٨٤/١ وتفسير الرازي ٥٣٦/٣ وتفسير الباب ٤٠١/٢ وفتح القدير ٩٤/١ روح المعاني ١٥٢/١.

(٢) معاني الأخبار ٦٦/١ وتفسير الميزان ١٦٤/١.

(٣) لم أعرف قائله وهو من شواهد القرطبي ٤٣٣/١ والسمين الحلبي ٤٠٥/١ وابن عادل ١٣٢/٢.

(٤) جامع البيان ١٣٤/٢ والدر المشور ١٨٢/١.

وذكر أكثر المفسرين أن المراد بالذين هادوا في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِّينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢) هم اليهود، ومعنى هادوا: تابوا. يقال: هاد القوم يهودون هودا، وهيادة^(١)، وإنما سميت اليهود يهودا، لقولهم: إنا هدنا إليك. أي تبنا ورجعنا، وقال زهير: في معنى التوبة والرجوع^(٢):

سوى ربع، لم يأت فيها مخانة ولا رهقا من عائذ متهود
أي تائب فسميت اليهود يهودا، لتوبتهم من عبادة العجل^(٣).

ووجه تخصيص بهذا الفعل لأن توبتهم من عبادة العجل كانت أشق الأعمال عليهم^(٤). أي إن التوبة هي الفعل المهيمن على سائر ما بدر منهم من أفعال وأقوال فسموا بهذا العمل المعروف كما تسمى الجن جنا لاستتارها والإنس إنسا لما يؤنس بهم.

٢- إن الفعل (هادوا) بمعنى (سكنوا) وهو من (التهويد)، أي النطق في سكون ووقار؛ وأنشدوا للراعي النميري^(٥):

وَحُودٌ مِنَ اللَّائِي تَسْمَعُنَ بِالضَّحَى قَرِيضَ الرُّدَافَى بِالْغِنَاءِ الْمُهَوْدِ

(١) لسان العرب (هود).

(٢) ديوانه ٤٥.

(٣) مجاز القرآن ٤٢/١ وجامع البيان ١٤٣/٢ معاني القرآن وإعرابه ١٤٥/١ والنكت والعيون ١٣١/١ والكشف والبيان ٢٠٧/١ والمحزر الوجيز ١٣٦/١ وأنوار التنزيل ٨٤/١ وتفسير الرازي ٥٣٦/٣ ومعالم التنزيل ١٢٤/١ والبحر المديد ١١٥/١ وزاد المسير ٧٢/١ وإرشاد العقل السليم ١٠٨/١ والدر المصون ٤٠٥/١.

(٤) روج المعاني ١٥٢/١.

(٥) ديوانه ٧٥.

وقيل سموا بذلك لأنهم يتهودون أي ينطقون بسكون وهدوء، والهود هو الطمأنينة، ويخبر به عن لين السير^(١).

٣- إن (هادوا) بمعنى خضعوا وأصله من الهَوَادَة، وهي الخضوع والميل إلى جهة معينة^(٢)، ومنه قول امرئ القيس^(٣):

قد علمت سلمى وجاراتها أنني من الناس لها هائد
أي إليها مائل. وقال ابن الأعرابي: يقال: هَادَ: إذا رجع من خير إلى شرٍّ، ومن شرٍّ إلى خير، وسمي اليهود بذلك لتخليطهم، وكثرة انتقالهم من مذاهبهم^(٤).

وبهذا المعنى سمي اليهود لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى^(٥). فتكون تسميتهم باليهود على وفق هذا القول إنما حصلت بعد أنبيائهم^(٦)

وثالثها: قال أبو عمرو بن العلاء: سُمُوا بذلك لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التّوراة^(٧). وعضد هذا القول بقراءة أبي السّمّال العدوي (هادوا) بفتح الدال وهو من (هادى يهادي مهادة)، أي مال بعضهم إلى بعض في دينهم^(٨)، وأصل القراءة هاديوا فأعلّ كنظائره^(٩).

(١) المحرر الوجيز ١٣٦/١ والدر المصون ٤٠٥/١ وتفسير اللباب ٤٠١/٢.

(٢) لسان العرب (هود).

(٣) لم أجده في ديوانه وهو في معجم العين ٩٦ / ٥ بلفظ (قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلّا أنا).

(٤) تفسير الوسيط ١٤٩/١ وتفسير اللباب ٤٠١/٢.

(٥) الكشف والبيان ١، ٢٠٧ ومعالن التنزيل ١٢٤/١ وتفسير الرازي ٥٣٦/٣ وتفسير اللباب

٤٠١/٢ والدر المصون ٤٠٥/١ ونظم الدرر ١٦٤/١.

(٦) تفسير اللباب ٤٠١/٢.

(٧) تفسير الرازي ٥٣٦/٣.

(٨) الكشف والبيان ١، ٢٠٧.

(٩) المحرر الوجيز ١٣٦/١ وروح المعاني ١٥٢/١ وتفسير اللباب ٤٠١/٢ والجامع لأحكام القرآن ٤٣٢/١.

الثاني: (هَادَ يَهِيدُ)، أي: تَحَرَّكَ، فيكون في اللفظة قلب مكاني وأصلها (هيود) على فعول وقلب إلى (يهود) على (عفول) وأصل اللفظ مبالغة من هَادَهُ الشيءُ هَيْدًا وهَادًا أَفْرَعَهُ وَكَرَبَهُ وما يَهِيدُهُ ذلك أي ما يَكْتَرِثُ له ولا يُزْعِجُهُ، وأصل الهَيْدِ الحِرْكَةُ ^(١) ومنه سمي اليهود؛ لتحركهم في قراءة التوراة ويقولون إن السماوات والأرض تحركت حين أتى الله موسى (عليه السلام) التوراة قاله أبو عمرو بن العلاء ^(٢).

والأظهر أن اليهود هو الأصل الذي اشتقت منه العربية أفعالاً منها (هاد وهود وتهود) كما اشتق من العرب الإعراب والتعريب والعروبة لبواعث دلالية متعلقة بالأصل (اليهود) وذكر المعجميون أنه يقال: (هاد) لمن دخل في اليهودية وتهود لمن نسب إليهم و(هود) لمن يدعو إلى اليهودية ^(٣).

وقد تنبه فريق من المفسرين على إن الأفعال العربية (هاد وهود وتهود) مشتقة من (اليهود) فمعنى "والذين هَادُوا": والذين تهودوا. يقال: هاد يهود، وتهود: إذا دخل في اليهودية، وهو هائد، والجمع هود ^(٤). وفي الحديث "يولد الولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" ^(٥). وأما ما في سورة الأعراف من قول موسى: ﴿إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ﴾ فذلك بمعنى المتاب وهو عربي ولا علاقة له بمعنى (اليهود). ويعضد هذا القول - أعني نقل اللفظ إلى العربية - أن الياء في مبتدأ اللفظة لازمة لها في كل اللغات ففضلاً عن العربية (يهود) والعبرية (יְהוּדִים = يهوديم) ورد اللفظ بالياء في

(١) لسان العرب (هود).

(٢) الكشف والبيان ٢٠٧/١ ومعالم التنزيل ١٢٤/١ وتفسير الرازي ٥٣٦/٣ ونظم الدرر ١٦٤/١.

(٣) الصحاح (هود) ولسان العرب (هود).

(٤) الكشف ١٧٥/١ والجامع لأحكام القرآن ٤٣٢/١ وأنوار التنزيل ٨٤/١ ومدارك التنزيل ٦٧/١ وفتح القدير ٩٤/١ وإرشاد العقل السليم ١٠٨/١ وروح المعاني ١٥٢/١.

(٥) لسان العرب (هود).

الفارسية (يهوديان) وفي التركية Yahudiler وفي السواحلية Wayahudi وفي الروسية евреи وقلبت الياء (j) في بعض اللغات الأوربية ففي الانكليزية jews وفي الفرنسية Juifs وفي الاسبانية Judios وفي الألمانية Juden وفي البرتغالية judeus وفي الهولندية Joden. ومثل هذا القلب شائع من الساميات التي تشتمل على صوت (ي) إذ يقلب (j) في اللغات الأوربية كما في يوسف الذي ينطق جوزيف Joseph ويعقوب الذي ينطق Jacob وبنيامين الذي ينطق Benjamin. وهذا يعني أن الأصل العربي المقترح بقوة لاشتقاق اللفظة وهو (هاد يهود) فسر وجود الياء في بدايتها بأنها زائدة واللفظة منقولة من الأفعال إلى الأسماء لتصير علماً لأتباع هذه الديانة، ولو كانت الياء زائدة كما يفسرها الأصل العربي المقترح لما كان لثباتها في بنية الكلمة في معظم اللغات الحية وجه. فيكون كلمة اليهود في التنزيل العزيز منقولة إلى العربية من الأصل العبري (يهودا).

وهذا ما استظهره المفسرون المتأخرون الذين خلصوا إلى إن أصل اسم يهود منقول في العربية من العبرانية إذ هو فيها بذال معجمة في آخره وهو علم أحد أسباط إسرائيل، وهذا الاسم أطلق على بني إسرائيل بعد موت سليمان سنة ٩٧٥ قبل المسيح فإن مملكة إسرائيل انقسمت بعد موته إلى مملكتين: مملكة رحبعام بن سليمان ولم يتبعه إلا سبط يهوذا وسبط بنيامين وتلقب بمملكة يهوذا لأن معظم أتباعه من سبط يهوذا وجعل مقر مملكته هو مقر أبيه (أورشليم)، ومملكة ملكها يوربعام بن بناط غلام سليمان وكان شجاعاً نجياً فملكته بقية الأسباط العشرة عليهم وجعل مقر مملكته السامرة وتلقب بملك إسرائيل إلا أنه وقومه أفسدوا الديانة الموسوية وعبدوا الأوثان فلأجل ذلك انفصلوا عن الجامعة الإسرائيلية ولم يدم ملكهم في السامرة إلا مائتين ونيفاً وخمسين سنة ثم اقترض على يد ملوك الآشوريين فاستأصلوا الإسرائيليين الذين بالسامرة وخربوها ونقلوا بني إسرائيل إلى بلاد آشور عبيداً لهم وأسكنوا بلاد السامرة فريقاً من الآشوريين فمن يومئذ لم يبق لبني إسرائيل

مُلْكٌ إِلَّا مُلْكُ يَهُودَا بِأُورَشَلِيمَ يَتَدَاوَلُهُ أَبْنَاءُ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمِنْ ذَلِكَ غَلَبَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْمُ يَهُودٍ أَيْ يَهُودَا وَدَامَ مُلْكُهُمْ هَذَا إِلَى حَدِّ سَنَةِ ١٢٠ قَبْلَ الْمَسِيحِ فِي زَمَنِ الْأَمْبَرَاطُورِ أُدْرِيانَ الرُّومَانِي الَّذِي أَجْلَى الْيَهُودِ الْجَلَاءَ الْأَخِيرَ فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَقْطَارِ بِاسْمِ الْيَهُودِ هُمْ وَمَنِ التَّحَقُّ بِهِمْ مِنْ فُلُولِ بَقِيَّةِ الْأَسْبَاطِ. وَلَعَلَّ هَذَا وَجْهَ اخْتِيَارِ لَفْظِ (الَّذِينَ هَادُوا) فِي الْآيَةِ دُونَ الْيَهُودِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُمُ الَّذِينَ انْتَسَبُوا إِلَى الْيَهُودِ وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ سَبْطِ يَهُودَا. ثُمَّ صَارَ اسْمُ الْيَهُودِ مُطْلَقًا عَلَى الْمُتَدِينِينَ بِدِينِ التَّوْرَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ ﴿البقرة: ١٣﴾^(١).

١٠٠ - إبليس

اختلف في إبليس عربي أم أعجمي؟، فذهب فريق من العلماء إلى أنه عربي وأنه إفعيل من أبلَس إبلاسا فهو مبلس إذا يئس من الشيء وندم على ما فاتته منه وانقطعت حجته فيه، ومنه قول العجاج^(٢)
يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال: نعم أعرفه وأبلسا
وقيل في هذا المذهب: اسم إبليس كان عزازيل ولكن لما لعنه الله وغضب عليه وأبعده أبلَس من رحمته (تعالى) أي يئس منها، ولذا سُمِّي إبليس في التنزيل العزيز لأنه مبعد مقصى. وعُزِّي إلى ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه أول من تكلم في عروبة إبليس، وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة والطبري وأبو حاتم الرازي وابن خالويه والراغب الأصبهاني

(١) كنز الدقائق ٢٧٣/١ والتحرير والتنوير ٥٣٢/١ وروح المعاني ١٥٢/١ والميزان ١٦٤/١

والأمثل ٢٤٠/٥ والتفسير الكاشف ١٣٧/١.

(٢) ديوانه ٣١.

والبطليوس وابن عطية وغيرهم^(١). ووجه منع صرف (ابليس) في القرآن الكريم على وفق هذا المذهب بأنه جاء على بناء لا نظير له في الأسماء العربية فلذلك ثقل ومنع الصرف. وقيل -أيضا- إنه لما أشبه الأعجمي لأنه لم يسم به واحداً من العرب وصار خاصا بمن أطلقه الله تعالى عليه وعومل معاملة الدخيل في كلامهم فمنع الإجراء وهو علم مرتجل^(٢).

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن (ابليس) اسم أعجمي بزنة (فعليل) ولا اشتقاق له في العربية ومنع الصرف للعجمة وأنكروا علة منعه الصرف لدى زاعمي عروبه بوجوه نظائر ابليس في كلام العرب كإزميل للشفرة وإصليت للسيف وإكليل وإقليد وإخريط وإجفيل ومن هذا الفريق أبو عبيدة التيمي والزهج والنحاس وابن جني ومكي القيسي والطبرسي والجواليقي والأنباري والعكبري وأبو حيان والفيومي والفيروز أبادي والسيوطي وغيرهم^(٣).

ورجح فريق من المحدثين أن يكون (ابليس) في العربية محرفا فيها من اليونانية وأصله (ديابولوس Diopolos) بمعنى النمام أو الكذاب، وهي كلمة أخذها نصارى العرب المواليين للكنيسة البيزنطية من اليونانيين مباشرة، ثم إنَّ

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن ٢٣ وجامع البيان ١٢٧/١ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٩٢/٢ وإعراب ثلاثين سورة ١٧ والمفردات ٦٠ والفرق بين الحروف الخمسة ٨٥٧ والمحرم الوجيز ١٣٣/١.

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ٢٣ وجامع البيان ١٢٧/١.

(٣) ينظر: مجاز القرآن ٣٨/١ ومعاني القرآن وإعرابه ١١٤/١ وإعراب النحاس ٥٨٣/٢ والمنصف ١٢٨/١ ومشكل إعراب القرآن ٨٧/١ ومجمع البيان ٨١/١ والمعرّب ٢٣ والبيان ٧٤/١ والبيان للعكبري ٣٠/١ والبحر المحيط ١٥١/١ والمصباح المنير ٨٤/١ وبصائر ذوي التمييز ١٠٣/٦ والدرر المشور ١٢/٣.

العرب حذفت (ديا) من أول الكلمة وتوصلوا إلى النطق بالسكان بزيادة الهمزة في أولها ثم غير فيها حتى صارت (ابليس)^(١).

وتبين لعباس محمود العقاد أننا "لسنا على يقين من انقطاع الصلة بين الكلمة اليونانية والكلمة العربية ولكننا على يقين من أن شخصية (ابليس) تحتاج بل تتوقف على الدلالة التي تستفيدها من مادة الإبلّاس أي فقد الرجاء فإن ضياع الأمل ألزم صفات إبليس على ألسنة الخاصة والعامة وليس أشهر من المثل الذي يضرب بأمل إبليس في الجنة مرادفا لمعنى الأمل الضائع كل الضياع"^(٢). ويمكن الاستدلال على عروبة لفظة إبليس بما يأتي^(٣):

- إن الأصل في القرآن أنه عربي لسان العرب

- ورود اشتقاق الكلمة ومادتها في القرآن الكريم كقوله تعالى (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾).

- العرب استعملوا المادة دالة على معناها في أراجيزهم كقول رؤبة^(٤):

وحضرت يوم خميس الأخماس

وفي الوجوه صفرة وإبلّاس

- إن ما ورد في القرآن الكريم من تصارف لهذه الكلمة يتفق في المعنى من حيث الدلالة على ما كان معروفا على ألسنة الناس فإبليس في القرآن الكريم يائس من رحمته تعالى مطرود منها وليس أدل على ذلك من قوله تعالى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ

(١) ينظر: الزينة في معاني الكلمات الإسلامية ١٩٣/٢ (الهامش) والتطور الدلالي ٤٧٢ -

٤٧٣ وغرائب اللغة العربية ٢٥١.

(٢) إبليس ٤٤.

(٣) ينظر التطور الدلالي ٤٧٣.

(٤) ديوانه ٦٧.

وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَعْشُونَ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿ص: ٧٥ - ٨٣﴾.

الخاتمة

أبان البحث عن عدة من نتائج يمكن بيانها بما يأتي:

❖ الخلاف الصرفي في العربية لا يقل أهمية عن الخلاف النحوي الذي أفرد بكتب كثيرة قديماً وحديثاً، ولم ينل الخلاف الصرفي ما ناله النحوي من التأليف وإنما جاءت مسأله مبنوثة في كتب القدماء على اختلاف أنواعها بشأ ينبي عن أنهم عدوه فرعاً من الخلاف النحوي متمماً له.

❖ الله واللهم ألفاظ عربية قديمة جداً وهي جامدة لا اشتقاق فيها وربما كانت من بقية ألفاظ اللغة الجزيرية الأم التي انقرضت فأورثت بناتها الجزريات شيئاً من ألفاظها. خلافاً لمن قال: إنها مشتقة من الإلهة أو الوله أو اللت أو غير هذا.

❖ الإنجيل وموسى لفظان يتضح معناه واشتقاقهما في غير العربية ولذا يكون القول: إنهما وفاق وقع بين الجزريات هو الراجح خلافاً لمن قال: الإنجيل مشتق من النجل وموسى مشتق من (ماس) أو (أوسيت).
❖ آدم لفظ عربي بزنة (أفعل) من الأدمة خلافاً لمن قال: هو أعجمي، ولمن قال: هو (فاعل) من الأدمة.

❖ التوراة لفظ بزنة (تفعال) من الوري خلافاً لمن قال: إنها أعجمية، ولمن قال: إنها (فوعلة) من الوري ولمن قال: إنها (تفعلة) من الوري.
❖ جهنم لفظ عربي بزنة (فعلل) من الجهومة خلافاً لمن قال: إنه أعجمي، ولمن قال: هو عربي بزنة (فعللل) أو (فعللل).

❖ سلسبيل بزنة (فعليل) وفاقاً لسيبويه وخلافه في إن اللام الأخيرة زائدة للتوكيد أو روما لتوحيد الجرس في خواتيم أي سورة الإنسان.
❖ القرآن فعلان من قرأ وفاقاً للجمهور وخلافاً لمن قال: هو جامد، ولمن قال: هو فعلان من قرئت الماء في الحوض إذا جمعته.

❖ المسيح لفظ عربي بزنة (فَعِيل) من (مسح) وهو أصل لم تختلف دلالاته في العربية عنها في سائر الجزريات، خلافا لمن قال: هو معرب، ولمن قال: هو (مَفْعَل) من (ساح).

❖ الآل مشتق من (الأول) وفاقا ليونس والكسائي، وخلافا لسيويه والجمهور في إن أصله (أهل) ثم قلبت الهاء همزة.

❖ الآن اسم جنس بزنة (فَعَل) كـ (زَمَن)، وأصله (أَوَن) واوي العين بدليل (الأوان) خلافا لمن ذهب إلى إنه يائي العين ولمن ذهب إلى إنه فعل ماضٍ لزمته الألف واللام.

❖ الآية بزنة (فَعْلَة) وأصلها (أَيَّة) وفاقا للخليل وسيويه وخلافا لمن زعم أنها (فَعْلَه) أو (فاعه) أو غيرها من زنات.

❖ الابن بزنة (افع) من أصل واوي اللام وفاقا للجمهور وخلافا لمن زعم إنه مشتق من البنيان، والتاء في (بنت) بدل من الواو وليست تأنيثا وفاقا للقدماء وخلافا للمحدثين الذين أخرجوا (ابن وبنت) من أصل ثنائي هو (بن).

❖ الاسم لفظ لم يختلف القدماء في تأصيله على مدرستين كما جاء في كثير من الكتب وإنما هم مجمعون على إنه (افع) من السمو.

❖ الأم بزنة (فُعَل) من الأم خلافا للجمهور، وخلافا لمن زعم أنها بزنة (فع) ولامها محذوفة - أمّا هاء واو - ولمن زعم أنها من أصل ثنائي.

❖ الإنسان والإنسي والأنسي والناس ألفاظ مشتقة من الأنس الذي هو ضد الاستيحاش وفاقا للبصريين وخلافا للكوفيين في إنها مشتقة من النسيان.

❖ التنور (تفعول) من النار خلافا للجمهور في إنه (فعول) من (تتر) المهجور، ولمن زعم أنه أعجمي أو وفاق وقع بين جميع اللغات.

❖ الخنزير فنعيل من الخزر وفاقا للجمهور وخلافا لمن زعم أصالة النون فيه.

❖ الدم اسم بزنة (فعل) ساكن العين وأصله (دَمِي) وفاقاً لسيوييه وخلافاً للمبرد في أنه مصدر بزنة (فعل).

❖ الرمانُ فُعلان من الرَمّ، وفاقاً للخليل وسيوييه وخلافاً للأخفش في إنه (فُعال) من (رمن).

❖ الريحان مخفف (الريحان) بزنة (فيعلان) وأصله (ريوحان) وهو واوي العين وفاقاً للجمهور وخلافاً لمن زعم إنه من أصل يائي العين.

❖ الزيتون فعولون من الزيت وفاقاً لابن جني وخلافاً لابن كيسان في إنه (فيعول) من (زتن) المهجور وخلافاً للزجاج في إنه جمع بالواو والنون مفردة (زيت).

❖ الشيطان فيعال من شطن إذا بعد خلافاً لمن ذهب إلى إنه (فعلان) من (شاط) إذا احترق ولمن زعم إنه معرب في العربية من غيرها.

❖ الطاغوت بزنة (فاعول) من الطغيان وأصله (طاغوي) خلافاً للمبرد في إنه (فلعوت) مقلوبا من (فعلوت) ولأبي حيان في إنه (فاعوت) منقوصاً من (فاعلوت).

❖ ملك فعل من اللوك وأصله (ملأك) بزنة (مفعل) خلافاً لمن زعم أنه في الأصل (مألك) بزنة (مفعل) من الألك أو (ملأك) بزنة (فعال) من الملك.

❖ سُبْحان اسم مصدر بمعنى التسبيح وليس علماً لمعنى التسبيح ولا بزنة (فعلان) وإنما منع من الصرف لملازمته الإضافة وفاقاً لابن مالك.

❖ الصلَاة اسم مصدر بزنة (فعال) من (صلّى) إذا حرّك صلويّه ك (كلام) من (كلم) خلافاً لمن زعم أنها مشتقة من الصلّي أو الوصول .

❖ أحد مشتق من أصل مهجور فاؤه همزة وعينه حاء ولامه دال خلافاً لمن ذهب إلى انه مشتق من الوحدة أو من أصل ثنائي.

❖ أدنى أفعل من الدنو وفاقاً للفراء وخلافاً لمن زعم إنه أفعل من الدناء أو (أفلع) من النون.

❖ أول أفعل من أصل مهجور تقديره (وول) وفاقا للبصريين وخلافا لمن زعم إنه أفعل من (وأل) أو من (آل) أو (فوعل) من وول أو (عفول) من (وأل) أو (أعفل) من (آل).

❖ بغيّ صفة للمؤنث على فعيل من البغي وفاقا لابن جني وخلافا للمبرد في إنها (فعول) منه.

❖ مهيمن بزنة (مُفعّل) من (هيمن) بزنة (فعلل) وفاقا لابن بري وخلافا لابن قتيبة في إنه تصغير (مؤمين) وخلافا للمبرد في إنه (مفيعل) من (هيمن) بزنة (فيعل) وخلافا للأزهري في إنه (مهفعل) من (آمن) وخلافا للمعري في إنه (مفعّلن) من الهيم أو (مفيعن) من الهمي.

❖ أبابيل لفظ مركّب من مقطعين الأول (أبا) بمعنى (ذو) والآخر (بيل) وهو صوت يحاكي صوت الطير الذي حمل حجارة السجيل خلافا لمن ذهب إلى إنه جمع مفردة (إبول) أو (إبيل) أو (إباله) أو جمع لا مفرد له.

❖ أشياء بزنة (أفعال) وفاقا للكسائي وخلافا للخليل في إنها (لفعاء) وخلافا للفراء والأخفش في إنها (افعاء).

❖ اطمأنّ مقلوب من (طأمن) وفاقا لسيبويه والجمهور وخلافا للجرمي في أن (طأمن) مقلوب من (اطمأن) وخلافا لبعضهم في أن (اطمأن) من باب الافعال واصله (اطمان) وهمزت ألفه.

❖ هلمّ مشتق من فعل الأمر من (اللم) زيدت قبله (ها) التنبيه خلافا لمن زعم إنه مركّب من (هل) و(أمّ).

❖ إبليس لفظ عربي مشتق من الإبلّاس خلافا لمن قال: هو أعجمي.

المصادر

❖ القرآن الكريم

- أ -

- ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، الزبيدي الشرجي (عبد اللطيف بن ابي بكر ت ٨٠٢ هـ)، تحقيق الدكتور طارق الجناحي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.
- الإبدال، أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي ت ٣٥١ هـ) تحقيق عز الدين التتوخي مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، ١٩٦١ م.
- إبليس، عباس محمود العقاد، بحث منشور في مجلة الهلال، القاهرة، العدد ١٩٢، ١٩٦٧.
- ابن الانباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الدكتور محيي الدين توفيق ابراهيم، الموصل، ١٩٧٩ م.
- ابن جني النحوي، الدكتور فاضل السامرائي، بغداد، ١٣٨٩ هـ.
- ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد، دراسة وتحقيق الدكتور محمود جاسم الدرويش، سلسلة خزائن التراث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠ م.
- ابن الخشاب حياته ونحوه، الدكتور علي عبود الساهي، مطبعة الجامعة.
- ابن درستويه، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤ م.
- ابن عصفور والتصريف، الدكتور فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٦٥ م.

- ابن مالك صرفيا، سالم جاري هدى، رسالة ماجستير، كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٦م.
- أبنية الصرف في كتاب سيويه، الدكتورة خديجة الحديثي، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٦٥م.
- أبوزكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، أحمد مكي الأنصاري، القاهرة، ١٩٦٤م.
- أبو العباس المبرد وأثره في علوم اللغة العربية، محمد عبد الخالق عزيمة، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، بغداد، مطبعة سلمان الأعظمي، ١٩٦٩م.
- أبو عمرو بن العلاء اللغوي والنحوي ومكانته العلمية، عبد الله محمد الأسطي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، ط١، ١٩٨٦م.
- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، رواه وعلّق عليه وصحّحه علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت.
- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن ابي بكر ت ٩١١هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٠هـ.
- أثر المعنى في الدراسة النحوية حتى نهاية القرن الرابع للهجرة، كريم حسن ناصح، كلية الآداب، جامعة بغداد (رسالة دكتوراه)، ١٩٩١م.
- الاحتجاج العقلي في النحو العربي، محمد جواد محمد سعيد الطريحي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩.
- أخبار ابي القاسم الزجاجي (عبد الرحمن اسحاق ت ٣٣٧هـ)، تحقيق عبد الحسين المبارك، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠م.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٥٥هـ.

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق مصطفى أحمد النماس، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٤ - ١٩٨٩ م.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (أبو العباس شهاب الدين احمد بن محمد ت ٩٢٣ هـ)، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٢٣ هـ.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، ط١، مطبعة مصطفى البابي، مصر ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م.
- ❖ أساس البلاغة: أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تقديم د محمد فهمي حجازي الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣ م.
- اسرار العريية، الانباري (ابو البركات عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧ هـ) تحقيق بهجة البيطار، ١٩٥٧ م.
- الاشباه والنظائر في النحو، السيوطي، راجعه وقدم له الدكتور فائز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤ م.
- الاشتقاق، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦ هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي.
- الاشتقاق، ابن دريد (محمد بن الحسن ت ٣٢١ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢ دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩.
- الاشتقاق، الدكتور عبد الله أمين ط١، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- الاشتقاق، فؤاد حنا ترزي، بيروت، ١٩٨٠ م.
- اشتقاق اسماء الله الحسنى، الزجاجي، تحقيق عبد الحسين المبارك، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٤ م.

- ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، ١٩٦٥.
- إصلاح المنطق، ابن السكيت (أبو يوسف بن يعقوب بن اسحاق ت ٢٤٤هـ)، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ٢، دار المعارف، مصر ١٩٥٦م.
- الأصوات اللغوية: د. ابراهيم انيس، الطبعة الرابعة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢م.
- الأصول في النحو، ابن السراج (ابو بكر بن محمد السري ت ٣١٦ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.
- أسماء خيل العرب وفرسانها، أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (المتوفى: ٢٣١هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٩م.
- الأضداد: عبد الملك بن قريش الأصمعي (ت ٢١٣هـ)، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد، نشر الدكتور اوغست هفتر، بيروت ١٩١٣م.
- ❖ الأضداد: أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت (ت ٢٤٤هـ)، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد ❖ ٠ الأضداد، أبو بكر محمد بن القاسم بن الانباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الكويت ١٩٦٠م.
- إضاءة الراموس وإفاضة الناموس على إضاءة القاموس، محمد بن الطيب الفاسي ت ١١٧٠هـ تحقيق عبد الجبار داود، وعبد الله سلمان (رسالة دكتوراه) جامعة الازهر، ١٩٧٢.
- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: محمد الامين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم، اعتنى به الشيخ صلاح الدين العلايلي، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦م.

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه (أبو عبد الله الحسن بن أحمد ت ٣٧٠هـ) دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.
- إعراب القرآن، النحاس (أبو جعفر أحمد بن أسماعيل ٣٣٨ هـ) تحقيق الدكتور زهير غازي، ط ٢، مطبعة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٨.
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت ٣١١هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم الأبياري، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦.
- الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومسائل بن الأرقم: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، مصر ١٩٧١م.
- الإعلال في كتاب سيوبه، عبد الحق أحمد محمد، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ١٩٨٣م.
- الأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة، الدكتور أحمد سليمان ياقوت، كلية الآداب، مصر ١٩٨٦.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب البطليوسي (أبو محمد عبد الله بن محمد السيد ت ٥٢١هـ) تحقيق محمد السقا وحامد عبد المجيد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م.
- أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد (ومعه ذيل أقرب الموارد)، سعيد الخوري الشرتوني، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، إيران.
- تعليق من أمالي ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق السيد مصطفى السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.
- الأمالي، القالي البغدادي (أبو علي اسماعيل بن القاسم ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب المصرية ١٩٢٦م.
- الأمالي الشجرية، ابن الشجري (ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي ت ٥٤٢هـ)، دار المعرفة، بيروت.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الانباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٨٢م.
- الإنصاف والخلاف النحوي بين المذهبين، محمد خير الحلواني، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٧١م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ت ٧٧٢هـ)، دار الجيل، بيروت.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الانصاري (ابو محمد عبد الله بن يوسف ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤.
- الإيضاح العضدي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، المحقق: حسن شاذلي فرهود، ١٩٦٩.
- الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، تحقيق الدكتور موسى بني العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢.
- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، ط ٥، بيروت، ١٩٨٦.

- ب -

- البارع في اللغة، القالي البغدادي، تحقيق هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٥.
- البحث النحوي في الكتب والرسائل الجامعية، مكّي عزيز نومان، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٨.
- بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، دار الكتب العلمية.

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسيني ت ١٢٢٤هـ، تحقيق عمر أحمد الراوي دار الكتب العلمية ٢٠١٠م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، مكتبة النصر الحديثة، الرياض .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز ابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ)، تحقيق محمد على النجار، القاهرة، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٤ .
- البغداديات (مشكل إعراب القرآن المعروفة بالبغداديات)، أبو علي الفارسي (الحسن بن احمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧هـ)، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، بغداد، ١٩٨٣.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م.
- البيان في غريب إعراب القرآن، الانباري، تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠.

- ت -

- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٣.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محب الدين محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥هـ) تحقيق لجنة من الأساتذة.
- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥ .
- تاريخ العرب قبل الاسلام، الدكتور جواد علي، الجزء السابع، القسم اللغوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٧.
- تاريخ علوم اللغة العربية، طه الراوي، مطبعة الرشيد، بغداد، ١٩٤٩

- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد اباه، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨.
- التبصرة في القراءات، مكّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٥.
- التبصرة والتذكرة، الصيمري (أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق من نحاة القرن الرابع الهجري)، تحقيق الدكتور فتحي أحمد مصطفى، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٢.
- التبيان في إعراب القرآن، العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين، ٦١٦هـ) مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، ١٣٤٧هـ.
- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن ٤٦٠هـ) تحقيق أحمد حبيب العاملي وأحمد شوقي الأمين، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٩٧٥.
- التبيين على مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، العكبري، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٦.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي مطبعة العاني، ط١ بغداد، ١٩٧٧.
- تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، عبد الله الحلو، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- التحقيق في كلمات القرآن، حسن مصطفى، دار الكتب العلمية.
- تذكرة النحاة، أبو حيان، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن، بيروت، ١٩٨٦.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبى ت ٧٤١هـ، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧
- تصحيح الفصيح، ابن درستويه (عبد الله بن جعفر ت ٣٤٧هـ) تحقيق عبد الله الجبوري مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥ .
- تصريف الفعل، الدكتور أمين علي السيد، مطبعة عاطف القاهرة، ١٩٧٤.
- التصريف الملوكي، ابو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ، تحقيق محمد سعيد النعسان ط ٢، دار المعارف، دمشق، ١٩٧٠.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم. دراسة دلالية مقارنة: عودة ابو خليل عودة - الطبعة الاولى - مكتبة المنار - الاردن ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس، رمضان عبد التواب، (بحث)، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ١٩٦٧.
- التطور النحوي للغة العربية برجستراسر، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢ .
- التعليقة على كتاب سيوبه، أبو علي الفارسي، تحقيق وتعليق الدكتور عوض بن احمد القوزي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٦.
- تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، تحقيق الشيخ مهدي الأنصاري، قسم الترجمة والنشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .
- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار العماد، دمشق، ٢٠١٣م.
- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤٠.
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، الخازن البغدادي (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الصوفي (ت ٧٤١ هـ)، القاهرة، ١٩٥٥.
- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ط ٢، طهران، ١٤١٦ هـ.
- تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، دار الكتاب العلمية، بيروت ١٩٧٨٠.
- تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٤٤ هـ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ.
- التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (محمد بن عمر ت ٦٠٦ هـ) المطبعة البهية المصرية، ١٩٣٨.
- تفسير اللباب في علوم الكتاب، الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (٨٨٠ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١.
- تفسير مجاهد أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤ هـ)، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- تفسير النسفي (تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمد ت ٧١٠ هـ) بيروت، ١٩٧٨.

- تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- تقويم الفكر النحوي، علي ابو المكارم، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤م.
- التكملة، أبو علي الفارسي ت ٣٧٧هـ تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، مطابع مديرية دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨١.
- التمام في تفسير اشعار هذيل مما اغفله ابو سعيد السكري ابن جني، تحقيق أحمد ناجي القيسي وآخرين، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٢.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب إلى: عبد الله بن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.
- تهذيب اصلاح المنطق، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) تحقيق الدكتور فوزي عبد العزيز مسعود، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩١.
- تهذيب اللغة، الازهري (ابو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ) تحقيق إبراهيم الاياري، دار الكتاب العربي، ومطابع سجل التراث، القاهرة، ١٩٦٧.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي (بدر الدين الحسن بن قاسم ت ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي، ط ١، ١٩٧٦، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- التوطئة، أبو علي الشلوين (عمر محمد بن الله الأزدي ت ٦٤٥هـ) تحقيق يوسف أحمد المطوع، دار التراث العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٧٣.

- ث -

- ثلاث رسائل في اللغة، ابن جني، عني بنشرها وجيه فارس الكيلاني، المطبعة العربية، مصر، ١٩٢٣.

- ج -

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري ت ٦٧١هـ) دار التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ) دار الفكر بيروت، ١٩٨٨.
- الجمل في النحو، ابو القاسم الزجاجي، تحقيق الدكتور على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الاردن، ١٩٨٨.
- جمهرة اللغة، ابن دريد، دار صادر، ط ١، ١٣٤٥هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المادي، تحقيق طه محسن، مؤسسة الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٦.
- جواهر الادب في معرفة كلام العرب، الاربلي (علاء الدين بن علي بدر الدين ت ٧٦٦هـ) ط ٢، تقديم محمد مهدي حسن الموسوي، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٧٠.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (عبد الرحمن بن مخلوف ت ٨٧٥هـ) بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٦٤هـ.

- ح -

- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، الخضري (محمد مصطفى الدمياطي ت ١٢٨٧هـ) مطبعة دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك، الصبان (أحمد بن محمد بن علي ت ١٢٠٦هـ) دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
- الحجة في علل القراءات السبع، الفارسي، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم دار الشروق، ط ٢، ١٣٩٧هـ.
- الحل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل، البطليوسي (ابو عبد الله بن محمد بن السيد ت ٥٢١هـ) تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٠.
- الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، المحقق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م.

- خ -

- خزانة الادب ولب لسان العرب، البغدادي (عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ) مطبعة علي بك جودت، مصر، ١٢٩٩.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠.
- الخلاف الصرفي في العربية، ناصر سعيد العيشي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، الآداب، ١٩٩٨.

- الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف، محمد خير الحلواني، دار القلم حلب، ١٩٧٤.
- الخلاف النحوي بين الكوفيين مهدي الشمري رسالة دكتوراه الآداب بغداد ١٩٩٥.
- الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، حسن منديل حسن العكيلي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب الجامعة المستنصرية ١٩٩٦.

- د -

- دائرة المعارف الاسلامية أئمة المستشرقين في العالم، ترجمة ابراهيم زكي خورشيد، احمد الشتاوى والدكتور عبد الحميد يونس، القاهرة ١٩٦٩.
- الدراسات الصرفية عند العرب منذ نشأتها حتى القرن الرابع الهجري، نهاد فليح حسن رسالة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٩٦.
- دراسات في فقه اللغة العربية، السيد يعقوب بكر، بيروت، ١٩٦٩.
- دراسات في اللغتين السريانية والعربية، ابراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٨٥.
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد حسين ال ياسين بغداد، ١٩٧٧.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (احمد بن يوسف ت ٧٥٦ هـ) تحقيق احمد محمد الخراط، ط١، دار العلم دمشق، ١٩٨٦.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

- درة الغواص في أوهام الخواص، الحريري (ابو محمد القاسم بن علي ت ٥١٦هـ) ط١، القسطنطينية ١٢٩٩هـ.
- الدرس النحوي في بغداد، الدكتور مهمدي المخزومي، مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٧٤.
- دروس في التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد ط٣، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٨.
- دروس في اللغة العربية، بحى كمال بيروت، دا العلم للملايين، ١٩٦٣
- دقائق التصريف، المؤدب (القاسم بن محمد بن عيد من علماء القرن الرابع الهجري) تحقيق الدكتور أحمد ناجي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن والدكتور حسين توال مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م.
- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، أطروحة دكتوراه، محمد ياس خضير الدوري، كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٥.
- ديوان الادب، الفارابي (أبو اسحاق بن ابراهيم ت ٣٥٠هـ) تحقيق احمد مختار عمر القاهرة مجمع اللغة العربية، ١٩٧٦.
- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس ٧هـ) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر.
- ديوان أمرئ القيس حجر الكندي (ت ٨٠ ق هـ) تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩.
- ديوان أوس بن حجر (ت ٢ ق هـ) تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صاد، بيروت ١٩٦٢.
- ديوان حسان بن ثابت (ابو الوليد بن المنذر الانصاري ت ٥٤ هـ)، بيروت دار صادر، ١٩٦١.
- ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت.
- ديوان رؤية بن الحجاج (مجموع أشعار العرب)، جمع وليم بن الورد، لبيزك، ١٩٠٣م.

- ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه راينهارت فاييرت، بيروت، ١٩٨٠.
- ديوان زهير، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت.
- ديوان شعر الأختل، تعليق وشرح الاب انطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثولوكية بيروت، ١٨٩١م.
- ديوان الشنفرى (عمر بن مالك ت ٧٠ ق م)، جمعه أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربى بيروت، ١٩٩٦.
- ديوان طرفة بن العبد، فوزى عطوي، بيروت، ١٩٦٩.
- ديوان الطرماح، تحقيق عزة حسن، دمشق، ١٩٦٨.
- ديوان العباس بن مرداس السلمي، تحقيق يحيى الجبوري، بغداد ١٩٦٨.
- ديوان العجاج (ت ٩٠ هـ) بشرح الأصمعي عبد الملك بن قريبت ٢١٦هـ، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السلطاني، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧١.
- ديوان عمر بن ابي ربيعة (ت ٩٣هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية القاهرة، ١٩٦٥.
- ديوان الفرزدق (ت ١١٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.
- ديوان كعب بن زهير، المحقق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧.
- ديوان ليبد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت.
- ديوان المتنبى، أبو الطيب أحمد بن حسين المتنبى، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣.

- ديوان النابغة الذبياني (ت ١٨ ق هـ) تحقيق محمد ابي الفضل، دار المعارف مصر، ١٩٧٧.

- ر -

- رسالة الغفران، أبو العلاء المعري (احمد بن عبد الله ت ٤٤٩ هـ) تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن، ط ٦، مصر، ١٩٧٧.
- رسالة الملائكة، أبو العلاء المعري، تحقيق لجنة من العلماء منشورات دار الآفاق الجديدة ط ٣، بيروت، ١٩٧٩.
- رسالتان في اللغة الفرق والشاء، الأصمعي، تح صبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٢.
- رصف المباني حروف المعاني، المالقي (احمد بن عبد النور ت ٧٠٢ هـ) تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق، ٥٠ ت.
- روح الصلاة في الإسلام بيان لحكمة الصلاة الروحية والاجتماعية والنفسية، عفيف عبد الفتاح طيارة، دار العلم للملايين، ١٩٦٨.
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت ١٨٥٤ م)، المطبعة المنيرة، دار التراث، بيروت.
- الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، نشر دار النصر للطباعة.
- الروض الأنف للسهيلي دراسة صرفية ولغوية، ازهار حسون محمود، رسالة ماجستير كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٥.

- ز -

- زاد المسير في علم التفسير، الجوزي (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، ط ١، المكتب الاسلامي لطباعة، دمشق، ١٩٦٤م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، ابن الانباري (ابو بكر محمد بن القاسم ت ٣٢٨هـ)، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، ط ١، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩م.
- الزينة في معاني الكلمات الاسلامية العربية، الرازي (أبو حاتم أحمد بن محمد بن حمدان (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق حسين فيض الله الهمداني، القاهرة، ١٩٥٧م.

- س -

- الساميون ولغاتهم، حسن ظاظا، دمشق، ١٩٩٠.
- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.
- سر صناعة الاعراب، ابن جني، تحقيق لجنة من الأساتذة، البابي الحلبي، مصر ١٩٥٤م.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، البابي الحلبي ط ٢، ١٩٧٧.

- ش -

- شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤.
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت ٧٦٩هـ) تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط ٢٠ مطابع المختار الاسلامي، نشر مكتبة التراث، القاهرة، ١٩٨٠م.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك (بدر الدين بن محمد بن مالك المعروف بابن المصنف وبابن الناظم ت ٦٨٦هـ)، المطبعة العلوية، النجف، ١٣٤٢هـ.
- شرح الاشموني على الفية ابن مالك، الاشموني (نور الدين ابو الحسن علي بن محمد ت ٩٢٩هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- شرح التصريح على التوضيح، الأزهرى (خالد بن عبد الله ت ٩٠٥هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٣.
- شرح التعريف في ضرورة التصريف، جمال الدين الحسين بن إياز (ت ٦٨١هـ)، تحقيق هادي نهر، هلال ناجي (كتاب مخطوط) ١٩٩٧ - ١٩٩٨.
- شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور (ابو الحسن علي بن مؤمن ت ٦٦٩هـ)، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٨٢.
- شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي ت ٦٨٦هـ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥م.
- شرح الشافية، الجاربردي (فخر الدين احمد بن الحسن ت ٧٤٦هـ) ضمن مجموعة الشافية من علمي الخط والرسم، عالم الكتب ط ٣، بيروت، ١٩٨٤.

- شرح الشافية، نقره كار (السيد جمال الدين عبد الله العجمي ت٧٧٦هـ) ضمن مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، عالم الكتب ط٣، بيروت، ١٩٨٤.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، دت.
- شرح شواهد الشافية، عبد القادر البغدادي، مطبوع ضمن شرح الشافية (ج ٤) تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.
- شرح عيون كتاب سيويه، القرطبي (هارون بن موسى ت٤٠١هـ)، تحقيق عبد اللطيف عبد ربه دمشق، ١٩٨٣م.
- شرح الفصيح، ابن الجبان (ابو منصور محمد بن علي ت٤١٦هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الجبار جعفر القزاز، ط١، بغداد، ١٩٩١م.
- شرح الفصيح، ابن هشام اللخمي (ابو عبد الله محمد بن أحمد ت٥٧٧هـ) دراسة وتحقيق الدكتور مهدي عبيد جاسم، ط١، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨م.
- شرح الفصيح، ابو القاسم عبد الله بن ناقي ت٤٨٥هـ رسالة ماجستير، عبد الوهاب العدواني، جامعة القاهرة، ١٩٧٣.
- شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات، ابن الانباري، تحقيق عبد السلام هارون، مصر ١٩٦٣.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الانصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٣، دار الفكر.
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الإستراباذي الرضي، المحقق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفطي ويحيى بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٦٦.

- شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق الدكتور عبد المنعم احمد هريدي، دار المأمون، ١٩٨٢.
- شرح كتاب سيويوه، السيرافي (ابو سعيد الحسن بن عبد الله ت٣٦٨هـ) تحقيق لجنة من الاساتذة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.
- شرح اللمع، ابن برهان العكبري (ابو القاسم عبد الواحد بن علي الاسلامي ت٤٥٦هـ) حققه فائز فارس ط١، الكويت، ١٩٨٤.
- شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف، التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر ت٩٧١هـ)، شرح وتحقيق الدكتور عبد العالم سالم مكرم، ط١، الكويت ١٩٨٣.
- شرح المراح في التصريف، العيني (بدر الدين محمود بن احمد ت ٨٥٥ هـ) تحقيق عبد الستار جواد، بغداد ١٩٩٠م.
- شرح المرزوقي (شرح ديوان الحماسة)، المرزوقي (احمد بن محمد بن الحسن ت ٤٢١هـ) نشره احمد أمين وعبد السلام هارون، ط١ القاهرة، ١٩٥٣.
- شرح المفصل، ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي ت ٦٤٤ هـ)، دار الطباعة المنيرة مصر.
- شرح المفصل في صنعة الأعراب الموسوم بالتخمير، القاسم بن الحسين الخوارزمي صدر الأفاضل، المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠.
- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط١ المكتبة العربية، حلب، ١٩٧٣.
- شرح نهج البلاغة: عز الدين عبد الحميد بن محمد بن ابي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار أحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩هـ)، منشورات دار الثقلين، بيروت ١٩٩٩ هـ.

- الشعر والشعراء ابن قتيبة، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ .
- شفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين احمد الخفاجي، تصحيح: نصر الهوريني، ١٩١٦.
- الشوارد في اللغة، الصاغانى (الحسن بن محمد بن الحسن ت ٦٥٠ هـ) تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣.
- الشيرازيات (المسائل الشيرازات)، أبو علي الفارسي، تحقيق ودراسة الدكتور علي جابر المنصوري، (رسالة دكتوراه)، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

- ص -

- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها، ابن فارس (ابو حيان احمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابى الحلبي القاهرة، ١٩٧٧.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (اسماعيل بن حامد ت فى حدود ٤٠٠ هـ) تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربى، مصر.
- صفوة البيان لمعانى القرآن، حسين محمد مخلوف، دار الفكر، بيروت .
- صحيح البخارى: ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) - تح: د محمد محمد تامر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
- صحيح مسلم: ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) - تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الآفاق العربية، مصر، ٢٠٠٥ م.
- صيغ الجموع فى اللغة العربية، باكرة رفيق حلمي.

- ط -

- طبقات فحول الشعراء ابن سلام (محمد بن سلام الجمحي ت ٢٣٩هـ)، شرح محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٢٠.
- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي (ابو بكر بن الحسن ت ٣٧٩ هـ) تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، الخانجي، مصر، ١٩٥٤.

- ظ -

- ظاهرة التأنيث العربية بين اللغة واللغات السامية، دراسة لغوية تأصيلية الدكتور اسماعيل أحمد عمايرة، مركز الكتاب العلمي، عمان، ١٩٨٦٠.
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي عبد الفتاح الدجني، الكويت، ١٩٧٤.

- ع -

- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصاغاني، الجزء الاول، تحقيق منير محمد حسن ط١، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨ م.
- عبث الوليد، ابو العلاء المعري، تحقيق ناديا على الدولة، الشركة المتحدة للتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٧٨ .
- العرب واليهود في التأريخ، احمد سوسة، بغداد، ١٩٧٢ م.
- العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨.
- عمدة الصرف، كمال إبراهيم، وزارة المعارف، بغداد، ١٩٥٧.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، غنيت بتصحيحه شركة من العلماء، طبع اداة الطباعة المنيرية، مصر.

- عيسى بن عمر الثقفي (نحوه من خلال قراءاته) الدكتور صباح عباس السالم، بغداد، دار التربية، ١٩٧٥.
- العين، الفراهيدي (الخليل) بن الفراهيدي (الخليل بن احمد ت ١٧٥ هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١.

- ف -

- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د-ت).
- الفصول في العربية، أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي (ت ٥٦٩ هـ)، تحقيق: فائز فارس، ط١، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ط٦، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- فعلت وأفعلت، أبو حاتم السجستاني (٢٥٥ هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، ساعدت جامعة البصرة على نشره، ١٩٧٩ م.
- فقه القرآن، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، ط٢، مكتبة المرعشي، ١٤٠٥ هـ.
- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط٣، دار نهضة مصر، ٢٠٠٤ م.
- فقه اللغة، د. حاتم صالح الضامن، جامعة بغداد، ١٩٩٠ م.
- فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزبيدي، منشورات جامعة الموصل، ١٩٨٧ م.
- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢ م.

- فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥ م.
- فهرست منتجب الدين، منتجب الدين علي بن بابويه (ت ٥٨٥ هـ)، تحقيق: جلال الدين الأرموي، مكتبة المرعشي، قم، (د-ت).
- في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، (الموسوعة الصغيرة ١٢٤)، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٣ م.
- في التراث اللغوي، د. مصطفى جواد، حققه وقدم له: د. محمد عبد المطلب البكاء، ط١، بغداد، ١٩٩٨ م.
- في تصريف الأسماء، عبد الرحمن شاهين، مطبعة مختار، الإسكندرية - مصر، ١٩٧٧ م.
- الفیصل فی ألوان الجموع، الأستاذ عباس أبو السعود، دار المعارف، مصر، ١٩٧١ م.
- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ط٣، مطبعة أبناء وهبة حسان، ١٩٦٥ م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، ط٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٥ م.

- ق -

- القاموس الفقهي (لغة واصطلاحاً)، سعدي أبو حبيب، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د-ت).
- القطع والائتناف، أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: أحمد خطاب العمر، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- القلب والإبدال، لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، نشره: أوغست هفتر، ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسن العربي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٣م.

- ك -

- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي - تحقيق: د. لطفي عبد البديع - المؤسسة المصرية العامة - القاهرة (د.ت).
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمد بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- كشف الحجب والأسرار، إعجاز حسين النيسابوري (ت ١٢٨٦هـ)، ط٢، مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٩هـ.
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت (د-ت).

- الكنى والألقاب، عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، مكتبة الصدر، طهران، (د-ت).

- ل -

- اللامات، أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- الباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. عبد العزيز مطر، دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م.
- لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، دار المعارف، مطبعة البلاغ، القاهرة (د.ت).
- لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ هـ)، ط ٣، دار صادر - بيروت، ١٤١٤ هـ.
- لسان الميزان، ابن حجر القسطلاني (ت ٨٥٢ هـ)، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ)، تحقيق: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- اللغة: فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٠ م.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د-ت).
- اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣ م.

- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٦ م.
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د. غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة العراقية، ١٩٧٨ م.
- لهجة قبيلة أسد، د. علي ناصر غالب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩ م.
- ليس في كلام العرب، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، مكة المكرمة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- م -

- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، بعناية عبد العزيز الميمني، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
- ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، ط١، دار الفكر، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، (د.ت).
- المبدع في التصريف، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق وشرح وتعليق: الدكتور عبد الحميد السيد طلب، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، قدّمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د - ت).

- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلّق عليه: الدكتور فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- مجالس ثعلب، أبو العباس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.
- مجمل اللغة، احمد بن فارس (٣٩٥ هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق علي النجدي وعبد الفتاح شلبي وعبد الحليم النجار، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ.
- المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق طه جابر فياض العلواني، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- المختصر في أصوات اللغة العربية (دراسة نظرية وتطبيقية)، محمد حسن حسن جبل، ط٥، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه

وقدّم له: محيي الدين ديب، ط، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

• المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، المجمع العلمي العراقي، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

• المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

• مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.

• المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)، شرح وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ط٣، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د - ت).

• المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، تحقيق وتعليق محمد كامل بركات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

• المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات، أبو علي الفارسي النحوي (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، (د - ت).

• المستقصى في علم التصريف، عبد اللطيف محمد الخطيب، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

• المشترك اللفظي في اللغة العربية، د. عبد الكريم شديد محمد، مطبعة هيئة إدارة واستثمار الوقف السني، بغداد، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

• مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الخطيب، ط٢، دار الأضواء، بيروت لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

• المصطلح النحوي، عوض أحمد القوزي، ط١، جامعة الرياض ١٤٠١ هـ.

- معارج نهج البلاغة، علي بن زيد بن محمد البيهقي فريد خراسان (ت ٥٦٦هـ)، تحقيق: محمد تقي دانش، ط ١، مكتبة المرعشي، ١٤٠٩ هـ.
- معالم العلماء، محمد بن علي أبو عبد الله بن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)، قم، (د-ت).
- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، ط ١، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (ت ٣٨٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط ٢، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل، ط ١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د-ت).
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط ٢، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي (١٤١١ هـ)، ط ٥، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- معجم الصوتيات، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ط ١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، ط ٣، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- المعجم المفصل في الأضداد، أنطونيوس بطرس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- معجم المؤلفين، عمر كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- المغني الجديد في علم الصرف، د. محمد خير حلواني، ط٥، دار الشرق العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ م.
- المغني في تصريف الأفعال، د. محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، ط١، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د - ت).
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي بوملحم، ط١ مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣ م.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢م.
- المقتضب، محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتاب- بيروت، (د-ت).
- المقرب، علي بن مؤمن بن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري، ط١، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- المكتفي في الوقف والابتداء، أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط١، دار عمار، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ١٩٩٦م.
- من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.
- منازل الحروف، علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان (د-ت).
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د-ت).
- منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل: جمال الدين أبو عمر عثمان عمرو بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- المنصف شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط١، دار إحياء التراث القديم، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

• منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، السيد حبيب الله بن السيد محمد الموسوي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ) تصحيح إبراهيم الميانجي، ط٤، طهران، ١٤٠٠هـ.

• منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ) تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام، عنيت بطبعه مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٦هـ.

• المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م.

• المهذب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش، ود. صلاح مهدي الفرطوسي، ود. عبد الجليل عبيد حسين، بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع، مطبعة التعليم العالي في الموصل، (د-ت).

• موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ط٤، دار القلم، بيروت - لبنان، ١٩٧٢ م.

- ن -

• نحو القراء الكوفيين، خديجة أحمد مفتي، ط١، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ م.

• النحو الوافي، عباس حسن، ط٣، دار المعارف، مصر، (د-ت).

• نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، خديجة محمد الصافي، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

• النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د-ت).

• نقد الرجال، مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي (من أعلام القرن الحادي عشر)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ١٣٧٦هـ.

• النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

• نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.

• النوادر في اللغة، أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت ٢١٥هـ)، ط٢، دار الكتب العربية، بيروت - لبنان، ١٩٦٧ م.

- ه -

• هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د-ت).

• همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، مصر، (د-ت).

- و -

• الواضح في علم الصرف، د. محمد خير حلواني، ط ٤، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٧ م.

• الوافي بالوفيات، أبو الصفاء خليل بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

ثانيا: الرسائل والأطاريح

- اسم المفعول في القرآن الكريم بنية ودلالة، أفرح عبد الكريم الخياط، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- البحث الدلالي عند سيف الدين الأملدي (ت ٦٣١هـ)، خيري جبير الجميلي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، (ت ٩٨٢هـ)، زينب عبد الحسين السلطاني، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٥م.
- البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، ابتهاج كاصد ياسر الزيدي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٤م.
- البحث الصوتي عند ابن السراج (ت ٣١٦هـ)، علي خليف حسن، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٨م.
- التقابل الدلالي في القرآن الكريم، منال صلاح الدين الصفار، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٣م.
- الدراسات اللغوية في كتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمتجرب حسين ابن أبي العز الهمداني (ت ٦٤٣هـ)، عدالة محمد عبد الكريم التميمي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الدراسات اللغوية والنحوية في كتب الوقف والابتداء، عبد الرزاق أحمد الحربي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٦م.
- الدرس الصوتي عند ابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، علاء جبر محمد، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٩٨م.

- الدرس الصوتي عند المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، فاطمة البياتي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ١٩٩٧ م.
- الدرس الصوتي عند رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦ هـ)، حسن عبد الغني الأسدي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٩٥ م.
- الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، كريم مزعل محمد اللامي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- الصيغ الفعلية في القرآن الكريم أصواتاً وأبنيّة ودلالة، ثريا عبد الله إسماعيل إدريس، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- الفروق اللغوية في العربية مع ملحق بها، علي كاظم مشري، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- المباحث الدلالية في شروح نهج البلاغة المطبوعة (دراسة موازنة)، جنان ناظم حميد، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ)، هادي عبد علي الفتلاوي، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- المباحث اللغوية في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي (١٣٢٤ هـ)، مصطفى كاظم شغيدل، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المباحث اللغوية والنحوية في كتاب التوشيح شرح الجامع الصحيح لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)، كاوة أحمد محمد، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

• المباحث اللغوية والنحوية والصرفية عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، رافع عبد الله مالمو العبيدي، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٥م.

• المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب دراسة صرفية دلالية، خديجة زبار عنيان، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية - ابن رشد، ١٩٩٥م.

• المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٨ م - ١٤٠٨ هـ.

• منهج الدرس الصوتي عند العرب، علي خليف حسين، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

ثالثاً: البحوث

• الإبدال، محمد نايل أحمد، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد الخامس والثمانون، محرم ١٤٢٠ هـ، مايو ١٩٩٩ م.

• بحوث ودراسات في اللغة العربية وتحقيق النصوص، مقال، د. حاتم الضامن، مجلة المورد، مج (١٥)، عدد (٢) لسنة ١٩٨٦م.

• ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية بين القدماء والمحدثين، محمد حماسة عبد اللطيف، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزء السادس والأربعون، ذو الحجة ١٤٠٠ هـ - نوفمبر ١٩٨٠ م.

• ظاهرة التقابل في علم الدلالة، د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، العدد العاشر، ١٩٨٤م.

• النبر في اللغة العربية، علي حسن مزبان، بحث في مجلة ثقافة البحرين، العدد ٣٤، ٢٠٠١ م.

الفهرس

٧	مقدمة الأمانة
١١	المقدمة
١٣	التمهيد
١٣	الخلاف في اللغة العربية: تاريخ وتطور
٢٣	١- الله، اللهم
٤١	٢- آدم
٤٤	٣- آل
٤٦	٤- الآن
٤٨	٥- الآية
٥٨	٦- اللات
٦١	٧- أَلْتَنَاهُم
٦٦	٨- أبابيل
٧٣	٩- ابن، بنت
٧٨	١٠- أحد
٨٤	١١- أدنى
٩١	١٢- أساطير
٩٣	١٣- استكان
٩٧	١٤- اسطاع
١٠٠	١٥- الاسم
١٠٧	١٦- أشده
١٠٩	١٧- أشياء
١٢٩	١٨- اطمأن

١٣٣	١٩- الأم
١٣٧	٢٠- الأنام
١٤٧	٢١- الإنجيل
١٥١	٢٢- إنسان
١٥٤	٢٣- أنعم
١٥٨	٢٤- اقتض
١٦٠	٢٥- أول
١٦٨	٢٦- أيامى
١٧١	٢٧- بغي
١٧٣	٢٨- البرية
١٧٥	٢٩- التابوت
١٧٧	٣٠- ثقاء
١٧٨	٣١- التنور
١٨٢	٣٢- التهلكة
١٨٤	٣٣- التوراة
١٨٩	٣٤- جهنم
١٩١	٣٥- حاشا
١٩٢	٣٦- حطة
٢٠٢	٣٧- الحيوان
٢٠٤	٣٨- الخنزير
٢٠٦	٣٩- دري
٢٠٧	٤٠- الدم
٢١١	٤١- ذرية
٢٢٠	٤٢- (راعنا)
٢٢٩	٤٣- ربانيون

٢٣٠.....	٤٤- رِيَّون
٢٣٣.....	٤٥- الرحمن
٢٣٧.....	٤٦- الرَّمَان
٢٣٩.....	٤٧- رويدا
٢٤٤.....	٤٨- الريحان
٢٤٥.....	٤٩- الزبانية
٢٤٩.....	٥٠- الزيتون
٢٥١.....	٥١- سبّحان
٢٥٤.....	٥٢- سلسيل
٢٥٩.....	٥٣- السورة
٢٦٢.....	٥٤- الشيطان
٢٦٧.....	٥٥- الصابئون
٢٧٢.....	٥٦- الصِّراط
٢٧٤.....	٥٧- صُرْهَن
٢٧٨.....	٥٨- الصفا
٢٧٩.....	٥٩- الصفوان
٢٨١.....	٦٠- الصلاة
٢٨٤.....	٦١- طاغوت
٢٩٠.....	٦٢- الطوفان
٢٩٢.....	٦٣- عدن
٢٩٤.....	٦٤- عزيز
٢٩٤.....	٦٥- عضين
٢٩٦.....	٦٦- عفريت
٢٩٨.....	٦٧- فئة
٣٠٢.....	٦٨- فم

٣٠٤.....	٦٩- القرآن
٣٠٦.....	٧٠- قرن
٣٠٨	٧١- قیعة
٣١١.....	٧٢- كَأَنْ، وَيَكْأَنَّ
٣١٦.....	٧٣- كَأَيِّن
٣١٨	٧٤- كَلَّا، كَلْتَا
٣٢٤	٧٥- لَات
٣٢٨.....	٧٦- لَكِنْ
٣٣١	٧٧- لَعَلَّ
٣٣٢.....	٧٨- لَيْسَ
٣٣٤.....	٧٩- المدينة
٣٣٥.....	٨٠- المسيح
٣٣٧	٨١- مقاليد
٣٤٠.....	٨٢- مَلِك
٣٤٤.....	٨٣- موسى
٣٥١.....	٨٤- المهيمن
٣٥٦	٨٥- الناس والأناس
٣٦١.....	٨٦- النبي
٣٦٣.....	٨٧- نِسْوَةٌ وِنِسَاء
٣٦٦.....	٨٨- النصرارى
٣٧٠	٨٩- نَعَمْ وَبَيْسَ
٣٧٢.....	٩٠- هَاؤُمْ
٣٧٣	٩١- هَاتُوا
٣٧٥.....	٩٢- هَلُمَّ
٣٧٨.....	٩٣- وجهة

٣٨٢.....	٩٤- وزير
٣٨٥.....	٩٥- يَأْتِلِ
٣٨٦.....	٩٦- يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
٣٨٩.....	٩٧- الْيَتَامَى
٣٩١.....	٩٨- يَتَسَنَّهُ
٣٩٣.....	٩٩- الْيَهُودُ
٣٩٩.....	١٠٠- إِبْلِيسُ

٤٠٣.....	الخاتمة
٤٠٧.....	المصادر
٤٤٥.....	الفهرس